KÖPRÜLÜ
39
M. Ahme

٤٩ مجالس درر الفوائد وغرر القلائد

من متحصلات الحقير درويش احمد بن نعمان
پاشا الوزير الأعظم [illegible] بن المعروف
بكبرولي زاده أناله الله
الى ما أراده

۴۹

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سيدنا الشريف الاجل المرتضى ذو المجدين اطال الله بقاءه وكبت اعداءه الحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلم **مجلس اول** تاويل آية قوله تعالى جل من قائل وإذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ه في هذه الآية وجوه من التاويل كل منها يبطل الشبهة الداخلة على بعض المبطلين فيها حتى عدلوا بتاويلها عن وجهه وصرفوه عن بابه اولها ان الاهلاك قد يكون حسنا وقد يكون قبيحا اذا كان ظلما فتعلق الارادة به لا يقتضي تعلقها به على الوجه القبيح ولا ظاهر الآية يقتضي ذلك واذا علمنا بالادلة تنزه القديم تعالى عن القبائح علمنا ان الارادة لم تتعلق الا بالاهلاك الحسن وقوله تعالى امرنا مترفيها المامور به محذوف وليس يجب ان يكون المامور به هو الفسق وانما يجري هذا مجرى قول القائل امرته فعصى ودعوته فابى والمراد اني امرته بالطاعة ودعوته الى الاجابة والقبول ويمكن ان يقال على هذا الوجه ليس موضع الشبهة ما تكلمتم عليه وانما موضعها ان يقال اي معنى لتقدم الارادة فان كانت متعلقة بالاهلاك المستحق بغير الفسق المذكور في الآية فلا معنى لقوله تعالى اذا اردنا امرنا لان امره بما يامر به لا تحسن به ارادة العقاب المستحق بما تقدم من الافعال وان كانت الارادة متعلقة بالاهلاك المستحق بمخالفة الامر المذكور في الآية فهذا الذي تابونه لانه يقتضي انه تعالى مريد لاهلاك من لم يستحق العقاب **الجواب** عن ذلك انه تعالى لم يعلق الارادة الا بالاهلاك المستحق بما تقدم من الذنوب والذي حسن قوله اذا اردنا امرنا هو ان في تكرار الامر بالطاعة والايمان اعذارا الى العصاة وانذارا لهم وايجابا واثباتا للحجة عليهم حتى يكونوا متى خالفوا واقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرر الوعظ والوعيد والانذار ممن حق عليه القول وتجب عليه الحجة ويشهد بصحة هذا التاويل قوله تعالى قبل هذه الآية وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا **الوجه الثاني** في تاويل الآية ان يكون قوله تعالى امرنا مترفيها من صفة القرية وصلتها ولا يكون جوابا لقوله تعالى واذا اردنا ويكون تقدير الكلام واذا اردنا ان نهلك قرية من صفتها انا امرنا مترفيها ففسقوا فيها ويكون اذا على هذا الجواب لم يات لها جواب ظاهر في الآية للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه ونظير هذا قوله في صفة الجنة حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين ه ولم يات لاذا جواب في طول الكلام للاستغناء عنه ويشهد ايضا بصحة هذا الجواب قول الهذلي ه

حتى اذا اسلكوهم في قتائدة ه شلا كما تطرد الجمالة الشردا ه

فحذف جواب اذا ولم يات به لان هذا البيت آخر القصيدة **الوجه الثالث** ان يكون ذكر الارادة في الآية مجازا واتساعا وتنبيها على المعلوم من حال القوم وعاقبة امرهم وانهم متى امروا فسقوا وخالفوا ويجري ذكر الارادة ههنا مجرى قولهم واذا اراد التاجر ان يفتقر اتته النوائب من كل جهة وجاءه الخسران من كل جانب وقولهم اذا اراد العليل ان يموت خلط في ماكله وتسرع الى كل ما تتوق اليه نفسه ومعلوم ان التاجر لم يرد في الحقيقة شيئا ولا العليل ايضا لكن لما كان المعلوم من حال هذا الخسران ومن حال ذاك الهلاك حسن هذا الكلام واستعمل ذكر الارادة لهذا الوجه وكلام العرب وحي واشارات واستعارة ومجازات ولهذا الحال كان كلامهم في المرتبة العليا من الفصاحة فان الكلام متى خلا من الاستعارة وجرى كله على الحقيقة كان بعيدا من الفصاحة بريا من البلاغة وكلام الله تعالى افصح الكلام **الوجه الرابع** ان تحمل الآية على التقديم والتاخير فيكون تلخيصها اذا امرنا مترفي قرية بالطاعة فعصوا واستحقوا العقاب اردنا اهلاكهم والتقديم والتاخير في كلام العرب كثير ومما يمكن ان يكون شاهدا لصحة هذا التاويل من القرآن قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق والطهارة انما تجب قبل القيام الى الصلوة وقوله تعالى فاذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة طائفة منهم معك وقيام الطائفة معه يجب ان يكون قبل اقامة الصلوة لان اقامتها هي الاتيان بجميعها على الكمال وقراءة من قرا الآية بالتشديد فقال امّرنا وقراءة من قرا بالمد والتخفيف فقال آمرنا فلن يخرج معنى قراءتهما عن الوجوه التي ذكرناها الا الوجه الاول فان معناه لا يليق الا بان يكون ما تضمنته الآية هو الامر الذي يستدعى به الى الفعل **تاويل** خبر روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من تعلم

فلتقم صح

[illegible]

القرآن ثم نسيه لقي الله تعالى وهو أجذم قال أبو عبيد القسم بن سلام مفسّراً لهذا الحديث في كتابه غريب الحديث الأجذم مقطوع اليد واستشهد بقول المتلمّس

وما كنت إلا مثل قاطع كفّه   بكفٍّ له أخرى فأصبح أجذما

وقد خطّأ عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبا عبيد في تأويله هذا الخبر قال الأجذم وإن كان مقطوع اليد فإن هذا المعنى لا يليق بهذا الموضع لأن العقوبات من الله لا تكون إلا وفقاً للذنوب وبحسبها واليد لا مدخل لها في نسيان القرآن فكيف يعاقب فيها واستشهد بقوله تعالى إن الذين يأكلون الربوا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وزعم تأويل الآية أن الربوا إذا أكلوه ثقل في بطونهم وربا في أجوافهم فجعل قيامهم قيام من يتخبطه الشيطان تعثراً وتخبلاً واستشهد أيضاً بما روي عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله رأيت ليلة أسري بي قوماً تُقرَض شفاههم وكلما قرضت وفت فقلت يا جبرئيل ومن هؤلاء فقال لي جبرئيل هؤلاء خطباء أمتك تقرض شفاههم لأنهم يقولون ما لا يفعلون قال والأجذم في الخبر إنما هو المجذوم وإنما جاز أن يسمى المجذوم أجذم لأن الجذام يقطع أعضاءه ويشذّبها لأن الجذم هو القطع قال المرتضى دام علوه وقد أخطأ الرجلان جميعاً وذهبا عن الصواب ذهاباً بعيداً وإن كان غلط ابن قتيبة أفحش وأقبح لأنه علّل غلطه وأخرجه إلى أغاليط كثيرة ونحن نبين معنى الخبر ثم نتكلم على ما أوردناه أما معنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له أدنى معرفة بمذاهب العرب في كلامهم وإنما أراد عليه الصلوة والسلام بذكر الجذم المبالغة في وصفه بالنقصان عن الكمال وفقد ما كان عليه بالقرآن من الزينة والجمال والتشبيه [illegible] له بالأجذم من حسن التشبيه وعجيبه لأن اليد من الأعضاء الشريفة التي لا يتم كثير من التصرف ولا يوصل إلى كثير من المنافع إلا بها ففاقدها يفقد ما كان عليه من الكمال وتفوته المنافع والمرافق التي كان يصل بها ذريعة إلى تناولها وهذه حالة ناسي القرآن ومضيّعه بعد حفظه لأنه يفقد ما كان لابساً له من الجمال ومستحقاً له من الثواب وهذه عادة العرب في كلامهم معروفة يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه فلان بعد فلان أجذع وقد بقي بعده أجذم قال الفرزدق يرثي مالك بن مسمع

تضعضع طودا وائل بعد مالك   فأصبح منها معطس العز أجذعا

وإنما أراد المعنى الذي ذكرناه وللعرب ملاحن في كلامها وإشارات إلى الأغراض وتلويحات بالمعاني يفهمها ويسرع إليها الفطن منها من تعاطى تفسير كلامهم وتأويل خطابهم كان ظالماً نفسه متعدياً طوره ونعود إلى الكلام على ما ذكره الرجلان أما أبو عبيد فإن خطأه من حيث لم يفطن للغرض في الخبر وضل عن وجهه وإلا فالأجذم هو المقطوع اليد على ما قال إلا أنه لا يليق بهذا الموضع وإذا حمل عليه لم يفد شيئاً وإن كانت شبهته التي أوقعته في ذلك ظنه أن ذلك يكون على سبيل العقوبة له على نسيان القرآن فليس كما ظن لأن

الاجدع
ابل ما لا [illegible]
الموحد [illegible]

الأجذم ليس عقوبة لأن الله تعالى قد يجذم أولياءه والصالحين من عباده ويقطع أعضاءهم بالأمراض وقد يبتدئ خلق من هو ناقص الأعضاء فليس بلازم في الأجذم أن يكون عقوبة ثم لو كان ناسي القرآن يستحق عقوبة على نسيانه لكان حفظ القرآن بأسره فرضاً واجباً وحتماً لازماً لأن العقوبة لا تستحق بترك ما ليس بواجب وليس حفظ جميع القرآن كذلك وأما ابن قتيبة فإنه غلط من حيث لم يفطن للوجه في الخبر الذي ذكرناه ومن حيث ظن أن العقوبة لا تكون إلا في محل الذنب وهذا القول يوجب عليه أن لا يجلد ظهر الزاني وتختص العقوبة بفرجه وكذلك القاذف كان يجب أن يعاقب في لسانه دون سائر أعضائه والخبر الذي استشهد به حجة عليه لأنا نعلم أن اللسان أقوى خاطئ في باب الكلام من الشفة فلم لا تختص العقوبة وحلّت بالشفاه دونه ثم غلطه في تأويل الآية التي أوردها أقبح من كل ما تقدم لأنه توهم أن ما تضمنته الآية من تخبط آكل الربا وتعثره في القيام إنما هو في الدنيا من حيث يثقل ما أكله في معدته فيمنعه من النهوض ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك ونجد كثيراً من آكلي الربا أخف نهوضاً وأسرع قياماً وتصرفاً من غيره ممن لم يأكل الربا قط والمعنى في الآية هو ما ذكره المفسرون من أن ما وصفهم الله به يكون عند قيامهم من قبورهم ولحوقهم الانبهار والزلزال والخبل على سبيل العقوبة لهم وليكون ذلك أيضاً أمارة لمن يعاينهم من الملائكة والحفظة على الفرق بين الولي والعدو ومستحق الجنة ومستحق النار وليس بمعروف ولا ظاهر أن الأجذم المجذوم ورد ابن قتيبة معناه واشتقاقه إلى الأجذم الذي هو القطع يوجب عليه أن يكون كل داء يقطع الجسد ويفرق أوصاله كالجدري والأكلة وغيرهما يسمى جذاماً ويسمى من كان عليه أجذم وهذا باطل وأما قول الشاعر

حرّق قيس عليّ البلاد   حتى إذا اضطرمت أجذما

فليس هو من هذا الباب بل هو من الإجذام الذي هو الإسراع وكأنه قال لما اضطرمت أسرع عني وتباعد مني والإجذام بالذال المعجمة والدال غير المعجمة جميعاً للإسراع فأما قول عنترة

هزجاً يحك ذراعه بذراعه   قدح المكب على الزناد الأجذم

فهو من هذا الباب لأن الأجذم من صفة المكب لا من صفة الزناد كأنه قال قدح المكب الأجذم على الزناد وهذا أحسن التشبيه وأوقعه مسألة كان بعض المشايخ المتقدمين يقول ليس يمتنع أن يمكّن الله من الظلم من يعلم من حاله أنه يرد القيمة غير مستحق لشيء من الأعواض وما يوازي المستحق عليه منها فإذا أراد الانتصاف منه تفضل عليه بما ينقله إلى مستحق العوض ويقول هذا ليس ببعيد ولا مستحيل لأن العوض ليس يختص بصفة تمنع من التفضل بمثله ولا يجري في ذلك مجرى الثواب والمستقر من مذهب الشيوخ وهو الصحيح أن الانتصاف لا يجوز أن يكون موقوفاً على ما يتفضل به لأن الانتصاف واجب على الله تع

نسيان القرآن
لغفلة شرح
كاملا

لا يقال للمجذوم
اجذم صحاح

الجائع المعوز
والمحتاج

من حيث خلى بين عباده وبين الظلم فالذي يلزم ان يتعلق الالام واجب على الله تعالى التفضل لفاعل انه
يفعله في الحال الى تعذر الانتصاف وقالوا من يعلم الله انه يرد القيمة ولا اعواض له يمنع من الظلم ولا يمكنه
لهذه العلة ويجوزون ان يمكن من الظلم من يكون في الحال غير مستحق للعوض وغير مستحق للعقاب الذي يوازي
الظلم من العوض بعد ان يكون المعلوم من حاله انه يرد القيمة وقد يستحق من الاعواض ما يوازي ما عليه
منها **قال الشريف المرتضى دام علوه** وهذا القول يعني تجويز تمكين الظالم من الظلم وهو في الحالين
غير مستحق للعوض يبطل بالعلة التي ابطلنا بها قول من اجاز الانتصاف بالتفضل لانا نعلم ان تبقية المكلف
وغير المكلف لا يجب وللقديم تعالى ان لا يفعلها فلو لم يفعلها واخترم هذا الظالم بعد حال ظلمه لكان الانتصاف
منه غير ممكن وقد تعلق الخصاف على هذا القول بابليس ولجأ كل علة من قدمنا حكاية قوله بابليس
وليس لهم ان يقولوا ذلك حسن لان الله تعالى يعلم انه يبقيه فيستحق اعواضا لان عليهم مثل ذلك اذا قيل
لهم فاجيزوا ايضا ان يرد القيمة وهو لا يستحق العوض ويعلم الله انه يتفضل عليه بما يقع به الانتصاف
فان قيل علم الله بانه يتفضل لا يخرج التفضل من ان يكون غير واجب قلنا لهم وعلم الله بانه يبقي
من لا عوض له ليستحق العوض لا يخرج التبقية من ان تكون غير واجبة فاستوى الامران والصحيح ان
ان يقال انه تعالى لا يمكن من الظلم من لا عوض له في الحال ليستقيم الكلام ويطرد **مجلس آخر** تاويل آية
قوله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ظن قوم من
غفلة الملحدين وجهالهم ان الجواب عما سئل عنه في هذه الآية لم يحصل وان الامتناع منه انما هو لفقد العلم
وان قوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا تبكيت وتقريع لم يقعا موقعهما وانما هو على سبيل المحاجة و
المدافعة عن الجواب وفي هذه الآية وجوه من التاويل تبطل ما ظنوه وتزيل ما جهلوه **اولها** انه انما عدل
عن جوابهم لعلمه بان ذلك ادعى لهم الى الصلاح في الدين فان الجواب لو صدر منه اليهم لازدادوا
فسادا وعنادا اذ كانوا بسؤالهم متعنتين معتدين لا مستفيدين وليس هذا بمنكر لانا قد نعلم في كثير
من الاحوال في من يسأل الناس عن الشيء ان العدول عن جوابه اولى واصلح في تدبيره وقد قيل ان اليهود قد قالت
لقريش سلوا محمدا عن الروح فان اجابكم فليس بنبي وان لم يجبكم فهو نبي فانا نجد في كتبنا ذلك فامر الله
بالعدول عن ذلك ليكون علما له ودلالة على صدقه وتكذيبا لليهود الرادين عليه وهذا جواب ابي علي محمد بن
عبد الوهاب الجبائي **وثانيها** ان القوم انما سألوه عن الروح هل هي محدثة مخلوقة او ليست كذلك
فاجابهم بانها من امر ربي وهو جوابهم عما سألوا عنه بعينه لانه لا فرق ان يقول في الجواب انها محدثة
مخلوقة وبين قوله انها من امر ربي لانه اراد انها من فعله وخلقه وسواء على هذا الجواب ان يكون الروح التي

التي سألوا عنها هي التي بها قوام الجسد ام عيسى ام جبرئيل عليه السلام وقد سمى الله تعالى جبرئيل عليه السلام روحا و
عيسى ايضا بذلك وسمى القرآن بذلك **وثالثها** انهم سألوه عن الروح الذي هو القرآن وقد سمى الله
القرآن روحا في مواضع من الكتاب فاذا كان السؤال عن القرآن فقد وقع الجواب موقعه لانه قال لهم
الروح الذي هو القرآن من امر ربي ومما انزله على نبيه ليجعله دلالة وعلما على صدقه وليس من فعل
المخلوقين ولا مما يدخل في امكانهم وهذا الجواب لابي الحسن البصري ويقويه قوله تعالى بعد هذه الآية
ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا فكأنه تعالى قال القرآن من امر
ربي فعله ومما انزلته علما على نبوة رسوله ولو شئت لرفعته وازلته وتصرفت فيه كما يتصرف
الفاعل فيما يفعله **تاويل** آية قال ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني في قوله تعالى والارض مددناها
والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون قال انما خص الموزون دون المكيل بالذكر
لوجهين احدهما ان غاية المكيل تنتهي الى الوزن لان سائر المكيلات اذا صارت طعاما دخل في
باب الوزن وخرجت عن باب المكيل فان الوزن اعم من الكيل والوجه الاخر ان في الوزن معنى الكيل
لان الوزن هو طلب مساواة الشيء بالشيء ومقايسته اليه وتعديله به وهذا المعنى ثابت في الكيل
وخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل هذا قول ابي مسلم ووجه الآية وما يشهد له ظاهر لفظها
غير ما سلكه ابو مسلم وانما اراد تعالى بالموزون المقدار الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصا عنها
ولا زائدا عليها زيادة مضرة او داخلة في باب العبث ونظير ذلك من كلامهم قولهم كلام فلان موزون
وافعاله معتدلة موزونة وانما يراد ما اشرنا اليه وعلى هذا المعنى تاول المفسرون ذكر الموازين في
القرآن وانها التعديل والمساواة بين الثواب والعقاب **قال** الشاعر

لها بشر مثل الحرير ومنطق ... رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

الهراء الكثير والنزر القليل فكأنه قال ان حديثها لا يقل عن الحاجة ولا يزيد عليها وهذا يجري مجرى ان
يقول هو موزون وقال مالك بن اسماء بن خارجة الفزاري

وحديث الذه هو مما ينعت ... الناعتون يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن احيانا ... وخير الحديث ما كان لحنا

وهذا الوجه الذي ذكرناه اشبه بمراد الله تعالى في الآية واليق بفصاحة القرآن وبلاغته الموفية
على فصاحة سائر الفصحاء وبلاغتهم فاما قول الشاعر الذي استشهدنا بشعره وتلحن احيانا فلم
يرد اللحن في الاعراب الذي هو ضد الصواب وانما اراد الكناية عن الشيء والتعريض بذكره والعدول عن

[illegible]

الافصاح عنه على معنى قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول وقول الشاعر

ولقد وحيت لكم لكيما تفطنوا ... ولحنت لحنا ليس بالمرتاب

وقد قيل ان اللحن الذي عني به في البيت هو الفطنة وسرعة الفهم على معنى ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لعل احدكم الحن بحجته اي افطن لها واغوص عليها ومما يشهد لما ذكرناه ما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزباني قال نا احمد بن عبد الله العسكري قال نا العنزي قال نا علي بن اسمعيل اليزيدي قال نا اسحق بن ابرهيم قال تكلمت هند بنت اسما بن خارجة فلحنت وهي عند الحجاج فقال لها اتلحنين وانت شريفة وفي بيت قيس فقالت اما سمعت قول اخي مالك لامراته الانصارية قال وما هو قالت قال

منطق صائب وتلحن احيانا ... وخير الحديث ما كان لحنا

فقال لها الحجاج انما عنى اخوك اللحن في القول اذا كنى المحدث عما يريد ولم يعن اللحن في الاعراب فاصلحي لسانك وقد ظن عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله مثل هذا بعينه وقال ان اللحن مستحسن من النساء الغرائر وليس بمستحسن منهن كل الحسن والتشبيه يغلي الرجال واستشهد بابيات مالك بعينها وظن انه اراد باللحن ما خالف الصواب وتبعه على هذا الغلط عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فذكر في كتابه المعروف بعيون الاخبار ابيات الفزاري واعتذر بها من لحن ان اصيب في كتابه واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني يحيى بن علي المنجم قال حدثني ابي قال قلت للجاحظ مثلك في عقلك وعلمك بالادب ينشد قول الفزاري ويفسره انه اراد اللحن في الاعراب وانما اراد وصفها بالظرف والفطنة وانها تورّي عما قصدت له وتتنكب التصريح فقال له قد فطنت لذلك بعد فقلت فغيره من كتابك فقال كيف لي بما سارت به الركبان قال الصولي وهو في كتابه على خطائه ومن حسن اللحن الذي هو التعريض والكناية ما اخبرنا به ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا محمد بن الحسن بن دريد الازدي ان رجلا من بني العنبر حصل اسيرا في بكر بن وائل فسالهم رسولا الى قومه فقالوا لا ترسل الا بحضرتنا لانهم كانوا عزموا على غزو قومه فخافوا ان ينذرهم فجي بعبد اسود فقال له اتعقل قال نعم اني لعاقل قال ما اراك عاقلا ثم قال ما هذا واشار بيده الى الليل فقال هذا الليل قال اراك عاقلا ثم ملا كفيه من الرمل فقال كم هذا قال لا ادري وانه لكثير قال ايما اكثر النجوم ام النيران قال كل كثير فقال ابلغ قومي التحية وقل لهم ليكرموا فلانا يعني اسيرا كان في ايديهم من بكر فان قومه لي مكرمون وقل لهم ان العرفج قد ادبى وقد شكت النسا وامرهم ان يعروا ناقتي الحمرا فقد اطالوا ركوبها وان يركبوا جملي الاصهب بآية ما اكلت معكم حيسا واسلوا عن خبري اخي الحرث فلما ادى العبد الرسالة اليهم قالوا لقد جن الاعور والله ما نعرف له ناقة حمرا ولا جملا اصهب ثم سرحوا العبد ودعوا الحرث فقصوا عليه القصة فقال قد انذركم الرجل اما قوله قد ادبى العرفج يريد ان الرجال قد استلاموا ولبسوا السلاح وقوله شكت النسا اي اتخذت الشكا للسفر وقوله الناقة

الدبا الجراد

كذا في البادية

الناقة الحمرا اي ارتحلوا عن الدهنا واركبوا الصمان وهو الجمل الاصهب وقوله بآية ما اكلت معكم حيسا يريد اخلاطا من الناس قد غزوكم لان الحيس يجمع التمر والسمن والاقط فامتثلوا ما قال وعرفوا لحن كلامه **تاويل خبر** روى ابو عبيد القسم بن سلام في كتابه غريب الحديث عن امير المومنين علي بن ابي طالب عليه السلم انه قال من احبنا اهل البيت فليعد للفقر جلبابا او تجفافا قال ابو عبيد فقد تاوله بعض الناس هذا الخبر على انه اراد به الفقر في الدنيا وليس ذلك كذلك لانا نرى فيمن يحبهم مثل ما في ساير الناس من الغنا والفقر ولا تمييز بينهما قال والصحيح انه اراد الفقر في يوم القيمة واخرج الكلام مخرج الموعظة والنصيحة والحث على الطاعات فكانه اراد من احبنا فليعد للفقر يوم القيمة ما يجبره من الثواب والقرب الى الله تعالى والزلفة عنده قال ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة وجه الحديث خلاف ما قاله ابو عبيد ولم يرد الا الفقر في الدنيا ومعنى الخبر ان من احبنا فليصبر على التقلل من الدنيا والتقنع منها وليأخذ نفسه بالكف عن احوال الدنيا واعراضها وشبه الصبر على الفقر بالتجفاف والجلباب لانه يستر الفقر كما يستر الجلباب والتجفاف البدن قال ويشهد بصحة هذا التاويل ما روي عنه عليه السلم انه راى قوما على بابه فقال يا قنبر من هولاء فقال له قنبر هولاء شيعتك فقال مالي لا ارى فيهم سيما الشيعة قال وما سيما الشيعة قال خمص البطون من الطوى يبس الشفاه من الظما عمش العيون من البكا هذا كله قول ابن قتيبة فالوجهان جميعا حسنان وان كان الوجه الذي ذكره ابن قتيبة احسن واوضح ويمكن ان يكون في الخبر وجه ثالث تشهد لصحته اللغة وهو ان معنى لفظة الفقر ان يحز انف البعير حتى يخلص الى العظم او قريب منه ثم يلوى عليه حبل يذلل به الصعب يقال فقره يفقره فقرا اذا فعل به ذلك وبعير مفقور وبه فقرة وكل شي حززته واثرت فيه فقد فقرته تفقيرا ومنه سميت الفاقرة وقيل سيف مفقر فيحتمل القول ان يكون قوله عليه السلم اراد من احبنا فليزم نفسه وليخطمها وليقدها الى الطاعات وليصرفها عما تميل طباعها اليه من الشهوات وليذللها على الصبر على ما كره منها ومشقة ما اريد منها كما يفعل ذلك بالبعير الصعب وهذا وجه في الخبر لم يذكر وليس يجب ان يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله اذا كان له شاهد من اللغة وكلام العرب لان الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر ان يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني ويجوز ان يكون اراد المخاطب كل واحد منها وليس عليه العلم بمراده بعينه فان مراده مغيب عنه واكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام **قال المرتضى** رضي الله عنه ممن كان من مشهوري الشعر المتقدمين على مذاهب اهل العدل ذو الرمة واسمه غيلان بن عقبة وكنيته ابو الحرث وذو الرمة لقب لقب به لبيت قاله وهو في صفة الوتد

اشعث باقي رمة التقليد

والرمة القطعة البالية من الحبل يقال حبل ارمام اذا كان ضعيفا باليا وقيل انه انما لقب بذي الرمة لانه كان وهو غلام تفزع فجات امه بمن كتب له كتابا وعلقته برمة من حبل فسمي ذا الرمة ويشهد بمذهبه في العدل ما اخبرنا به ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني

من الخمصة اى المجاعة او
الخمص الطوى الجوع و
اللوى

حزز قطع وكذا حزز
وحززته قطعته

من الزمام

قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو عثمان الاشنانداني عن التوزي عن ابي عبيدة قال اختصم رؤبة وذو الرمة عند بلال بن ابي بردة فقال رؤبة والله ما فحص طائر افحوصا ولا تقرمص سبع قرموصا الا بقضاء من الله وقدر فقال له ذو الرمة والله ما قدر الله على الذئب ان ياكل حلوبة عيايل ضرايك قال رؤبة افبقدرته اكلها هذا كذب على الذئب ثان فقال ذو الرمة الكذب على الذئب خير من الكذب على رب الذئب وهذا خبر صريح في قوله بالعدل وتحاجه عليه وبصيرته فيه فاما العيايل فهو جمع عيل وهو الفقير والعيال والضرايك جمع ضريك وهو الفقير واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا احمد بن محمد المكي عن ابي العيناء عن الاصمعي عن عيسى بن عمر قال انشدني ذو الرمة

۞ وعينان قال الله كونا فكانتا ۞ فعولان بالالباب ما تفعل الخمر ۞

فقلت له فعولين خبر الكون فقال لي لو سبحت ربحت انما قلت وعينان فعولان وصفتهما بذلك وانما تحرز ذو الرمة بهذا الكلام من القول بخلاف العدل ۞ وقد روي هذا الخبر على خلاف هذا الوجه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني احمد بن خالد النخاس قال حدثني محمد بن القسم ابو العيناء قال اخبرنا الاصمعي قال لما انشد ذو الرمة وعينان قال الله كونا فكانتا ۞ فعولين في الالباب ما تفعل الخمر ۞ وهو يريد كونا فكانتا فعولين حيث كانتا فقال له عمرو بن عبيد ويحك قلت عظيما افعل فعولان بالالباب فقال له ذو الرمة ما ابالي قلت هذا ام سبحت فلما علم ما ذهب اليه عمرو قال يا سبحان الله لو عنيت ما ظننت لكنت جاهلا ۞ وممن روي انه كان على مذاهب اهل العدل من شعراء الطبقة الاولى اعشى قيس بن ثعلبة واستشهد بقوله ۞

۞ استاثر الله بالوفاء وبالعدل ۞ وولى الملامة الرجلا ۞

من ولي الرجلا البيع

وممن قيل انه على مذهب الجبر المشهورين لبيد بن ربيعة العامري واستشهد بقوله ۞

۞ ان تقوى ربنا خير نفل ۞ وباذن الله ريثي والعجل ۞
۞ من هداه سبل الخير اهتدى ۞ ناعم البال ومن شاء اضل ۞

الريث و
العجل

فان كان لا طريق الى [illegible] مذهب لبيد الا هذان البيتان فليس فيهما دلالة على ذلك اما قوله باذن الله ريثي والعجل فيحتمل ان يكون بعلمه كما تاول عليه قوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله اي بعلمه وان قيل في هذه الاية انه اراد بتخليته وتمكينه وان كان لا شاهد لذلك في اللغة فمثله في قول لبيد فاما قوله ۞ من هداه سبل الخير اهتدى ۞ ناعم البال ومن شاء اضل ۞ فيحتمل ان يكون محمولا على بعض الوجوه التي تاول عليها الضلال والهدى المذكورين في القران مما يليق بالعدل ولا يقتضي الاجبار اللهم الا ان يكون مذهب لبيد في الاجبار معروفا بغير هذه الابيات فلا يتاول له هذا التاويل بل يحمل على مراده على موافقة المعروف من مذهبه ۞ مسألة ۞ اعلم ان اصحابنا لما استدلوا على نفي الرؤية بالايات من الله تعالى بقوله عز وجل لا تدركه الابصار وهو يدرك وهو اللطيف الخبير بينوا ان الله تعالى تمدح بنفي الادراك الذي هو رؤية البصر عن نفسه على وجه يرجع الى ذاته فيجب ان يكون في ثبوت الرؤية له نقص كالمعدومات والارادات له في وقت من الاوقات نقص وذم ۞ فقال لهم مخالفوهم كيف يتمدح بانه لا يرى وقد يشاركه في نفي الرؤية ما ليس بممدوح كالمعدومات والارادات والاعتقادات فقالوا لهم لم يتمدح بنفي [illegible] الرؤية فقط وانما تمدح بنفي الرؤية عنه واثباتها له فتمدحه بمجموع الامرين وليس يشاركه في هاتين الصفتين مشارك لان الموجودات المرئيات على ضروب منها ما لا يرى ولا يرى كالارادات والاعتقادات ومنها ما يرى ولا يرى كالالوان ومنها ما يرى ويرى كالانسان وضروب الاحياء وليس فيها ما يرى ولا يرى فثبت التمدح لله تعالى بمتضمن الاية فقال لهم المخالفون وكيف يجوز ان يكون صفة لا تقتضي المدحة بانفرادها ثم تصير تقتضيها مع غيرها ولئن جاز هذا ليجوزن ان يتمدح متمدح بانه شيء موجود قادر فاذا كان لا مدحة في وصف الذات بانها شيء موجود وانما تضمنت الصفة مدحا من حيث كانت بانفرادها لا تقتضي مدحا فكذلك لا مدحة في نفي الرؤية عمن ثبتت له من حيث كانت بانفرادها لا تقتضي مدحا فاجاب اصحابنا عن هذا الكلام بان قالوا ليس يمتنع في الصفة ان تكون لا تقتضي مدحا اذا انفردت وتقتضيه اذا انضمت الى غيرها ومثلوا ذلك بقوله عز وجل لا تاخذه سنة ولا نوم وان نفي السنة والنوم ههنا انما يكون مدحا اذا انتفى عمن هو بصفة الاحياء وان كانت بانفراده لا تقتضي مدحا لمشاركة ذوات كثيرة ۞ واعلم ان صفات المدح المتضمنة للاثبات تكاد تفتقر الى شرط في كونها مدحا وصفات النفي اذا كانت مدحا لا بد فيها من شرط وانما افترق الامران من حيث كان النفي اعم من الاثبات فيدخل تحته الممدوح وغير الممدوح والاثبات اشد اختصاصا الا ترى انه ما ليس بعالم من الذوات وما ليس بموجود اكثر مما يثبت له العلم والوجود منها لان الاول لا يكون الا غير متناه والثاني لا يكون الا متناهيا فلما شملت صفات النفي الممدوح وغير الممدوح احتاجت الى شرط يخصصها وانت اذا اعتبرت سائر صفات النفي التي يتمدح بها وجدتها مفتقرة الى الشروط الا ترى ان من ليس بجاهل انما يكون ممدوحا بهذا النفي اذا كان حيا ذاكرا ومن ليس بعاجز انما يكون ممدوحا اذا كان ايضا موجودا حيا ومن ليس بظالم انما يكون ممدوحا اذا كان قادرا على الظلم وله دواع اليه ولا بد في الشرط الذي يحتاج اليه في صفات النفي حيث يكون مدحا من ان يكون ايضا اثباتا او جاريا مجرى الاثبات ولا يكون نفيا لانه ان كان نفيا لم يتخصص وساوى فيه الممدوح وما ليس بممدوح مثال ذلك انا اذا مدحنا غيرنا بانه لا يظلم وشرطنا في هذه المدحة انه لم يدع داع الى الظلم لم تحصل المدحة لانه قد يشاركه في نفي الظلم ونفي الدواعي اليه

ما ليس بمدح فلا بد من شرط يجري مجرى الاثبات وهو ان يقول وهو ممن تدعوه الدواعي الى الافعال و
يتصرف بحسب دواعيه واذا صحت هذه الجملة فالوجه ان نقول ان المدح في الآية انما تعلق بنفي الادراك
عن القديم تعالى لكن بشرط ان يكون مدركا ولا نجعل كل واحدة من الصفتين تقتضي المدح مجتمعا مع الاخرى
[illegible] لا تقتضيه على سبيل الانفراد وليس ينكر ان يقتضي الشيء غيره بشرط وان وجب حصول المقتضي
واذا لم يوجد لم يحصل مقتضاه ونفي السنة والنوم والظلم عن الله تعالى انما كان مدحا بشرط وهو امر زائد على
نحو ما ذكرناه وهذا التلخيص في هذا الموضع اولى واحسم للشبه مما تقدم ذكره [illegible] ان سأل سائل
فقال ما تقولون في قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين وقال في موضع
آخر وان الق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب والثعبان هو الحية العظيمة الخلقة و
الجان الصغير من الحيات فكيف اختلف الوصفان والقصة واحدة وكيف يجوز ان تكون العصا في حال واحدة
بصفة ما عظم خلقه من الحيات وبصفة ما صغر منها وباي شيء تزيلون التناقض عن هذا الكلام الجواب اول ما
نقوله ان الذي ظنه السائل من كون الآيتين خبرا عن قصة واحدة باطل بل الحالتان مختلفتان فالحالة التي اخبر
تعالى ان العصا فيها بصفة الجان كانت في ابتداء النبوة قبل مصير موسى الى فرعون والحال التي صارت
العصا فيها ثعبانا كانت عند لقائه فرعون وابلاغه الرسالة والتلاوة تدل على ذلك واذا اختلفت القصتان
فلا مسألة على ان قوما من المفسرين قد تعاطوا الجواب عن هذا السؤال اما لظنهم ان القصة واحدة او لاعتقادهم
ان العصا الواحدة لا يجوز ان تنقلب في حالين تارة الى صفة الجان وتارة الى صفة الثعبان او على سبيل التقدير
في الجواب فان الحال لو كانت على ما ظنوه لم يكن بين الآيتين تناقض وهذا الوجه احسن ما نطق الجواب لاجله
اولا لئلا يكونا عن غلط او غفلة وقد ذكر وجهين يزول بكل واحد منهما الشبهة في تأويلها احدهما انه تعالى
انما شبهها بالثعبان في احدى الآيتين لعظم خلقها وكبر جسمها وهول منظرها وشبهها في الآية الاخرى
بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها فاجتمع لها مع انها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاط الجان وسرعة حركته
وهذا ابهر في باب الاعجاز وابلغ في خرق العادة ولا تناقض معه بين الآيتين وليس يجب اذا شبهها بالثعبان
ان يعطيها جميع صفات الثعبان ولا اذا شبهها بالجان ان يكون لها جميع صفاته وقد قال الله تعالى يطاف
عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قوارير قوارير من فضة ولم يرد تعالى ان الفضة قوارير على الحقيقة وانما
وصفها بذلك لانه اجتمع لها صفاء القوارير وشفوفها ورقتها مع انها من فضة وقد تشبه العرب الشيء بغيره
في بعض وجوهه ويشبهون المرأة بالظبية وبالبقرة ونحن نعلم ان في الظباء والبقر من الصفات ما لا يستحسن
ان يكون في النساء وانما وقع التشبيه في صفة دون صفة ومن وجه دون آخر والجواب الثاني انه لم يرد الله تعالى

تعالى بذكر الجان في الآية الاخرى الحية وانما اراد احد الجن فكانه تعالى اخبر ان العصا صارت ثعبانا في الخلقة
وعظم الجسم وكانت مع ذلك كاحد الجن في هول المنظر وافزاعها لمن يشاهدها ولهذا قال الله تعالى
فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب ويمكن ان يكون في الآية تأويل آخر استخرجناه ان لم يرد
على الوجهين الاولين لم نفتقر شيئا فالوجه في تكلفناه ما بيناه من الاستظهار في الحجة وان التناقض
الذي توهم زائل على كل وجه وهو ان العصا لما انقلبت حية صارت اولا بصفة الجان وعلى صورته ثم صارت
بصفة الثعبان على تدريج ولم تصر كذلك ضربة واحدة فتتفق الآيتان على هذا ولا يختلف حكمهما وتكون الآية
الاولى التي تتضمن ذكر الثعبان اخبارا عن غاية حال العصا وتكون الآية الثانية تتضمن ذكر الحال التي ولى
فيها موسى فيها هاربا وهي حال انقلاب العصا الى خلقة الجان وان كانت بعد تلك الحال انتهت الى صورة
الثعبان فان قيل على هذا الوجه كيف يصح ما ذكرتموه مع قوله تعالى فاذا هي ثعبان مبين وهذا يقتضي
انها صارت ثعبانا بعد الالقاء بلا فصل قلنا ليس يفيد الآية ما ظن وانما فائدة قوله تعالى فاذا هي الاخبار
عن قرب الحال التي صارت فيها بتلك الصفة وانه لم يطل الزمان في مصيرها كذلك ويجري هذا مجرى قوله تعالى اولم
ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين مع تباعد ما بين كونه نطفة وكونه خصيما مبينا وقولهم
ركب فلان من منزله فاذا هو في ضيعته وسقط من اعلى الحائط فاذا هو على الارض ونحن نعلم ان بين خروجه
من منزله وبلوغه ضيعته زمانا وانه لم يصل اليها الا على تدريج وكذلك الهابط من الحائط وانما فائدة الكلام
الاخبار عن تقارب الزمان وانه لم يطل ولم يمتد [illegible] قال الله تبارك وتعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من
ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا
غافلين او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون وقد ظن بعض
من لا بصيرة له ولا فطنة عنده ان تأويل هذه الآية ان الله تعالى استخرج من ظهر آدم جميع ذريته وهم في
خلق الذر فقررهم بمعرفته واشهدهم على انفسهم وهذا التأويل مع ان العقل يحيله ويبطله مما يشهد ظاهر
القرآن بخلافه لان الله تعالى قال واذ اخذ ربك من بني آدم ولم يقل من آدم وقال تعالى من ظهورهم ولم يقل من ظهره
وقال ذرياتهم ولم يقل ذريته ثم اخبر تعالى انه فعل ذلك لئلا يقولوا انهم كانوا عن ذلك غافلين او يعتذروا
بشرك آبائهم وانهم نشأوا على دينهم وسنتهم وهذا يقتضي ان الآية لم تتناول ولد آدم لصلبه وانما تناولت من كان
له آباء مشركون وهذا يدل على اختصاصها ببعض ذرية ولد آدم فهذه شهادة الظاهر ببطلان تأويلهم فاما
العقل فمن حيث لا تخلو هذه الذرية التي استخرجت من ظهر آدم عليه السلام فخوطبت وقررت من ان تكون كاملة العقول
مستوفية لشروط التكليف او لا تكون كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف فان كانت بالصفة الاولى وجب

اذ يذكر هولاء بعد خلقهم وانشائهم وكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال وما قرروا به واستشهدوا عليه
لان العاقل لا ينسى ما جرى هذا المجرى وان بعد العهد وطال الزمان ولهذا لا يجوز ان يتصرف واحدنا في بلد من
البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد جميع تصرفه المتقدم وساير احواله وليس ايضا لتخلل الموت الحائل
من تاثير لانه لو كان تخلل الموت يزيل الذكر لكان تخلل النوم والسكر والجنون والاغماء بين احوال العقلاء يزيل
ذكرهم لما مضى من احوالهم لان ساير ما عددناه مما ينفي العلوم يجري مجرى الموت في هذا الباب وليس
لهم ان يقولوا اذا جاز في الطفل الكامل ما كان عليه في حال الطفولية جاز ما ذكرناه وذلك انا انما اوجبنا ذكر
العقلاء لما ادعوه اذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملو العقول ولو كانوا بصفة الاطفال في تلك
الحال لم نوجب عليهم ما اوجبناه على ان تجويز النسيان عليهم ينقض الغرض في الاية وذلك ان الله تعالى اخبرنا
بانه انما قررهم واشهدهم لئلا يدعوا يوم القيمة الغفلة عن ذلك وسقوط الحجة عنهم فيه واذا جاز نسيانهم
له عاد الامر الى سقوط الحجة وزوالها وان كانوا على الصفة الثانية من فقد العقول وشرائط التكليف قبح خطابهم
وتقريرهم واشهادهم وصار ذلك عبثا قبيحا يتعالى الله عنه فان قيل قد ابطلتم تاويل مخالفيكم فما تاويلها
الصحيح عندكم قلنا في الاية وجهان احدهما ان يكون تعالى انما عنى بها جماعة من ذرية بني ادم خلقهم وبلغهم
واكمل عقولهم على السن رسله عليهم السلام معرفته وما يجب من طاعته فاقروا بذلك واشهدهم على انفسهم به
لئلا يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او يعتذروا بشرك ابائهم وانما اتى من اشتبه عليه تاويل الاية
من حيث ظن ان اسم الذرية لا يقع الا على من لم يكن كاملا عاقلا وليس الامر كما ظن لانا نسمي جميع البشر بانهم ذرية ادم
وان دخل فيهم العقلاء الكاملون وقد قال الله تعالى ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من
ابائهم وازواجهم وذرياتهم ولفظ الصالح لا يطلق الا على من كان كاملا عاقلا فان استبعدوا تاويلنا وحملنا
الاية على البالغين المكلفين فهذا جوابهم [illegible] انه تعالى لما خلقهم وركبهم تركيبا يدل على معرفته و
يشهد بقدرته ووجوب عبادته واراهم العبر في غيرهم وفي انفسهم كان بمنزلة المشهد لهم على انفسهم و
كانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الذي اراده الله تعالى وتعذر امتناعهم منه وانفكاكهم
منه بمنزلة المقر المعترف وان لم يكن هناك اشهاد ولا اعتراف على الحقيقة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ثم استوى
الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وان لم يكن منه تعالى قول على
الحقيقة ولا منهما جواب ومثله قوله تعالى شاهدين على انفسهم بالكفر ونحن نعلم ان الكفار لم يعترفوا بالكفر
بالسنتهم لما ظهر منهم ظهورا لا يتمكنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين ومثل هذا قولهم حالي تشهد
بنعمتك وحالي معترفة باحسانك وما روي عن بعض العرب من قوله قل للارض من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى

[illegible]

وجنى ثمارك فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وهذا باب كبير وله نظائر كثيرة في النظم والنثر يغني عن
ذكر جميعها القدر الذي ذكرناه منها [illegible] قال ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله فيما روي عن النبي
ليس منا من لم يتغن بالقران اراد يستغني به واحتج بقولهم تغنيت تغنيا وتغانيت تغانيا وانشد للاعشى

وكنت امرا زمنا بالعراق ... عفيف المناخ طويل التغن

وقول الاخر

كلانا غني عن اخيه حياته ... ونحن اذا متنا اشد تغانيا

واحتج بقول ابن مسعود من قرا سورة ال عمران فهو غني اي مستغن وبالحديث الاخر نعم كنز الصعلوك سورة
ال عمران يقوم بها في اخر الليل والصعلوك الفقير واحتج بحديث اخر روي عن النبي صلى الله عليه وآله وهو انه قال لا ينبغي
لحامل القران ان يظن ان احدا اعطي افضل مما اعطي لانه لو ملك الدنيا باسرها لكان القران افضل مما ملكه
واحتج ايضا بخبر يرويه عن عبد الله بن نهيك انه دخل على سعد بيته فاذا مثال رث [illegible] ومتاع
رث فقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ليس منا من لم يتغن بالقران قال ابو عبيد فذكر المتاع الرث
والمثال الرث يدل على ان التغني بالقران الاستغناء به عن الكثير من المال والمثال الفراش قال الشاعر

بكل طويل الساعدين كانما ... يرى بسرى الليل المثال الممهدا

يعني الفراش قال ابو عبيد ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة علينا بذلك اذا كان من لم يرجع بالقران
فليس منه عليه السلام وذكر عن غير ابي عبيد جواب اخر وهو انه عليه السلام اراد من لم يحسن صوته بالقران ويرجع فيه
واحتج صاحب هذا الجواب بحديث عبد الرحمن بن السايب قال اتيت سعدا وقد كف بصره فسلمت عليه فقال من انت فاخبرته
فقال مرحبا بابن اخي بلغني انك حسن الصوت بالقران لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ان هذا القران نزل
بحزن فاذا قراتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فمن لم يتغن بالقران فليس منا فقوله عليه السلام فان لم تبكوا فتباكوا
دليل على ان التغني التحسين والترجيع وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ما اذن الله لشي من اهل الارض
الا لاصوات المؤذنين والصوت الحسن بالقران ومعنى قوله ياذن يستمع يقال اذنت للشي اذنا واذنا اذا
استمعت له قال الشاعر

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ... وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا

وقال عدي

ايها القلب تعلل بددن ... ان همي في سماع واذن

والاذن السماع وانما حسن تكرير المعنى لاختلاف اللفظ وللعرب في هذا مذهب معروف ومثله
وهند اتى من دونها الناي والبعد فاما الددن فهو اللهو واللعب وفيه لغات ثلاث دد على مثال دم وددا وددن

على مثال الفتى ودَدَن على مثال حَزَن ومنه قول النبي صلى الله عليه واله ما انا من دد ولا الدد مني فان قيل كيف يجوز قوله صلى الله عليه واله لا ياذن الله لشي كاذنه لكذى وكذى على طريق الاستماع وهو سامع لكل مسموع فاي معنى للاستماع قلنا ليس المراد بالسماع ههنا مجرد الادراك وانما المراد به القبول فكانه عليه السلام قال ان الله تعالى لا يتقبل ولا يثيب على شي من اعمال الادميين كتقبله وثوابه على كذا وكذا ومن هذا قولهم هذا كلام لا اسمعه وخاطبت فلانا بكلام فلم يسمعه فانما يريد نفي القبول لا الادراك والبيت الذي انشدناه يشهد بذلك لانه قال وان ذكرت بسو عندهم اذنوا ونحن نعلم انهم يسمعون الذكر بالخير والشر معا من حيث الادراك فوجه الاستماع ما ذكرناه وقد ذكر ابو بكر محمد بن القاسم الانباري وجها ثانيا في الخبر قال اراد صلى الله عليه واله من لم يتلذذ بالقران ويستحله ويستعذب تلاوته كاستحلاء الطرب للغنا والتذاذهم به وسمى ذلك تغنيا من حيث يفعل عنده ما يفعل عند التغني بالغنا وذكر ان ذلك نظير قولهم العمايم تيجان العرب والحبى حيطان العرب والشمس حمامات العرب وانشد بيت النابغة

بكاء حمامة تدعو هديلا مفجعة على فنن تغني

فسمى صوتها لما اطرب اطراب الغنا غنا وجعل العمايم لما قامت مقام التيجان تيجانا وكذلك القول في الحبى والشمس وجواب ابي عبيد احسن الاجوبة واسلمها وجواب ابي بكر ابعدها لان التلذذ لا يكون الا في المشتهى وكذلك الاستحلاء والاستعذاب وتلاوة القران وتفهم معانيه من الافعال الشاقة فكيف يكون ملتذا مشتهى فان عاد الى ان يقول قد يستحلي التلاوة من الصوت الحزين قلنا هذا رجوع الى الجواب الثاني الذي رغبت عنه وانفردت عند نفسك بمخالفته ويمكن ان يكون في الخبر وجه رابع خطر لنا وهو ان يكون قوله عليه السلام يتغنى من غنى الرجل بالمكان اذا طال مقامه به ومنه قيل المغنى والمغاني قال الله عز وجل كان لم يغنوا فيها اي يقيموا بها قال الاسود بن يعفر

ولقد غنوا فيها بانعم غنية في ظل ملك ثابت الاوتاد

ويروى عيشة وبيت الاعشى الذي انشده ابو عبيد وهو

وكنت امرا زمنا بالعراق عفيف المناخ طويل التغن

يقول المقام اشبه بالاستغنا لانه وصف بالطول ولا يوصف الاستغنا بذلك فكان الاعشى اراد اني كنت ملازما لوطني مقيما بين اهلي لا اسافر للانتجاع والطلب ويجري قوله هذا مجرى قول حسان بن ثابت

اولاد جفنة حول قبر ابيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

اراد

اراد بقوله حول قبر ابيهم انهم ملوك لا ينتجعون ولا يفارقون اوطانهم ومحالهم فيكون معنى الخبر على هذا الوجه من لم يقم على القران ولا يتجاوزه الى غيره ولا يتعداه الى سواه ويتخذه مغنى ومنزلا ومقاما فليس منا فان قيل اليس قد يتعدى القران الى السنة والاجماع وسائر ادلة الشرع فكيف خطر علينا تعديه قلنا ليس ذلك تعديا للقران لان القران دال على وجوب اتباع السنة وغيرها من ادلة الشرع فمن اعتمد بعضها في شي من الاحكام لا يكون متجاوزا للقران ولا متعديا له فاما قوله عليه السلام فليس منا فقد قيل فيه انه لا يكون على اخلاقنا واستشهد ببيت النابغة

اذا حاولت في اسد فجورا فاني لست منك ولست مني

وقيل انه اراد صلى الله عليه ليس مثلنا اي على ديننا وهذا الوجه لا يليق الا بالجواب الذي اخترناه وهو بعيد بجواب ابي عبيد اليق لانه محال ان يخرج عن دين النبي صلى الله عليه وملته من لم يحسن صوته بالقران ويرجع فيه او من لم يتلذذ بتلاوته ويستحليها اعلم ان اصحابنا قد اعتمدوا في ابطال ما ظنه اصحاب الرؤية في قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة على وجوه معروفة لانهم بينوا ان النظر ليس يفيد الرؤية ولا الرؤية من احد محتملاته ودلوا على ان النظر ينقسم الى اقسام كثيرة منها تقليب الحدقة الصحيحة حيال المرئي طلبا لرؤيته ومنها النظر الذي هو الانتظار ومنها النظر الذي هو التعطف والرحمة ومنها النظر الذي هو الفكر والتامل وقالوا اذا لم يكن في اقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم في الظاهر متعلق واحتجنا جميعا الى طلب تاويل الاية من غير جهة الرؤية وتاولها بعضهم على الانتظار للثواب وان كان المنتظر في الحقيقة محذوفا والمنتظر منه مذكورا على عادة للعرب معروفة وسلم بعضهم ان النظر يكون الرؤية بالبصر وحمل الاية على رؤية اهل الجنة لنعم الله عز وجل على سبيل حذف المرئي في الحقيقة وهذا الكلام مشروح في مواضعه وقد بينا ما يرد عليه وما يجاب به عن الشبه المعترض فيه في مواضع كثيرة وههنا وجه غريب في الاية حكي عن بعض المتاخرين لا يفتقر معتمده الى العدول عن الظاهر او الى تقدير محذوف ولا يحتاج الى منازعتهم في ان النظر يحتمل الرؤية او لا يحتملها بل يصح الاعتماد عليه سوا كان النظر المذكور في الاية هو الانتظار بالقلب او الرؤية بالعين وهو ان يحمل قوله تعالى الى ربها على انه اراد به نعمة ربها لان الالا النعم وفي واحدها اربع لغات يقال الى مثل قفا والى مثل رمي والى مثل معا والي حسي قال اعشى بن وايل

ابيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون الى

اراد انه لا يخون نعمة واراد تعالى الى ربها نعم ربها فاسقط التنوين للاضافة فان قيل فاي فرق بين هذا الوجه وبين تاويل من حمل الاية على انه اراد بها الى ثواب ربها ناظرة بمعنى رائية لنعمه وثوابه قلنا ذلك الوجه يفتقر الى محذوف لانه اذا جعل الى حرفا ولم يعلقها بالرب تعالى فلا بد من تقدير محذوف وفي الجواب الذي ذكرناه لا يفتقر الى

تقدير محذوف لان الى فيه اسم تتعلق به الرؤية فلا يحتاج الى تقدير غيره [illegible] ان
قال قايل ما تاويل قوله تع وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون
وظاهر هذا الكلام يدل على ان الايمان انما كان لهم فعله باذنه وامره وليس هذا مذهبكم وان حمل الاذن ههنا
على الارادة اقتضى ان من لم يقع منه الايمان لم يرده الله تعـ منه وهذا ايضا بخلاف قولكم ثم جعل
الرجس الذي هو العذاب على الذين لا يعقلون ومن كان فاقدا للعقل لا يكون مكلفا فكيف يستحق العذاب
هذا بالضد من الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وآله اكثر اهل الجنة البله الجواب يقال له في قوله تع
الا باذن الله وجوه منها ان يكون الاذن الامر ويكون معنى الكلام ان الايمان لا يقع من احد الا بعد ان يأذن
تعالى فيه ويامر به ولا يكون معناه ما ظنه السايل من انه لا يكون للفاعل سبيل فعله الا باذنه ويجري هذا مجرى
قوله تع وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله ومعلوم ان قوله تع ليس الحال في هذه هو ما ذكرناه وان كان
المشبه في الآية التي فيها ذكر الموت ان يكون المراد بالاذن العلم ومنها ان يكون الاذن هو التوفيق والتيسير والتسهيل
ولا شبهة في انه تع يوفق لفعل الايمان ويلطف فيه ويسهل السبيل اليه ومنها ان يكون الاذن العلم من قولهم
اذنت لكذا وكذا اذا سمعته وعلمته واذنت فلانا بكذا وكذا اذا اعلمته فيكون فايدة الاخبار عن علمه تع بسائر
الكاينات وانه مما لا يخفى عليه الخفيات وقد انكر بعض من لا بصيرة له ان يكون الاذن بكسر الالف وتسكين
الذال عبارة عن العلم وزعم ان الذي هو العلم الاذن بالتحريك واستشهد بقول الشاعر ان همي في سماع واذن
وليس الامر على ما توهمه هذا المتوهم لان الاذن هو المصدر والاذن هو اسم الفعل ويجري مجرى الحذر
للحذر في انه مصدر والحذر بالتسكين الاسم على انه لو لم يكن مسموعا الا الاذن بالتحريك لجاز التسكين مثل
ومثل ومثل وشبه وشبه ونظاير ذلك كثيرة ومنها ان يكون الاذن العلم ومعناه اعلام الله تع المكلفين بفضل
الايمان وما يدعو الى فعله فاما ظن السايل دخول الارادة في محتمل اللفظ فباطل لان الاذن لا يحتمل الارادة
في اللغة ولو احتملها ايضا لم يجب ما توهمه لانه اذا قال ان الايمان لا يقع الا وانا مريد له فلم ينف ان يكون مريدا
لما يقع ان يكون مريدا لما لم يقع وليس في صريح الكلام ولا دلالته شي من ذلك فاما قوله تع ويجعل
الرجس على الذين لا يعقلون فلم يعن به الناقصي العقول وانما اراد تعالى الذين لم يعقلوا ويعلموا ما وجب
عليهم علمه من معرفة خالقهم تع والاعتراف بنبوة رسله عليهم السلام والانقياد الى طاعتهم ووصفهم بانهم لا
يعقلون تشبيها كما قال تع صم بكم عمي وكما يصف احدنا من لم يفطن لبعض الامور ولم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون
وفقد العقل فاما الحديث الذي اورده السايل شاهدا له فقد قيل فيه انه عليه السلام لم يرد بالبله
العقل والنقص والجنون وانما اراد البله عن الشر والقبيح وسماهم بلها عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعانونه

يعانونه لا من حيث فقد العلم به ووجه تشبيه من هذه حاله بالابله ظاهر فان الابله عن الشي هو الذي
لا يعرفه ولا يقصد اليه فاذا كان المتنزه عن الشر معرضا عنه هاجرا لفعله جاز ان يوصف بالبله للفائدة
التي ذكرناها ويشهد بصحة هذا التاويل قول الشاعر

،، ولقد لهوت بطفلة ميادة ،، بلهاء تطلعني على اسرارها ،،

اراد انها بلهاء عن الشر والريبة وان كانت فطنة لغيرهما وقال ابو النجم ح

،، من كل عجزاء سقوط البرقع ،، بلهاء لم تحفظ ولم تضيع ،،

اراد بلهاء ما ذكرناه فاما قوله سقوط البرقع فاراد به انها تبرز وجهها ولا تستره ثقة بحسنه وادلالا
بجماله وقوله لم تحفظ اراد ان استقامة طرايقها تغني عن حفظها وانها لعفافها ونزاهتها عن محتاج الى
مسدد وموقف وقوله ولم تضيع اراد انها لم تهمل في اغذيتها وتنعيمها وترفيهها فتشقى ومثل
قوله سقوط البرقع قول الشاعر

،، ولما توافقنا وسلمت اقبلت ،، وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا ،،

ومثله ،، بها شرق من زعفران وعنبر ،، اطارت من الحسن الردا المحبرا ،،

اي رمت به عنها ثقة بجمالها وكمالها ومثله وهو حسن ،،

،، لهونا بمجلي البراقع حقبة ،، فما بال دهر لزنا بالوصاوص ،،

اراد بمجلي البراقع اللواتي يوسعن عيون براقعهن ثقة بحسنهن ومنه الطعنة النجلاء والعين النجلاء ثم قال
فما بال دهر احوجنا واضطرنا الى القباح اللواتي يضيقن عيون براقعهن لقبحهن والوصاوص هي النقب
الصغار للبرقع ومما يشهد للمعنى الاول الذي ذكرناه الوصف بالبله لا بمعنى الغفلة قول ابن الدمينة

،، بنفسي واهلي من اذا عرضوا له ،، ببعض لم يدر كيف يجيب ،،
،، ولم يعتذر عذر البري ولم تزل ،، به سكتة حتى يقال مريب ،،

ومثله ،، احب اللواتي في صباهن غرة ،، وفيهن عن ازواجهن طماح ،،
،، مسرات حب مظهرات عداوة ،، تراهن كالمرضى وهن صحاح ،،

ومثل ،، يكبين الينجوج في كبة المشتا ،، وبله احلامهن وسام ،، اما قوله يكبين فماخوذ من
لفظ الكبا وهو العود اراد يتبخرن به والينجوج العود الذي وفيه ست لغات ينجوج ويلنجوج ويلنجج
والنجوج ويلنجج والنج فاما كبة المشتا فهو ضيقه وشدته ومنه قوله تعالى لقد خلقنا الانسان
في كبد المشتا وضيقه وشدته وقد روي في كبة المشتا والمعنى واحد لان الكبة هي الصدمة والحملة

فلو دنت كبة الخيل وأما الوسام فضرب من اللسان من الوسامة وهي الحسن ويمكن أن يكون في البله جواب آخر وهو أن نحمله على البله الذي هو الغفلة والنقصان في التيقظ ويكون معنى الخبر أن أكثر أهل الجنة الذين كانوا بلهاً في الدنيا فعندنا أن الله تعالى ينعم الأطفال في الجنة والمجانين والبهائم وإنما يحملهم ملفقاً في الجنة وإن كان يصل إليهم من النعيم على سبيل العوض والتفضل لا يفتقر إلى كمال العقل لأن الخبر ورد بأن الأطفال والبهائم إذا دخلوا الجنة لم يدخلوها إلا وهم على أفضل الحالات وأكملها فلهذا صرنا البله منهم في الجنة مردودين إلى حال الدنيا وإلا فالعقل لا يمنع من ذلك كما منعنا إياه في باب الثواب والعقاب تأويل آية قال الله تعالى مخبراً عن يوم القيمة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره إلا لأجل معدود يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه وقال تعالى في موضع آخر هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وفي موضع آخر فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وظاهر هذه الآيات ظاهر اختلاف لأن بعضها ينبئ عن أن النطق لا يقع منهم في ذلك اليوم ولا يؤذن فيه وبعضها ينبئ عن خلافه وقد قال قوم من المفسرين في تأويل هذه الآيات أن يوم القيمة يوم طويل ممتد وقد يجوز أن يمنعوا النطق في بعضه ويؤذن لهم في بعض آخر وهذا الجواب ضعيف لأن الإشارة إلى يوم القيمة بطوله فكيف يجوز أن تحمل الحالات فيه مختلفة وعلى هذا التأويل يجب أن يكون قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون في بعضه والظاهر بخلاف ذلك والجواب السديد عن هذا أن يقال إنما أراد تعالى نفي النطق المقبول المسموع الذي ينتفعون به ويكون لهم في مثله فضل أو حجة ولم ينف النطق الذي ليست هذه حاله ويجري هذا مجرى قولهم خرس فلان عن حجته وحضرنا فلاناً يناظر فلاناً فلم يقل شيئاً وإن كان الذي وصف بالخرس عن الحجة والذي نفي عنه القول قد تكلما بكلام كثير إلا أنه من حيث لم يكن فيه حجة ولا به منفعة جاز إطلاق القول الذي حكيناه عليه ومثل هذا قول الشاعر

أعمى إذا ما جارتي خرجت ... حتى يواري جارتي الخدر
ويصم عما كان بينهما ... سمعي وما بي غيره وقر

وقول الآخر لقد طال كتمانيك حتى كأنني ... برد جواب السائلي عنك أعجم

وعلى هذا التأويل لا تنافي في الاختلاف لأن التساؤل والتلاوم لا حجة فيه وأما قوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون فقد قيل فيه إنهم غير مأذونين بالاعتذار فكيف يعتذرون ويحمل الإذن على الأمر وإنما لم يؤمروا به من حيث تلك الحال لا تكليف فيها والعباد ملجأون عند مشاهدة الأهوال إلى الاعتراف والإقرار وأحسن من هذا التأويل أن يحمل يؤذن لهم على أنه لا يستمع لهم ولا يقبل عذرهم والعلة في امتناع قبول عذرهم هي التي ذكرناها تأويل خبر روي عن النبي صلعم أنه قال لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر وقد ذكر قوم في تأويل هذا الخبر أن المراد به لا

تسبوا الدهر فإنه لا فعل له وأن الله تعالى مصرفه ومدبره فحذف من الكلام ذكر المصرف والمدبر وقال هو الدهر وفي هذا الخبر وجه آخر وهو أحسن من الذي حكيناه وهو أن الملحدين ومن نفى الصانع من العرب كانوا ينسبون ما ينزل بهم من فعل الله تعالى كالمرض والعافية والجدب والخصب والبقاء والفناء إلى الدهر جهلاً منهم بالصانع جلت عظمته ويذمون الدهر ويسبونه في كثير من الأحوال من حيث اعتقدوا أنه الفاعل بهم هذه الأفعال فنهاهم النبي صلعم عن ذلك وقال لا تسبوا من فعل بكم هذه الأفعال ممن تعتقدون أنه هو الدهر فإن الله تعالى هو الفاعل لهذه الأفعال وإنما قال عليه السلام إن الله هو الدهر من حيث نسبوا إلى الدهر أفعال الله تعالى وقد حكى الله تعالى عنهم قولهم ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وقال لبيد [illegible]

في قروم سادة من قومه ... نظر الدهر إليهم فابتهل

أي دعا عليهم وقال عمرو بن قميئة [illegible]

كأني وقد جاوزت تسعين حجة ... خلعت بها عني عذار لجامي
على الراحتين مرة وعلى العصا ... أنوء ثلاثاً بعدهن قيامي
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى ... فكيف بمن يرمى وليس برامي
فلو أنها نبل إذاً لاتقيتها ... ولكنني أرمى بغير سهام
إذا ما رآني الناس قالوا ألم تكن ... حديثاً حديد الطرف غير كهام
وأفنى وما أفنى من الدهر ليلة ... ولم يغن ما أفنيت سلك نظام
وأهلكني تأميل يوم وليلة ... وتأميل عام بعد ذلك عام

وقال الأصمعي ذم أعرابي رجلاً فقال هو أكثر ذنوباً من الدهر وأنشد الفراء

حنتني حانيات الدهر حتى ... كأني خاتل أدنو لصيد
قصير الخطو يحسب من رآني ... ولست مقيداً أني بقيد

وقال كثير [illegible]

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ... ورجل رمى فيها الزمان فشلت

وقال آخر [illegible]

فاستأثر الدهر الغداة بهم ... والدهر يرميني ولا أرمي
يا دهر قد أكثرت فجعتنا ... بسراتنا ووقرت في العظم

أما قوله ووقرت في العظم فإنما أراد أحدثت فيه وقراً ووقرة والوقر هو الحفرة العظيمة تكون في الصفا

يستنقع فيه ماء المطر والوقت ايضا كذلك والموجرة ايضا هي الحفرة الا انها دون الاوليين في الكبر وكل هؤلاء
الذين روينا اشعارهم نسبوا افعال الباري تعالى الذي لا يشاركه فيها غيره الى الدهر فحسن وجه التاويل الذي ذكرناه

مسألة اعلم ان المنافع التي عرض الله الاحياء لها ثلاث منفعة تفضل ومنفعة عوض ومنفعة ثواب فاما
المنفعة على سبيل التفضل فهي الواقعة ابتداء من غير سبب استحقاق ولفاعلها ان يفعلها وله ان لا يفعلها
واما منفعة العوض فهي المستحقة من غير مقارنة شيء من التعظيم والتبجيل لها واما منفعة الثواب فهي المستحقة على
وجه التعظيم والتبجيل فمنفعة العوض تبين من التفضل بالاستحقاق والثواب يبين من العوض بالتبجيل والتعظيم المقارن
لذلك كان التفضل اصلا لساير المنافع من حيث يجب تقدمه وتاخرها عنه لانه لا سبيل للمنتفع ان ينتفع بشيء دون ان
يكون حيا مشتهيا ولا ابتداء بخلق الحياة والشهوة تفضل فقد صح انه لا سبيل الى النفع بمنفعة العوض والثواب
الا بعد تقدم التفضل واما المنفعة بالثواب فهي الاصل لمنفعة العوض لان الالم وما جرى مجرى الالم مما يستحق به العوض
متى لم يكن فيه اعتبار يفضي الى الثواب ويستحق به لم يحسن فعله وجرى مجرى العبث عندنا ولهذا نقول ان الله تعالى
لو لم يكلف احدا من المكلفين ما كان يحسن منه ان يبتدي بالالام وان عوض عليها والاحياء على ضربين فمنهم من
عرض للثلث من المنافع الثلث ومنهم من عرض لاثنين ومنهم من عرض لواحدة فالمكلف المعرض للثواب لا بد ان يكون
منتفعا بالتفضل من الوجه الذي قلناه لانه خلق حيا وفعل له القدرة والشهوة وضروب التمكين فقد نفع بالتفضل
وليس يجب فيمن هذه حاله ان يكون منتفعا بالعوض لانه لا يمتنع ان يخلق المكلف منا من لم يولمه الله تعالى فلا يكون معرضا
للعوض فهو من عرض له فقد تكاملت فيه المنافع فصار المكلف مقطوعا على تعريضه لاثنين من المنافع ومشكوكا
في تكامل الثلث فيه فاما من ليس بمكلف فمقطوع فيه على احدى المنافع وهي التفضل من حيث خلق حيا
ومكن كثيرا من المنافع ومشكوك في تعريضه للعوض من الوجه الذي بيناه وكما قطعنا على احدى المنافع فيه نحن
قاطعون ايضا على نفي التعريض للثواب عنه لفقد ما يوصل اليه وهو التكليف ولا بد في كل حي يوجد من ان يكون
معرضا لاحدى هذه المنافع او لجميعها وانما وجب ذلك من جهة حكمة القديم تعالى لا من جهة مستحيل في نفسه لان كونه حيا
وما فيه من شهوة وقدرة ليس منفعة في نفسه وانما يكون منفعة ونعمة اذا فعل تعريضا للمكلف للنفع فاما اذا فعل
لا تعريضا للانتفاع بوجه من الوجوه فانه لا يكون نعمة ولا منفعة واوجبناه من جهة حكمته تعالى لانه اذا فعل
الحي بهذه الصفات فلا يخلو من ان يكون اراد به نفعا او ضررا او لم يرد شيئا فان كان الاول فهو الذي اوجبنا
وان كان الثاني والثالث فالقديم تعالى منزه عنهما لان الثاني يجري مجرى الظلم والثالث هو العبث وقد
يشارك القديم غيره في النفع بالتفضل والعوض الفاعلون المحدثون ولا يصح ان يشاركوه في النفع بالثواب لان الثواب
يستحقه المكلف للمشقة التي عليها الثواب وهي لون الفعل لما فعله لا يكون الا من قبله تعالى وليس لاحد ان ينظر في من يحدث الى
الى الدين ويرشد الى الايمان وما يستحق به الثواب انه معرض للثواب وذلك لان المكلف انما يكون معرضا
للثواب ويصح ان يستحقه من دون كل هداية وارشاد يقع منا لكن الصفة التي جعله الله تعالى عليها لم يصح ان
يستحقه فبان الفصل بين الامرين على انا لو منا وان نفع غيره بالتفضل والتعريض للعوض فهذه المنافع منسوبة
الى الله تعالى ومضافة اليه من قبل انه لولا نعمه ومنافعه لم تكن هذه منافع ولا نعما الا ترى انه لو لم يخلق الحي
والشهوة لم يكن ما يوصل اليهما مما ذكرناه منفعة ولا نعمة ولو لم يخلق المشتهى والملذوذ لم يكن لنا سبيل الى النفع
ولا انعام فبان بهذه الجملة ما قصدناه [illegible] قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ان سأل سائل
فقال ما تاويل قوله تعالى مخبرا عن مهلك قوم فرعون وتوريثه نعمهم وكذلك واورثناها قوما اخرين فما بكت عليهم
السماء والارض وما كانوا منظرين وكيف يجوز ان يضيف البكاء اليهما وهو لا يجوز في الحقيقة عليهما الجواب
يقال له في هذه الاية وجوه اربعة من التاويل اولها انه تعالى اراد اهل السماء والارض فحذف كما حذف في
قوله تعالى واسئل القرية وفي قوله تعالى حتى تضع الحرب اوزارها فاراد تعالى اهل القرية واصحاب الحرب ومثل
ذلك مجيء قولهم السخاء حاتم يريدون السخاء سخاء حاتم وقال الحطيئة

ه وشر المنايا ميت وسط اهله ه كهلك الفتاة اسلم الحي حاضره ه

اراد شر المنايا منية ميت وقال اخر

ه قليل عيبه والعيب جم ه ولكن الغنى رب غفور ه

اراد غنى رب غفور وقال ذو الرمة

ه لهم مجلس صهب السبال اذلة ه سواسية احرارها وعبيدها

اراد اهل مجلس واما قوله صهب السبال فانما اراد به الاعداء والعرب تصف الاعداء بذلك وان لم يكونوا
صهب السبال وقوله سواسية يريد انهم مستوون متشابهون ولا يقال هذا الا في الذم وثانيها انه
اراد المبالغة في وصف القوم بصغر القدر وسقوط المنزلة لان العرب اذا اخبرت عن عظم المصاب بالهالك
قالت كسفت لفقده الشمس واظلم القمر وبكاه الليل والنهار والسماء والارض يريدون بذلك المبالغة
في عظم الامر وشمول ضرره وقال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز

ه الشمس طالعة ليست بكاسفة ه تبكي عليك نجوم الليل والقمرا ه

وقال يزيد بن مفرغ ه الريح تبكي شجوه والبرق يضحك في الغمامة ه فهذا صنيعهم في كل امر جليل
جل خطبه وعظم موقعه فيصفون النهار بالظلام وان الكواكب طلعت نهارا لفقد نور الشمس وضوئها
وقال النابغة ه تبدو كواكبه والشمس طالعة ه لا النور نور ولا الاظلام اظلام ه وقال طرفة

۝ ان تنوله فقد تمنعه ۝ وتريه النجم يجري بالظهر ۝

ومن هذا قولهم لارينك الكواكب بالنهار ومعناه اي لاوردن عليك ما يظلم له في عينيك النهار فتظهر بالليل
الكواكب. فاما بيت جرير فقد قيل في انتصاب النجوم والقمر وجوه ثلثة احدها انه اراد ان الشمس طالعة
وليست مع طلوعها كاسفة نجوم الليل والقمر لان عظم الرزية قد سلبها ضوءها فلم ينا في طلوعها ظهور الكواكب
والوجه الثاني ان يكون ذلك كما ينتصب في قولهم لا اكلمك الابد والدهر وطوال المسند وما جرى مجرى ذلك
فكانه اخبر بان الشمس تبكيه ما طلعت النجوم وظهر القمر والوجه الثالث ان يكون القمر ونجوم الليل باكين على الشمس
هذا المرثي المفقود فبكته اي غلبته بالبكاء كما يقال باكاني عبد الله فبكيته وكاثرني فكثرته اي غلبته و
فضلت عليه وثانيها ان يكون معنى الآية الاخبار عن انه تعالى لم ياخذ بثارهم ولا انتقم لهم لان العرب كانت تبكي
على قتيل لا بعد الاخذ بثاره وقتل من كان مغرا بقتله من عشيرة القاتل فكنى الله تعالى بهذا اللفظ عن فقد الانتصار
والاخذ بالثار على مذهب القوم الذين خوطبوا بالقرآن وثالثها ان يكون كناية عن انه لم يكن لهم في الارض عمل صالح
يرفع منها الى السماء ويطابق هذا التاويل ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله فما بكت عليهم السماء والارض
قيل له او يبكيان على احد قال نعم مصلاه في الارض ومصعد عمله في السماء وروى انس بن مالك عن النبي صلعم انه
قال ما من مؤمن الا وله باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه ومعنى البكاء هاهنا
الاخبار عن الاختلال بعده كما يقال بكى منزل فلان بعده وقال ابن مقبل ۝

۝ لعمر ابيك لقد شاقني ۝ مكان حزنت له اذ حزن ۝

۝ وقال مزاحم العقيلي ۝

۝ بكت دارهم من اجلهم فتهللت ۝ دموعي فاي الجازعين الوم ۝
۝ امستعبرا يبكي من الهون والبلى ۝ ام آخر يبكي شجوه ويهيم ۝

فاذا لم يكن لهؤلاء القوم الذين اخبر الله تعالى عن بوارهم مقام صالح في الارض ولا عمل كريم يرجع الى السماء
جاز ان يقال فما بكت السماء والارض ويمكن ان يكون في الآية وجه خامس وهو ان يكون البكاء فيها كناية عن المطر والسقيا — عليهم
لان العرب تشبه المطر بالبكاء ويكون معنى الآية ان السماء لم تسق قبورهم ولم تجد عليهم بالقطر على مذهب
العرب المعروف في ذلك لانهم كانوا يستسقون للفقيد من فقدوه من اعزائهم ويستنبتون لمواقع حفرهم الزهر
الرياض قال النابغة فلا زال قبر بين تبنى وجاسم ۝ عليه من الوسمي طل ووابل ۝

فينبت حوذانا وعوفا منورا ۝ سأتبعه من خير ما قال قائل ۝

وكانوا يجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام ومسئلة الله عز وجل لهم الرضوان والفعل الذي اضيف الى السماوان
كان

كان لا يجوز اضافته الى الارض فقد يصح عطف الارض على السماء بان يقدر فعل يصح نسبته اليها والعرب تفعل مثل هذا
قال الشاعر يا ليت زوجك قد غدا ۝ متقلدا سيفا ورمحا ۝ فعطف الرمح على السيف وان كان التقلد لا يجوز
فيه لكنه اراد وحاملا رمحا ومثل هذا يقدر في الآية فكانه تعالى اراد ان السماء لم تسق قبورهم وان الارض لم
تعشب عليها وكل هذا كناية عن حرمانهم ثواب الله تعالى ورضوانه تاويل خبر روى ابو هريرة عن النبي صلعم انه قال
ان احب الاعمال الى الله تعالى ادومها وان قل فعليكم بما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وفي وصفه عليه السلام الله تعالى بالملل وجوه — اليه
اربعة اولها انه اراد نفي الملال عنه تعالى وانه لا يمل ابدا فعلقه بما لا يقع على التبعيد كما قال الله تعالى ولا يدخلون الجنة
حتى يلج الجمل في سم الخياط وقال الشاعر ۝ فانك سوف تحكم او تناهى ۝ اذا ما شبت او شاب الغراب ۝
اراد انك لا تحكم ابدا فان قيل ومن اين قلتم انما علقه بما لا يقع واي شيء حملتم بانه اراد الملال على سبيل التابيد قلنا
معلوم ان الملال لا يشمل البشر في جميع اوقاتهم واحوالهم فانهم لا يمرون من حرص ورغبة وامل وطمع فلهذا جاز
ان يعلق ما علم الله تعالى انه لا يكون بالملل ۝ والوجه الثاني ان يكون المعنى انه لا يغضب عليكم ويطرحكم حتى تتركوا العمل
وتعرضوا عن سواله والرغبة في حاجاتكم اليه فسمى الفعلين ملالا وان لم يكونا على الحقيقة كذلك على مذهب العرب
في تسميتها الشيء باسم غيره اذا وافق معناه من بعض الوجوه قال عدي بن زيد العبادي ۝

۝ ثم اضحوا لعب الدهر بهم ۝ وكذاك الدهر يودي بالرجال ۝

۝ وقال عبيد بن الابرص الاسدي ۝

۝ ساءل بنا حجر ابن ام قطام اذ ۝ ظلت به السمر الذوابل تلعب ۝

فنسب اللعب الى الدهر والقنا تشبيها وقال ذو الرمة ۝

۝ وابيض موشي القميص نصبته ۝ على خصر مقلاة سفيه جديلها ۝

فسمى اضطراب زمامها وشدة تحركه سفها لان السفه في الاصل هو الطيش وسرعة الاضطراب والحركة وانما
وصف ناقته بالذكاء والنشاط فاما قوله وابيض موشي القميص فانما عنى به سيفه وقميصه جفنه والمقلاة الناقة
التي لا يعيش لها ولد والوجه الثالث ان يكون المعنى انه تعالى لا يقطع عنكم فضله واحسانه حتى تملوا من سواله
فسمى فعلهم ملالا على الحقيقة وسمى فعله تعالى ملالا وليس بملال على الحقيقة للازدواج ومشاكلة اللفظين في الصورة
وان اختلفا في المعنى ومثل هذا قول الله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وجزاء
سيئة سيئة مثلها وقول عمرو بن كلثوم التغلبي ۝ الا لا يجهلن احد علينا ۝ فنجهل فوق جهل الجاهلينا ۝
وانما اراد الجزاء على الجهل لان العاقل لا يفخر بالجهل ويتمدح به والوجه الرابع ان يكون الراوي وهم
وغلط من الفتح الى الضم وان يكون قوله يمل بالضم لا بالفتح وعلى هذا يكون له معنيان احدهما انه لا يعاقبهم

بالنار حتى تملوا من عبادته وتعرضوا عن طاعته لان المله هي مستوى الخبز يقال مل الرجل الخبزة وغيرها يملها ملا اذا
انضجها في الملة وقيل ان الخبز لا يقال له مليل حتى يخالطه رماد والمعنى الثاني ان يكون اراد به لا يسرع الى عقابكم لاجل اجرامكم
رفقا بكم حتى تملوا انتم وتستعجلوا عذابه بركوبكم المحارم وتتابعكم في المآثم وروي انه قيل للفرزدق هل حسدت
احدا على شي من الشعر فقال لا ما حسدت على شي منه الا ليلى الاخيلية في قولها

ومخرق عنه القميص تخاله بين البيوت من الحياء سقيما
حتى اذا برز اللواء رايته تحت اللواء على الخميس زعيما
لا يقربن الدهر آل مطرف لا ظالما ابدا ولا مظلوما

ويروى ان ظالما فيهم وان مظلوما على ان قد قال

وركب كان الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهي تلفهم الى شعب الاكوار من كل جانب
اذا ابصروا نارا يقولون ليتها وقد خصرت ايديهم نار غالب

وليس ابيات الفرزدق بدون ابيات ليلى بل هي اجزل الفاظا واشد اسرا الا ان ابيات ليلى اطبع
واشبع وقد كان الفرزدق مشهورا بالحسد على الشعر والاستكثار للقليل والافراط في استحسان مستحسنه
وقد روينا ان الكميت بن زيد الاسدي عرض على الفرزدق ابياتا من قصيدته التي اولها

اتصرم الحبل حبل البيض ام تصل وكيف والشيب في فوديك مشتعل
ولاسيما

لما اصابت لقوس الجهل اسهمها حيث الجدود على الاحساب تنتضل
احرزت من عشرها تسعا وواحدة فلا العمى لك من رام ولا الشلل
الشمس انت الا انها امراة والبدر انت الا انه رجل

حسد الفرزدق فقال له انت خطيب وانما سلم له الخطابة ليخرجه عن اسلوب الشعر ولما بهره حسن الابيات
وذهبت بها الغاية ولم يتمكن من دفع فضلها جملة عدل في وصفها الى الخطابة وحسد الفرزدق على الشعر اجلى
به من ان يدل على حسن نقد وبصيرة فيه وان كان يطرب للجيد منه فضل طرب ويعجب منه فضل عجب
ويدل ايضا على انصافه فيه وانه مستقل للكثير الصادر منه فان كثيرا من الناس من يبلغ بهم العجب والا
والاستحسان لما يظهر منهم من شعر او فضل الى ان يعموا عن محاسن غيرهم فيستقلوا منهم الكثير ويستصغروا الكبير
وابيات الفرزدق التي ذكرناها جيدة مشهورة متداولة اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا محمد بن يحيى قال اخبرنا ابو

عبيدة عن يونس قال دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ومعه نصيب الشاعر فقال سليمان للفرزدق
انشدني فانشده الابيات التي تقدم ذكرها فاسود وجه سليمان وغاظه فعله وكان ظن انه ينشد مديحا
له فلما راى نصيب ذلك قال انشدك فانشده

اقول لركب قافلين لقيتهم قفوا ذات اوشال ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان انني لمعروفه من اهل ودان طالب
فعاجوا فاثنوا بالذي انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

فقال له سليمان انت اشعر اهل جلدتك وفي بعض الاخبار ان الفرزدق قال ذلك في نصيب حين ساله عنه سليمان
وروي ايضا انه لما انشد نصيب ابياته قال له سليمان احسنت ووصله ولم يصل الفرزدق فخرج الفرزدق وهو
يقول وخير الشعر اكرمه رجالا وشر الشعر ما قال العبيد ولا شبهة في ان ابيات الفرزدق متقدمة في
الجزالة والرصانة على ابيات نصيب وان كان نصيب قد عذب وابدع في قوله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب الا ان
ابيات نصيب وقعت موقعها ووردت في حال تليق بها وابيات الفرزدق جاءت في غير وقتها وعلى غير
جهتها فلهذا قدمت ابيات نصيب والفرزدق مع تقدمه في الشعر وبلوغه فيه الى الدرجة العليا والغاية
القصوى شريف الاباء كريم البيت له ولابائه ماثر لا تدفع ومفاخر لا تجحد والفرزدق لقب لقب به وليس
باسمه وانما لقب بذلك لجهامة وجهه وغلظه لان الفرزدق هي القطعة الضخمة من العجين وقيل انها
الخبزة الغليظة التي تجففها النساء للفتوت واسمه همام بن غالب وكنيته ابو فراس وقيل انه كان يكنى في
شبابه بابي مكية وهي ابنة له وكان متشيعا مائلا الى بني هاشم ونزع في اخر عمره عما كان عليه من القذف
والفسق وراجع طريقة الدين على انه لم يكن في فسقه منسلخا من الدين جملة ولا مهملا لامره اصلا ومما
يشهد بذلك ما اخبرنا به علي بن محمد الكاتب عن ابي بكر محمد بن يحيى الصولي عن ابي جعفر الغلابي عن عبد الله
بن سوار بن معاوية بن عبد الكريم عن ابيه قال دخلت على الفرزدق فجعلت احادثه فسمعت صوت حديد
يتقعقع فتاملت الامر فاذا هو مقيد الرجلين فسالته عن السبب في ذلك فقال اني اليت على نفسي ان لا انزع
القيد من رجلي حتى احفظ القران واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابو ذر القراطيسي قال اخبرنا
ابن ابي الدنيا قال اخبرنا الرياشي عن الاصمعي عن سلام بن مسكين قال قيل للفرزدق علام قذفت المحصنات
قال والله لله احب الي من عيني افتراه يعذبني بعدها وروي انه تعلق باستار الكعبة وعاهد الله تعالى
على ترك الهجاء والقذف اللذين كان ارتكبهما فقال الم ترني عاهدت ربي وانني لبين رتاج قائما ومقام
على حلفة لا اشتم الدهر مسلما ولا خارجا من في زور كلام اطعتك يا ابليس تسعين حجة فلما انقضى عمري

فزعت الى ربي وايقنت انني   ملاق لايام الحتوف حمامي

ويروى فزعت ويروى عن الصولي عن الحسين بن العباس عن ادريس بن عمران قال جاءنا الفرزدق فذكرنا رحمة الله تعالى وسعتها فكان اوثقنا بالله تعالى فقال له رجل الكل على هذا الرجاء والمذهب وانت تقذف المحصنات وتفعل ما تفعل فقال اتروني لو اذنبت الى ابوي اكانا يقذفاني في تنور وتطيب نفسهما بذلك قلنا لا بل يرحمانك فقال فانا والله برحمة ربي اوثق مني برحمتهما واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا محمد بن ابراهيم قال اخبرنا عبد الله بن ابي سعيد الوراق قال اخبرنا محمد بن محمد بن سليمان الطفاوي قال حدثني ابي عن جدي قال شهدت الحسن البصري رحمه الله في جنازة النوار امراة الفرزدق حاضرا فقال له الحسن وهو عند القبر ما اعددت يا ابا فراس لهذا المضجع قال شهادة ان لا اله الا الله منذ ثمانين سنة فقال له الحسن هذا العمود فاين الطنب وفي رواية اخرى انه قال نعم ما اعددت ثم قال الفرزدق في الحال

اخاف وراء القبر ان لم يعافني   اشد من الموت التهابا واضيقا
اذا جاءني يوم القيامة قائد   عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من اولاد دارم من غدا   الى النار مغلول القلادة ازرقا
يقاد الى نار الجحيم مسربلا   سرابيل قطران لباسا محرقا

قال فرايت الحسن يدخل بعضه في بعض ثم قال حسبك. ويقال ان رجلا راى الفرزدق يوما بعد موته في منامه فقال له ما فعل الله بك فقال عفا عني بتلك الابيات فاما ما يدل على تشيعه وميله الى بني هاشم فما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني عمر بن داود العماني قال اخبرنا محمد بن زكريا الغلابي قال اخبرنا مهدي بن سابق قال اخبرنا ابو لبيد قال جاء الكميت الى الفرزدق فقال يا عم اني قد قلت قصيدة اريد ان اعرضها عليك فقال له قل فانشده

طربت وما شوقا الى البيض اطرب   فقال له الفرزدق فلم طربت ثكلتك امك فقال
ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب   ولم يلهني دار ولا رسم منزل   ولم يتطربني بنان مخضب

فقال الام طربت فقال   ولا انا ممن يزجر الطير همه   اصاح غراب ام تعرض ثعلب   قال السيد المرتضى رضي الله عنه يجب الوقوف على الطير ليفهم الغرض

ولا السانحات البارحات عشية   امر سليم القرن ام مر اعضب
ولكن الى اهل الفضائل والتقى   وخير بني حواء والخير يطلب

فقال الفرزدق ومن بني ادم فقال الكميت   الى النفر البيض الذين بحبهم   الى الله فيما نابني اتقرب   فقال الفرزدق هولاء بني هاشم فقال الكميت

بني هاشم رهط النبي فانني   بهم ولهم ارضى مرارا واغضب

فقال الفرزدق والله لو جزتهم الى سواهم لذهب قولك باطلا ومما يشهد ايضا بذلك ما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا الحسن بن اسحاق قال حدثني جدي يحيى بن الحسن العلوي قال اخبرنا الحسن بن محمد بن طالب قال حدثني حديث يحيى غير واحد من اهل الادب ان علي بن الحسين عليهما السلام حج فاستجهر الناس جماله وتشوفوا له وجعلوا يقولون من هذا فقال الفرزدق

هذا ابن خير عباد الله كلهم   هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطاته   والبيت يعرفه والحل والحرم
اذا راته قريش قال قائلها   الى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته   ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
يغضي حياء ويغضى من مهابته   فما يكلم الا حين يبتسم
اي القبائل ليست في رقابهم   لاولية هذا او له نعم
من يشكر الله يشكر اولية ذا   فالدين من بيت هذا ناله الامم

وفي رواية الغلابي ان هشام بن عبد الملك لما حج في خلافة عبد الملك ابن مروان وهو حديث السن فاراد ان يستلم الحجر فلم يتمكن من ذلك لتزاحم الناس فجلس ينتظر خلوه فاقبل علي بن الحسين عليهما السلام وعليه ازار ورداء وهو من احسن الناس وجها واطيبهم ريحا وبين عينيه سجادة كانها ركبة عنز فجعل يطوف بالبيت فاذا بلغ الحجر تنحى الناس له حتى يستلمه هيبة له واجلالا فغاظ ذلك هشاما فقال رجل من اهل الشام لهشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا اعرفه لئلا يرغب فيه اهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا لكني اعرفه وذكر الابيات وهي اكثر مما رويناه وانما تركناها لانها معروفة قال فغضب هشام وامر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة وبلغ ذلك علي بن الحسين عليهما السلام فبعث الى الفرزدق باثني عشر الف درهم وقال اعذرنا يا ابا فراس فلو كان عندنا في هذا الوقت اكثر من هذا لوصلناك به فردها الفرزدق وقال ما قلت هذا الا غضبا لله ولرسوله وما كنت لارزا عليه شيئا فردها عليه واقسم عليه في قبولها وقال له قد راى الله مكانك وعلم نيتك ونحن اهل بيت اذا انفذنا امرا لم نرجع فيه فقبلها وجعل الفرزدق يهجو هشاما وهو في الحبس فمما هجاه به قوله

ايحبسني بين المدينة والتي   اليها قلوب الناس يهوي منيبها
يقلب راسا لم يكن راس سيد   وعينا له حولاء باد عيوبها

مجلس [illegible] تاويل اية ان سال سائل

فقال ما عندكم في تاويل قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وظاهر هذه الآية يقتضي انه تعالى ما شاء ان يكونوا امة واحدة وان يجتمعوا على الايمان والهدى وهذا بخلاف ما تذهبون اليه ثم قال ولذلك خلقهم فلا يخلو من ان يكون عنى للاختلاف خلقهم فان رجوعه الى الرحمة اولى وليس يبطل حمل الآية على الاختلاف من حيث لم يكن مذكورا قبلها لان الرحمة ايضا غير مذكورة فيها واذا جعلتم قوله تعالى الا من رحم ربك دالا على الرحمة فكذلك قوله تعالى مختلفين دال على الاختلاف على ان الرحمة هي الرقة والشفقة وذلك لا يجوز على الله تعالى ومتى تعلقتم بها ما ذكرناه لم يعن بها الا العفو واسقاط الضرر وما جرى مجراهما من نعم مستحقة ومثلهما مما لا يجوز ان يكونوا مخلوقين له على مذهبكم لانه لو خلقهم للعفو لما حسن منه عقاب المذنبين ومؤاخذة المستحقين الجواب يقال له اما قوله تعالى ولو شاء ربك فانما عنى بها المشية التي ينضم اليها الالجاء ولم يعن المشية على سبيل الاختيار وانما اراد تعالى ان يخبرنا عن قدرته وانه ممن لا يغالب ولا يعصى مقهورا من حيث كان قادرا على الجاء العباد واكراههم على ما اراد منهم فاما لفظة ذلك في الآية فحملها على الرحمة اولى من حملها على الاختلاف والذهاب عن الدين والتوعد عليه فكيف يجوز ان يكون شائيا له ومجريا بخلق العباد اليه واما شهادة اللفظ فلان الرحمة اقرب الى هذه الكناية من الاختلاف وحمل اللفظ على اقرب المذكورين اليها اولى في لسان العرب فاما ما طعن به السايل وتعلق به من تذكير الكناية وان الكناية عن الرحمة لا تكون الا مؤنثة فباطل لان تانيث الرحمة غير حقيقي واذا كني عنها بلفظ التذكير كانت الكناية على المعنى لان معناها هو الفضل والانعام كما قالوا سرني كلمتك يريدون سرني كلامك قال الله تعالى هذا رحمة من ربي ولم يقل هذه لانه اراد تعالى هذا فضل من ربي قالت الخنساء

فذلك يا هند الرزية فاعلمي ۝ ونيران حرب حين شب وقودها

ارادت الرزء وقال امرؤ القيس

برهرهة رودة رخصة ۝ كخرعوبة البانة المنفطر

فقال المنفطر ولم يقل المنفطرة لانه ذهب الى الغصن وقال آخر

هنيئا لسعد ما اقتضى بعد وقعتي ۝ بناقة سعد والعشية بارد

فذكر الوصف لانه ذهب الى العشي وقال الآخر

قامت تبكيه على قبره ۝ من لي من بعدك يا عامر

تركتني في الدار ذا غربة ۝ قد ذل من ليس له ناصر

فقال ذا غربة ولم يقل ذات غربة لانه اراد شخصا ذا غربة وقال زياد الاعجم

ان

ان السماحة والشجاعة ضمنا ۝ قبرا بمرو على الطريق الواضح

ولم يقل ضمنتا قال الفراء لانه ذهب الى ان السماحة والشجاعة مصدران والعرب تقول قصارتك يعني لان تانيث المصادر يرجع الى الفعل وهو مذكر وقال الفرزدق

تجوب بنا الفلاة الى سعيد ۝ اذا ما الشاة في الارطاة قالا

فذكر الوصف لانه اراد التيس فاما الارطاة فهي واحدة الارطى وهو شجر ينبت في الرمل تستظل بظله الظبا من شدة الحر وتاوي اليه قال الشماخ

اذا الارطى توسد ابرديه ۝ خدود جوازئ بالرمل عين

وقوله من القيلولة لا من القول على ان قوله تعالى الا من رحم ربك كما يدل على ان الرحمة يدل ايضا على انه يرحم فاذا جعلنا الكناية بلفظ ذلك عن ان يرحم كان التذكير في موضعه لان الفعل مذكر ويجوز ايضا ان يكون قوله تعالى ولذلك خلقهم كناية عن اجتماعهم على الايمان وكونهم فيه امة واحدة ولا محالة انه تعالى لهذا خلقهم ويطابق هذه الآية قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقد قال قوم في قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ان معناه لو شاء ان يدخلهم اجمعين الجنة فيكونوا في وصول جميعهم الى النعيم امة واحدة ولتجري هذه الآية مجرى قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها في انه اراد هدايتها الى طريق الجنة فعلى هذا التاويل ايضا يمكن ان ترجع لفظة ذلك الى ادخالهم اجمعين الى الجنة لانه تعالى انما خلقهم للمصير اليها والوصول الى نعيمها فاما قوله تعالى ولا يزالون مختلفين فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات وذكر ابو مسلم بن بحر في قوله مختلفين وجها غريبا وهو ان يكون معناه ان خلف هولاء الكافرين يخلف سلفهم في الكفر لانه سواء قولك خلف بعضهم بعضا وقولك اختلفوا كما سواء قولك قتل بعضهم بعضا وقولك اقتتلوا ومنه قولهم لا افعل كذا ما اختلف العصران والجديدان اي جاء كل واحد منهما بعد الآخر فاما الرحمة فليست رقة القلب كما ظنها السايل لكنها فعل النعم والاحسان يدل على ذلك ان من احسن الى غيره وانعم عليه يوصف بانه رحيم وان لم نعلم منه رقة قلب عليه بل وصفهم بالرحمة من لا يعهدون منه رقة القلب اقوى من وصفهم الرقيق القلب وقد علمنا ان من رق قلبه بذلك لان منفعة النعمة والتفضل والاحسان على من رق عليه منه اكثر منها على الرقيق وقد علمنا ان من رق قلبه وامتنع من الافضال والاحسان لم يوصف بالرحمة واذا انعم وصف بذلك فوجب ان يكون معنى الرحمة في الاصل ما ذكرناه ثم انتقل بالتعارف الى ما ذكره لكنا نظاير وقد وصف الله تعالى القرآن بانه هدى ورحمة من حيث كان نعمة ولا يتاتى في القرآن ما ظنوه وانما وصفت رقة القلب بانها رحمة لانها مما تجاوز الرحمة التي هي النعمة في الاكثر وتوجد عنده فحل محل وصف الشيء

بالخاصية لما كانت توجد عندها المحبة في الاكثر وليست الرحمة مختصة بالعفو بل تستعمل في ضروب النعم
وصنوف الاحسان الا ترى انا نصف المنعم على غيره المحسن اليه بالرحمة وان لم يسقط عنه ضررا ولا تجاوز له عن زلة
وانما سمي العفو عن الضرر وما جرى مجراه رحمة من حيث كانت نعمة لان النعمة باسقاط الضرر تجري مجرى النعمة
بايصال النفع فقد بان بهذه الجملة معنى الاية وبطلان ما تضمنه السايل سواله فان قيل اذا كانت الرحمة هي
النعمة وعندكم ان نعم الله شاملة للخلق اجمعين فاي معنى لاستثناء من رحم من جملة المختلفين ان كانت الرحمة هي
النعمة وكيف يصح اختصاصها بقوم دون قوم وهي عندكم شاملة عامة قلنا لا شبهة في ان نعم الله شاملة
للخلق اجمعين غير ان في نعمه ايضا ما يختص به بعض العباد اما للاستحقاق او لسبب يقتضي الاختصاص فاذا
حملنا قوله تعالى الا من رحم ربك على النعمة بالثواب فالاختصاص ظاهر لان النعمة به لا تكون الا مستحقة فمن
استحق الثواب باعماله وصل الى هذه النعمة ومن لم يستحقه لم يصل اليها. وان حملنا الرحمة في الاية على النعمة بالتوفيق
للايمان واللطف الذي وقع بعده فعل الايمان كانت هذه النعمة ايضا مختصة لانه تعالى انما لم ينعم على
ساير المكلفين من حيث لم يكن في معلومه تعالى ان لهم توفيقا وان في الافعال ما يختارون عنده الايمان فاختصاص
هذه النعمة ببعض العباد لا يمنع من شمول نعم اخر لهم كما ان شمول تلك النعمة لا يمنع من ذلك الاختصاص

تاويل خبر روى ابو مسعود البدري عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان مما ادرك الناس من كلام
النبوة الاولى اذا لم تستحي فافعل ما شئت وفي هذا الخبر وجوه من التاويل ثلثة احدها ان يكون معناه اذا
اعملت العمل لله تعالى وانت لا تستحي من الناظرين اليك ولا تخشى فيه ان ينسبوك فيه الى الريا فاصنع ما شئت
لان تركك فيهم ومراقبتك لهم يقطعانك عن استيفاء شروط عملك ويمنعانك من القيام بحدوده وحقوقه
فاذا اطرحت الفكر تمكنت من استيفاء عملك والوجه الثاني ان من لم يستحي من المعاير والمخازي
والفضايح صنع ما شاء فالكلام ظاهره امر والمعنى معنى تغليظ وانكار مثل قوله تعالى اعملوا ما شئتم وقوله
عز وجل فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر وهذا نهاية في التغليظ والزجر والاخبار عن كبر الذنب في
اطراح الحيا ويجري مجرى قولهم بعد ان فعل فلان كذا وكذا فليفعل ما شاء وبعد ان اقدم على كذا فليقدم
على ما شاء والمعنى المبالغة في عظم ما ارتكبه وقبح ما اقترفه والوجه الثالث ان يكون معنى الخبر اذا لم
تفعل قبيحا ما تستحي منه فافعل ما شئت وكان معنى الخبر اذا لم تفعل قبيحا فافعل ما شئت لان قبح ركوب
القبايح او الحيا يصاحبه ومن شان من يفعله اذا فرغ به وان يستحي منه فاذا جانب الانسان ما يستحي من
امثاله فقد جانب ساير القبايح وما عدا القبيح من الافعال هو حسن ويروى يجري خبر يروى فيما اظن عن
نبينا [illegible] ان رجلا جاء فاسترشد الى خصلة يكون فيها جماع الخير فقال له عليه السلم اشترط عليك الا
تكذبني ولن اسالك ما وراء ذلك فهان على الرجل ترك الكذب خاصة والمعاهدة على اجتنابه دون
ساير القبايح ووطن على نفسه ذلك فلما انصرف جعل كلما هم بقبيح تفكر ويقول ارايت لو سالني النبي ع
ما كنت قايلا له اجيبه ان صدقته اقتضى عقوبتي وان كذبت نقضت العهد بيني وبينه كان ذلك سببا
لاجتنابه ساير القبايح وهكذا معنى الخبر الذي تاولناه لان في اجتناب ما يستحى منه اجتنابا لساير
القبايح

تاويل خبر روى محمد بن الحنفية ع عن ابيه امير المومنين ع قال كان قد كثر على مارية القبطية
ام ابراهيم ع في ابن عم لها قبطي كان يزورها ويختلف اليها فقال لي النبي ص خذ هذا السيف وانطلق
فان وجدته عندها فاقتله. قلت يا رسول الله اكون في امرك اذا ارسلتني كالسكة المحماة امضي لما امرتني
ام الشاهد يرى ما لا يرى الغايب فقال لي النبي ص بل الشاهد يرى ما لا يرى الغايب فاقبلت متوشحا
بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف فلما اقبلت نحوه عرف اني اريده فاتى نخلة فرقى اليها ثم رمى
بنفسه على قفاه وشغر برجليه فاذا انه مجبوب ما له مما للرجال قليل ولا كثير قال فغمدت السيف و
رجعت الى النبي ص فاخبرته فقال الحمد لله الذي يصرف عنا اهل البيت [illegible]
رضي الله عنه وفي هذا الخبر احكام وغريب ونحن نبتدئ باحكامه ثم نتلوها بغريبه فاول ما فيه ان القايل
ان يقول كيف يجوز ان يامر الرسول ص بقتل رجل على التهمة بغير بينة ولا ما يجري مجراها والجواب عن ذلك
ان القبطي جاز ان يكون من اهل العهد الذين اخذ عليهم ان يجري احكام المسلمين وان يكون الرسول تقدم
اليه بالانتهاء عن الدخول الى مارية القبطية فخالف واقام على ذلك وهذا نقض للعهد وناقض العهد من
اهل الكفر موذن بالمحاربة والموذن بها مستحق القتل فاما قوله ع الشاهد يرى ما لا يرى الغايب فانما عنى
به روية العلم لا روية البصر لانه لا معنى في هذا الموضع لروية البصر فكانه ع قال بل الشاهد يعلم ويصح
له من وجه الراي والتدبير ما لا يصح للغايب ولو لم يقل ذلك لوجب قتل الرجل على كل حال وانما جاز منه ع
ان يخيره بين قتله والكف عنه ويفوض الامر في ذلك الى امير المومنين ع من حيث انه لم يكن قتله من الحدود
والحقوق التي لا يجوز العفو عنها ولا يسع الا اقامتها لان ناقض العهد ممن الى الامام القايم بامر المسلمين
اذا قدر عليه قبل التوبة ان يقتله وان يمن عليه ومما فيه ايضا من الاحكام اقتضاؤه ان مجرد امر الرسول
لا يقتضي الوجوب لانه لو اقتضى ذلك لما حسنت مراجعته ولا استفهامه وفي حسنها ووقوعها دلالة على
انها لا تقتضي الوجوب ومما فيه ايضا من الاحكام دلالة على انه لا باس بالنظر الى عورة الرجل عند الامر ينزل
فلا يوجد من النظر اليه بد اما لحد يقام عليه او لعقوبة تسقط لان العلم بانه امسح اجب لا يكون الا عن تامل
ونظر وانما جاز التامل والنظر ليتبين علي ع هل هو ممن يكون منه ما قرف به ام لا والواجب على الامام فيمن شهد

عليه بالزنا وادعى انه مجبوب ان يامر بالنظر اليه وليتبين امره ومثله امر النبي صلى الله عليه في بني
قريظة لانه عم امر ان ينظر الى مؤتزر كل من اشكل عليهم امره فمن وجده قد انبت قتله ولو حرم النظر
الى العورة عند الضرورة لما قامت شهادة الزنا لان من راى رجلا مع امراة واقعا عليها متى لم يتامل امرهما
حق التامل لم تصح شهادته ولهذا قال النبي ع لسعد بن عبادة وقد سأله عن من وجد مع امرأته رجلا قال
عليه السلم لا حتى ياتي باربعة شهداء فلو لم يكن للشهداء اذا حضروا تعمد النظر الى عورتيهما لاقامة الشهادة
كان حضورهم كغيبتهم ولم تتم شهادة الزنا لان من شرطها مشاهدة العضو في العضو كالميل في المكحلة
فان قيل كيف جاز لامير المؤمنين ع الكف عن القتل ومن اي جهة اثره لما وجد اجب واي تاثير لكونه اجب
فيما استحق به القتل وهو نقض العهد قلنا انه ع لما فوض الامر في القتل والكف كان له ان يقتله على كل
حال وان وجد اجب لان كونه بهذه الصفة لا يخرجه من نقض العهد وانما اثر الكف اليه الذي كان اليه
ومفوضا اليه لازالة الشبهة والشك الواقعين في امر مارية لانه اشفق من ان يقتله فيتحقق الظن ويلحق
بذلك العار فراى امير المؤمنين ع ان الكف اولى لما ذكرناه فاما غريب الخبر فقوله شغر برجليه يريد
رفعهما واصله في وصف الكلب اذا رفع رجله للبول واما نكاح الشغار بالكسر وقد قيل الشغار بالفتح فهو
ان يزوج الرجل من هو ولي لها من بنت او اخت غيره على ان يزوجه بنته او اخته بغير مهر وكان احد العرب
في الجاهلية يقول لآخر شاغرني اي زوجني حتى ازوجك واظنه ماخوذ من الشغر الذي هو رفع الرجل لان
النكاح فيه معنى الشغر فسمي هذا العقد شغارا ومشاغرة لافضائه في كل واحد من المزوجين الى معنى الشغر وصار
اسما لهذا النكاح كما قيل في الزنا سفاح لان الزانيين يتسافحان الماء اي يصبانه والماء هو النطفة ويمكن
ايضا ان يكون الماء الذي يغتسلان به فكني بذلك عن الزنا وصار اسما له وعلما عليه ومن الشغر الذي هو رفع
الرجل قول زياد لبنت معوية وكانت عند ابنه فافتخرت يوما عليه وتطاولت فشكاها الى ابيه زياد فدخل عليها
بالدرة يضربها ويقول اشغرا وفخرا فاما قول الفرزدق

شغارة تقذ الفصيل برجلها ۞ فطارة لقوادم الابكار

فانه من غريب شعره وفسره قال معنى شغارة انها ترفع رجلها للبول وقوله تقذ الفصيل برجلها اي تركله و
تدفعه عن الدنو الى الرضاع ليتوفر اللبن على الحالب واراد بتقذه اي تبالغ في ايلامه وضربه ومنه الموقوذة فاما
قوله فطارة لقوادم الابكار فالفطر هو الحلب بثلاث اصابع والقوادم هي الاخلاف وانما خص الابكار بذلك
لان صغر اخلافها يمنع حلبها ضبا والضب هو الحلب بالاصابع الاربع وكانه لا يمكن فيها العصر لاخلافها الا الفطر
ومعنى البيت تعيير جرير بان نساءه راعيات فذلك مما تعير به العرب النساء الا ترى الى قوله قبل هذا البيت

كم

كم عمة لك يا جرير وخالة ۞ فدعاء قد حلبت علي عشاري
كنا نحاذر ان تضيع لقاحنا ۞ ولها اذا سمعت دعاء يسار

ثم تلا ذلك بقوله شغارة قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وعندي ان قوله شغارة كناية عن رفع
رجليها للزنا ومواثبة بان يكون مراده في هذا الموضع الا ترى انه وصفها بالوله وترك حفظ اللقاح عند
سماعها دعاء يسار ويسار اسم راع فكانه وصفها بالوله الى الزنا والاسراع اليه وترك حفظ ما استحفظته
من اللقاح فالاشبه ان يكون قوله شغارة مع كونه عقيب البيت الذي ذكرناه محمولا على ما اشرنا اليه فاما قوله
ذهبوا شغر بغر فليس من هذا في شيء وانما اراد انهم ذهبوا متفرقين متشتتين ومثله ذهبوا عباديد وعبابيد
وشعاليل وشعارير وابادي سبا كل ذلك بمعنى واحد فاما قوله فاذا هو اجب يعني المقطوع الذكر لان الجب
القطع ومنه بعير اجب اذا كان مقطوع السنام وقد ظن من تاول هذا الخبر ان الامسح هاهنا هو القليل لحم
الالية كالارصع والارسح والازل وهذا غلط لان الوصف بذلك لا معنى له في هذا الخبر وانما اراد تاكيد الوصف
بذلك بانه اجب والمبالغة فيه لان قوله امسح يفيد انه مصطلم الذكر ويزيد على معنى اجب زيادة ظاهرة
اخبرنا ابو عبيد المرزباني قال حدثنا القسم بن الحسين الوراق قال اخبرنا علي بن داود الطوسي قال اخبرنا سوار
بن عبد الله القاضي عن الاصمعي قال دخلت على الرشيد في الليل فتذاكرنا احوال القمر فقلت العرب تقول للقمر
اذا كان ابن ليلة ما انت ابن ليلة قال رضاع سخيلة حل اهلها برميلة قيل ما انت ابن ليلتين قال حديث امتين
بكذب ومين قيل ما انت ابن ثلاث قال قليل اللباث وقيل يقول حديث فتيات غير جد مؤتلفات قيل ما انت
ابن اربع قال عتمة ام اربع وقيل لام الربع غير جائع ولا مرضع قيل ما انت ابن خمس قال عشاء خلفات
قعس وقيل الحديث وانس ويقال سر وبت قيل ما انت ابن ست قال سر وبت قيل ما انت ابن سبع قال دلجة
ضبع وقيل هدي لمن ذي الجمع وقيل يحيز في السبع وقيل يلتقط في الجزع قيل ما انت ابن ثمان قال قمر اضحيان
قيل ما انت ابن تسع قال منقطع الشسع وقيل يلتقط في الجزع وقيل الودع وقيل شيئا هل جمع قيل ما
انت ابن عشر قال ثلث الشهر وقيل محق الفجر وقيل ودك الى الفجر وقيل بادر الفجر قيل ما انت ابن احدى عشرة
قال اطلع عشاء وارى بكرة وقيل واغيب بسحرة قيل ما انت ابن اثنتي عشرة قال موفق البشر في البدو والحضر
قيل ما انت ابن ثلاث عشرة قال قمر باهر يعشى له الناظر قيل ما انت ابن اربع عشرة قال مقتبل الشباب
اضيء مدجنات السحاب وقيل مضيء السحاب قيل ما انت ابن خمس عشرة قال تم الشباب وانقطع الحساب وقيل ما
انت ابن ست عشرة قال نقص الخلق في الغرب والشرق قيل ما انت ابن سبع عشرة قال امكنت المقتفر القفرة
قيل ما انت ابن ثمان عشرة قال قليل البقاء سريع الفناء قيل ما انت ابن تسع عشرة قال بطيء الطلوع بين الخشوع

قيل ما انت ابن عشر قال اطلع سحيرة واقضي بالبهرة وقيل واجي بالبهرة قيل ما انت ابن احدى وعشرين
قال اطلع كالقبس يرى بالغلس قيل ما انت ابن اثنتين وعشرين قال لا اطلع الا ريث ما ارى قيل ما
انت ابن ثلاث وعشرين قال اطلع في قتمة ولا اجلو الظلمة قيل ما انت ابن اربع وعشرين قال لا قمر
ولا هلال قيل ما انت ابن خمس وعشرين قال دنا الاجل وانقطع الامل قيل ما انت ابن ست وعشرين
قال دنا ما دنا فما يرى مني الا ما سنا قيل ما انت ابن سبع وعشرين قال اطلع بكرا ولا ارى ظهرا قيل
ما انت ابن ثمان وعشرين قال اسبق شعاع الشمس قيل ما انت ابن تسع وعشرين قال ضئيل صغير فلا
يراني الا البصير قيل ما انت ابن ثلاثين قال هلال مستبين قال المبرد ثم قلت للرشيد يقال انه لا
يحفظ هذا الحديث الا رجل عاقل قال خذه علي قلت هات فاعاده حتى بلغ قيل ما انت ابن ثمان قال
قمر اضحيان واما قوله رضاع سخيلة اراد تصغير سخلة والمعنى ان القمر يبقى بقدر ما ينزل قوم فتنتج شاتهم
ثم ترضعها ويرحلون فبقاؤه بقدر هذا الزمان وقوله حل اهلها برميلة اظن ان المعنى فيه الاخبار
عن قلة اللباث وسرعة الانتقال لان الرمل ليس بمنزل مقام للقوم لانهم كانوا يختارون في منازلهم صلب
الارض وهضبها والاماكن التي لا يستولي عليها السيول فخص الرملة لهذا المعنى وقوله حديث امتين
بكذب ومين يريد ان بقاؤه قليل بقدر ما يلتقي الامتان فتكذب لصاحبتها ثم يفترقان وقوله حديث
فتيات غير جد مؤتلفات اراد انه يبقى بقدر فتيات اجتمعن على غير جد فتحدثن ساعة ثم افترقن غير
مؤتلفات وقوله عتمة ام ربع يقال عتمت بلد اذا تاخرت عن العشا ومن هذا سميت صلوة العتمة لانها
اخر الوقت في العشا وقوله ام ربع يعني الناقة وهو تاخر حلبها يريد ان بقاءه بمقدار حلب ناقة لها
ولد ولدته في اول الربيع وهو اول النتاج والولد في هذا الوقت يسمى ربعا اذا كان ذكرا فان كان انثى قيل
ربعة فان كان في اخر النتاج قيل هبع للذكر وللانثى هبعة وقوله عشاء خلفات قعس فالخلفات اللواتي قد
استبان حملهن واحدتها خلفة وهي واحدة المخاض ولا واحدة للمخاض من لفظها وانما قال عشاء خلفات
لانها لا تعشى الى ان يغيب القمر في هذه الليلة والعشا الداخل الظلام الخارجة الدلو وقوله سير وبيت يريد انه
لا يبقى الا بقدر ما يبيت الانسان ثم يسير يريد انه يبقى بقدر ما يسير الانسان ثم يبيت فقلب المعنى لانه يسير في الضوء
وقوله قمر اضحيان اي ضاح باهر ويقال قمر اضحيان بالتنوين فيهما وقمر اضحيان بالاضافة ومنه قيل ليلة
اضحيانة اذا كانت نقية البياض وقوله منقطع الشسع اي انه يبقى بقدر ما يبقى شسع من قد يمشي به حتى ينقطع
وقوله ملتقط الجزع اي انه يبقى بقدر ما لو انقطعت مخنقة فتاة فيها شذر مفصل بجزعها ضاع منها في
لقاطه ونقائه وقوله ارى بالبهرة يعني وسط الليل لان بهرة الشيء وسطه وقوله اكنت المفتقر الفقرة

فالمفتقر

فالمفتقر الذي يتبع الاثار وفقرته موضعه الذي **مجلس سابع تاويل اية** ان سال سائل عن قوله تعالى ومن
كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا فقال كيف يجوز ان يكونوا في الاخرة عميا وقد تظاهر
الخبر عن الرسول صلعم ان الخلق يحشرون كما بدئوا سالمين من الافات والعاهات وقال تعالى كما بداكم تعودون
وقال تعالى كما بدانا اول خلق نعيده وقال عز وجل فبصرك اليوم حديد الجواب يقال له في هذه الاية
اربعة اوجه احدها ان يكون العمى الاول انما هو عن تامل الايات والنظر في الدلالات والعبر التي اراها
الله تعالى المكلفين في انفسهم وفيما يشاهدون ويكون العمى الثاني هو عمى الايمان بالاخرة والاقرار
بما يجازي به المكلفون فيها من ثواب وعقاب وقد قال قوم ان الاية متعلقة بما قبلها من قوله تعالى
ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الى قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في
البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ثم قال تعالى بعد ذلك ومن
كان في هذه اعمى يعني في هذه النعم وعن هذه العبر فهو في الاخرة اعمى اي عما هو غيب عنه من امر الاخرة
اعمى ويكون قوله تعالى كناية عن النعم لا عن الدنيا ويقال ان ابن عباس رحمه الله ساله سائل عن هذه
الاية فقال اتل ما قبلها وتنبه على التاويل الذي ذكرناه الجواب الثاني من كان في هذه يعني الدنيا
اعمى عن الايمان بالله تعالى والمعرفة بما اوجب عليه المعرفة به فهو في الاخرة اعمى عن الجنة والثواب بمعنى انه
لا يهتدي الى طريقهما ولا يوصل اليهما او لفقد الحجة اذا سئل ووقف ومعلوم ان من ضل عن معرفة الله تعالى
والايمان يكون يوم القيامة منقطع الحجة مفقود المعاذير والجواب الثالث ان يكون العمى الاول عن المعرفة
والايمان والثاني بمعنى المبالغة عن علم ما ينال هؤلاء الكفار الجهال بالله تعالى من الخوف والغم والحزن
الذي ازاله الله تعالى عن المؤمنين العارفين بقوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومن عادة العرب ان تسمي من
اشتد همه وقوي حزنه بانه اعمى سخين العين ويصفون المسرور بانه قرير العين قال الله تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون. والجواب الرابع ان يكون العمى الاول عن الايمان
والثاني هو الافة في العين على سبيل العقوبة كما قال تعالى ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى
وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ومن يجيب بهذا الجواب يتاول
قوله تعالى كما بدانا اول خلق نعيده على ان المعنى فيه الاخبار عن الاقتدار وعدم المشقة في الاعادة كما
انها معدومة في الابتداء ويجعل ذلك نظير القوله تعالى وهو الذي يبدا الخلق ثم يعيده وهو اهون
عليه ويتاول قوله تعالى فبصرك اليوم حديد على ان معناه الاخبار عن قوة المعرفة وان الجاهل بالله تعالى
في الدنيا يكون عارفا به في الاخرة والعرب تقول فلان بصير بهذا الامر وزيد ابصر بكذا من عمرو ولا

يريدون ابصار العين بل العلم والمعرفة ويشهد بهذا التاويل قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد اي كنت غافلا عما انت الان عارف به فلما انكشفنا عنك الغطا بان اعلمناك وفعلنا في قلبك المعرفة عرفت وعلمت فاما العمى الذي يدعي دوامه فهو جزو واحد ولا حجة في مثله واذا عرف لفظه ربما امكن تاوله على ما يطابق الجواب ومن يذهب الى الاجوبة الاول يحمل العمى الاول والثاني معا على الآفة في العين فان عورض بقوله تعالى ونحشره يوم القيامة اعمى تاوله على العمى عن الثواب وعن الجنة وقال في قوله تعالى لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا معناه انك كنت بصيرا في اعتقادي وظني من حيث كنت ارجو الهداية الى الثواب وطريق الجنة والحاصل من هذه الجملة انه لا يجوز ان يراد بالعمى الثاني والعمى الاول جميعا الآفة في العين لانه يؤدي الى ان كل من فقد البصر في الدنيا من مؤمن وكافر وطائع وعاص يكون كذلك في الآخرة وهذا باطل ومثله يبطل ان يريد بلفظة اعمى الثانية المبالغة بمعنى افعل من كذا لانه يبطله ايضا ان العمى هو الخلقة عن الثواب والجنة لانا نعلم ان من عميت عينه في الدنيا يستحق الثواب ويوصل اليه ولا يجوز ان يراد بالاول والثاني العمى عن المعرفة والايمان لا على طريق المبالغة والتعجب ولا غير ذلك لانا نعلم ان الكفار بالله المعرضين بالدنيا عن معرفته لا يجوز ان يكونوا في الآخرة كذلك فضلا عن ان يكونوا على ابلغ من هذه الحال لان المعارف في الآخرة ضرورية يشترك فيها جميع الناس فلم يبق بعد الذي ابطلناه الا ما دخل في الاجوبة المتقدمة لانه لا اذا اريد باعمى الثانية المبالغة والتعجب كان في موضعه لان عمى القلب ضلاله يتعجب منه بلفظ افعل وان لم يجز ذلك في عمى الجارحة ولمن اجاب بالجواب الرابع ان لا يحمل قوله وهو في الآخرة اعمى لفظ تعجب بل يجعله اخبارا عن عماه من غير تعجب وان عطف عليه بقوله تعالى واضل سبيلا ويكون تقدير الكلام ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا فان قيل ولم انكرتم التعجب من الخلق بلفظ افعل قلنا قد قال النحويون في ذلك الالوان والعيوب لا يتعجب منها بلفظ التعجب وانما يعدل فيها الى اشد واظهر وما جرى مجراهما قالوا لان الالوان والعيوب قد صارت كالاسماء وصارت مستقرة كاليد والرجل ونحو ذلك فلا يقال ما اسوده واعوره كما لا يقال ما اياه وارجله ويقال ما اشد سواده كما يقال ما اشد يده ورجله وقالوا بعلة اخرى قالوا ان الفعل من الالوان والعيوب يأتي على افعل وافعال نحو احمر واعور واحول واحوال والتعجب لا يدخل فيما زاد على ثلاثة احرف من الافعال الا ترى انه لا يدخل في انطلق واستخرج ودحرج لزيادته على ثلاثة احرف فان قيل لهم قد قالوا عور يعور وحول قالوا هذا منقول عن افعل وهو في الحكم زائد على ثلاثة احرف بدلالة ذلك صحة الواو فيه كما صحت في اسود وابيض ولولا انه منقول عنه لاعتلت الواو فقلت عارت وحالت كما قيل خاف وهاب وحكى الفراء في ذلك جوابا اخر وهو ان افعل في التعجب زيادة على وصف مثلا اذا قال القائل افضل واجمل فهو زيادة في الوصف

الوصف من الفضل فاضل وجميل فلم يقولوا ما ابيض زيدا لئلا يسقط التزيد ولا يكون قبل ابيض وصف يزيد ابيض عليه يخالف لفظه لفظه كما خالف افضل واجمل فاضلا وجميلا فلما فاتهم في ابيض واحمر علم الزائد دخلوا عليه ما يتبين الزيادة فيه فقالوا ما اظهر حمرة زيد وما اشد سواد عمرو ولان اظهر يزيد على ظاهر واشد يزيد على شديد وللجواب الاول ان التعجب مبني على زيادة علمه ان في قولهم عالم وعليم لم يبلغ في التناهي مبلغ اعلم ولم يقولوا ما ابيض زيد لان البياض لا ياتي منه زيادة بعد نقص فعدلوا الى التعجب باشد وابين وما جرى مجراهما وهذا الجواب ليس بسديد لان الالوان قد تتناهى فيها الزيادة بعد نقص وقد يدخلها المفاضلة الا ترى ان ما حله قليل اجزاء البياض يكون انقص حالا في البياض مما حله الكثير من الاجزاء والاول الذي حكيناه عن الفراء اصوب وان كان ما قدمناه عن البصريين هو المعتمد وقد انشد بعضهم معترضا على ما ذكرناه قول الشاعر

يا ليتني مثلك في البياض ۞ ابيض من اخت بني اباض

وانشد ايضا قول الشاعر

اما الملوك فانت اليوم الأمهم ۞ لؤما وابيضهم سربال طباخ

فاما البيت الاول فان ابا العباس المبرد حمله على الشذوذ وقال ان الشاذ النادر لا يطعن في المعول عليه المتفق على صحته ويجوز ان يقال ايضا في البيت الثاني مثل ذلك وقد قيل في البيت الثاني ان ابيض فيه ليس هو للمفاضلة وانما هو افعل الذي مؤنثه فعلاء كقولك ابيض وبيضاء ويجري ذلك مجرى قولهم هو احسن الناس وجها وشريفهم خلقا فكان قول الشاعر ومبيضهم فلما اضافه انتصب ما بعده لتمام الاسم وهذا احسن من حمله على الشذوذ ويمكن فيه وجه آخر وهو ان يريد في البيت وان كان في الظاهر اخبارا عن اللؤم والبخل يحمل لفظ التعجب على المعنى دون اللفظ ولو اراد بابيضهم بياض الثوب ونقاه على الحقيقة لما جاز ان يتعجب بلفظة افعل فالذي حسن تعجبه بهذه اللفظة ما ذكرناه فاما قول المتنبي

ابعد بعدت بياضا لا بياض له ۞ لانت اسود في عيني من الظلم

فقد قيل فيه ان قوله لانت اسود في عيني كلام تام ثم قال من الظلم اي من جملة الظلم كما يقال حر من الاحرار ولئيم من اللئام اي من جملتهم وقال الشاعر

وابيض من ماء الحديد كانه ۞ شهاب بدا والليل داج عساكره

فكانه قال وابيض كائن من ماء الحديد وقوله من ماء الحديد وصف لابيض وليس يتصل به كما تتصل من بافضل في قولك هو افضل من زيد ولفظة من في بيت المتنبي مرفوعة الموضع بانها وصف لاسود واذا اريدت للمفاضلة والتعجب كانت منصوبة الموضع باسود كما تقول زيد خير منك فمنك في موضع نصب بخير كانه قال قد خارك بخير اي فضل في الخير هذا التاويل المذكور في بيت المتنبي يمكن ان يقال في قول الشاعر ابيض من اخت

بين ابيض ويحمل على انه من جملتها ومن قومها ولم يرد التعجب وتاوله على هذا الوجه اولى من حمله على الشذوذ
فاما قول المتنبي ابعد بعدت بياضا لا بياض له والمعنى الظاهر للناس فيه انه اراد لا ضيا له ولا نور
ولا اشراق من حيث كان حلوله محزنا مؤذنا بتقضي الاجل وهذا المعنى معنى ظاهر الا انه يمكن فيه معنى اخر
وهو ان يريد انك بياض لا لون بعده لان البياض اخر الالوان للشعر فجعل قوله لا بياض له بمنزلة قوله لا
لون بعده وانما سوغ ذلك له ان البياض هو الذي بعد السواد فلما نفى ان يكون للشيب بياض كان نفيا
لان يكون بعده لون وقد اختلف القراء في فتح الميم وكسرها من قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في
الاخرة اعمى فقرا ابن كثير ونافع وابن عامر بفتح الميمين معا وقرا عاصم في رواية ابي بكر وحمزة والكسائي
بكسر الميم فيهما معا وفي رواية حفص عن عاصم لا يكسرهما وكسر ابو عمرو الاولى وفتح الاخرة ولكل وجه
اما من ترك الامالة للجميع فوجه قوله انه ينحي بالالف نحو الياء ليعلم انها تنقلب الى الياء واما قراءة ابي عمرو بامالة
الاولى وفتح الثانية فوجه قوله انه جعل الثانية افعل كذا مثل افضل من فلان واذا جعلها كذلك لم يقع الالف
في اخر الكلمة لان اخرها انما هو من كذا وانما تحسن الامالة في الاواخر وقد حذف من افعل الذي هو للتفضيل
الجار والمجرور جميعا وهما مرادان في المعنى مع الحذف وذلك نحو قوله تعالى فانه يعلم السر واخفى من السر
فكذلك قوله تعالى وهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا اي اعمى منه في الدنيا واعمى من غيره ويقوي هذه الطريقة
ما عطف عليه من قوله تعالى واضل سبيلا فكما ان هذا لا يكون الا على افعل من كذا كذلك المعطوف عليه
تاويل خبر روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تقيء الارض افلاذ كبدها مثل الاسطوان من الذهب
والفضة فيجي القاتل فيقول في هذا قتلت ويجي القاطع للرحم فيقول في هذا قطعت رحمي ويجي السارق
فيقول في هذا قطعت يدي ثم يتركونه ولا ياخذون منه شيئا معنى تقيء تخرج ما فيها من الذهب والفضة
وذلك علامات قرب الساعة وقوله عليه السلام تقيء تشبيه واستعارة من حيث كان اخراجا واظهارا وكذلك
تسميته عليه السلام ما في الارض من كنوز كبدا تشبيها بالكبد الذي في بطن البعير وغيره وفي هذا للعرب مذهب
معروف قال مرة بن محكان السعدي يصف قدرا للاضياف

لها ازيز يزيل اللحم ازملة * عن العظام اذا ما استحمشت غضبا
ترمي الصلاء بنبل غير طائشة * وفقا اذا انست من تحتها لهبا

فوصفها بالغضب تشبيها واستعارة واما الازيز فالغليان والعرب تقول للجوف ازيز مثل ازيز المرجل
والازمل الصوت واستحمشت اي غضبت يقال حمشته اذا اغضبته وقال النابغة الجعدي في معنى [illegible]
سالتني عن اناس هلكوا * شرب الدهر عليهم واكل * فوصف الدهر بالشرب والاكل تشبيها واستعارة

واستعارة وقال قوم معنى البيت شرب اهل الدهر بعدهم واكلوا واختلف اهل اللغة في الافلاذ فقال
يعقوب بن السكيت الفلذ لا يكون الا للبعير وهي قطعة من كبده ولا يقال فلذ الشاة ولا فلذ البقرة ويقال
اعطني فلذا من الكبد وفلذة من الكبد وقال اعشى باهلة

يكفيه حزة فلذ ان الم بها * من الشواء ويروي شربه الغمر

والغمر القدح الصغير قال يعقوب ولا يقال اعطني حزة من سنام ولا من لحم انما الحز في الكبد خاصة فاذا اراد
ذلك من السنام واللحم قالوا اعطني حزية من لحم وحزة من لحم وهي القطعة الصغيرة وفلقة من سنام قال الطوسي
عن ابي عبيد عن الاصمعي يقال اعطني خزية من لحم وحزة من لحم اذا كانت مقطوعة طولا فاذا كانت مجتمعة قلت اعطني
بضعة من لحم وهبرة من لحم ووذرة ومثل هذا الحديث قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها معناه اخرجت ما فيها من
الكنوز وقال قوم عني به تعالى الموتى وانها اخرجت موتاها وسمي تعالى الموتى ثقلا تشبيها بالحمل الذي في
البطن لان الحمل يسمى ثقلا قال الله تعالى فلما اثقلت والعرب تقول ان السيد الشجاع ثقل على الارض فاذا مات
سقط عنها بموته ثقل لسودده وشرفه وقال قوم معنى زينت موتاها وهو ماخوذ من الحلية وقال
الشمردل اليربوعي يرثي اخاه * وحلت به اثقالها الارض وانتهى * لمثواه منها وهو عف شمايله *
وروى ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب قال قال زهير بن ابي سلمى المزني بيتا ثم اكدى فمر به النابغة
الذبياني فقال له يا ابا امامة اجز فقال ماذا قلت

تراك الارض اما مت خفا * وتحيى ما حييت بها ثقيلا *

نزلت بمستقر العز منها * فاذا اكدى والله النابغة واقبل كعب بن زهير وهو غلام فقال له ابوه اجز يا بني
قال وما ذا فانشده البيت الاول ومن الثاني نزلت بمستقر العز منها فقال كعب فتمنع جانبيها ان تزولا *
فقال زهير انت والله ابني وانما خص الكبد من بين ما تشتمل عليه البطن لانه من اطايب الجزور والعرب تقول
الجزور السنام والملحاء والكبد قال الشريف المرتضى رضي الله عنه واني لاستحسن قول الخنساء
وقد قيل لها انما مدحت اخاك حتى هجوت اباك فقالت

جارى اباه فاقبلا وهما * يتعاوران ملاءة الحضر *
حتى اذا نزت القلوب وقد * لزت هناك العذر بالعذر *
وعلا هتاف الناس ايهما * قال المجيب هناك لا ادري *
برزت صحيفة وجه والده * ومضى على غلوائه يجري *

اولى فاولى ان يساويه لولا جلال السن والكبر * وهما كانهما وقد برزا * صقران قد حطا الى وكر *

ويقال انه قيل لابي عبيدة ليس هذه الابيات في مجموع شعر الخنسا فقال ابو عبيدة العامة اسقط ان يجاد عليها بمثل هذا ولعمري انها قد بلغت في مدح اخيها من غير ان تزري على ابيها النهاية لانها جعلت تقدم ابيه له عن قدرة منه على المساواة وعن تقصير منه وانما افرج له عن السبق معرفة لحقه وتسليما لكبره وسنه وكان الخنسا نظرت في هذا المعنى الى قول زهير

فشج بها الاماعز وهي تهوي * هوي الدلو اسلمها الرشاء
وليس لحاقه كلحاق الف * ولا كنجائها منها نجاء
يقدمه اذا اختلفت عليها * تمام السن منه والذكاء

ويشبه ايضا قول الكميت اخر قوله في مخلد بن يزيد بن المهلب قول الخنسا

ما ان راى كابيك ادرك شاوه * احد ومثلك طالبا لم يلحق
يجاريان له فضيلة سنه * وتلوت بعد مصليا لم تسبق
ان تدركاه وله فضيلة سبقه * فبمثل هذا وابيك لم يتعلق
ولئن لحقت به على ما قد مضى * من بعد غايته فانجح ملحق

ويشبه هذا المعنى قول المومل بن اميل الكوفي يمدح المهدي في حياة المنصور

لئن فت الملوك وقد توافوا * اليك من السهولة والوعور
لقد فات الملوك ابوك حتى * بقوا من بين كاب او حسير
وجئت وراءه تمشي حثيثا * وما بك حين تجري من فتور
فقال الناس ما هذان الا * بمنزلة الخليق من الجدير
فان سبق الكبير فاهل سبق * له فضل الكبير على الصغير
وان بلغ الصغير مدى كبير * فقد خلق الصغير من الكبير

ومن هذا المعنى قول الشاعر * جياد جرت في حلبة فتفاضلت * على قدر الاسنان والعرق واحد

ومما يشبه هذا المعنى بعض الشبه وان لم يذكر فيه السن وتفضيل الكبر قول زهير

هو الجواد فان يلحق بشاوهما * على تكاليفه فمثله لحقا
او يسبقاه على ما كان من مهل * فمثل ما قدما من صالح سبقا

وروي انه عرضت على جعفر بن يحيى البرمكي جارية شاعرة فاراد ان يبلوها فقال لها قولي في معنى بيتين هم اللذين ذكرناهما فقالت * بلغت او كدت تحكي او لحقت به * فلتما خالدا في حال مستبق *
لئن مضى وتلى يحيى وانت له * تال لعلك دون الركض بالعنق

ومن

ومن احسن ما قيل في المساواة والمقاربة وهو داخل في هذا المعنى ومناسب له قول شاد بن شبل

اذا اخترت من قوم خيارا خيارهم * فكل بني عبد المدان خيار
جروا بعنان واحد فضل بينهم * فان قيل قد فاتوا العذار حذار

وقال الكميت * مصل ابوه له سابق * بان قيل فات العذار العذار * ومثله قول الخنسا وهو حسن جدا * كما تقاذف جرد في اعنتها * سبقا باذانها مرا وبالعذر *

واول من سبق الى هذا المعنى زهير في قوله يصف مطاردة البازي للقطاة ومقاربته لها

دون السماء وفوق الارض قدرهما * عند الذنابى فلا فوت ولا درك

وقد لحظ ابو نواس من هذا المعنى في قوله يمدح الفضل بن الربيع ويذكر مقاربته لابيه في المجد والسودد

تم جري الفضل فاستوى قدما * دون مداه من غير ترهيق
فقيل راشا سهمين في ذنبه * الغاية والفضل سابق الفوق

ويشاكل ذلك قول البحتري في ابي سعيد الثغري

جد لجد ابي سعيد انه * ترك السماك كانه لم يشرف
قاسمته اخلاقه وهي الردى * للمعتدي وهي الندى للمعتفي
واذا جرى من غاية وجريت من * اخرى التقى شاواكما في المنصف

ويشبهه ايضا قوله * واذا رايت شمائل ابني صاعد * ادت اليك شمائل ابني مخلد
كالفرقدين اذا تامل ناظر * لم يعل موضع فرقد عن فرقد

فاما قول الخنسا يتعاوران ملاءة الحضر وهي تعني بالملاءة الغبار فان عدي بن الرقاع كانه نظر اليها في قوله يصف حمارا واتانا * يتعاوران من الغبار ملاءة * بيضاء محدثة هما نسجاها
تطوى اذا وطئا مكانا جاسيا * واذا السنابك سهلت نشراها

وهذا المعنى وان كان معنى الخنسا بعينه فقد زاد في استيفائه عليها زيادة ظاهرة صار من اجلها بالمعنى احق بها وقد ابتدا بهذا المعنى رجل من بني عقيل فقال قصيدة

يثيران من نسج الغبار عليهما * قميصين اسمالا ويرتديان

مجلس تاسع

تاويل اية * ان سال سائل عن قوله تعالى وجاءو على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون * فقال كيف وصف الدم بانه كذب والكذب من صفات الاقوال لا من صفات الاجسام واي معنى لوصفه الصبر بانه جميل ومعلوم ان صبر يعقوب عليه السلم على فقد ابنه عليه السلم

لا يكون الا جميلا ولم ارتفع الصبر وما المقتضي لرفعه فالجواب يقال لذا ما كذب فمعناه مكذوب فيه وعليه مثل قولهم هذا ما يسكر وشراب صب يريدون مسكوبا ومصبوبا ومثله ماء غور ورجل صوم وامراة نوح قال الشاعر

❊ تظل جيادهم نوحا عليهم ❊ مقلدة اعنتها صفونا ❊

اراد نائحة عليهم ومثله مال فلان معقول يريدون عقلا وما له على هذا الامر مجلود يريد تجلدا قال الشاعر

❊ حتى اذا لم يتركوا لعظامه ❊ لحما ولا لفؤاده معقولا ❊

وانشد ابو العباس ثعلب

❊ قد والذي سمك السما بقدره ❊ بلغ العزاء وادرك المجلود ❊

وقال الفرا وغيره يجوز في النحو بدم كذبا بالنصب على المصدر لان جاءوا فيه معنى كذبوا كذبا كما قال الله عز وجل والعاديات ضبحا على المصدر لان العاديات بمعنى الضابحات والمكان دما مكذوبا فيه لان اخوة يوسف ذبحوا سخلة ولطخوا قميص يوسف وجاءوا اباهم عليه السلم بالقميص وادعوا اكل الذيب له فقال لهم يعقوب يا بني لقد كان هذا الذيب رفيقا حين اكل ابني ولم يخرق قميصه قالوا بل قتله اللصوص قال عليه السلم كيف قتلوه وتركوا قميصه وهم الى قميصه احوج منهم الى قتله وقد قيل انه كان في قميص يوسف ثلث ايات حين قد من دبر وحين القي على وجه ابيه فارتد بصيرا وحين جاءوا عليه بدم كذب فتنبه ابوه على ان الذيب لو اكله لخرق قميصه واما وصف الصبر بانه جميل فلان الصبر قد يكون جميلا اذا قصد به وجه الله تعالى وفعل للوجه الذي وجب فلما كان في هذا الموضع واقعا على الوجه المحمود صح وصفه بذلك وقد قيل انه تعالى اراد صبرا لا شكوى فيه ولا جزع ولو لم يصفه بذلك لظن مصاحبة الشكوى والجزع له واما ارتفاع قوله تعالى فصبر جميل فقد قيل ان المعنى فشاني صبر جميل والذي اعتقده صبر جميل وقال قطرب معناه فصبري صبر جميل وانشد

شكا الي جملي طول السرى ❊ يا جملي ليس الي المشتكى ❊
صبر جميل فكلانا مبتلى ❊

معناه فليكن منك صبر جميل وقد روي في قراة ابي فصبرا جميلا بالنصب وذلك يكون على الاغرا والمعنى فاصبري يا نفس صبرا جميلا قال ذو الرمة

❊ الا انما مي فصبرا بلية ❊ وقد يبتلى الحر الكريم فيصبر ❊

وقال اخر

❊ ابى الله ان تبقى لحي بشاشة ❊ فصبرا على ما شاءه الله اصبرا ❊

[illegible] الحديث ان قيس بن عاصم قال اتيت رسول الله صلى الله عليه فقال هذا سيد اهل الوبر فقلت يا رسول الله ما المال الذي ليست علي فيه تبعة من طالب ولا ضيف فقال عليه السلم نعم المال اربعون والكثر

والكثر ستون وويل لاصحاب المئين الا من اعطى الكريمة ومنح الغزيرة ونحر السمينة فاكل واطعم القانع والمعتر وفي رواية اخرى الا من اعطى من رسلها واطرق فحلها وافقر ظهرها ومنح غزيرها واطعم القانع والمعتر فقلت يا رسول الله ما اكرم هذه الاخلاق واحسنها انه لا يحل بالوادي الذي فيه ابلي من كثرتها قال فكيف تصنع في العطية قلت اعطي البكر واعطي الناب قال فكيف تصنع في المنحة قلت اني لامنح المائة قال فكيف تصنع في الطروقة قال يغدو الناس بابلهم فلا يوزع رجل من جمل يختطمه فيمسكه ما بدا له حتى يكون هو الذي يرده وفي الرواية الاخرى قال فكيف تصنع في الاطراق قلت يغدو الناس فمن شاء ان ياخذ براس بعير ذهب به قال فكيف تصنع بالافقار قلت اني لافقر الناب المدبرة والضرع الصغيرة قال فكيف تصنع في المنحة قلت اني لامنح السنة المائة قال فمالك احب اليك ام مال مواليك قلت لا بل مالي قال فان مالك ما اكلت فافنيت او اعطيت فامضيت وفي الرواية الاخرى ولبست فابليت وسائره لمواليك قلت لا جرم والله لان رجعت لاقلن عددها فلما حضره الموت جمع بنيه فقال يا بني خذوا عني فانكم لن تاخذوا عن احد هو انصح لكم مني لا تنوحوا علي فان رسول الله صلعم لم ينح عليه وقد سمعته ينهى عن النياحة وكفنوني في ثيابي التي كنت اصلي فيها وسودوا اكابركم فانكم اذا سودتم اكابركم لم يزل لابيكم فيكم خليفة واذا سودتم اصاغركم هان اكابركم على الناس وزهدوا فيكم واصلحوا عيشكم فان فيه غنا عن طلب الناس واياكم والمسئلة فانها اخر كسب المرء واذا دفنتموني فاخفوا قبري عن بكر بن وايل فقد كانت بيننا خماشات في الجاهلية فلا امن سفيها منهم ان ياتي امرا يدخل عليكم عيبا في دينكم اما قوله الكثر ستون فمعناه الكثير يقول العرب نسال الله الكثر ونعوذ به من القل اي نسال الكثير ونعوذ به من القليل

قال الشاعر ❊ فان الكثر اعياني قديما ❊ ولم افتقر لدن اني غلام ❊
وقال اخر ❊ وقد يقصر القل الفتى دون همه ❊ وقد كان لولا القل طلاع انجد ❊

والكريمة يعني بها كرائم ماله والمنح الغزيرة اي اعطيها من يحلبها ويردها ومن ذلك الحديث العارية مؤداة والمنحة مردودة والدين مقضي والزعيم غارم فالمنحة الناقة او الشاة يدفعها الرجل الى من يحلبها وينتفع بها ثم يردها عليه والزعيم الكفيل ويقال للكفيل القبيل والصبير والحميل ومنه قوله تعالى وانا به زعيم

قال الشاعر ❊ فلست بآمر فيها بسلم ❊ ولكني على نفسي زعيم ❊
وقال اخر ❊ قلت كفي لك رهن بالوفا ❊ فازعمي يا هند قالت قد وجب ❊

معناه فاكفلي وروي فاقبلي من القبيل الذي هو الكفيل ايضا وقال الفرا القانع هو الذي ياتيك فيسالك فان اعطيته قبل والمعتر هو الذي يجلس عند الذبيحة ويمسك عن المسئلة فكانه يعرض بالمسئلة ولا يصرح بها يقال قنع الرجل قناعة اذا رضي وقنع قنوعا اذا سال فاما قوله لا جرم فقال قوم معنى جرم كسب وقالوا

في قوله تعالى لا جرم ان لهم النار ان لا رد على الكفار ثم ابتدا تعالى فقال لا جرم ان لهم النار يعني كسب قولهم ان لهم النار وقال الشاعر

نصبنا راسه في راس جذع   بما جرمت يداه وما اعتدينا

اي بما كسبت وقال اخرون معنى جرم حقا وتاول الآية بمعنى حق قولهم ان لهم النار وانشدوا

ولقد طعنت ابا عيينة طعنة   جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا

اي حققت فزارة وروى الفراء فزارةَ بالنصب على معنى كسبت الطعنة فزارة الغضب وقال الفراء لا جرم في الاصل مثل لابد ولا محالة ثم استعملته العرب في معنى حقا وجاءت فيه بجواب الايمان فقالوا لا جرم لاقومن كما قالوا والله لاقومن وفيها لغات لا جرم ولا جُرم بضم الجيم وتسكين الراء ولا جر بحذف الميم ولا ذا جرم قال الشاعر

ان كلابا والذي لا جرمُ   لاهدرنّ اليوم هدرا في النعم
هدر المعنّى ذي الشقاشيق اللهِم

والناب الناقة الهرمة وجمعها نيب ومثلها الشارف قال الشاعر

لا افادوا الدهر انكيهم بابهم عير   ما جرجرت النيب لو جئت الى بلد

ويقال للبعير اذا كبر عود والانثى عودة قال الشاعر

عودٌ على عودٍ من القدم الاول   يموت بالترك ويحيى بالعمل

وهذا من ابيات المعاني ومعناه بعير عودٌ على طريق عودٍ اي متقادم ويسمى الطريق بانه عود لتقادمه تشبيها بالبعير وقوله يموت بالترك ويحيى بالعمل اراد انه اذا سلك وطرق ظهرت اعلامه ووضحت طرقه فاهتدى سالكه لسلوكه ولم يضل عن قصده فكان هذا كالحياة له واذا لم يسلك طمست اثاره وماتت وامحت معالمه فلم يهتد فيه راكب لقصده وكان ذلك كالموت له فاما الخماشات فهي الجنايات والجراحات قال ذو الرمة يذكر الحمار والاتن

رباع لها مذ اورق العود عنده   خماشات ذحل ما يراد امتثالها

يريد بقوله ما يراد امتثالها اي ما يراد اقتصاصها يقال امثلني من هذا الرجل واقدني واقصني بمعنى واحد فاما قوله لا يورع رجل اي لا يمنع ولا يحبس يقال ورعت الرجل توريعا اي منعته وكففته والورع هو الرجل المتحرج المانع نفسه مما تدعو اليه يقال ورُع الرجل ورعًا وورعة قال لبيد

الم يوم هامتي مقزعة   لا تمنع الفتيان من حسن الرعة

ويقال ما ورع ان فعل كذا وكذا اي ما كذب فاما الورع بالفتح فهو الجبان. واما الطروقة التي حان لها ان تطرق وهي الحقة وقوله في الرواية الاخرى الا من اعطى من رسلها فالرسل اللبن والافقار هو ان يركبها الناس ويحملهم على ظهرها ماخوذ من فقار الظهر والاطراق للفحل هو ان يبذله لمن ينزيها على اناث ابله وذكر الاطراق في هذه الرواية احب الي من الطروقة لانه قد تقدم من قوله انه يعطي الناب والبكر والضرع والمائة فلا معنى لاعادة

لاعادة ذكر الطروقة وقوله في الخبر يغدوا الناس لا يوزع رجل عن جمل يخطمه يمسكه ما بدا له ثم يرده لا يحتمل غير الاطراق ولا يليق بمعنى الطروقة وكان قيس بن عاصم شريفا في قومه حليما وكان يكنى ابا علي وكان الاحنف بن قيس يقول انما تعلمت الحلم من قيس بن عاصم اتي بقاتل ابنه فقال رعبتم الرجل واقبل عليه فقال يا بني نقصت عددك واوهنت ركنك وفتت في عضدك واشمت عدوك واسات بقومك خلوا سبيله وما حل حبوته ولا تغير وجهه وقال ابن الاعرابي قيل لقيس بن عاصم بماذا سدت قال ببذل الندى وكف الاذى ونصر المولى وذكر المدايني قال كان قيس بن عاصم يقول لبنيه اياكم والبغي فما بغى قوم قط الا ذلوا وقلوا وكان الرجل من بنيه يظلمه بعض قومه فينهى اخوته عن ان ينصروه وقيس بن عاصم هو الذي حفز الحوفزان بن شريك الشيباني فطعنه في يوم جدود فسمي الحوفزان وقال سوار بن حيان المنقري

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة   سقته نجيعا من دم الجوف اشكلا
وحمران قسرا انزلته رماحنا   يعالج غلا في ذراعيه مقفلا

وفي يوم جدود يقول قيس بن عاصم

جزا الله يربوعا باسوء فعلها   اذا ذكرت في النائبات امورها
ويوم جدود قد فضحتم ذماركم   وسالمتم والخيل تدمى نحورها
ستحطم سعد والرباب انوفكم   كما حز في انف القضيب جريرها

القضيب الناقة والمقضبة الصعبة وفي قيس بن عاصم يقول عبدة بن الطبيب

عليك سلام الله قيس بن عاصم   ورحمته ما شاء ان يترحما
سلام امرئ جللته منك نعمة   اذا زار عن شحط بلادك سلما
فما كان قيس هلكه هلك واحد   ولكنه بنيان قوم تهدما

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ذاكرني بعض الاصدقاء بقول ابي دهبل الجمحي وهو يعني ناقته

وابرز بها بطحاء مكة بعدما   اصات المنادي بالصلوة فاعتما

وسالني اجازة هذا البيت بابيات تنضم اليه ولجعل الكناية فيها كناية عن امراة لا عن ناقة ففعلت في الحال

فطيبت رياها المقام وضوأت   باشراقها بين الحطيم وزمزما
فيارب ان لقيت وجها تحية   فحي وجوها بالمدينة سهّما
تجافين عن مس الدهان وطالما   عصمن عن الحناء كفا ومعصما

وكم من جليد لا يخامره الهوى   شنن عليه الوجد حتى تتيما   اهان لهن النفس وهي كريمة   والقى اليهن الحديث المكتما

تسفهت لما ان مررت بدارها … وعوجلت دون الحلم ان تتحلما
فعجت تعرى دارسا متنكرا … وتسال صما وقفا عن المنطق اعجما
ويوم وقفنا للوداع وكلنا … يعد جليد الشوق من كان احزما
بصرت بقلب لا يعنف في الهوى … وعين متى استمطرتها مطرت دما

وكان ابو دهبل من شعراء قريش وممن جمع لذلك الطبع والتجويد واسمه وهب بن زمعة بن اسيد بن احيحة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح واسم جمح تيم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لوي بن غالب كان اسم جمح تيما واسم اخيه زيد وهما ابنا عمرو بن هصيص واستبقا الى غاية فمضى تيم عن الغاية فقيل جمح تيم فسمي جمح ووقف عليها زيد فقيل سهم زيد فسمي سهما فاما كنيته فهي مشتقة من الدهبلة وهي المشي الثقيل يقال دهبل الرجل دهبلة اذا مشى مشيا ثقيلا اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال اخبرنا احمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عبيد الله بن شبيب قال قيل لابي عمرو بن العلاء رحمه الله ما يعجبك من شعر ابي دهبل فقال قوله

يا عمرو حم فراقكم عمرا … وعزمت منا النأي والهجرا
يا عمرو شيخك وهو ذو كرم … يرعى الذمار ويكرم الصهرا
والله ما احببت حبكم … لا ثيبا خلقت ولا بكرا
ان كان هذا السحر منك فلا … ترعي علي وجددي السحرا
احدى بني اود كلفت بها … حملت بلا ترة لنا وترا
وترى لها دلا اذا نطقت … تركت بنات فؤاده صعرا
كتساقط الرطب الجني من … الاقناء لا نثرا ولا نزرا
ومقالة فيكم عركت لها … جنبي اريد بها لك العذرا
ومريد سركم عدلت به … عما يحاول معدلا وعرا
قالت يقيم لنا يوما لنجربه … يوما فخيم عندها شهرا
ما ان اقيم لحاجة عرضت … الا لي فيكم عذرا
واذا هممت برحلة جزعت … واذا اقمنا لم تقل نفرا
اني لارضى ما رضيت به … وارى لحسن حديثكم سكرا

وروى لنا ابو عمرو الشيباني لابي دهبل : ياليت من يمنع المعروف يمنعه حتى يذوق رجال غب ما صنعوا
وليت رزق رجال مثل نائلهم قوت كقوت ووسع كالذي وسعوا وروي قوتا كقوت ووسعا كالذي السعوا

وليت

وليت
وليت للناس حظا في وجوههم … تبين اخلاقهم فيه اذا اجتمعوا
وليت ذا الفحش لاقى فاحشا ابدا … ووافق الحلم اهل الحلم فاتدعوا

ولابي دهبل في قتل الحسين بن علي عليهما السلام
تبيت النشاوى من امية نوما … وبالطف قتلى ما ينام حميمها
وما ضيع الاسلام الا عصابة … تامر نوكاها ودام نعيمها
وصارت قناة الدين في كف ظالم … اذا مال منها جانب لا يقيمها

واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا احمد بن يحيى قال روى ابو عمرو الشيباني لابي دهبل ويقال انها للمجنون

أأترك ليلى ليس بيني وبينها … سوى ليلة اني اذا لصبور
هبوني امرا منكم اضل بعيره … له ذمة ان الذمام كبير
وللصاحب المتروك اعظم حرمة … على صاحب من ان يضل بعير
عفا الله عن ليلى الغداة فانها … اذا وليت حكما علي تجور

وروى ابو عمرو الشيباني لابي دهبل وقد رواها ابو تمام له في الحماسة

اقول والركب قد مالت عمائمهم … وقد سقى القوم كاس النشوة السهر
ياليت اني بانوابي وراحلتي … عبد لاهلك طول الدهر موتجر
ان كان ذا قدرا يعطيك نافلة … منا ويحرمنا ما انصف القدر

واخبرنا المرزباني قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال مثل قول ابي دهبل

فلو تركونا لا هدى الله امرهم … فلم يلجموا قوما من الشر ينبح
لاوشك صرف الدهر يفرق بيننا … وهل يستقيم الدهر والدهر اعوج

قال العجاج لابنه رؤبة يشكوه لما استطال عمره وتمنى موته

لما راى رعشت اطرافي … استعجل الدهر وفيه كاف … يخترم الالف بعد الالاف

قال ومثله : علمت ابن عمي لا يزال كانه … وان لم اتره مستطيل على وتر
يعين علي الدهر والدهر مكتف … وان استعنه لا يعن على الدهر

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ومثل الجميع قول ابي احمد عبيد الله بن طاهر

الى كم يكون العتب في كل ساعة … وكم لا تملين القطيعة والهجرا … رويدك ان الدهر فيه كفاية لتفريق ذات البين فانتظري الدهرا

تاويل آية ان سال سائل فقال ما وجه التكرار في سورة الكافرين وما الذي حسّن اعادة النفي لكونهم عابدين ما يعبدون وكونهم عابدين ما يعبد وذكر ذلك مرة واحدة يغني وما وجه التكرار ايضا في سورة الرحمن فباي آلاء ربكما تكذبان الجواب يقال له قد ذكر ابن قتيبه في معنى التكرار في سورة الكافرين وجها وهو ان يقول ان القرآن لم ينزل دفعة واحدة وانما كان ينزل شيئا بعد شيء والامر في ذلك ظاهر وكان المشركون اتوا رسول الله صلى الله عليه فقالوا له استلم بعض اصنامنا حتى نؤمن ونصدق بنبوتك فامره الله تعالى بان يقول لهم لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ثم غبر وقتا من الزمان وجاؤوه فقالوا اعبد بعض آلهتنا او استلم بعض اصنامنا يوما او شهرا او حولا لنفعل مثل ذلك بالهك فامره الله تعالى بان يقول ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ان كنتم لا تعبدون الهي الا بهذا الشرط فانكم لا تعبدونه ابدا وقد طعن بعض الناس على هذا التاويل بان قال انه يقتضي شرطا وحذفا لا يدل عليه ظاهر الكلام وهو ما شرطه في قوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد قال واذا كان ما نفاه عن نفسه من عبادة ما يعبدون مطلقا غير مشروط فكذلك ما اعطف عليه وهذا الطعن غير صحيح لانه لا يمتنع اثبات شرط بدليل وان لم يكن في ظاهر الكلام ولا يمتنع عطف المشروط على المطلق بحسب قيام الدلالة وعن هذا السوال اجوبة اخر كل واحد منها اوضح مما ذكره ابن قتيبه اولها ما حكي عن ابي العباس ثعلب انه قال حسن التكرار لان تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الاخرى وتلخيص الكلام قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون في هذه الساعة وفي هذه الحال ايضا فاختص الفعلان منه ومنهم بالحال وقال من بعد ولا انا عابد ما عبدتم في المستقبل ولا انتم عابدون ما اعبد فيما تستقبلون فاختلفت المعاني وحسن التكرار لاختلافهما ويجب ان تكون السورة على هذا مختصة بمن المعلوم انه لا يؤمن وقد ذكر مقاتل وغيره انها نزلت في ابي جهل والمستهزئين ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم احد والمستهزءون هم العاص بن وايل والوليد بن المغيرة والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث وعدي بن قيس والجواب الثاني وهو جواب الفرا وان يكون التكرار للتاكيد كقول المجيب بلي بلي والممتنع لا لا ومثله قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وانشد الفرا

وكاين وكم عندي لهم من صنيعة ٭ ايادي ثنوها علي واوجبوا ٭

وانشد ايضا ٭ كم نعمة كانت لكم كم وكم ٭ وقال آخر ٭

٭ نعق الغراب ببين لبنى غدوة ٭ كم كم وكم بفراق لبنى ينعق ٭

وقال آخر ٭ اردت لنفسي بعض الامور ٭ فاولى لنفسي اولى لها ٭

والجواب الثالث هو ان يريد لا اعبد الاصنام التي تعبدونها ولا انتم عابدون ما اعبد اي انتم غير عابدين

عابدين الله تعالى الذي انا عابده اذا اشركتم به فاتخذتم الاصنام وغيرها معبودة من دونه او معه وانما يكون عابد الله تعالى من اخلص العبادة له دون غيره وافرده بها وقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم اي لست اعبد عبادتكم وما في قوله تعالى ما عبدتم في موضع المصدر كما قال تعالى والارض وما طحاها ونفس وما سواها اراد تعالى وطحيه اياها وتسويته لها وقوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون يريدون تعالى بفرحكم ومرحكم وقال الشاعر ٭

يا ربع سلمى بالمحنا نحيف سلمى جادك الوابل ٭ ان تمس قفرا فبما قد ترى وانت معمور بها آهل ٭

اراد فربما تك معمورا آهلا ومعنى قوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد اي لستم عابدين عبادتي على نحو ما ذكرناه ولم يتكرر الكلام الا لاختلاف المعاني وتلخيص ذلك ان النبي صلعم قال للكفار لا اعبد آلهتكم وما تدعونه من دون الله تعالى ولا انتم عابدون الهي فان زعمتم انكم عابدون الهي فانكم كاذبون لانكم من غير الجهة التي امركم بها تعبدون ونحن لا اعبد مثل عبادتكم ولا انتم ما دمتم على ما انتم عليه تعبدون مثل عبادتي فان قيل ما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيه فما الوجه في اختلاف العبادة قلنا انه صلى الله عليه كان يعبد من يخلص له العبادة ولا يشرك به شيئا وهم يشركون فاختلفت عبادتنا لهما ولانه ايضا كان يتقرب الى معبوده تعالى بالافعال الشرعية التي تقع على وجه العبادة وهم لا يفعلون تلك الافعال ويتقربون بافعال غيرها يعتقدون جهلا انها عبادة وقربة فان قيل فما معنى قوله تعالى لكم دينكم ولي دين وظاهر هذا الكلام يقتضي اباحتهم المقام على اديانهم قلنا في هذا ثلثة اوجه اولها ان ظاهر الكلام اباحة فهو وعيد ومبالغة في النهي والزجر كما قال تعالى اعملوا ما شئتم وثانيها انه اراد تعالى لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني فحذف الجزاء لدلالة الكلام عليه وثالثها انه تعالى اراد جزاؤكم ولي جزائي لان نفس الدين هو الجزاء قال الشاعر ٭ اذا القونا لقيناهم ٭ ودناهم مثل ما يقرضونا ٭ فاما التكرار في سورة الرحمن فانما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المعددة فكلما ذكر نعمة انعم تعالى بها قرر عليها ووبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره الم احسن اليك بان خولتك الاموال الم احسن اليك بان خلصتك من المكاره الم احسن اليك بان فعلت بك كذا فيحسن منه التكرار لاختلاف ما يقرره به وهذا كثير في كلام العرب واشعارها قال مهلهل بن ربيعة يرثي اخاه كليبا ٭

على ان ليس عدلا من كليب ٭ اذا طرد اليتيم عن الجزور ٭

٭ على ان ليس عدلا من كليب ٭ اذا ما ضيم جيران المجير ٭

٭ على ان ليس عدلا من كليب ٭ اذا رجف العضاه من الدبور ٭

٭ على ان ليس عدلا من كليب ٭ اذا خرجت مخبأة الخدور ٭

على أن ليس عدلا من كليب ... إذا ما أعلنت نجوى الأموري
على أن ليس عدلا من كليب ... إذا خيف المخوف من الثغوري
على أن ليس عدلا من كليب ... غداة تلاتل الأمر الكبيري
على أن ليس عدلا من كليب ... إذا ما حام جار المستجيري

وقالت ليلى الأخيلية ترثي توبة بن الحمير

لنعم الفتى يا توب كنت ولم تكن ... لتسبق يوما كنت فيه تحاول
ونعم الفتى يا توب كنت إذا التقت ... صدور العوالي واشتبك الأسافل
ونعم الفتى يا توب كنت لخائف ... أتاك لكي تحمي ونعم المجامل
ونعم الفتى يا توب جارا وصاحبا ... ونعم الفتى يا توب حين تناضل
لعمري لأنت المرء أبكي لفقده ... بجد ولو لامت عليه العواذل
لعمري لأنت المرء أبكي لفقده ... ويكثر تسهيدي له لا أوائل
لعمري لأنت المرء أبكي لفقده ... ولو لام فيه ناقص الرأي جاهل
لعمري لأنت المرء أبكي لفقده ... إذا كثرت بالملجمين التلاتل
أبى لك ذم الناس يا توب كلما ... ذكرت أمور محكمات كوامل
أبى لك ذم الناس يا توب كلما ... ذكرت سماح حين تأوي الأرامل
فلا يبعدنك الله يا توب إنما ... لقيت حمام الموت والموت عاجل
ولا يبعدنك الله يا توب إنما ... كذاك المنايا عاجلات وآجل
ولا يبعدنك الله يا توب والتقت ... عليك الغوادي المدجنات الهواطل

فحسنت هذه الأبيات من تكرار أبي تكرارها لاختلاف المعاني التي رددتها على ما ذكرناه وقال الحرث بن عباد

قربا مربط النعامة مني ... لقحت حرب وائل عن حيال

ثم ردد قوله قربا مربط النعامة مني في أبيات كثيرة من القصيدة للمعنى الذي ذكرناه وقالت عمرة بنت النعمان بن بشير ترثي زوجها

وحدثني أصحابي أن مالكا ... أقام ونادى صحبه برحيل
وحدثني أصحابي أن مالكا ... ضروب بنصل السيف غير نكول
وحدثني أصحابي أن مالكا ... جواد بما في الرحل غير بخيل

وحدثني

وحدثني أصحابي أن مالكا ... خفيف على الحدثان غير ثقيل
وحدثني أصحابي أن مالكا ... ضروب بماضي السيف من صقيل

وهذا المعنى أكثر من أن نحصيه وهذا هو الجواب عن التكرار في سورة المرسلات بقوله تعالى فويل يومئذ للمكذبين، فإن قيل إذا حسن التكرار في سورة الرحمن لما عدده تعالى من آلائه ونعمه فقد عدد في جملة ذلك ما ليس بنعمة وهو قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران وقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فكيف يحسن أن يقول بعد ذلك فبأي آلاء ربكما تكذبان وليس هذا من الآلاء والنعم، قلنا الوجه في ذلك أن فعل العقاب وإن لم يكن نعمة فذكره ووصفه والإنذار منه من أكبر النعم لأن في ذلك زجرا عما يستحق به العقاب وبعثا على ما يستحق به الثواب وإنما أشار تعالى بقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان بعد ذكر جهنم والعذاب فيها إلى نعمه بذكرها ووصفها والإنذار بعقابها وهذا مما لا شبهة في أنه نعمة قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وكما أنه كان في الجاهلية وفي الإسلام وفي ابتدائه قوم يقولون بالدهر وينفون الصانع وآخرون مشركون يعبدون غير خالقهم ويستنزلون الرزق من غير رازقهم أخبر الله تعالى عنهم في كتابه وضرب لهم الأمثال وكرر عليهم البينات والأعلام فقد نشأ بعد هؤلاء جماعة ممن يتستر بإظهار الإسلام ويحقن بإظهار شعاره والدخول في جملة أهله دمه وماله زنادقة ملحدون وكفار مشركون فمنعهم عن الإسلام عن المظاهرة من خوف القتل إلى اللباس وبليتهم على الإسلام وأهله أعظم وأغلظ لأنهم يدخلون في الدين ويموهون على المستضعفين بجأش رابط ورأي جامع فعل من قد أمن الوحشة ووثق بالأنسة بما يظهره من لباس الدين الذي هو منه على الحقيقة عار وبأثوابه غير متوار كما حكي أن عبد الكريم بن أبي العوجاء قال لما قبض عليه محمد بن سليمان وهو والي الكوفة من قبل المنصور وأحضره للقتل وأيقن بمفارقة الحياة لئن قتلتموني لقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة، والمشهورون من هؤلاء الوليد بن يزيد بن عبد الملك والحمادون حماد الراوية وحماد بن الزبرقان وحماد عجرد وعبد الله بن المقفع وعبد الكريم بن أبي العوجاء وبشار بن برد ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد الحارثي وصالح بن عبد القدوس الأزدي وعلي بن الخليل الشيباني وغير هؤلاء ممن لم نذكرهم وهم وإن كان عددهم كثيرا فقد قللهم الله عز وجل وأذلهم بما شهدت به دلائله الواضحة وحججه اللائحة على عقولهم من الضعف وآرائهم من السخف ونحن نذكر من أخبار كل واحد ممن ذكرناه وتهمته في دينه نبذا ونومي فيها إلى جملة والذي دعانا إلى التشاغل بذلك وإن كانت عنايتنا بغيره أقوى مسألة من نرى إجابته ونؤثر موافقته فكلفناه من أجله مع أنه غير

خال من فايدة ينفع علمها ويتادب بروايتها وحفظها، اما الوليد بن يزيد فكان مشهوراً بالالحاد متظاهراً
بالعناد غير محتشم في اطراح الدين احداً ولا مراقباً فيه بشراً وفي الحديث انه ولد لاخي ام سلمة زوج النبي صلى
الله عليه غلام فسموه الوليد فقال النبي صلى الله عليه سميتموه باسماء فراعنتكم ليكونن في هذه الامة رجل يقال له الوليد
لهو شر على هذه الامة من فرعون على قومه قال الاوزاعي فسالت الزهري عنه فقال ان استخلف الوليد بن
يزيد والا هو الوليد بن عبد الملك اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا محمد بن ابرهيم قال اخبرنا محمد
بن يزيد الازدي المهلبي النحوي قال كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك قد عزم على ان يبني فوق البيت الحرام
قبة يشرب عليها الخمور ويشرف على الطواف فقال بعض الحجبة لقد رايت البنا المجوسي فوق الكعبة
وهو يقدر مواضع اركان القبة فلم يمس تلك الليلة حتى وافى الخبر بقتل الوليد واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال حدثني عبد الله بن يحيى العسكري عن ابي اسحق الطلحي قال حدثني احمد بن ابرهيم بن اسحق بن اسماعيل بن
ابي العالية عن بعض اهل العلم قال قال يزيد بن الوليد وهو الملقب الناقص لما ولي انشدت الله رجلاً
سمع شيئاً من الوليد الا اخبرنا فقام ثور بن يزيد خال الوليد فقال اشهد لقد سمعته يقول ۞
اسقياني وابن حرب واسترانا بازار واتركا من طلب الجنة يسعى في خسار سا سوس الناس حتى [illegible]
واخبرنا المرزباني قال حدثني احمد بن خالد النخاس قال اخبرنا محمد بن مكحول قال نشر الوليد يوماً المصحف وكان
خطه كانه اصابع وجعل يرميه بالسهام ويقول

۞ تذكرني الحساب ولست ادري ۞ احقاً ما تقول من الحساب ۞
۞ فقل لله يمنعني طعامي ۞ وقل لله يمنعني شرابي ۞

قال السيد المرتضى رضي الله عنه ويلاً من هذه الجراة وبلاءً طويلاً وما اقدر الله تعالى على ان يمنعه
طعامه وشرابه وحياته وما اولاه اللعين اليم العقاب وشديد العذاب لولا ما يتم به المحنة وينتظم به التكليف
من تاخير المستحق من الثواب والعقاب وتبعيدهما من احوال الطاعات والمعاصي اخبرنا المرزباني قال اخبرنا
احمد بن كامل قال كان الوليد بن يزيد زنديقاً وانه افتتح المصحف فراى فيه واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد
فاتخذ المصحف غرضاً ورماه بالسهام حتى مزقه وهو يقول ۞

۞ اتوعد كل جبار عنيد ۞ فها انا ذاك جبار عنيد ۞
۞ اذا ما جئت ربك يوم حشر ۞ فقل يا رب مزقني الوليد ۞

[illegible] ان قتل فاما حماد الراوية فكان منسلخاً من الدين زارياً على اهله مدمناً لشرب الخمور
وارتكاب الفجور قال عمرو بن بحر الجاحظ كان سعد بن زياد الهلالي ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد وحفص

بن ابي وده وقاسم بن زنقطه وابن المقفع ويونس بن ابي فروة وحماد عجرد وعلي بن الخليل وحماد
ابي ليلى الراوية وحماد بن الزبرقان ووالبة بن الحباب وعمارة بن حمزة بن ميمون ويزيد بن الفيض وجميل
بن محفوظ المهلبي وبشار بن برد المرعث وابان اللاحقي يجتمعون على الشرب وقول الشعر ويهجو بعضهم
بعضاً وكلهم كان متهماً في دينه وعمل يونس بن ابي فروة كتاباً في مثالب العرب وعيوب الاسلام بزعمه و
صار الى ملك الروم فاخذ منه مالاً وقال احمد بن يحيى النحوي قال رجل يهجو حماد الراوية نعم الفتى لو كان
يعرف ربه ويقيم وقت صلاته حماد بسطت مشافره الشمول فانفه مثل القدوم يسنها الحداد

۞ وابيض من شرب المدامة وجهه ۞ فبياضه يوم الحساب سواد ۞
۞ لا يعجبنك بزه ولسانه ۞ ان المجوس ترى لها اسباد ۞ وكان حماد الراوية مشهوراً بالكذب

في الرواية وعمل الشعر واضافته الى الشعراء المتقدمين ودسه في اشعارهم حتى ان كثيراً من الرواة قالوا
قد افسد حماد الشعر لانه كان رجلاً يقدر على صنعته فيدس في شعر كل رجل منهم ما يشاكل طريقته فاختلط
لذلك الصحيح بالسقيم وهذا الفعل منه وان لم يكن دالاً على الالحاد فهو فسق وتهاون بالكذب في الرواية
فاما حماد بن الزبرقان فمن طريقته في التحرم والتنسك حدثنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن
دريد قال اخبرنا الاشنانداني قال دعا حماد بن الزبرقان ابا الغول النهشلي الى منزله وكانا يتقارضان
فانتهزها ابو الغول فلم يزل المفضل به حتى جاءه وانطلق معه فلما رجعا الى المفضل قال له ما صنعت انت
وحماد قال اصطلحنا على ان لا امره بالصلوة ولا يدعوني الى شرب الخمر ثم انشد المفضل قوله نعم الفتى لو كان
يعرف ربه وذكر الابيات التي تقدمت في الرواية الاولى منسوبة الى هجا حماد الراوية، فاما حماد عجرد فشهرته
في الغلو كشهرة الحمادين وكان يرمى مع ذلك بالثنوية حدثنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا علي بن ابي
عبد الله الفارسي قال حدثني ابي قال حدثني ابن مهرويه قال اخبرنا علي بن عبد الله بن سعد قال حدثني الشاه
بن الصباح الكوفي قال دخلت على بشار بالبصرة فقال لي يا ابا علي اما اني قد اوجعت صاحبكم وبلغت منه
يعني حماد عجرد قلت بماذا يا ابا معاذ قال بقولي فيه ۞ يا ابن نهيا راس علي ثقيل ۞ واحتمال الراسين خطب جليل
فادع غيري الى عبادة ربين ۞ فاني بواحد مشغول ۞ فقلت له دعه في عماه ثم قلت له قد بلغ حماداً هذا
الشعر وهو يرويه على خلاف هذا قال فما يقول قال قلت فادع غيري الى عبادة ربين فاني عن واحد مشغول
فلما سمعه اطرق راسه وقال احسن والله ابن الفاعلة ثم قال اني لا احسبك فلا انشد احد هذين البيتين
وكان اذا سئل عنهما بعد ذلك قال ما هما لي واخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن هرون عن محمد بن يحيى بن علي
عن عمر بن شبه قال حدثني خلاد الارقط قال قال بشار بلغني ان رجلاً كان يقرا القران وحماد ينشد

الشعر فاجتمع الناس على القارئ فقال حماد على ما تجتمعون فوالله لما اقول احسن مما يقول ففتنة الناس على هذا او نحوه وروى ابن شبه عن ابي عبيدة قال كان حماد عجرد يعير بشارا بالقبح لانه كان عظيم الجسم مجدورا طويلا جاحظ العينين قد تغشاهما لحم احمر فلما قال حماد فيه

والله ما الخنزير في نتنه بربعه في النتن او خمسه
بل ريحه اطيب من ريحه ومسه الين من مسه
ووجهه احسن من وجهه ونفسه افضل من نفسه
وعوده اكرم من عوده وجنسه اكرم من جنسه

قال بشار ويلي على الزنديق لقد نفث بما في صدره قيل وكيف ذاك قال ما اراد الزنديق الا قول الله سبحانه لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم فاخرج الجحود بها مخرج الهجاء وهذا من بشار تغلغل شديد لطيف واول من جعل معنى الالحاد تاكيدا للوصف به واخرج ذلك مخرج المبالغة ساور الوراق في حماد عجرد

لو ان مانى وديصانا وعصبتهم جاءوا اليك لما قلناك زنديق
انت العبادة والتوحيد مذ خلقا وذا التزندق نيرنج مخاريق

فاما ابن المقفع فان جعفر بن سليمان روى عن المهدي انه قال ما وجدت كتاب زندقة قط الا واصله ابن المقفع وروى ابن شبة قال حدثني من سمع ابن المقفع وقد مر ببيت نار للمجوس بعد ان اسلم فلمحه وتمثل

يا بيت عاتكة الذي اتعزل حذر العدى وبه الفؤاد موكل
اني لامنحك الصدود وانني قسما اليك مع الصدود لاميل

وروى احمد بن يحيى ثعلب قال قال ابن المقفع يرثي يحيى بن زياد وقال الاخفش الصحيح انه يرثي بها ابن ابي العوجاء

رزينا ابا عمرو ولا حي مثله فلله ريب الحادثات بمن وقع
فان تك قد فارقتنا وتركتنا ذوي خلة ما في انسداد لها طمع
وقد جر نفعا فقدنا لك اننا امنا على كل الرزايا من الجزع

قال ثعلب البيت الاخير يدل على مذهبهم في ان الخير ممزوج بالشر والشر ممزوج بالخير واخبرني علي بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلبي من حفظه قال اخبرنا خالد بن خداش قال كان الخليل بن احمد يحب ان يرى عبد الله بن المقفع وكان ابن المقفع يحب ذلك فجمعهما عباد بن عباد المهلبي فتحادثا ثلاثة ايام ولياليهن فقيل للخليل كيف رايت عبد الله فقال ما رايت مثله وعلمه اكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رايت الخليل فقال ما رايت مثله وعقله اكثر من علمه قال المغيرة فصدقا فان عقل الخليل اداه الى ان مات ازهد الناس وجهل ابن المقفع اداه الى ان كتب امانا لعبد الله بن علي فقال فيه ومتى غدر امير المؤمنين بعمه عبد الله فنساؤه طوالق ودوابه حبس وعبيده احرار والمسلمون في حل من بيعته فاشتد ذلك على المنصور جدا وخاصة

وخاصة امر البيعة وكتب الى سفيان بن معاوية وهو امير البصرة من قبله بقتله فقتله وكان ابن المقفع مع قلة دينه جيد الكلام فصيح العبارة له حكم وامثال مستفادة من ذلك ما روي ان يحيى بن زياد الحارثي كتب اليه يلتمس معاقدة الاخاء والاجتماع على المودة والصفا فكتب اليه يسترثيه فكتب اليه يقول ان الاخاء رق فكرهت ان املكك رقي قبل ان اعرف حسن ملكتك وكان يقول ذلل نفسك بالصبر على الجار السوء والعشير السوء والجليس السوء فان ذلك لا يكاد يخطئك وكان يقول اذا نزل بك مهم فانظر فان كان مما له حيلة فلا تعجز وان كان مما لا حيلة له فلا تجزع ودعاه عيسى بن علي الى الغدا فقال اعز الله الامير لست يومي للكرام اكيلا قال ولم قال لاني مزكوم والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الاحرار وكتب الى بعض اخوانه اما بعد فتعلم العلم ممن هو اعلم منك وعلم من انت اعلم منه فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال لبعض الكتاب اياك والتتبع لوحشي الكلام طمعا في نيل البلاغة فان ذلك هو العي الاكبر وقال لاخر عليك بما سهل من الالفاظ مع التجنب لالفاظ السفلة وقيل له ما البلاغة قال اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها وقال لا تحدثن من تخاف تكذيبه ولا تسالن من تخاف منعه ولا تعدن ما لا تقدر على انجازه ولا تضمنن ما لا تثق بالقدرة عليه ولا ترج ما تعنف برجائه ولا تقدم على ما تخاف العجز عنه وقال لبعض اخوانه اذا صاحبت ملكا فاعلم انهم ينسبون الى قلة الوفاء فلا يشعرن قلبك احصاء ما استبطاوه فانه لم يشعر احد قلبه شيئا الا ظهر على لسانه ان كان سخيفا او على وجهه ان كان حليما وكان يقول ان مما يسلي العالم عن الدنيا علمه بان الارزاق لم تقسم فيها على قدر الاخطار فاما ابن ابي العوجاء فقد ذكرنا ما روي من اعترافه بدسه في احاديث النبي صلى الله عليه واله احاديث مكذوبة وروي انه روئي غدا على ابن الكرسي فقال الصاحب لم كتبت هذا عليه قال للسارق قال قد راينا مصحفا قد سرق ولبشار فيه

قل لعبد الكريم يا ابن ابي العوجاء بعت الاسلام بالكفر موقا
لا تصلي ولا تصوم فان صمت فبعض النهار صوما دقيقا
لا تبالي اذا اصبت من الخمر عتيقا الا تكون عتيقا
ليت شعري غداة حليت في الجيد حنيفا حليت ام زنديقا

واما بشار بن برد فروى المازني قال قال رجل لبشار اتاكل اللحم وهو مباين لديانتك فذهب الى انه ثنوي فقال بشار ان هذا اللحم يدفع عني شر هذه الظلمة قال المبرد وروي ان بشارا كان يتعصب للنار على الارض ويصوب راي ابليس في الامتناع من السجود وروي له

النار مشرقة والارض مظلمة والنار معبودة مذ كانت النار

روى بعض اصحابه قال كنا اذا حضرت الصلوة نقوم اليها ويقعد بشار فنجعل حول ثيابه ترابا لننظر هل يصلي فنعود والتراب بحاله لم يقم الى الصلوة. واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن ابي عبد الله الفارسي قال حدثني ابي قال حدثني ابن مهرويه عن احمد بن خلاد قال حدثني ابي قال كنت اكلم بشارا واورد عليه شبهه في ميله الى الالحاد وكان يقول لا اعرف الا ما عاينت او ما عاينت معاينة وكان يطول الكلام فيما بيننا فقال لي ما اظن الامر يا باخالد الا كما يقال انه خذلان ولذلك اقول

،، طبعت على ما فيّ غير مخير ،، هواي ولو خيرت كنت المهذبا ،،
،، اريد فلا اعطى واعطى ولم ارد ،، وغيب عني ان انال المغيبا ،،
،، واصرف عن قصدي وعلمي مقصر ،، فامسي وما اعقبت الا التعجبا ،،

قال الجاحظ رحمه الله كان بشار صديقا لواصل بن عطا الغزال رضي الله عنه قبل ان يظهر مذهبه المكروه وكان بشار يمدح واصل بن عطا وذكر خطبته التي نزع منها الراء وكانت على البديهة فقال

،، تكلفوا القول والاقوام قد حفلوا ،، وحبروا خطبا ناهيك من خطب ،،
،، فقام مرتجلا تغلي بداهته ،، كمرجل القين لما حف باللهب ،،
،، وجانب الراء لم يشعر به احد ،، قبل التصفح والاغراق في الطلب ،،

ومثل ذلك قول بعضهم في واصل بن عطا رحمه الله

،، ويجعل البر قمحا في تكلمه ،، وجانب الراء حتى احتال للشعر ،،
،، ولم يطق مطرا والقول يعجله ،، فعاذ بالغيث اشفاقا من المطر ،،

فلما اظهر بشار مذاهبه هتف به واصل وقام بذكره وتكفيره فقال فيه ما لي اشايع

،، ما لي اشايع غزالا له عنق ،، كنقنق الدو ان ولى وان مثلا ،،
،، عنق الزرافة ما بالي وبالكم ،، تكفرون رجالا اكفروا رجلا ،،

فلما تتابع على واصل ما شهد بالحاده قال عند ذلك اما لهذا الاعمى الملحد اما لهذا المشنف المكتني بابي معاذ من يقتله اما والله لولا ان الغيلة سجية من سجايا الغالية لدسست اليه من يبعج بطنه في جوف منزله على مضجعه في يوم حفله ثم لا يتولى ذلك الا عقيلي او سدوسي فعدل واصل من الضرير الى الاعمى ومن الملحد ومن المرعث الى المشنف ومن بشار الى ابي معاذ ومن الفراش الى المضجع وزاد قوله من ارسلت اليه دسست ومن داره الى منزله ومن المغيرية الى الغالية ومن يبقر الى يبعج والاول اشد ان يكون معقودا وما ذكرنا فقد تفوق استعماله من غير عدول عن استعمال الراء فاما قوله ولا يتولى ذلك الا عقيلي او

سدوسي فلان بشارا كان مولاهم وذكره لبني سدوس لان بشارا كان ينزل فيهم فاما لقب بشار بالمرعث فقد قيل فيه ثلاثة اقوال احدها انه لقب بذلك لبيت قاله وهو قوله

،، ريم مرعث فاتر الطرف والنظر ،، لست والله نائلي قلت او يغلب القدر ،،

والقول الثاني انه كان لبشار ثوب له جيبان احدهما عن يمينه والآخر عن شماله وكان اذا لبسه ضمه عليه ضما من غير ان يدخل راسه فيه فشبه استرسال الجيبين وتدليهما بالرعاث وهي القرطة فقيل المرعث وقال ابو عبيدة انما سمي المرعث لانه كان في صباه يلبس رعاثا وهذا هو القول الثالث وكان بشار مقدما في الشعر جدا حتى ان كثيرا من الرواة يلحقونه بما تقدم عصره عليه من المجودين اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني عن محمد بن يحيى الصولي قال اخبرنا محمد بن الحسن اليشكري قال قيل لابي حاتم من اشعر الناس فقال الذي يقول

،، ولها مبسم كغر الاقاحي ،، وحديث كالوشي وشي البرود ،،
،، نزلت في السواد من حبة القلـ ،، ـب ونالت زيادة المستزيد ،،
،، عندها الصبر عن لقاي وعندي ،، زفرات ياكلن صبر الجليد ،،

يعني بشارا قال وكان يقدمه على جميع الناس ولما قال بشار

،، بني امية هبوا طال نومكم ،، ان الخليفة يعقوب بن داود ،،
،، ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ،، خليفة الله بين الزق والعود ،،

فبلغ ذلك المهدي فوجد عليه وكان سببا لقتله فاما مطيع بن اياس الكناني فقال اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني عن علي بن هارون عن عمه يحيى بن علي عن ابي ايوب المديني عن احمد بن ابرهيم الكاتب قال اخبرني ابي قال رايت بنتا قد اتي بها في اول ايام الرشيد فاقرت بالزندقة وقراتها وتابت وقالت هذا شيء علمنيه ابي فقبل الرشيد توبتها وردها الى اهلها وقال محمد بن داود بن الجراح في اخبار مطيع بن اياس انه كان يرمى بالزندقة وروينا انه لما حضرته الوفاة احاط به اهل بيته فجعلوا يقولون له قل يا مطيع لا اله الا الله فلا يقول حتى اذا صارت روحه في ثغرة نحره تنفس ثم اومى الى الكلام فقالوا قل لا اله الا الله فتكلم كلاما ضعيفا فسمعوا فاذا هو يقول

،، لهف نفسي على ربيع الزمان وفي ،، اي زمان دهتني الازمان ،،
،، حين جاء الربيع واستقبل الصيف ،، وطاب الطلاء والريحان ،،

قال المرزباني وهذا الحديث يرويه الهيثم بن عدي ليحيى بن زياد فاما يحيى بن زياد الحارثي فهو يحيى بن زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثي الكوفي وزياد بن عبيد الله هو خال ابي العباس

عبد الله السفاح ويكنى يحيى ابا الفضل وكان يعرف بالزنديق وكانوا اذا وصفوا انسانا بالظرف قالوا
هذا اظرف من الزنديق يعنون يحيى لانه كان ظريفا وهذا المعنى قصده ابو نواس بقوله تيه مغن وظرف
زنديق قال الصولي وانما قال ذلك لان الزنديق لا يرجع عن شيء ولا يمتنع مما يدعا اليه فنسبه الى الظرف
لمساعدته على كل شيء وقلة خلافه وروي انه قيل ليحيى بن زياد وهو يجود بنفسه قل لا اله الا الله فقال
لم يبق الا الحبيا والخلاخل ثم اغمي عليه فلما افاق اعيد عليه القول فقال وبازل يغلي به المرجل وروى
محمد بن يزيد قال قال مطيع بن اياس يرثي يحيى بن زياد وكانا جميعا مرميين بالخروج عن الملة

يا اهل بكوا لقلبي القرح   والدموع الهوامل السفح
راحوا بيحيى الى مغيبه   في القبر بين التراب والصفح
راحوا بيحيى ولو تساعدني   الاقدار لم يبتكر ولم يرح
يا خير من يحسن البكاء له   اليوم ومن كان امس للمدح
قد ظفر الحزن بالسرور وقد   اديل مكروهنا من الفرح

ولمطيع يرثيه
انظر الى الموت كيف نادهه   والموت مقدام على البهم
لو قد تدبرت ما صنعت به   قرعت سنا عليه من ندم
فاذهب بمن شئت اذ ذهبت به   ما بعد يحيى للرزء من الم

فاما صالح بن عبد القدوس فكان متظاهرا بمذهب الثنوية ويقال ان ابا الهذيل العلاف ناظره فقطعه ثم
قال له على اي شيء تعزم يا صالح فقال استخير الله واقول بالاثنين فقال ابو الهذيل فايهما استخرت لا ام لك
وروي ان ابا الهذيل ناظره في مسألة مشهورة في الامتزاج الذي ادعوه بين النور والظلمة فاقام عليه الحجة فالكم
وانشأ يقول ابا الهذيل هداك الله يا رجل   فانت حقا لعمري مفصل جدل   وروي انه رأى
يصلي صلوة تامة الركوع والسجود فقيل له ما هذا ومذهبك معروف فقال سنة البلد وعادة الجسد وسلامة
الاهل والولد ويقال انه لما اراد المهدي قتله دعا اليه بكتاب الزندقة وقال له اقرأ هذا قال وما هو قال
كتاب الزندقة قال صالح اوتعرفه انت يا امير المؤمنين قال لا قال افتقتلني على ما لا تعرف قال فاني اعرفه
قال صالح فقد عرفته ولست بزنديق وكذلك اقراه ولست بزنديق وذكر محمد بن يزيد المبرد قال بلغني
عن الرواة ان صالحا لما نوظر فيما قذف به من الزندقة بحضرة المهدي قال له المهدي الست القايل في
ما انتحلته
رب سر كتمته فكاني   اخرس او ثنى لساني خبل
ولو اني ابديت للناس علمي   لم يكن لي في غير حبسي اكل
قال فاني اتوب وارجع فقال
له

له هيهات الست القايل
والشيخ لا يترك اخلاقه   حتى يوارى في ثرى رمسه
اذا ارعوى عاوده جهله   كذا الضنا عاد الى نكسه

ثم قدم فقتل ويقال انه صلبه على الجسر ببغداد ومن شعره في الحبس
خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها   فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى
اذا دخل السجان يوما لحاجة   عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرويا فجل حديثنا   اذا نحن اصبحنا الحديث عن الرويا
فان حسنت لم تات عجلا وابطات   وان قبحت لم تحتبس واتت عجلى
طوى دوننا الاخبار سجن ممنع   له حارس تهدا العيون ولا يهدا
قبرنا ولم ندفن فنحن بمعزل   عن الناس لا نخشى ونغشى ولا نغشى
الا احد ياوي لاهل محلة   مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا

قال المرتضى رضي الله عنه واظن ان الجهم لحظ قول صالح فنغشى ولا نغشى في قوله يصف الحبس
بيت يجدد للكريم كرامة   ويزار فيه ولا يزور ويحفد

فاما علي بن الخليل فذكر محمد بن داود قال كان علي بن الخليل وهو مولى يزيد بن مزيد الشيباني ويكنى ابا الحسن وهو كوفي
متهما بالزندقة فطلبه الرشيد عند قتله الزنادقة فاستتر طول ايام مقامه بالرقة وبها الرشيد فرحه ومدح الفضل
بن الربيع ، وروي انه لما قعد الرشيد للمظالم بالرقة حضر شيخ حسن الهيئة حسن الخضاب ومعه قصيدة فاشار
بها فامر الرشيد باخذها منه فقال يا امير المؤمنين انا احسن قراءة لها من غيري فاذن لي في قراءتها فقال افعل فقال اني
شيخ كبير ولا آمن الاضطراب ان قمت فان رايت ان تاذن لي في الجلوس فعلت فقال اجلس فجلس ثم انشا يقول
يا خير من وخدت بارحله   نجب الركاب بمهمه جلس
تطوي السباسب في ازمتها   طي التجار عمايم البرس
لما رايتك الشمس طالعة   سميت لوجهك غرة الشمس
خير الخلايف انت كلهم   في يومك الماضي وفي امس
وكذاك لا ينفك خيرهم   تمسي وتصبح فوق ما تمسي
من عصبة طابت ارومتها   اهل العفاف ومنتهى القدس
فوق النجوم فروع نبعتهم   ومع الحضيض منابت الغرس
اني رحلت اليك من فزع   كان التوكل عنده ترسي

ما ذاك الا انني رجل   اصبو الى بقر من الانس
بقر اوانس لا قرون لها   يعقلن بالتطويل والحبس
واجاذب الفتيان بينهم   صهبا مثل مجاجة الورس
للماء في حافاتها حبب   نظم كطي صحايف الفرس
والله يعلم في بقيته   ما ان اضعت اقامة الخمس

وسأله هل زنديق انت قال لعلي بن الخليل الذي يقال انه زنديق قال انا مؤمن وكتب به الى حمدويه الابرص له
ومن تركنا ذكره من هولاء اكثر ممن ذكرناه وانما اعتمدنا من كان بهذه المنزلة اشهر وامره فيها اظهر واوردنا من ذلك
قليلا من كثير وجملة من تفصيل ولانه قد ذكر جملة من اخبار اهل الضلالة والمنقادين لجهالاتهم بحسب ما سئلنا فحسن ان نتبعها
بذكر شيء من اهل التوحيد والعدل وملح حكاياتهم ومستحسن كلامهم ليعلم الفرق بين من بحث بعقله ونصح نفسه
فقد سئلنا ايضا ذلك واعلم ان اصول العدل والتوحيد ماخوذة من كلام امير المومنين علي عليه السلم وخطبه
فانها تتضمن من ذلك ما لا زيادة عليه ولا غاية وراءه ومن تامل الماثور في ذلك من كلامه عليه السلم علم ان جميع ما
اسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه وجمعه انما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الاصول وروي عن الايمة
من ابنائه عليهم السلم اجمعين من ذلك ما لا يكاد يحاط به كثرة ومن احب الوقوف عليه وطلبه من مظانه اصاب منه الكثير
الغزير الذي في بعضه شفاء الصدور السقيمة ونتاج العقول العقيمة ونحن نقدم على ما نريد ذكره شيئا
مما روي عنهم عليهم السلم في هذا الباب فمن ذلك ما روي عن امير المومنين عليه السلم من قوله وهو يصف الله
عز وجل بمضادته بين الاشياء علم ان لا ضد له وبمقارنته بين الامور علم ان لا قرين له ضاد النور بالظلمة والخشونة
باللين والصرد بالحرور مولف بين متعادياتها مفرق بين متدانياتها وروي عنه عليه السلم
انه سيل بما عرفت ربك قال بما عرفني به قيل وكيف عرفك قال لا تشبهه صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس
بالناس وقيل له عليه السلم كيف يحاسب الله الخلق قال كما يرزقهم فقيل له كيف يحاسبهم ولا يرونه
فقال كما يرزقهم ولا يرونه وساله رجل فقال اين كان ربك قبل ان يخلق السماء والارض فقال عليه السلم اين سوال
عن مكان وكان الله ولا مكان وروي عن ابي عبد الله عم انه ساله محمد الحلبي فقال له هل راى رسول الله ربه
فقال راه بقلبه فاما ربنا فلا تدركه حدق الناظرين ولا يحيط به اسماع السامعين وروي عن صفوان بن يحيى
قال دخل ابو قرة المحدث على ابي الحسن الرضا عم فساله عن اشياء من الحلال والحرام والاحكام والفرايض حتى بلغ
سواله الى التوحيد فقال ابو قرة انا روينا ان الله تعالى قسم الكلام والروية فقسم لموسى عليه السلم الكلام ولمحمد
الروية فقال الرضا عليه السلم فمن المبلغ عن الله تعالى الى الثقلين الجن والانس انه لا تدركه الابصار ولا يحيطون به علما

علما وليس كمثله شي اليس محمد صلى الله عليه وآله نبيا صادقا قال بلى قال فكيف يجي رجل الى الخلق جميعا
فيخبرهم انه من عند الله سبحانه يدعوهم اليه بامره ويقول لا تدركه الابصار ولا يحيطون به علما وليس كمثله
شي ثم يقول انا رايته بعيني واحطت به علما اما تستحيون ما قدرت الزنادقة ان ترميه بهذا ان يكون ياتي
عن الله بشي ثم ياتي بخلافه من وجه اخر قال ابو قرة فانه يقول ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى قال ع
ما بعد هذه الاية يدل على ما راى حيث يقول تعالى ما كذب الفواد ما راى يقول تعالى ما كذب فواد محمد ما رات
عيناه ثم اخبر تعالى بما راى فقال لقد راى من ايات ربه الكبرى وايات الله غير الله عز وجل وقد قال الله تع
ولا يحيطون به علما فاذا راته الابصار فقد احاط به العلم فقال ابو قرة اذا كذب بالروية فقال الرضا ع اذا
كانت الرواية مخالفة القران كذبتها وما اجمع عليه المسلمون من انه لا يحاط به علما ولا تدركه الابصار وليس كمثله شي وانى
اعرابي ابا جعفر محمد بن علي عليهما السلم فقال له هل رايت ربك حين عبدته فقال عليه السلم لم اكن لاعبد شيا لم اره
فقال كيف رايته فقال لم تره الابصار بمشاهدة العيان بل راته القلوب بحقايق الايمان لا يدرك بالحواس ولا
يقاس بالناس معروف بالايات منعوت بالعلامات لا يجور في قضيته هو الله الذي لا اله الا هو فقال الاعرابي
الله اعلم حيث يجعل رسالاته وروي ان شيخا حضر صفين مع امير المومنين عم فقال له اخبرنا يا امير المومنين
عن مسيرنا الى الشام اكان بقضاء الله وقدره فقال له نعم يا اخا اهل الشام والذي فلق الحبة وبرا
النسمة ما وطينا موطيا ولا هبطنا واديا ولا علونا تلعة الا بقضاء الله وقدره فقال الشامي فعند الله
احتسب عناي يا امير المومنين وما اظن ان لي اجرا في سعيي اذ كان الله قضاه علي وقدره فقال عليه السلم
ان الله تع قد اعظم لكم الاجر على مسيركم وانتم سايرون وعلى مقامكم وانتم مقيمون ولم تكونوا في شي من
حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين ولا عليها مجبرين فقال الشامي وكيف ذاك والقضا والقدر ساقانا
وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا فقال عليه السلم ويحك يا اخا اهل الشام لعلك ظننت قضاء حتما لازما وقدرا
حاتما لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والامر من الله تع والنهي وما
كان المحسن اولى بثواب الاحسان من المسي ولا المسي اولى بعقوبة الذنب من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وحزب الشيطان
وخصماء الرحمن وشهداء الزور وقدرية هذه الامة ومجوسها ان الله تعالى امر عباده تخييرا ونهاهم
تحذيرا وكلف يسيرا واعطى على القليل كثيرا ولم يطع مكرها ولم يعص مغلوبا ولم يكلف جبرا ولم يرسل
الانبياء لعبا ولم ينزل الكتاب الى عباده عبثا ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين
كفروا فويل للذين كفروا من النار قال الشامي فما القضا والقدر اللذان ساقانا وكان مسيرنا بهما وعنهما
قال الامر من الله تع بذلك والحكم ثم تلا قوله تعالى وكان امر الله قدرا مقدورا فقام الشامي فرحا مسرورا

لما سمع من المقال وقال فرجت عني يا امير المومنين فرج عنك ثم انشا يقول .

٭ انت الامام الذي نرجو بطاعته ٭ يوم الحساب من الرحمن غفرانا ٭
٭ اوضحت من ديننا ما كان ملتبسا ٭ جزاك ربك بالاحسان احسانا ٭

وروي ان ابا حنيفة النعمان بن ثابت قال دخلت المدينة فاتيت ابا عبدالله عليه السلم فسلمت عليه وخرجت من عنده فرايت ابنه موسى ع في دهليزه قاعدا في مكتبه وهو صغير السن فقلت اين يضع الغريب اذا كان عندكم اذا اراد ذلك فنظر الي ثم قال يجتنب شطوط الانهار ومساقط الثمار وافنية الدور والطرق النافذة والمساجد ويضع ويرفع بعد ذلك حيث شا فلما سمعت هذا القول نبل في عيني وعظم في قلبي فقلت له جعلت فداك فممن المعصية فنظر الي ثم قال اجلس حتى اخبرك فجلست فقال ان المعصية لا بد ان تكون من العبد او من ربه او منهما جميعا فان كانت من الله تعالى فهو اعدل وانصف من ان يظلم عبده الضعيف وياخذه بما لم يفعله وان كانت منهما فهو شريكه والقوي اولى بانصاف عبده الضعيف وان كانت من العبد وحده فعليه وقع الامر واليه توجه النهي وله حق الثواب والعقاب ووجبت الجنة والنار فلما سمعت ذلك قلت ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم وقد نظم هذا المعنى شعرا فقيل

٭ لم تخل افعالنا اللاتي نذم بها ٭ احدى خلال ثلاث حين ناتيها ٭
٭ اما تفرد بارينا بصنعتها ٭ فيسقط اللوم عنا حين ننشيها ٭
او كان يشركنا فيها فيلحقه ٭ ما سوف يلحقنا من لايم فيها ٭
٭ لو لم يكن لالهي في جنايتها ٭ ذنب فما الذنب الا ذنب جانيها ٭
سيعلمون اذا الميزان شال بهم ٭ اهم جنوها ام الرحمن جانيها ٭

واحد من تظاهر بالعدل والحسنى من المتقدمين بالقول بالعدل الحسن بن ابي الحسن البصري واسم ابيه يسار من اهل ميسان مولى لبعض الانصار وكان اسم امه خيرة مملوكة لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه و يقال ان ام سلمة كانت تاخذ الحسن اذا بكى فتسكته بثديها فكان يدر عليه فيقال ان الحكمة التي اوتيها الحسن وبلغ من دينه وعلمه الحسن من السن تسعا وثمانين سنة فمن تصريحه بالعدل ما رواه علي بن الجعد قال سمعت الحسن يقول من زعم ان المعاصي من الله تعالى جاء يوم القيمة مسودا وجهه ثم قرا ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ٭ وقال داود بن ابي هند سمعت الحسن يقول كل شي بقضاء وقدر الا المعاصي وكان بارع الفصاحة بليغ المواعظ كثير العلم وجميع كلامه في الوعظ وذم الدنيا ما خوذ لفظا ومعنى دون اللفظ من كلام امير المومنين علي عليه السلم فهو القدوة والغاية فمن ذلك قوله شيئان

احدهما ما خوذ من الاخر احدهما اكثر شي في الدنيا والاخر اقل شي في الدنيا والاعتبار وقوله مثل الدنيا والاخرة مثل المشرق والمغرب متى ازددت من احدهما قربا ازددت من الاخر بعدا وقوله شتان بين عملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مونته ويبقى اجره وقوله في وصف الدنيا ما اصف من دار اولها عناء واخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من صح فيها امن ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فيها فتن ومن افتقر حزن ٭ وقوله في كلام له فيا ايها الذام للدنيا والمغتر بغرورها متى استهوتك بل متى غرتك ابمصارع ابائك من الثرى ام بمنازل امهاتك من البلى كم مرضت بكفيك وكم عالجت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء مثلت لك بهم الدنيا نفسك وبمصرعك مصرعهم وهذا باب ولمثاله اعترضنا منه نحو اخر او شوبوب غمام ماطر وكل مقول لقايل في هذا الباب اذا اضيف اليه او قيس به كان كاضافة القطرة الى الغمرة والحصاة الى الحرة وانما اشرنا اليه اشارة وما اتانا اليه ايماء ثم نعود الى ما كنا فيه ٭ وروي ان اعرابيا سمع كلام الحسن البصري فقال المومن فصيح اذا لفظ فصيح اذا وعظ ٭ وروي ان الحسن قال يوما انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ثم قال ان قوما غدوا في المطارف العتاق والعمايم الرقاق يطلبون الامارات ويضيعون الامانات ويتعرضون للبلاء وهم منه في عافية حتى اذا اخافوا من فوقهم من اهل العفة وظلموا من تحتهم من اهل الذمة اهزلوا دينهم واسمنوا براذينهم ووسعوا دورهم وضيقوا قبورهم الم ترهم جددوا الثياب واخلقوا الدين يتكي احدهم على شماله وياكل من غير ماله طعامه غصب وخدمه سخرة يدعو بحلو بعد حامض وبحار بعد بارد ورطب بعد يابس حتى اذا اخذته الكظة تجشا من البشم ثم قال يا جارية هاتي حاطوما يعني هاضوما يا احمق والله لن تهضم الا دينك اين جارك اين يتيمك اين مسكينك اين ما اوصاك الله تعالى به وذكر يوما الحجاج فقال اتانا اعيمش اخيفش له جميمة يرجلها واخرج الينا بنانا قصارا والله ما عرق فيها عنان في سبيل الله فقال بايعوني فبايعناه ثم رقي هذه الاعواد ينظر الينا بالتصغير وننظر اليه بالتعظيم يامر بالمعروف ويجتنبه وينهانا عن المنكر ويرتكبه ٭ وروي عيسى بن عمر قال قال الحسن ان هذه القلوب طلعة فاقدعوها فانكم ان تطيعوها تنزع بكم الى شر غاية وحادثوا النفوس فانها سريعة الدثور وقال عيسى بن عمر فحدثت ابا عمرو بن العلا فعجب من فصاحته وكان يقول في بعض كلامه ما انتم الا ان يرى احدهم ابيض بضا يملخ في الباطل ملخا ينفض مذرويه يقول ها انا ذا فاعرفوني قال فالبض هو الرخص اللحم وليس هو من البياض على ما ظن قوم لانه يكون الرخاصة مع الادمة فاما قوله يملخ فهو التثني والتكسر يقال ملخ الحمار اذا لعب قال روبة يصف الحمار ٭ معتزم التجليح ملاخ الملق ٭ والمذروان فرعا الاليتين قال عنترة احولي تنفض استك مذرويها لتقتلني فها انا ذا عمارا ٭ هذا قول ابي عبيد ٭ وقال ابن قتيبة رادا عليه ليس المذروان فرعي الاليتين حسبا

قدص

بل هما الجانبان من كل شي تقول العرب جاء فلان يضرب اصدريه ويضرب عطفيه وينفض مذرويه وهما منكباه
وذكر انه سمع رجلا من فصحاء العرب يقول تبع الشيب مذرويه يريد جانبي راسه وهما فوداه وانما سميا بذلك
لانهما يذريان اي يشيبا والذرا والذراه الشيبه قال وهذا اصل الحرف ثم استعير للمنكبين والاليتين والطرفين
من كل شي قال ابن ابي عايذ الهذلي يذكر قوسا على عجس هتافة المذروين زوراء مضجعة في الشمال
اراد قوسا ينبض طرفاها قال فلا لو وصف الرجل الذي ذكره الحسن بانه يحرك اليتيه ومن شان من ينتفخ
ويتيه على نفسه يقول هاتذا فاعرضني ان يحرك اليتيه واذا اراد ان يحرك يضرب عطفيه وهذا مما يوصف
به المرح المختال وربما قال الجا انا ينفض مذرويه اذا تهدد وتوعد وحرك راسه نفض قرون فوديه وهما
مذرواه وليس الذي ذكره ابو عبيد ببعيد لان من شان المختال الذي يزهي بنفسه ان يهتز ويتثنى فيتحرك
اعطافه واعضاوه ومذرواه من جملة ما يهتز ويتحرك منه لانهما طرفان من جسمه فيظهر فيهما الاهتزاز وانما
خص المذروين بالذكر مع ان غيرهما يتحرك ايضا على طريق التقبيح على هذا المختال والتهجين لفعله وقول ابن
قتيبه ليس من شان من ينتفخ يحرك اليتيه ليس بشي لان الاغلب من شان المختال المنتاخ الاهتزاز وتحريك
الاعطاف على ان هذا يلزمه فيما قاله لانه ليس من شان كل متوعد ان يحرك راسه وينفض مذرويه وتر فاذا قال
ان ذلك في الاكثر قيل له مثل ذلك وكان الحسن يقول يا ابن ادم جمعا جمعا وشدا شدا جمعا في وعاء وشدا
في وكاء وركوبا للذلول ولبسا للين حتى قيل مات فافضى والله الى الاخرة فطال حسابه وكان يقول
مسكين ابن ادم مكتوم الاجل مكنون العلل اسير جوع صريع شبع ان من تولمه البقه وتقتله الشرقه لبادي
الضعف قريب الحتف وكان يقول ما اطال احد الامل الا اساء العمل وكتب الى عمر بن عبد العزيز
اما بعد فان طول البقاء الى فناء فخذ من فنايك الذي لا يبقى لبقايك الذي لا يفنى والسلم وكان يقول
اذا رايت رجلا ينافس في الدنيا فنافسه في الاخرة وساله رجل ما حالك فقال باسوا حال ما حال من
اصبح وامسى ينتظر الموت ولا يدري ما يفعل الله به وكان يقول يا ابن ادم بسطت لك صحيفة ووكل بك
ملكان كريمان يكتبان عملك فاملل ما شئت واكثر او اقلل وفي خبر اخر ووكل بك ملكان كريمان ريقك
مدادهما ولسانك قلمهما وروى ابو بكر الهذلي قال لما قدم عمر بن هبيرة واليا على العراق نزل واسطا
فبعث الى الشعبي والى الحسن البصري فقال لهما ان يزيد بن عبد الملك عبد اخذ الله ميثاقه وانتجبه لخلافته
وقد اخذ علينا مواثيقه واعطيناه عهودنا ومواثيقنا وصفقة ايدينا واوجب علينا السمع والطاعة وانه
بعثني الى ما قبلكم غير سايل اياه الا انه لا يزال يبعث الينا في القوم بقتلهم وفي الضياع نقبضها وفي
الدور نهدمها فما تقولان رحمكما الله فاما الشعبي فقال قولا فيه بعض اللين واما الحسن فانه قال

قال يا عمر انها نهاك عن الله تعالى ان تتعرض له فان الله مانعك من يزيد ولا يمنعك يزيد من الله تعالى انه يوشك
ان ينزل اليك ملك من السماء فيستنزلك من سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك ثم لا يوسعه عليك
الا عملك ان هذا السلطان انما جعل ناصرا لدين الله فلا تركبوا دين الله وعباد الله بسلطان الله تذلونهم
به فانه لا طاعة لمخلوق في معصية خالق جل ذكره وذكر عن الشعبي انه قال كان الحسن اكرمنا عليه وروى
ابو بكر بن عياش قال قال مسلمة بن عبد الملك للحسن عظني اذا نزلت عن المنبر فاعمل بما تكلمت به قال عظني
قال وليت قط قال نعم فقال فما كنت تحب ان يوتى اليك فاته الى من وليته وعن ثابت البناني قال قال رجل
للحسن اخذ عطائي ام ادعه حتى اخذ من حسناتهم يوم القيامة فقال قم ويحك خذ عطاك فان القوم مفاليس
من الحسنات يوم القيامة وولد للحسن غلام فهناه بعض اصحابه فقال الحسن نحمد الله على هبته ونستزيده من نعمه
ولا مرحبا بمن ان كنت غنيا اذهلني وان كنت فقيرا اتعبني ولا ارضى بسعيي له سعيا ولا بكدي له في الحياة
كدا اشفق عليه من الفاقة بعد وفاتي وانا في حال لا تصل الي من همه حزن ولا من فرحه سرور وكان
يقول لو لم يكن من شوم الشراب الا انه جار الى احب خلق الله الى الله فافسده لكان ينبغي للعاقل ان يتركه
يعني العقل وعزى جار اليهودي فقال له جزاك الله على مصيبتك باعظم ما جازى به احدا من اهل
ملتك وهذا التخلص منه مليح لانه لم يدع له بالثواب الذي لا يستحقه الكفار واراد بالجزاء العوض الذي يستحقه
الكافر مع استحقاق العقاب وكان الحسن يقول للفاسق المعلن بالفسق غيبه ولا لاهل البدع
والاهواء غيبه ولا للسلطان الجاير غيبه وقال في قوله تعالى ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي قال العلم
الاخرة حسنة قال الجنة وخرج الحسن في جنازة معها نوايح فقال له رجل ما ترى يا ابا سعيد وهم
الرجل بالرجوع فقال له الحسن ان كنت كلما رايت قبيحا تركت له حسنا اسرع ذلك في دينك وذكرت عنده
الدنيا فما [illegible] احلام نوم او كظل زايل ان اللبيب بمثلها لا يخدع وكان يتمثل
اليوم عندك دلها وحديثها وغدا لغيرك كفها والمعصم وعن ابي عبيدة قال لما فرغ الحجاج من
خضراء واسط نادى في الناس ان يخرجوا فيدعوا له بالبركة فخرج الناس وخرج الحسن فاجتمع عليه
الناس فخاف اهل الشام على نفسه ان يقتلوه فرجع وهو يقول ننظر الى اخبث الاخبثين وافسق الفاسقين
فاما اهل السماء فمقتوك واما اهل الارض فغروك ثم قال ابى الله تعالى للميثاق الذي اخذ على اهل
العلم ليبيننه للناس ولا يكتمونه ثم انصرف وبلغ ذلك الحجاج فقال يا اهل الشام وهم حوله ليقوم عبيد
من عبيد اهل البصرة فيتكلم بما تكلم به ولا يكون عند احد منكم تغيير ولا نكير قالوا ومن ذاك اصلحك الله
استاذنه فقال علي به وامر بالنطع والسيف فاحضر وجي اليه فلما دنا الحسن منه ليا يحرك شفتيه

والحاجب ينظر اليه فلما دخل قال له الحجاج ههنا واجلسه قريبا من مفرشه وقال له ما تقول في علي وعثمان
قال اقول قول من هو خير مني عند من هو شر منك قال موسى عليه السلم لفرعون اذ قال له ما بال القرون
القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى علم علي وعثمان عند الله تعالى فقال له
انت سيد العلماء يا ابا سعيد ثم دعا بغالية فغلل بها لحيته فلما خرج الحسن تبعه الحاجب فقال له يا ابا سعيد
والله لقد دعاك لغير ما فعل بك ولقد احضر السيف والنطع فلما اقبلت رايتك قد حركت شفتيك بشي فما
قلت قال قلت يا عدتي عند كربتي ويا صاحبي في شدتي ويا وليي في نعمتي ويا الهي واله ابائي ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب ارزقني مودته واصرف عني اذاه ومعرته ففعل ربي عز وجل ذلك، وكان الحسن يقول
ما زال النفاق مقموعا حتى عمم هذا عمامته وقلد سيفا يعني الحجاج. وروى ابو بكر الهذلي ان رجلا قال للحسن
يا ابا سعيد ان الشيعة تزعم انك تبغض عليا ع فاكب يبكي طويلا ثم رفع راسه فقال لقد فارقكم بالامس رجل
كان سهما من مرامي الله عز وجل على عدوه رباني هذه الامة ذو شرفها وفضلها وذو قرابة من النبي صلى الله عليه
لم يكن بالنومة عن امر الله ولا بالغافل عن حق الله ولا السروقة من مال الله اعطى القران عزايمه فيما له وعليه فاشرف منها
على رياض مونقة واعلام بينة ذاك علي بن ابي طالب يا لكع، وكان الحسن اذا اراد ان يحدث في زمن بني امية
عن امير المومنين علي بن ابي طالب عليه السلم قال قال ابو زينب وشهد الحسن جنازة فقال ان امرا هذا اوله لينبغي ان
يزهد فيه حين منه وان امرا هذا اخره لينبغي ان يزهد فيه وعن حميد الطويل قال خطب رجل الى الحسن ابنته
فكنت السفير بينهما فرضيه واراد ان يزوجه فاثنيت عليه يوما وقلت وازيدك يا ابا سعيد ان له خمسين الفا قال
قلت له خمسين الفا ما اجتمعت من حلال قلت والله انه ما علمت لورع مسلم فقال اذا كان جمعها من حلال لقد ضن بها على
حق لا يجري بيني وبينه صهر ابدا، وقيل لعلي بن الحسين عليه السلم العجب ممن هلك كيف هلك وانما العجب ممن نجا كيف نجا
فقال عليه السلم انا اقول ليس العجب ممن نجا كيف نجا وانما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله، واتى رجل الحسن
البصري وهو يقبر عند القبر فقال له اترضى يا حسن نفسك للموت قال لا قال فعملك للحساب قال لا قال فثم دار للعمل
غير هذه الدار قال لا قال فلله في ارضه معاذ غير هذا البيت قال لا قال فلم تشغل الناس عن الطواف
وممن تظاهر بالعدل واشتهر به واصل بن عطا الغزال ويكنى ابا حذيفة وقيل انه مولى بني ضبة وقيل مولى بني
مخزوم وقيل مولى بني هاشم وروي انه لم يكن غزالا وانما لقب بذلك لانه كان يكثر الجلوس في الغزالين عند صديق
له يعرف بابي عبد الله الغزال، وذكر المبرد ان واصلا كان يلزم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته
لهن وهذا يدل على اللقب ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال وهو وزير ابي العباس السفاح ولم يكن خلالا وانما
كان ينزل بالمدينة محلة الذين كانوا يخللون فسمي خلالا ومثله ابو سعيد الجرمازي وهو مولى لبني هاشم

هاشم وانما لقب بذلك لانه كان ينزل في بني الجرماز وابراهيم بن يزيد الخوزي وليس بخوزي ولكنه كان ينزل بمكة
شعب الخوز وابو سعيد المقبري لانه ينزل بالمقابر وكان واصل الثغ في الرا قبيح اللثغة وكان يخلص
كلامه من الرا ويعدل عنها في سائر محاوراته وقد ذكرنا طرفا من ذلك في اخبار بشار بن برد وذكر ابو
الحسن البرذعي المتكلم ان انسانا سال عمرو بن عبيد رحمه الله عن شي في العدل بحضرة واصل بن عطا فتكلم السائل بما
اغضب عمرا فاجابه عمرو بجواب لم يرضه واصل فقال له اياك ولجوج الغضب فانها مذمة والشيطان
يكون معها في تساعيها اسرع وقد اوجب الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه ان يستعيذ من همزات الشياطين
وان يكونوا معه بقوله اعوذ بك من همزات الشياطين الى خاتمة الاية فعلما تناهيت احدا الجواب فبيت في
جوابه وما يطلق به لسانه فتلحقه لوم. قال البرذعي انظر الى واصل كيف كلم عمرا فاخرج الرا من كلامه وقال
موضع والشيطان يحضرها يكون معها وقد اوجب الله على نبيه ولم يصل اليه وقال وان يكونوا معه بدلا
من يحضروه ثم قال الى خاتمة الاية ولم يقل الى اخر الاية قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ومما لم يذكره
البرذعي انه عدل عن افتتاح الاية من اجل الرا ايضا لان اولها وقل اعوذ بك من همزات الشياطين ورب
ولولا قصده الى العدول لكان ذكرها واجبا من حيث ابتداها لاسيما وفي ابتدايها تعليم وتوقيف على كيفيه
دعايه والاستعاذة به، وقيل ان رجلا قال له كيف تقول اسرج الفرس قال البد الجواد وقال له فا
كيف تقول ركب فرسه وجر رمحه فقال استوى على جواده وسحب عامله، وذكر ابو الحسين الخياط ان
واصلا كان من اهل مدينة الرسول صلى الله عليه ومولده سنة ثمانين ومات سنة احدى وثلثين وكان
واصل ممن لقي ابا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفيه وصحبه واخذ عنه وقال قوم انه لقي اباه محمدا عليه السلم
توفي سنة ثمانين واحدى وثمانين وواصل ولد في سنة ثمانين، وواصل هو اول من اظهر المنزلة بين
المنزلتين فان الناس كانوا في اسماء اهل الكباير من اهل الصلاة على اقوال كانت الخوارج تسميهم بالكفر
والشرك والمرجية تسميهم بالايمان وكان الحسن واصحابه يسمونهم بالنفاق فاظهر واصل القول بانهم
فساق غير مومنين ولا كفار ولا منافقين وكان عمرو بن عبيد من اصحاب الحسن وتلامذته فجمع بينه وبين
واصل للمناظرة فيما اظهره من القول بالمنزلة بين المنزلتين فلما وقفوا على الاجتماع ذكروا ان واصلا
اقبل ومعه جماعة من اصحابه الى حلقة الحسن وفيها عمرو بن عبيد جالس فلما نظر الى واصل وكان في عنقه
طول واعوجاج فقال اري عنقا لا يفلح صاحبها وسمع ذلك واصل فلما سلم عليه قال له يا ابن اخي ان
من عاب الصنعة عاب الصانع للتعلق الذي بين الصنعة والصانع فقال له عمرو بن عبيد يا ابا حذيفة
قد وعظت فاحسنت وانا اعود الى المسالة التي كان بيني وجلس واصل في الحلقة وسيل ان يكلم عمرا فقال له واصل

لهم ولم قلت ان من اتى كبيرة من اهل الصلوة استحق اسم النفاق فقال عمرو لقول الله عز وجل والذين يرمون
المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون
ثم قال في موضع اخر ان المنافقين هم الفاسقون فكان كل فاسق منافقا اذ كانت الف واللام للمعرفة موجودتين
في الفاسق فقال له واصل اليس قد وجدت الله يقول ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون
واجمع اهل العلم ان صاحب الكبيرة يستحق اسم ظالم كما يستحق اسم فاسق فالا كان صاحب الكبيرة من اهل الصلوة
بقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون كما قال في القاذف واولئك هم الفاسقون فسميته
منافقا بقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون فامسك عمرو ثم قال له واصل يا ابا عثمان ايما اولى ان يستعمل
في اسماء المحدثين من امتنا ما اتفق عليه الفرق من اهل القبلة او ما اختلف فيه فقال عمرو بل ما اتفق عليه اولى
فقال له واصل الست تجد اهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة فاسقا ويختلفون فيما عدا ذلك من اسمائه
لان الخوارج تسميه مشركا فاسقا والشيعة تسميه كافر نعمة فاسقا [illegible] رضي الله عنه يعني
الشيعة الزيدية والحسن يسميه منافقا فاسقا والمرجئة تسميه مؤمنا فاسقا فاجتمعوا على تسميته بالفسق
واختلفوا فيما عدا ذلك من اسمائه فالواجب ان يسمى بالاسم الذي اتفق عليه وهو الفسق لاتفاق المختلفين
عليه ولا يسمى بما عدا ذلك من الاسماء التي اختلف فيها فيكون صاحب الكبيرة فاسقا ولا يقال فيه انه مؤمن ولا
منافق ولا مشرك ولا كافر فهذا اشبه باهل الدين فقال له عمرو بن عبيد ما بيني وبين الحق عداوة والقول قولك
فليشهد علي من حضر اني تارك المذهب الذي كنت اذهب اليه من نفاق صاحب الكبيرة من اهل الصلوة قائل
بقول ابي حذيفة في ذلك وقد روا اني قد اعتزلت مذهب الحسن في هذا الباب فاستحسن الناس هذا من عمرو وقيل ان اسم
الاعتزال انما اشتهر هذه الفرقة لاعتزالهم مذهب الحسن بن ابي الحسن في تسمية مرتكب الكبيرة من اهل الصلوة
بالنفاق وحكي غير ذلك وقيل ان قتادة بعد موت الحسن البصري رحمه الله كان يجلس مجلسه وكان هو وعمرو بن عبيد جميعا
رئيسين متقاربين في اصحاب الحسن فجرت بينهما نفرة فاعتزله عمرو في مجلس قتادة واجتمع اليه جماعة من اصحاب الحسن
فكان قتادة اذا جلس مجلسه سال عن عمرو واصحابه فيقول ما فعلت المعتزلة فسموا بذلك [illegible]
رضي الله عنه اما ما الزمه واصل بن عطا لعمرو بن عبيد اولا فسديد لازم واما ما الزمه ثانيا فظاهر واجب
والا لزم ان الاجماع وان لم يحصل في تسمية صاحب الكبيرة بالنفاق وغير ذلك من الاسماء كما وجد في تسميته بالفسق
فقد يمتنع ان يسمى به لدليل غير الاجماع ومعنى الاجماع في الشيء اذا امارة دليل على صحته فليس فقد دليله
على فساده وواصل انما الزمه ان يعدل عن التسمية بالنفاق للاختلاف فيه ويقتصر على التسمية بالفسق
للاتفاق عليه وهذا باطل ولو لزم ما ذكره للزمه ان يقال قد اتفق اهل الصلوة على استحقاق صاحب الكبيرة

الكبيرة الذم والعقاب ولم يتفقوا على التخليد في العقاب ويقول انهم اجمعوا على استحقاقه للعقاب ولم
يجمعوا على فعل المستحق به فيجب ان اقول بما اتفقوا عليه وابقي ما اختلفوا فيه فاذا قيل استحقاقه للخلود في فعل
المستحق به من العقاب وان لم يجمعوا عليه فقد علم بدليل غير الاجماع قيل له مثل ذلك فيما عولوا عليه يبطل على
كل حال ان يكون الاختلاف في القول دليلا على وجوب الامتناع منه وهذا ينقض مسائل كثيرة ذكرها
يطول على ان المقدمة التي قدمها لا تشبه ما الزم عليها ان الاجماع اولى من الاختلاف فيما يتعارض ويتقابل
والاجماع والاختلاف في الموضع الذي كلم عليه واصل عمرو وافي بكائن لان الاجماع هو على تسميته بالفسق
والاختلاف هو في تسميته بما عداه من الاسماء فلا تعارض بينهما وله ان ياخذ بالاجماع في موضعه ويعدل فيما
الاختلاف فيه الى ما دل الدليل عليه من القول لا يوجب بطلانه وحكي ان واصلا كان يقول اراد الله تعالى من العباد
ان يعرفوه ثم يعملوا قال الله تعالى لموسى اني انا ربك فعرفه نفسه ثم قال تعالى اخلع نعليك فبعد ان عرفه
نفسه امره بالعمل والدليل على ذلك قوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا والعصر
بالحق وتواصوا بالصبر علموا وعملوا وعلموا. وروى المبرد قال حدثت ان واصل بن عطا اقبل في رفقة
فاحسوا بالخوارج وكانوا قد اشرفوا على العطب فقال واصل لاهل الرفقة ان هذا ليس من شانكم
فاعتزلوا ودعوني واياهم فقالوا شانك فقال الخوارج له ما انت واصحابك قال مشركون مستجيرون ليسمعوا
كلام الله ويعقلوا حدوده فقالوا قد اجرناكم قال فعلمونا فجعلوا يعلمونهم احكامهم وجعل هو يقول قد قبلت
انا ومن معي قالوا فامضوا مصاحبين فانكم اخواننا قال لهم ليس ذلك لكم قال الله تعالى وان احد من المشركين
استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه فابلغونا مامننا فساروا باجمعهم حتى بلغوهم الامن
وحكي ان محمدا وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن كانا ممن دعاهم واصل الى القول بالعدل فاستجابا لذلك
لما جاء واصل ودعا الناس بمكة والمدينة وحكى ابو القسم البلخي ان عبد الله قال لابنه محمد كلما خالطك محمود
يا بني ما قولك بالعدل فقال له يا اباه شيئا قد دعيت تركه ولا اقدر على تركه فودك الغلام على رجل
ما قلت قال لا عاتبتك عليه ابدا قال ابو القسم البلخي يقول ان كنت اقدر على تركه فهو قولي وان كنت لا اقدر
فلم تعاتبني على شي لا اقدر عليه [illegible] ذكر ابا عثمان وهو مولى لبني العدوية من بني
تميم قال الجاحظ هو عمرو بن عبيد بن باب وباب نفسه من سبي كابل من سبي عبد الرحمن بن سمرة وكان
باب مولى لبني العدوية قال وكان ابوه عبيد شرطيا وكان عمرو متزهدا فكانا اذا اجتازا على الناس
قالوا هذا شر الناس ابو خير الناس فيقول عبيد صدقتم هذا ابرهيم وانا تارخ في نسخة قال علي بن الجعد
هو عبيد بن باب وكان يوما الحلم بن ايوب قال وكان باب له دكان معروف يقال له دكان باب وكان

فارسيا وللفرزدق معه خبر مشهور تركنا ذكره لشهرته وفحشه ، وذكر ابو الحسين الخياط ان مولد
عمرو بن عبيد وواصل بن عطا جميعا في سنة ثمانين ومات عمرو بن عبيد في سنة اربع واربعين
ومائة وهو ابن اربع وستون سنة ، وروي ان عمروا استاذن علي المنصور فدخل عليه الربيع فقال
بالباب رجل قال اني عمرو بن عبيد وكان علي المنصور جبة يمانية محققة فقال ويلك يا ربيع عمرو بالباب
قال نعم قال هات لي قميصا ابيض فاتاه به فالقاه عليه ثم قال ادر من خلفي فغطي الجبة وازرّ علي
قال الربيع ولم اكن اري ان احدا يوقره المنصور حتي رايت عمرو بن عبيد قال فدخل اليه رجل ادم مربوع
الكدنة بين عينيه اثر السجود حسن الادب حسن اللسان كانه لم يزل مع الملوك في توقيره الخليفة واعظامه
اياه قال فلم فاجتذبه المنصور ليجلس معه فابي وطرح نفسه بين يديه فساله وحفي به فلما اراد ان يقوم
قال له عظني يا با عثمان واوجز قال ان ما في يديك لست بوارث له عن احد وانما هو شي صار اليك وقد كان في
يد غيرك قبلك ولو دام لبقي في يد الاول والسلم ، وعن الاصمعي قال قال مطر الوراق لعمرو بن عبيد الى كم رحمك
ما تقول الناس فيك فقال عمرو ما تسمعني اقول فيهم شيا قال لا قال فاياهم فارحم ، وقال خالد بن صفوان لعمرو بن عبيد
رحمه الله لم لا تاخذ مني فتقضي دينا ان كان عليك وتصل رحمك فقال له عمرو اما دين فليس علي واما صلة رحمي
فلا تجب علي وليس عندي قال فما يمنعك ان تاخذ مني قال يمنعني انه لم ياخذ احد من احد شيا الا ذل له وانا
والله اكره ان اذل لك ، ويقال ان ابن الجعد اتي عمرو بن عبيد في المسجد الحرام فسلم عليه وجلس اليه وقال له ما تقول
يا با عثمان في قوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا ولو حرصتم فقال له ذلك في محبة القلوب التي لا يستطيعها
العبد ولم يكلفها فاما العدل بينهن في القسمة بين النفس والكسوة والنفقة فهو مطيق لذلك وقد كلفه بقوله فلا تميلوا
كل الميل فيما تطيقون فتذروها كالمعلقة بمنزلة من ليست ايما ولا ذات زوج فقال ابن الجعد هذا والله هو الحق ويقال
ان عمرو بن عبيد اتي يونس بن عبيد يعزيه عن ابن له فقال ان اباك كان اصلك وان ابنك فرعك وان امرا ذهب اصله
وفرعه لحري ان تقل بقاوه ، وقيل ان عبد الله بن عبد الاعلى اخذ هذا المعني فقال

صحبتك قبل الروح اذ انا نطفة ؞ تصان فما يبدو والعين مصونها
اري المرء دينا للمنايا وماله ؞ مطالا اذا حلت بنفس ديونها
فماذا بقاء الفرع من بعد اصله ؞ ستلقي الذي لاقي الغصون اصولها

واول من سبق الي هذا المعني امرؤ القيس في قوله

فبعض اللوم عاذلتي فاني ؞ سيكفيني التجارب وانتسابي
الي عرق الثري وشجت عروقي ؞ وهذا الموت يسلبني شبابي

ولنز

فانتسب

واخذ ذلك لبيد في قوله

فان انت لم يصدقك نفسك ؞ لعلك تهديك القرون الاوائل
فان لم تجد من دون عدنان والدا ؞ ودون معد فلتزعك العواذل

واخذ ايضا في قوله

تود ابنتاي ان يعيش ابوهما ؞ وهل انا الا من ربيعة او مضر

ونظر اليه محمود الوراق وابراهيم الصولي اما محمود الوراق ففي قوله

اذا ما انتسبت الي ادم ؞ ولم يك بينكما من اب
وجازت سنوك بك الاربعين ؞ وصرت الي الجانب الاجنب
ودب البياض خلال السواد ؞ فاصبح في شبه الاشهب
فكيف تؤمل طول الحياة ؞ ان كان عقلك لم يعزب

واما ابرهيم ففي قوله

نعي نفسي الي ابي ؞ وخبر ابن منقلبي
لموعظة دواها في ابيه ؞ كما رايت ابائي ابي

وكان ابو نواس لحظ هذا المعني في قوله

وما الناس الا هالك وابن هالك ؞ وذو نسب في الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ؞ له عن عدو في ثياب صديق

قال وروي ان عمرو بن عبيد دخل علي معوية بن عمرو الغلابي وهو يجود بنفسه فقال ان الله
تعالي تعبدك في حال الصحة بالعمل بجوارحك وقلبك ورفع عنك في هذه الحال عمل الجوارح ولم يكلفك الا
العمل بقلبك فاعط بقلبك ما يجب لله عليك ، وروي ان قوما اجتمعوا الي عمرو بن عبيد فتذاكروا السخا
فاكثروا في وصفه وعمرو ساكت فسالوه عما عنده فقال ما اصبتم صفته ان السخي من جاد بماله تبرعا وكف
عن اموال الناس تورعا ، وذكر اسحق بن الفضل الهاشمي قال اني لعلي باب المنصور يوما والي جنبي عمارة
بن حمزة اذ طلع عمرو بن عبيد علي حمار له فنزل عن حماره ثم رفع البساط برجله وجلس دونه والتفت الي عمارة
فقال لا يزال ابن البصرة منكم قد رمتنا منها بالحمق فما فصل كلامه من فيه حتي خرج الربيع وهو يقول ابو عثمان عمرو بن
عبيد قال فوالله ما دل علي نفسه حتي ارشد اليه فاتكاه يده ثم قال اجب امير المومنين جعلت فداك فمر متوكيا
عليه فالتفت الي عمارة فقلت ان الرجل الذي استحمقته قد دخل وتركنا فقال كثيرا ما يكون ذلك فاطال اللبث

ثم خرج الربيع وهو يبكي عليه والربيع يقول يا غلام حمار ابي عثمان فابى حتى اتي بالحمار فاستوى على سرجه
فضم اليه نشر ثوبه واستودع الله فاقبل عمارة على الربيع فقال لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل ما لو فعلتموه
بولي عهدكم لقضيتم ذمامه قال فما غاب عنك مما فعل به اكثر واعجب فقال عمارة فان اتسع لك الحديث
فحدثنا فقال الربيع ما هو الا ان سمع الخليفة بمكانه فما امهل حتى امر بمجلس ففرش لبودا ثم انتقل اليه والمهدي
معه عليه سواده وسيفه ثم اذن له فلما دخل سلم عليه بالخلافة فرد عليه وما زال يدنيه حتى اتكاه فخذه
وتحفى به ثم ساله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلا رجلا وامراة امراة ثم قال يا ابا عثمان عظنا فقال اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم والفجر وليال عشر ومر فيها الى اخرها وقال ان ربك يا ابا جعفر لبالمرصاد قال فبكى بكاء
شديدا حتى كانه لم يسمع تلك الايات الا تلك الساعة فقال زدني فقال ان الله اعطاك الدنيا باسرها
فاشتر نفسك منه ببعضها واعلم ان هذا الامر الذي صار اليك انما كان في يد من كان قبلك ثم افضى اليك
وكذلك يخرج منك الى من هو بعدك واني احذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيمة قال فبكى اشد من بكائه الاول
حتى رجف جنباه. وفي رواية اخرى انه لما انتهى الى اخر السورة فقال يا امير المؤمنين ان ربك لبالمرصاد
لمن عمل مثل عملهم ان ينزل به مثل ما نزل بهم فاتق الله من وراء بابك نيرانا تتاجج من الجور ما يعمل فيها بكتاب
الله ولا بسنة رسول الله فقال يا ابا عثمان انا نكتب اليهم في الطوامير نامرهم بالعمل بالكتاب والسنة فان
لم يفعلوا فما عسى ان نصنع فقال له مثل اذن الفارة تجزيك من الطوامير تكتب اليهم في حاجة نفسك فينفذونها
الك والله لو لم ترض من عملك الا بالعدل لتقرب اليك به من لا نية له فيه [illegible] المرتضى رضي الله عنه
رجعنا الى نسق الحديث فذكر له سليمان بن مجالد رفقا يا امير المؤمنين فقد اتعبته منذ اليوم فقال له مثلك خلع
الامر وانت لا ابا لك وماذا خفت على امير المؤمنين ان يبكي من خشية الله. وفي رواية اخرى ان سليمان بن مجالد
لما قال له ذلك رفع راسه فقال له من انت فقال له ابو جعفر الا تعرف يا ابا عثمان قال لا ولا ابالي ان لا اعرفه قال
هذا اخوك سليمان بن مجالد فقال هذا اخو الشيطان ويلك يا ابن ام مجالد خزنت نصيحتك عن امير المؤمنين ثم
اردت ان تحول بينه وبين من اراد نصيحته يا امير المؤمنين ان هؤلاء اتخذوك سلما لشهواتهم كالآخذ بالقرن
وذنبها يحلب فاتق الله فانك ميت وحدك ومحاسب وحدك ولن يغني عنك هؤلاء من ربك شيئا فقال له المنصور
يا ابا عثمان اعنا باصحابك نستعن بهم فقال له اظهر الحق يتبعك اهله قال بلغني ان محمد بن عبد الله بن الحسن
كتب اليك كتابا قال قد جاءني كتاب يشبه ان يكون كتابه قال فبماذا اجبته قال اوليس قد عرفت رايي في
السيف ايام كنت تختلف الينا واني لا اراه قال اجل ولكن تحلف لي ليطمئن قلبي قال لئن كذبتك تقية فقال له
انت الصادق البار وقد امرت لك بعشرة الاف درهم تستعين بها في زمانك قال لا حاجة لي في ذلك قال

قال والله لتأخذنها قال والله لا اخذها فقال له المهدي يحلف امير المؤمنين وتحلف فترك المهدي واقبل على
المنصور فقال من هذا الفتى قال ابني محمد وهو ولي العهد فقال والله لقد سميته اسما ما استحقه بعمل و
البسته لبوسا ما هو من لبوس الابرار ولقد مهدت له امرا امتع ما يكون به اشغل ما يكون عنه ثم التفت الى
المهدي فقال نعم يا ابن اخي اذا حلف عمك لان اباك اقدر على الكفارة من عمك فقال المنصور يا ابا عثمان هل
من حاجة قال نعم قال ما هي قال لا تبعث الي حتى اتيك قال اذن لا نلتقي قال عن حاجتي سالتني ثم ودعه
ونهض فلما ولى اتبعه بصره وانشا يقول ∴ كلكم طالب صيد ∴ كلكم ماشي رويد ∴ غير عمرو بن عبيد
وروي ان هشام بن الحكم دخل البصرة فاتى حلقة عمرو بن عبيد فجلس فيها وعمرو لا يعرفه فقال لعمرو اليس
قد جعل الله لك عينين قال نعم قال ولم قال لانظر بهما الى ملكوت السماوات والارض فاعتبر قال فجعل
لك فما قال نعم قال ولم قال لاذوق الطعوم واجيب الداعي ثم عدد الحواس كلها ثم قال وجعل لك قلبا
قال نعم قال فلم قال لتؤدي اليه الحواس ما ادركته فيميز بينها قال فانت لم يرض لك ربك تعالى اذ خلق لك
خمس حواس حتى جعل لها اماما ترجع اليه يرضى لهذا الخلق الذي جشأ بهم ان لا يجعل لهم اماما يرجعون اليه فقال
له عمرو ارتفع حتى ننظر في مسئلتك وعرفه ثم دار هشام في حلق البصرة فما امسى حتى اختلفوا. وروى ابو
عبيدة قال دخل عمرو بن عبيد على سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بالبصرة فقال له سليمان اخبرني عن
صاحبك يعني الحسن حين يزعم ان عليا ع قال اني وددت اني كنت اكل الحشف بالمدينة ولم اشهد مشهدي
هذا يعني يوم صفين قال عمرو بن عبيد لم يقل هذا لانه ظن ان امير المؤمنين ع شك لكنه يقول وددت انه كان
ياكل الحشف بالمدينة ولم تكن هذه الفتنة فقال له فقوله في عبد الله بن العباس غيننا في العمه والعميله وطار
باموالنا في ليلة فقال له وكيف يقول هذا وابن عباس لم يفارق عليا ع حتى قتل وشهد صلح الحسن ع
واي مال يجتمع في بيت مال البصرة مع حاجة علي ع الى الاموال وهو يفرغ بيت مال الكوفة في كل خميس ويرشه
وكانوا يقولون انه كان يقيل فيه فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة وهذا باطل. قال الجاحظ نازع رجل
عمرو بن عبيد في القدر فقال له عمرو ان الله تعالى قال في كتابه ما يزيل الشك عن قلوب المؤمنين في القضاء
والقدر قال ثم فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون ولم يقل لنسئلنهم عما قضيت عليهم وقدرته فيهم
او اردته منهم او شئته لهم وليس بعد هذا الاقرار بالعدل او السكوت عن الجور الذي لا يجوز على الله تعالى
قال خلاد الارقط حدثني من سمع عمرو بن عبيد قال سمعته في الليلة التي مات فيها يقول اللهم انك تعلم انه
لم يعرض لي امران قط احدهما لك فيه رضى والاخر لي فيه هوى الا قدمت رضاك على هواي فاغفر لي
ومر ابو جعفر المنصور على قبره بمران وهو موضع على اميال من مكة على طريق البصرة فانشا يقول

صلى الاله عليك من متوسل ** قد امرت به على مران
قد تقمن مؤمنا متخشعا ** عبد الاله ودان بالقران
واذا الرجال تنازعوا في شبهة ** فصل الخطاب بحكمة وبيان
فلو ان هذا الدهر ابقى مؤمنا ** ابقى لنا عمرًا ابا عثمان

وروي ابقى لنا صالحًا [illegible] هو محمد بن الهذيل بن عبيد الله بن مكحول العبدي وقال ابو القاسم البلخي هو من موالي عبد القيس وولد سنة اربع وثلثين ومايه وقال ابو الحسين الخياط احدى وثلثين ومايه وقيل انه توفي في اول ايام المتوكل سنة خمس وثلثين ومايتين فكانت سنه مايه سنة قال البردعي لحق ابا الهذيل في اخر عمره خرف الا انه لم يذهب عليه معرفة المذهب والقيام بحجته وكف بصره قبل وفاته واخذ ابو الهذيل الكلام عن عثمان الطويل صاحب واصل بن عطا وقيل ان ابا الهذيل في حداثته بلغه ان رجلا يهوديا قدم البصرة فقطع جماعة من متكلميها فقال لعمه امض بي الى هذا اليهودي اكلمه فقال له عمه يا بني كيف تكلمه وقد عرفت خبره وانه قطع مشايخ المتكلمين فقال لا بد من ان تمضي بي اليه قال فوجدته يقرر الناس على نبوة موسى عليه السلم فاذا اعترفوا له بها قال لنحن على ما اتفقنا عليه الى ان يجمع على ما تدعونه فتقدمت وقلت اتكلم ام تسألني فقال بل اسالك فقال ذاك اليك فقال لي اتعترف بان موسى عليه السلم صادق ام تنكر فتخالف صاحبك فقلت له ان كان موسى الذي تسالني عنه هو الذي بشر بنبيي صلى الله عليه وشهد بنبوته وصدقه فهو صادق وان كان غير من وصفت فذلك شيطان لا اعترف بنبوته فورد عليه ما لم يكن في حسابه ثم قال لي فتقول ان التوراة حق فقلت هذه المسالة تجري مجرى الاولى ان كانت هذه التوراة التي تسالني عنها هي التي تتضمن البشارة بنبي عليه السلم فتلك حق وان لم يكن كذلك فليست بحق ولا اقر بها فبهت وانقطع ولم يدر ما يقول ثم قال لي احتاج ان اقول لك شيا بيني وبينك فظننت انه يقول شيا من الخير فتقدمت اليه فسارني وقال لي امك كذا وكذا وام من علمك لا يكنى وقدر اني اثب به فيقول وثبوا بي وشغبوا علي فاقبلت على من كان في المجلس وقلت اعزكم الله قد وقفتم على مسالته وعلى جوابي اياه فقالوا نعم قلت افليس عليه ان يرد جوابي قالوا بلى قلت لهم فلما سارني شتمني بالشتم الذي يوجب الحد وشتم من علمني وانما قدر اني اثب عليه فيدعي انا واثبناه وشغبنا عليه وقد عرفتم شانه بعد الانقطاع فانصرفوا فاخذته الايدي من كل جهة وخرج من البصرة هاربا وعن ابي العينا قال قال لي ابو الهذيل ما معنى الخسف فقلت ان تنقلب الارض اعلاها اسفلها فقال انه لا يكون هذا اليوم بالارض فانه لبالناس قال ابو الهذيل قال لي المعدل بن غيلان العبدي وكان من سادة عبد القيس وكان يجتمع اليه اهل النظر يا ابا الهذيل ان في نفسي شيا من قول القوم في الاستطاعة فبين لي ما يذهب بالريب عني فقلت خبرني عن قول الله تعالى وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون هل يخلو من ان يكذبهم لانهم مستطيعون للخروج وهم تاركون له باستطاعة الخروج فيهم وليسوا يخرجون فقال انهم لكاذبون اذ هم مستطيعون للخروج وهم يكذبون فيقولون لسنا نستطيع ولو استطعنا لخرجنا فاكذبهم الله تعالى على هذا الوجه او يكون على وجه اخر يقولون انهم لكاذبون اي ان اعطيتهم الاستطاعة لم يخرجوا فتكون معهم الاستطاعة على الخروج ولا يخرجون فعلى كل حال قد كانت الاستطاعة على الخروج ولا يكون الخروج ولا يعقل للاية معنى ثالث غير الوجهين اللذين وصفنا وحكى سليمان الرقي ان ابا الهذيل لما ورد سر من راى نزل في غرفة الى ان يطلب له دار تصلح له قال فمررت به فقلت يا ابا الهذيل انزل في هذا المنزل فانشدني

يقولون زين المرء يا ابي رحله ** الا ان زين الرحل يا مي راكبه

وعن ابي مجالد قال رايت رجلا وقد سال ابا الهذيل وهو في القذافين بعقبه فصاح فقال من جمع بين الزنا يا ابا الهذيل فقال له يا ابن اخي اما اهل البصرة فانهم يقولون القوادون ولا احسب اهل بغداد يخالفونهم في هذا القول فما تقول انت فخجل الرجل وسكت قال ابو الهذيل قلت لرجل ممن ينفي الحركة ولم يسمه وزعم قوم انه الاصم اخبرني عن قول الله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وذكر القاذف فقال فاجلدوهم ثمانين جلدة فايهما اكثر قال حد الزاني فقلت بكم قال بعشرين فقلت خبرني عن الجلد اهو يد الجلاد قال لا قلت اهو السوط قال لا قلت اهو ظهر المجلود قال لا قلت افهو الانفراج الذي بين السوط وظهر المجلود قال لا قلت افثم شي غير هذا هو الجلد قال لا قلت فانما تقول ان لا شي اكثر من لا شي بعشرين قال فانقطع وقال ابو الهذيل قلت لمجوسي ما تقول في النار قال بنت الله قال فالبقر قال ملايكة الله قص اجنحتها وحطها الى الارض يحرث عليها قلت فالماء قال نور الله قلت فما الجوع والعطش قال هما فقر الشيطان وفاقته قلت فمن يحمل الارض قال بهمن الملك قلت ما في الدنيا اشر من المجوس اخذوا ملايكة الله فذبحوها ثم غسلوها بنور الله ثم شووها ببنت الله ثم دفعوها الى فقر الشيطان وفاقته ثم سلحوها على راس بهمن اعز ملايكة الله تعالى فانقطع المجوسي وخجل مما لزمه ودخل ابو الهذيل يوما على الحسن بن سهل بفم الصلح وعنده فتى قد رفع مجلسه فقال ابو الهذيل من هذا الفتى الذي قدمه الامير ولم يوفه بمعرفة حقه قال رجل من اهل النجوم قال امن اهل صناعة الحساب ام الاحكام قال الاحكام قال ذلك علم باطل فاسله قال سله فاخذ ابو الهذيل تفاحة من بين يديه وقال اكل هذا ام لا قال تاكلها فوضعها ابو الهذيل وقال لست اكلها

قال فعيدها الي يدك واعيد النظر فوضعها واخذ غيرها فقال له الحسن لم اخذت غيرها قال ليلا تقول لا تاكلها فاكلها خلافا عليه فتقول قد اصبت في المسئلة الاولى وقال ثمامة للمامون قلت لابي الهذيل دل على حدث العالم بغير الحركة والسكون فقال له ابو الهذيل مثلك مثل رجل قال لخصمه احضرني الى القاضي ولا تحضر بينتك وذكر محمد بن الجهم صاحب الفرا قال رايت ابا الهذيل وقد جا الى الديوان في ايام المامون فسال عن سهل بن هرون بن راهبون ان يكتب له كتابا في حاجة الى الحفصي بن صاحب الجيش فاملى علي سهل بن هرون

ان الضمير اذا سالتك حاجة * لابي الهذيل خلاف ما ابدي
فاذا اتاك لحاجة فامدد له * حبل الرجا بمخلف الوعد
والن له كنفا ليحسن ظنه * في غير منفعة ولا رفد
حتى اذا طالت شقاوة جده * ورجا الغني فاجبهه بالرد
وان استطعت له المضرة فاجتهد * فيما يضره بابلغ الجهد
وانظر كلامي فيه فارم به * خلف الثريا منك في البعد
وكذاك فافعل غير محتشم * ان جيت اسئل في ابي الهند

المرتضى رضي الله عنه ويشبه هذا المعنى ما اخبرنا به المرزباني ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابي الازهر قال اخبرنا ابو العينا قال كان لي صديق فجاني يوما فقال اريد الخروج الى فلان العامل واحب ان يكون معي اليه وسيلة وقد سالت من صديقه فقيل لي ابو عثمان الجاحظ وهو صديقك فاحب ان تاخذ كتابه لي اليه بالعناية قال فصرت الى الجاحظ فقال لي في اي شي جا ابو عبد الله فقلت مسلما وقاضيا لحقي وفي حاجة لبعض اصدقائي وهي كذا وكذا فقال لا تشغلنا الساعة عن المحادثة فاني في غد اوجه اليك بالكتاب فلما كان من الغد وجه لي بالكتاب فقلت لابني وجه بهذا الكتاب الى فلان ففيه حاجته فقال لي ان ابا عثمان بعيد الغور فينبغي ان نفضه وننظر ما فيه ففعلت فاذا في الكتاب كتابي اليك مع من لا اعرفه وقد كلمني فيه من لا اوجب حقه فان قضيت له حاجته لم احمدك وان رددته لم اذممك فلما قرات الكتاب مضيت الى الجاحظ من فوري فقال يا ابا عبد الله قد علمت انك قد انكرت ما في الكتاب فقلت اوليس موضع نكرة فقال لا هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن اعتني به فقلت لا والله ما رايت رجلا اعلم بطبعك وما جبلت عليه من هذا الرجل يعني صاحب الحاجة علمت انه لما قرا الكتاب قال ام الجاحظ عشرة الاف في ام من يساله فقلت له اتشتم صديقنا فقال هذه علامتي فيمن اشكره وفي رواية اخرى ان ابا العينا سلم الكتاب الى صاحب الحاجة فقال له فض الكتاب فقال انه مختوم فقال ابو العينا طينة اهون من ظنة

الشريف المرتضى رضي الله عنه واظن ان ابا العينا نبه على فض الكتاب وقراته بخبر طرفة بن العبد والمتلمس الضبعي المشهور وذلك انهما وفدا على عمرو بن هند فنادماه واخصاهما ثم افضا الامر الى ان هجاه كل واحد منهما وعرضوا به في الشعر المشهور فحنق عليهما وهم بقتلهما ثم اشفق عليهما من ذلك واراد قتلهما بيد غيره وكان على طرفة احنق فعلم انه ان قتله هجاه المتلمس فكتب لهما كتابا الى البحرين وقال لهما اني قد كتبت لكما بصلة فاشخصا لتقبضاها فخرجا من عنده والكتابان في ايديهما فمرا بشيخ جالس على ظهر الطريق منكشف يتبرز ومعه كسرة خبز ياكل منها ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه قال احدهما لصاحبه هل رايت اعجب من هذا الشيخ فسمع الشيخ مقالته فقال وما ترى من عجبي ادخل طيبا واخرج خبيثا واقتل عدوا وان اعجب مني لمن يحمل حتفه بيده وهو لا يدري فاوجس المتلمس في نفسه خيفة وارتاب بكتابه فلقيه غلام من اهل الحيرة فقال له اتقرا يا غلام قال نعم ففض كتابه ودفعه الى الغلام فقراه فاذا فيه اذا اتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا فاقبل على طرفة فقال له تعلم والله لقد كتب فيك بمثل هذا فادفع كتابك الى الغلام يقراه عليك فقال كلا والله ما كان ليجترئ علي في مثل هذا ولم يلتفت الى قول المتلمس والقى المتلمس كتابه في نهر الحيرة وقال خاتم صح

قذفت بها بالثني من جنب كافر * كذلك اقنو كل قط مضلل
رضيت لها بالماء لما رايتها * يجول بها التيار في كل جدول

كافر نهر بالحيرة واقنو اقتني والقط الكتاب والتيار معظم الماء وكثرته وقال المتلمس ايضا

من مبلغ الشعراء عن اخويهم * نبا فتصدقهم بذاك الانفس
اودى الذي علق الصحيفة منهما * ونجا حذار حياته المتلمس
القى صحيفته ونجت كوره * وجناء محمرة المناسم عرمس
عيرانة طبخ الهواجر لحمها * فكان نقبتها اديم املس
اطريفة بن العبد انك حاين * اسلحة الملك الهمام تمرس
القى الصحيفة لا ابا لك انه * يخشى عليك من الحباء النقرس

النقرس ههنا الداهية ومضى طرفة بكتابه الى البحرين فامر به المعلى بن حنش العبدي فقتل فقال المتلمس

عصاني فلم يلق الرشاد وانما * تبين من امر الغوي عواقبه
فاصبح محمولا على ظهر آلة * يمج نجيع الجوف منه ترايبه
فلا تحللها تحالوا كفوتها * وكيف توقي ظهر ما انت راكبه

ولحق المتلمس الشام وهجا عمرا وبلغه ان عمرا يقول لئن وجد بالعراق ليقتلنه فقال

الست حبا العراق الدهر آكله   والحب ياكله في القرية السوس

وجري المثل بصحيفة المتلمس فقال الفرزدق في ذكر الشعراء الذين لو رثي اشعارهم

وهب القصايد لي النوابغ كلهم   وابو يزيد وذو القروح وجرول
واخو بنو قيس وهن قتلنه   ومهلهل الشعراء ذاك الاول

يعني بالنوابغ النابغة الذبياني والجعدي ونابغة بني شيبان ويعني بابي يزيد المخبل السعدي وجرول هو الحطيه وذو القروح امر القيس واخو بني قيس هو طرفه ومعنى قوله وهن قتلنه يعني القصايد التي هجا بها عمرو بن هند ويقال ان صاحب طرفه والمتلمس في هذه القصة هو النعمان بن المنذر فلذلك يقول طرفه

ابا منذر كانت غرورا صحيفتي   ولم اعطكم في الطوع مالي ولا عرضي
ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا   حنانيك بعض الشر اهون من بعض

وابو منذر هو النعمان بن النعمان وكان النعمان بعد عمرو بن هند وقد مدح طرفه النعمان فلا يجوز ان يكون عمرو قتله ويشبه ان يكون القصة مع النعمان جليس الثالث عشر وكان ابو سهل بشر بن المعتمر من وجوه اهل الكلام ويقال ان جميع المعتزلة ببغداد كانوا مستجيبيه وقال ابو القاسم البلخي انه من اهل بغداد وقيل من اهل الكوفة وذكر الجاحظ انه كان ابرص وحكي انه كان يوما في مجلسه وعنده اصحابه وفيهم مجبر يسالهم ويقول انتم تحمدون الله تعالى على ايمانكم وهم يقولون نعم فيقول لهم فكان يحب ان يحمد على ما لا يفعله وقد ذم ذلك في كتابه فيقولون انه انما ذم من احب ان يحمد على ما لم يفعله مما لم يعن عليه ولم يدع اليه وهو يشغب اذ اقبل ثمامة بن اشرس فقال بشر للمجبر قد سالت القوم فاجابوك وهذا ابو معن فاساله فساله عن المسلة فقال هل يجب عليك ان تحمد الله تعالى على الايمان قال لا بل هو يحمدني على انه امرني ففعلته وانا احمده على الامر به والتقوية عليه والدعا اليه فانقطع المجبر فقال بشر شنعت فسهلت قال الجاحظ كان لبشر قصيدة في ابي الهذيل العلاف وينسبه الى النفاق فقال وهو يصف ابا الهذيل لان يكون لا يعلم وهو عند الناس عالم احب اليه من ان يعلم ويكون عند الناس لا يعلم ولان يكون من السفلة وهو عند الناس من العلية احب اليه من ان يكون من العلية وهو عند الناس من السفلة ولان يكون نبيل المنظر سخيف المخبر احب اليه من ان يكون نبيل المخبر سخيف المنظر وهو بالنفاق اشد تحققا منه بالاخلاص ولباطل مقبول احب اليه من حق مدفوع ولبشر اشعار كثيرة يحتج فيها للمقالات وذكر الجاحظ لم ير احدا قوي في المخمس والمزدوج على ما قوي عليه بشر وانه كان اكثر في ذلك واقدر من ابان اللاحقي وهو القايل

ان كنت تعلم ما تقول وما يقول فانت عالم   اوكنت تجهل ذا وذاك فكن لاهل العلم لازم

اهل الرياسة من ينازعهم رياستهم فظالم   سهرت عيونهم وانت عن الذي قاسوه حالم
لا تطلبن رياسة بالجهل انت بها مخاصم   لولا مقامهم رايت الدين مضطرب الدعايم

ابو اسحاق ابراهيم بن سيار النظام فانه كان متقدما في العلم بالكلام حسن الخاطر شديد التدقيق والغوص على المعاني وانما اداه الى المذاهب الباطلة التي تفرد بها واستشنعت منه تدقيقه وتغلغله وقيل انه مولى الزياديين من ولد العبيد وكان الرق جرى على احد ابايه وقيل للنظام ما الاختصار فقال الذي [illegible] وقال له رجل اتعرف فلان المجوسي قال نعم قال ذاك الذي حلق وسط راسه كما يفعل اليهودي فقال النظام لا مجوسيا عرفت ولا يهوديا وصفت قال الجاحظ وذكر للنظام عبد الوهاب الثقفي فقال هو والله احلى من امن بعد خوف وبر بعد سقم وخصب بعد جدب وغنى بعد فقر وطاعة المحبوب وفرج المكروب ومن الوصال الدايم مع الشباب الناعم وللنظام شعر صالح فمنه

يا تاركي جسدا بغير فواد   اسرفت في الهجران والابعاد
ان كان يمنعك الزيارة اعين   فادخل الي بعلة العواد
كيما اراك وتلك اعظم نعمة   ملكت يداك بها منيع قيادي
ان العيون على القلوب اذا جنت   كانت بليتها على الاجساد

ولـــه

توهمه طرفي فالم خده   فكان مكان الوهم من نظري اثر
وصافحه قلبي فالم كفه   فمن صفح قلبي في انامله عقر
ومر بقلبي خاطرا فجرحته   ولم ار خلقا قط يجرحه الفكر
يمر فمن لين وحسن تعطف   يقال به سكر وليس به سكر

ويقال ان ابا العتاهية قال انشدت النظام

اذا ما النديم له بلحظ   تمشت في محاسنه الكلوم

فقال ينبغي ان ينادم هذا اعمى وابيات النظام تتضمن معنى بيت العتاهية ولسنا ندري ايهما اخذ من صاحبه وللنظام يكرر هذا المعنى كثيرا في شعره من ذلك قوله

رق فلو بزت سرابيله   علقه الجو من اللطف
يجرحه الطرف بتكراره   ويشتكي الايماء بالطرف

وحكي ان النظام جاء به ابوه وهو حدث الى الخليل بن احمد فقال له الخليل يوما يمتحنه وفي يده قدح زجاج يا بني

صف لي هذه الزجاجة فقال ابدح ام بذم قال بلح قال نعم تزكي القذى ولا تقبل الاذى ولا تستر ما وراءها
قال فذمها قال يسرع كسرها ويبطي جبرها قال فصف هذه النخلة واو مالك نخلة في دار قال ابدح او ذم قال
بلح قال هي حلو مجتناها باسق منتهاها فاتا صرعاها قال فذمها قال هي صعبة المرتقى بعيدة المجتنى محفوفة
بالاذى قال الخليل نحن يا بني الى التعلم منك احوج [illegible] المرتضى رضي الله عنه هذه بلاغة من الغلام
حسنة لان البلاغة هي وصف الشي مدحا او ذما باقصى ما يقال فيه وشبيه بهذا المعنى خبر لبيد المشهور في هجائه
للبقلة التي امتحن بها هجاء بها والخبر بذمها فقال فيها ابلغ ما يقال في مثلها وذلك ان نعمانا وانسا وقيسا
الربيع بني زياد العبسيين وفدوا على النعمان بن المنذر ووفد عليه العامريون بنو ام البنين عامر بن مالك بن جعفر بن
كلاب وهو ملاعب الاسنة وكان العامريون ثلثين رجلا وفيهم لبيد بن ربيعه بن مالك بن جعفر وهو يومئذ
غلام له ذوابة وكان الربيع بن زياد العبسي ينادم النعمان ويكثر عنده ويتقدم على من كان سواه وكان يدعى
الكامل لشطاطه وبياضه وكماله فضرب النعمان قبة على ابي براء واجرى عليه وعلى من معه النزل فكانوا يحضرون
النعمان لحاجتهم فافتخروا يوما بحضرته فكاد العبسيون يغلبون العامريين وكان الربيع بالنعمان يطعن فيهم
ويذكر معايبهم ففعل ذلك مرارا العداوة بني جعفر لانهم كانوا اسروه فصد النعمان عنهم حتى نزع القبة عن ابي
براء وقطع النزل ودخلوا عليه يوما فراوا منه جفاء وقد كان يعظمهم قبل ذلك ويكرمهم ويقدم مجلسهم فخرجوا من عنده
غضابا وهموا بالانصراف ولبيد في رحالهم يحفظ امتعتهم ويغدو بابلهم فيرعاها فاذا امسى انصرف بها
فاتاهم تلك الليلة فاذا هم يتذاكرون امر الربيع فقال لهم ما لكم تتناجون فكتموه وقالوا اليك عنا فقال اخبروني
فلعل عندي فرجا فزجروه فقال والله لا احفظ لكم متاعا ولا اسرح لكم بعيرا او تخبروني وكانت ام لبيد عبسية
في حجر الربيع فقالوا خالك قد غلبنا على الملك وصد عنا وجهه فقال لهم هل تقدرون ان تجمعوا بيني وبينه
غدا حين يقعد الملك فارجز به رجزا ممضا مولما لا يلتفت اليه النعمان بعده ابدا قالوا وهل عندك ذلك قال
نعم قالوا فانا نبلوك بشتم هذه البقلة وقدامهم بقلة دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها بالارض
تدعى التربة فاقتلعها من الارض واخذها بيده وقال هذه البقلة التربة الرذلة التي لا تذكي نارا ولا تؤهل
دارا ولا تسر جارا عودها ضئيل وفرعها ذليل وخيرها قليل بلدها شاسع ونبتها خاشع واكلها جائع
والمقيم عليها قانع اقصر البقول فرعا واخبثها مرعى واشدها قلعا فحربا لجارها وجدعا القوا بي اخا بني عبس
ارجعه عنكم بتعس ونكس واتركه من امره في لبس فقالوا نصبح ونرى فيك راينا فقال لهم عامر انظروا غلامكم فان
رايتموه نائما فليس امره بشي انما تكلم بما جرى على لسانه وان رايتموه ساهرا فهو صاحبكم فرمقوه بابصارهم
فوجدوه قد ركب رحلا يكدم واسطه حتى اصبح فلما اصبحوا قالوا انت والله صاحبه فحلقوا راسه وتركوا له ذوا

ذوابتين والبسوه حلة وغدوا به معهم فدخلوا به على النعمان فوجدوه يتغدى ومعه الربيع وليس معه غيره
والدار والمجالس مملوءة بالوفود فلما فرغ من الغداء اذن للجعفريين فدخلوا عليه والربيع الى جانبه فذكروا
للنعمان حاجتهم فاعترض الربيع في كلامهم فقام لبيد وقد دهن احدى شقي راسه وارخى ازاره وانتعل
نعلا واحدة وكذلك كانت الشعراء تفعل في الجاهلية فمثل بين يديه وقال

يا رب هيجا هي خير من دعه   اذ لا تزال هامتي مقزعه
نحن بنو ام البنين الاربعه   ونحن خير عامر بن صعصعه
المطعمون الجفنة المدعدعه   والضاربون الهام تحت الخيضعه
مهلا ابيت اللعن لا تاكل معه   ان استه من برص ملمعه
وانه يدخل فيها اصبعه   يدخلها حتى يواري اشجعه
كانما يطلب شيا ضيعه

فلما فرغ لبيد التفت النعمان الى الربيع شزرا وقال
اكذلك انت فقال كذب والله ابن الحمق اللئيم فقال النعمان اف لهذا الطعام لقد خبثت علي طعامي فقال
الربيع ابيت اللعن اما اني لقد فعلت بامه لا يكني وكانت في حجري فقال لبيد انت لهذا الكلام اهل اما
انها من نسوة غير فعل وانت المرء فعل هذا في يتيمته [illegible] المرتضى رضي الله ووجدت في
رواية اخرى اما انها من نسوة فعل وانما قال ذلك لانها كانت من قوم الربيع فنسبها الى القبح وصدقه
عليها الهجينا له ولقومه فامر الملك بهم جميعا فاخرجوا واعاد على ابي براء القبة وانصرف الربيع الى منزله
فبعث اليه النعمان بضعف ما كان يحبوه به وامره بالانصراف الى اهله فكتب اليه اني قد تخوفت ان يكون قد
وقع في صدرك ما قاله لبيد ولست برائم حتى تبعث الي من يجردني ليعلم من حضرك من الناس اني لست كما قال
فارسل اليه انك لست صانعا بانتفائك مما قال لبيد شيا ولا قادرا على رد ما زلت به الالسن فالحق باهلك
ثم كتب اليه النعمان في جملة ابيات جوابا عن ابيات كتبها الربيع اليه مشهورة

شمر برحلك عني حيث شئت ولا   تكثر علي ودع عنك الاباطيلا
قد قيل ذلك ان حقا وان كذبا   فما اعتذارك من شي اذا قيلا

واخبرنا بهذا الخبر ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا الحسن بن دريد قال اخبرنا ابو حاتم عن ابي عبيدة واخبرنا
بمثله المرزباني قال حدثني محمد بن احمد الكاتب قال اخبرنا احمد بن عبيد بن ناصح النحوي قال اخبرنا محمد بن زياد
عن الكلبي عن عبد الله بن مسلم البكاوي وكان قد ادرك الجاهلية وفي حديث كل واحد زيادة على الاخر
لم نات بجميع الخبر على وجهه بل سقطنا منه ما لم يحتج اليه واوردنا ما اوردنا بالفاظه واما قوله

فقد رميت بداء لست غاسله   ما جاور النيل يوما اهل ابلا
لئن رحلت ركابي لا الى سعة   ما مثلها سعة عرضا ولا طولا
ولو جمعت بني لخم باسرهم   ما وازنوا ريشة من ريش شمويلا
فابرق بارضك يا نعمان متكيا   مع النطاسي طورا وابن توفيلا

ام البنين الاربعة فانه نصب على المدح والعرب تنصب على المدح والذم جميعاً وام البنين هي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن صعصعة وكانت تحت مالك بن جعفر فولدت له عامر بن مالك ملاعب الاسنة وطفيل بن مالك فارس قرزل وهو ابو عامر بن الطفيل وقرزل فرس كانت له وربيعة بن مالك ابا لبيد وهو ربيع المقترين ومعوذ بن مالك معوذ الحكام وانما سمي معوذاً بقوله ؞ اعوذ مثلها الحكام بعدي ؞ اذا ما الحق في الاشياء نابا ؞

وولدت عبيدة الوضاح فهولا خمسة وقال لبيد اربعة لان الشعر لم يمكنه من غير ذلك فاما الجفنة المدعدعة فهي المملوة واما الخيضعة فان الاصمعي روى ان لبيداً قال تحت الخنعة يعني الجلبة فسوته الرواة وقيل ان الخيضعة اصوات وقع السيوف والخيضعة ايضاً البيضة التي تلبس على الراس والخيضعة الغبار والقول يحتمل ذلك فاما ابيت اللعن فان ابا حاتم قال سالت الاصمعي عنه فقال معناه ابيت ان تاتي من الامر ما تلعن عليه ؞ واما الاشاجع فهي العروق والعصب التي على ظهر الكف ؞ وقد روي كل يوم هامتي مقزعه والقزع هو ان يسقط بعض الشعر او الصوف ويبقى بعضه يقال تيس اقزع وفيه قزع فاما الجاحظ فهو ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب مولى ابي القلمس عمرو بن قلع الكناني ثم الفقيمي وذكر المبرد انه ما راى احرص على العلم من ثلثة الجاحظ والفتح بن خاقان واسمعيل بن اسحق القاضي فاما الجاحظ فانه كان اذا وقع بيده كتاب قراه من اوله الى اخره اي كتاب كان واما الفتح بن خاقان فكان يحمل الكتاب في خفه فاذا قام من بين يدي المتوكل للبول او للصلوة اخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريده ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه الى ان ياخذ مجلسه فاما اسمعيل بن ابي اسحاق فاني ما دخلت عليه قط الا وفي يده كتاب ينظر فيه او يقلب الكتب ليطلب كتاباً ينظر فيه قال المرتضى تفرد الجاحظ بان القول بالمعرفة طباع وهي مع ذلك فعل للعباد على الحقيقة وكان يقول في سائر الافعال انما تنسب الى العباد على انها وقعت منهم طباعاً وانها وجبت بارادتهم وليس بجائز ان يبلغ احد فلا يعرف الله تعالى والكفار عنده بين معاند وبين عارف قد استغرقه حبه لمذهبه وشغفه والفه وعصبيته فهو لا يشعر لما عنده من المعرفة بخلافه وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك الزيات وكان منحرفاً عن احمد بن ابي داود للعداوة التي كانت بين احمد ومحمد فلما قبض على ابن الزيات هرب الجاحظ فقيل له لم هربت قال خفت ان اكون ثاني اثنين اذ هما في التنور يريد ما صنع بمحمد بن عبد الملك من ادخاله تنوراً فيه مسامير كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب به حتى مات ؞ وروي انه لما اتي بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه سلسلة وهو مقيد في قميص سمل فلما نظر اليه ابن ابي داود قال والله ما علمتك الا متناسياً للنعمة كفوراً للصنيعة معدناً للمساوي وما فتئت باستصلاحي لك ولكن الايام لا تصلحك لفساد طويتك ورداءة دخلتك وسوء اختيارك وغالب طبعك فقال له الجاحظ خفض عليك ايدك الله فوالله لان يكون لك الامر علي خير من ان يكون لي عليك ولان اسي وتحسن

وتحسن احسن في الاحدوثة عنك من ان احسن فتسي ولان تعفو عني في حال قدرتك اجمل بك من الانتقام مني فقال له ابن ابي داود قبحك الله فوالله ما علمتك الا كثير تزويق اللسان وقد جعلت بيانك امام قلبك ثم اصطغنت فيه النفاق والكفر يا غلام صر به الى الحمام وامط عنه الاذى فاخذت عنه السلسلة والقيد وادخل الحمام وحمل اليه تخت من ثياب وطويلة وخف فلبس ذلك واتاه فصدره في مجلسه ثم اقبل عليه فقال هات الان حديثك يا ابا عثمان ؞ وقال المبرد سمعت الجاحظ يقول احذر من تامن فانك حذر ممن تخاف ؞ وقال الجاحظ قلت لابي يعقوب الخريمي الشاعر من خلق المعاصي قال الله قلت فمن عذب عليها قال الله قلت ولم قال لا ادري والله وكان الجاحظ يقول لا ينبغي للكاتب ان يكون رقيق حواشي الكلام عذب ينابيعه اذا حاور سدد سهم الصواب الى غرض الكلام المعنى قال ولا يكلم العامة بكلام الخاصة ولا الخاصة بكلام العامة ؞ وقال سوار بن ابي سراقة كتبت عند الجاحظ فرآني اكتب خطاً ردياً في ورق ردي متقارب السطور فقال لي ما احسبك تحدو شيئاً فقلت كيف ذاك قال لاني اراك تسي اليهم فيما تطلبه وذكر ابو العباس المبرد قال سمعت الجاحظ يقول لرجل اذا انت والله احوج الحيوان من كثر الى الراي ومن عمل الى علم ومن قدر الى عفو ومن نعمة الى شكر وقال المبرد قال لي الجاحظ يوماً اتعرف مثل قول اسمعيل بن القسم ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ؞ على نائبات الدهر حين تنوب

فقلت نعم قول كثير ومنه اخذ ؞ ؞

؞ فقلت لها يا عز كل مصيبة ؞ اذا وطنت يوماً لها النفس ذلت ؞

ورثى يموت بن المزرع خاله الجاحظ وهو حي ؞

؞ نسب الجاحظ مقصور اليه منتهاه ؞ تنمي له الاحساب بالناس ولا يعدوه ؞

؞ يتحاجى بابي الجاحظ فيه كاباه ؞ ليس يدعى بابي الجاحظ الا من رآه ؞

واخبرنا المرزباني قال اخبرني علي بن هرون قال انشدني وكيع قال انشدنا ابو العينا قال انشدني الجاحظ لنفسه في الخضاب ؞

زرت فتاة من بني هلال ؞ فاستعجلت الي بالسوال ؞

؞ مالي اراك قاني السبال ؞ كانما كرعت في جريال ؞

؞ ما ينبغي مثلك من امثالي ؞ تنح قدامي ومن حيالي ؞

قال المرتضى رضي الله عنه قوله كانما كرعت في جريال مليح قوي ولا يشبه شعر الجاحظ لليبسه وضعف كلامه وذكر ابو العينا قال حدثني ابرهيم بن رياح قال انشدني الجاحظ يمدحني فقال ؞

بدا حين اثرى باخوانه ؞ ففكك عنهم شباه العدم ؞

؞ وذكره الحزم ريب الزمان ؞ فبادر بالعرف قبل الندم ؞

قال ابراهيم فذاكرت بها احمد بن ابي داود فقال قد انشدنيها ولقيت محمد بن الجهم فقال انشدنيها احمد
بها وقال يموت بن المزرع سمعت الجاحظ يقول لا اعرف شعرا يفضل على شعر ابي نواس وهو قوله

ودار ندامى عطلوها وادلجوا ٭ بها اثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى ٭ واضغاث ريحان جني ويابس
حبست بها صحبي فجددت عهدهم ٭ واني على امثال تلك لحابس
ولم ادر منهم غير ما شهدت به ٭ بشرقي ساباط الديار البسابس
اقمنا بها يوما ويوما وثالثا ٭ ويوما له يوم الترحل خامس
تدار علينا الراح في عسجدية ٭ حبتها بانواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها ٭ مها تدريها بالقسي الفوارس
فللخمر ما زرت عليه جيوبها ٭ وللماء ما دارت عليه القلانس

قال الجاحظ فانشدتها ابا شعيب القلال فقال يا ابا عثمان لو نقر هذا الشعر لطن فقلت ويلك ما تفارق الجرار والخزف حيث كنت [illegible] رضي الله عنه اخذ ابو نواس قوله ولم ادر منهم غير ما شهدت
بشرقي ساباط الديار البسابس من ابي خراش الهذلي

ولم ادر من القى عليه رداءه ٭ سوى انه قد سل عن ماجد محض

ويقال ان ابا خراش اول من مدح من لا يعرف وذلك ان خراش بن ابي خراش اسر هو وعروة بن مرة فطرح رجل من القوم رداءه على خراش حين شغل القوم بقتل عروة ونجاه فلما انتهى الى اهله قال انه افلت مني ويقال بل اتاه في الاسر رجل من بني جعد فالقى عليه رداءه ليحميه وقال له النجا ويلك فقال ابو خراش في ذلك

حمدت الهي بعد عروة اذ نجا ٭ خراش وبعض الشر اهون من بعض
واليت لا انسى قتيلا رزيته ٭ بجانب قوسى ما مشيت على الارض
بلى انها تعفو الكلوم وانما ٭ نوكل بالادنى وان جل ما يمضي
ولم ادر من القى عليه رداءه ٭ سوى انه قد سل عن ماجد محض

واخبرنا المرزباني قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن شهاب قال اخبرنا ابو الحسن احمد بن محمد البرذعي المتكلم قال صرت الى منزل الجاحظ في اول ما قدمت من بلدي وقد اعتل علته التي مات فيها فاستاذنت عليه فخرج علي خادم من له فقال اي يقول لك ما تصنع بشق مائل ولعاب سائل فانصرفت عنه وذكر يموت بن المزرع قال انفذ المتوكل في السنة التي قتل فيها ان يحمل اليه الجاحظ من البصرة وسال المتوكل ذلك فوجده لا فضل عنه فقال لمن اراد حمله وما يصنع بامرئ ليس بطائل ذي شق مائل ولعاب سائل وفرج بائل وعقل حائل

وذكر المبرد قال سمعت الجاحظ يقول انا من جانبي الايسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض ما علمت ومن جانبي الايسر منقرس فلو مر به الذباب لالمت وبي حصاة لا ينسرح لي البول معها واشد ما علي ست وتسعون وقال يوما للطبيب يشكو اليه علته اصطلح الاضداد على جسدي ان اكلت باردا اخذ برجلي وان اخذت حارا اخذ براسي وتوفي في سنة خمس ومائتين [illegible] تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملائكة والنبيين واتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة واتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فقال كيف ينبغي ان يكون تولية الوجوه الى الجهات من البر يفعل ذلك في الصلوة وهي بر لا محالة وكيف خبر عن البر بمن والبر المصدر ومن اسم محض وعلى اي شيء كنى بالهاء في قوله تعالى واتى المال على حبه وما المخصوص بهذه الكناية عنه وقد تقدمت اشياء كثيرة وعلى اي شيء ارتفع الموفون وكيف نصب الصابرين وهم معطوفون على الموفين وكيف وحد الكناية في موضع وجمعها في اخر فقال بعد من امن واقام الصلوة ثم قال والموفون والصابرين يقال فيما ذكرته اولا اجوبة ان احدها انه تعالى اراد ليس الصلوة هي البر كله لكن البر ما عدد في الاية من ضروب الطاعات وصنوف الواجبات فلا تظنوا انكم اذا توجهتم الى الجهات بصلاتكم فقد احرزتم البر باسره وحزتموه بكماله بل يبقى عليكم بعد ذلك معظمه واكثره والجواب الثاني ان النصارى لما توجهوا الى المشرق واليهود الى بيت المقدس واتخذوا هاتين الجهتين قبلة واعتقدوا في الصلوة اليهما انها بر وطاعة خلافا على الرسول صلى الله عليه اكذبهم الله تعالى في ذلك وبين ان ذلك ليس من البر اذ كان منسوخا بالشريعة النبي صلى الله عليه التي تلزم الاسود والابيض والعربي والعجمي وان البر هو ما تضمنته الاية فاما الاخبار عن البر بمن ففيه وجوه ثلاثة اولها ان يكون معنى البر ههنا البار وذا البر وجعل احدهما في مكان الاخر والتقدير ولكن البار من امن بالله و يجري ذلك مجرى قوله تعالى ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا اي غائرا ومثله قول الشاعر

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت ٭ فانما هي اقبال وادبار

اراد مقبلة ومدبرة ومثله ٭ تظل جيادهم نوحا عليهم ٭ مقلدة اعنتها صفونا
اراد نائحة عليهم ومثله قول الشاعر ٭ هريقي من دموعهما سجاما ٭ ضباع وجاوبي نوحا قياما
والوجه الثاني ان العرب تخبر عن الاسم بالمصدر والفعل وعن المصدر بالاسم فقوله تعالى ولكن البر من امن

بالله وقول العرب انما البر الذي يصل الرحم ويفعل كذا وكذا واما اخبارهم عن الاسم بالمصدر والفعل
فمثل قول الشاعر لعمرك ما الفتيان ان تنبت اللحى ولكنما الفتيان كل فتى ندا
فجعل ان تنبت وهو مصدر خبرا عن الفتيان والوجه الثالث ان يكون المعنى ولكن البر بر من امن بالله
فحذف البر الثاني واقام الاول مقامه كقوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل اراد تعالى حب العجل قال الشاعر

وكيف تواصل من اصبحت   خلالته كابي مرحب

اراد كخلالة ابي مرحب وقال النابغة

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي   على وعل في ذي المطارة عاقل

اراد مخافة وعل وتقول العرب بنو فلان يطاهم الطريق اي اهل الطريق وحكي عن بعضهم اطيب الناس
الزبد اراد ما اكل الناس الزبد وكذلك قولهم حسبت صياحي زيدا اي صياح زيد وروي عن ابن عباس
في قوله تعالى ليس على الاعمى حرج اي ليس على من اكل مع الاعمى حرج وفي قوله عز وجل راعيهم كلهم وذكروا
انه اراد عيانا يتبعهم فاما ما كني عنه بالهاء في قوله تعالى وآتى المال على حبه ذوي القربى ففيه وجوه اربعة
اولها ان تكون الهاء راجعة على المال الذي تقدم ذكره ويكون المعنى واتى المال على حب المال واضيف الحب
الى المفعول ولم يذكر الفاعل كما يقول القائل اشتريت طعامي كاشترائك طعامك والمعنى كاشترائك طعامك
والوجه الثاني ان تكون الهاء راجعة على من امن بالله فيكون المصدر مضافا الى الفاعل ولم يذكر المفعول
لظهور المعنى ووضوحه والوجه الثالث ان ترجع الهاء الى الايتاء الذي دل عليه اتى والمعنى واعطى
المال على حب الاعطاء ويجري ذلك مجرى قول القطامي

هم الملوك وابناء الملوك هم   والآخذون به والساسة الاول

كنى بالهاء عن الملك لدلالة قوله الملوك عليه ومثله قول الشاعر   وانشد

اذا نهي السفيه جرى اليه   وخالف والسفيه الى خلاف

اراد جرى الى السفه الذي دل ذكر السفيه عليه والوجه الرابع ان تكون الهاء راجعة الى الله تعالى لان
ذكره عز وجل قد تقدم فيكون المعنى واتى المال على حب الله ذوي القربى واليتامى فان قيل فاي فائدة في
ذلك وقد علمنا ان الفائدة في ايتاء المال مع محبته والضن به وان العطية تكون اشرف وامدح فما الفائدة
فيما ذكرتموه وما معنى محبة الله والمحبة عندكم هي الارادة والقديم تعالى لا يصح ان يراد قلنا اما المحبة عندنا
فهي الارادة الا انهم يستعملونها كثيرا مع حذف متعلقها تجاوزا وتوسعا ويقولون فلان يحب زيدا اذا اراد منافعه
لان التعارف بينهم استعمال الحذف والاختصار في المحبة دون الارادة وان كان المعنى واحدا وقد ذكر

ذكر ان لقولهم زيد يحب عمرا مزية على قولهم يريد منافعه لان اللفظ الاول ينبئ على انه لا يريد شيئا
الا منافعه وانه لا يريد شيئا من مضاره والثاني لا يدل على ذلك فحصلت المزية له وعلى هذا المعنى نصفه
بانه تعالى يحب اولياءه والمومنين من عباده والمعنى فيه انه يريد لهم ضروب الخير من التعظيم والاجلال
والنعم فاما وصف احدنا بانه يحب الله تعالى فالمعنى فيه انه يريد تعظيمه وعبادته والقيام بطاعته
ولا يصح فيه المعنى الذي ذكرناه في محبة العباد بعضهم بعضا لاستحالة المنافع عليه تعالى ومن جوز عليه
تعالى لا يصح ايضا ان يكون محبا له على هذا المعنى لانه باعتقاده ذلك خرج من ان يكون عارفا به فمحبته في
الحقيقة لا تتعلق به ولا تتوجه اليه كما نقول في اصحاب التشبيه انهم اذا عبدوا من اعتقدوه جسما
فقد عبدوا غير الله تعالى فاما الفائدة في اعطاء المال مع محبة الله تعالى فهي ظاهرة لان اعطاء المال
متى قارنه ارادة وجه الله تعالى به وعبادته وطاعته استحق به الثواب ومتى لم يقترن به ذلك لم يستحق
الفاعل به ثوابا وكان ضايعا وتاثير ما ذكرناه ابلغ من تاثير حب المال والضن به لان المحب للمال الضنين
به متى بذله واعطاه ولم يقصد به الطاعة والعبادة والقربة لم يستحق به شيئا من الثواب وانما يوثر حبه
للمال في زيادة الثواب متى حصل ما ذكرناه من قصد القربة والعبادة ولو تقرب بالعطية وهو غير
ظنين بالمال ولا محب له لاستحق الثواب وهذا الوجه لم يسبق اليه في هذه الاية وهو احسن مما قيل فيها وقد
ذكر وجه اخر وهو ان يكون الهاء راجعة الى من امن ايضا ويقتضي ويكون ذوي القربى بالحب ولا يعمل اتى منصوب
لوضوح المعنى ويكون تقدير الكلام واعطى المال في حال حبه ذوي القربى واليتامى على محبته اياهم فهذا
الوجه ليس فيه مزية في باب رجوع الهاء التي وقع فيها السوال وانما بين فيما تقدم تعلق انتصاب ذوي
بالحب وذلك غير ما وقع السوال عنه والوجه الاول اقوى واولى فاما قوله تعالى والموفون ففي رفعه وجهان
احدهما ان يكون مرفوعا على المدح لان النعت اذا طال وكثر رفع بعضه ونصب على المدح ويكون المعنى وهم
الموفون بعهدهم قال الزجاج وبوجد الوجهين والوجه الاخر ان يكون معطوفا على من امن ويكون المعنى
ولكن البر وذوي البر المومنون والموفون بعهدهم فاما نصب الصابرين ففيه وجهان احدهما المدح
لان مذهبهم في الصفات والنعوت اذا طالت ان يعترضوا فيها بالمدح او الذم ليميزوا الممدوح او المذموم
ويفردوه فيكون غير متبع لاول الكلام من ذلك قول الخرنق بنت بدر بن هفان

لا يبعدن قومي الذين هم   سم العداة وافة الجزر

النازلين بكل معترك   والطيبين معاقد الازر

فنصب ذلك على المدح وربما رفعوهما جميعا على ان يتبع اخر الكلام اوله ومنهم من ينصب النازلين

ويرفع الطيبين وآخرون يرفعون النازلين وينصبون الطيبين والوجه في الرفع والنصب ما ذكرناه

ومن ذلك قول الشاعر انشده الفراء الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

وذا الراي حين تغم الامور … بذات الصليل وذات اللجم

فنصب ليث الكتيبة وذا الراي على المدح وانشد الفراء ايضا

فليت التي فيها النجوم تواضعت … على كل غث منهم وسمين

غيوث الحيا في كل محل ولزبة … اسود الشرى يحمين كل عرين

ومما نصب على الذم في قوله سقوني الخمر ثم تكنفوني عداة الله من كذب وزور والوجه الآخر
في نصب الصابرين ان يكون معطوفا على ذوي القربى ويكون المعنى وآتى المال على حبه ذوي القربى والصابرين
قال الزجاج وهذا لا يصلح الا ان يكون الموفون رفع على المدح للمضمرين لان ما في الصلة لا يعطف عليه بعد العطف
على الموصول وكان يقوي هذا الوجه الاول فاما توحيد الذكر في موضع وجمعه في اخر فلان من امن لفظه لفظ
الواحد وان كان في معنى الجميع فالذكر الذي اتى بعده موحد اجري على اللفظ وما جا من الوصف بعد ذلك على
سبيل الجميع مثل قوله تعم والموفون والصابرين وقد اختلفت قراة القرا السبعة في رفع البر ونصبه في قوله
تعالى ليس البر فقرا حمزة وعاصم في رواية حفص ليس البر بنصب الراء وروى هبيرة عن عاصم انه كان يقرا بالنصب
والرفع وقرا الباقون البر بالرفع والوجهان جميعا حسنان لان كل واحد من الاسمين اسم ليس وخبرها معرفة
فاذا اجتمعا في التعريف فعند تكافا في جواز كون احدهما اسما والآخر خبرا كما تتكافا النكرات وحجة من
رفع البر انه لا يكون البر اسم الفاعل وليس لانه ليس يشبه الفعل وكون الفاعل بعد الفعل اولى من كون المفعول
بعده الا ترى انك اذا قلت قام زيد فان الاسم يلي الفعل وتقول ضرب غلامه زيد فيكون التقدير في الغلام
التاخير ولولا ان الفاعل اخص بهذا الموضع لم يجز في الفاعل ضرب غلامه زيدا حيث لم يجز في الفاعل تقدير التاخير
كما جاز في المفعول به لوقوع الفاعل موقعه المختص به وحجة من نصب البر انه يقول كون الاسم ان وصلتها
اولى لشبهها بالمضمر في انها لا توصف كما لا يوصف المضمر فكانه اجتمع مظهر ومضمر والاولى اذا اجتمعا ان يكون
المضمر الاسم من حيث كان اذهب في الاختصاص من المظهر [illegible] رضي الله عنه حدثنا ابو القسم عبيد الله
بن عثمان بن يحيى بن جنيقا الدقاق قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد الحكيمي الكاتب قراءة عليه قال املى علينا
ابو العباس احمد بن يحيى النحوي ثعلب قال اخبرنا ابن الاعرابي قال قال ابن الكلبي لما كان بعد يوم الهباءة تجاور وقيس بن
زهير النمر بن قاسط فقال لهم اني قد جاورتكم واخترتكم فزوجوني امراة قد ادبها الغنى واذلها الفقر في
حسب وجمال فزوجوه ظبية بنت الكيس النمري وقال لهم ان في خلالا ثلاثا اني غيور واني فخور واني انف ولست

ولست افخر حتى ابتلى ولا اغار حتى ارى ولا انف حتى اظلم فاقام فيهم حتى ولد له فلما اراد الرحيل قال اني
موصيكم بخصال وناهيكم عن خصال عليكم بالاناة فانها تنال الفرصة وتسويد من لا تعابون بتسويده وعليكم
بالوفاء فان به يعيش الناس واعطاء من تريدون اعطاءه قبل المسئلة ومنع من تريدون منعه قبل
الالحاح واجارة الجار على الدهر وتنفيس المنازل عن بيوت الايامى وخلط الضيف بالعيال وانهاكم عن
الرهان فان به ثكلت مالكا اخي والبغي فانه قتل زهيرا ابي وعن الاعطاء في الفضول فتعجزوا عن الحقوق وعن
الاسراف في الدماء فان يوم الهباءة الزمني العار ومنع الحرم الا من الاكفاء فان مناكحها القبور
لم تصيبوا لها الاكفاء فان خير مناكحها القبور او خير منازلها واعلموا اني كنت ظالما مظلوما ظلمني بنو
بدر بقتلهم مالكا اخي وظلمتهم بان قتلت من لا ذنب له [illegible] رضي الله عنه اما قوله ناهيكم عن الرهان
فاراد المراهنة وسباق الخيل وذلك ان قيس بن زهير راهن حذيفة بن بدر الفزاري على فرسيه داحس والغبرا
وفرسي حذيفة الخطار والحنفاء وقال بعض بني فزاره بل قرزل والحنفاء وكان قيس كارها لذلك وانما
هاجه بينهما بعض بني عبد الله بن غطفان وقيل بل رجل من بني عبس والخبر في شرح ذلك مشهور
ثم وقع الاتفاق على السباق وجعلوا الغاية من واردات الى ذات الاصاد وجعلوا القصبة في يد رجل
من بني ثعلبة بن سعد يقال له حصين ويقال بل رجل من بني العشراء من بني فزارة وملاوا البركة ماء وجعلوا
السابق اول الخيل يكرع فيها ثم ان حذيفة بن بدر وقيس بن زهير اتيا المدى الذي ارسلت الخيل منه ينظران
اليها والى خروجها فلما ارسلت عارضاها فقال حذيفة خدعتك يا قيس فقال قيس ترك الخداع من اجرى
من مائة غلوة فارسلها مثلا ثم ركضا ساعة فجعلت خيل حذيفة تتقدم خيل قيس فقال حذيفة
سبقت يا قيس فقال قيس جري المذكيات غلاب فارسلها مثلا ثم ركضا ساعة والمذكيات المسان من
الخيل وروي كغلاء كانبغاني بالسهام ثم ركضا ساعة فقال حذيفة انك لا تركض مركضا سبقت
خيلك فقال قيس رويدا يعلون الجدد فارسلها مثلا وروي يعلون الجدد اي يتعدين الجدد الى الوعث
وقد كان بنو فزارة اكمنوا بالثنية كمينا لينظروا فان جاء داحس سابقا امسكوه وصدوه عن الغاية
فجاء داحس فامسكوه ولم يعرفوا الغبراء وهي مصلية حتى مضت الخيل واسهلت من الثنية ثم ارسلوه فتمطر
في آثارها فجعل يبدرها فرسا فرسا حتى انتهى الى الغاية مصليا وقد طرح الخيل غير الغبراء ولو تباعدت
الغاية سبقها فاستقبلها بنو فزارة فلطموها ثم حلاوها عن البركة ثم لطموا داحسا وقد جاءا متواليين
ثم جاء حذيفة وقيس في اخر الناس وقد دفعهم بنو فزارة عن سبقهم ولطموا فرسهم وجرى بين الخلف
في اخذ السبق ما قد شرحته الرواة وقد قيل في بعض الروايات ان الرهان والسباق كان بين حمل بن بدر

وبين قيس وفي ذلك يقول قيس

كما لاقيت من حمل بن بدر   واخوته على ذات الاصاد
هم فخروا علي بغير فخر   وردوا دون غايته جوادي
وكنت اذا منيت بخصم سوء   دلفت له بداهية اناد
وقد دلفوا الي بفعل سوء   فالفوني لهم صعب القياد

ثم ان قيسا اغار على عوف بن بدر فقتله واخذ ابله فبلغ ذلك بني فزارة فهموا بالقتال فحمل الربيع بن زياد العبسي دية عوف بن بدر مائة عشراء متليه ويقال ان قيسا قتل ابنا لحذيفة يقال له مالك وان حذيفة كان ارسله اليه يطلب منه السبق فطعنه فدق صلبه وان الربيع بن زياد حمل دية مائة عشراء فسكن الناس عن القتال ثم ان مالك بن زهير نزل موضعا يقال له اللقاطة قريبا من الحاجر ونكح امراة يقال لها مليكه بنت حارثة من بني غراب بن فزارة فبلغ ذلك حذيفة بن بدر فدس اليه فرسانا فقتلوه وكان الربيع بن زياد العبسي مجاور لحذيفة بن بدر وكانت تحت الربيع معاذه بنت بدر فلما وقع على الخبر قال

نام الخلي وما اغمض حار   من سيي النبا الجليل الساري
من مثله تمسي النساء حواسرا   وتقوم معولة مع الاسحار
من كان مسرورا بمقتل مالك   فليات نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه   يضربن اوجههن بالاسحار
قد كن يخبان الوجوه تسترا   فاليوم حين بدون للنظار
افبعد مقتل مالك بن زهير   ترجو النساء عواقب الاطهار
ما ان ارى في قتله لذوي الحجى   الا المطي تشد بالاكوار
ومجنبات ما يذقن عذوفة   يقذفن بالمهرات والامهار
ومساعرا صدا الحديد عليهم   فكانما طلي الوجوه بقار

فاما خبر مقتل زهير بن جذيمة العبسي ابي قيس فاختلفت الرواية في سببه فقيل ان هوازن بن منصور كانت تؤتي الاتاوة زهير بن جذيمة ولم يكن عامر بن صعصعة يعرفهم وهم اذل من يد في رحم فاتت عجوز من هوازن زهير بن جذيمة بسمن في نحي واعتذرت اليه وشكت السنين اللواتي تتابعت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدفعها بقوس في يده عطل في صدرها فاستلقت

فسقطت وبدت عورتها فغضبت من ذلك هوازن وحقدت الى ما كان في صدورها من الغيظ وكانت يومئذ قد ادركت بنو عامر بن صعصعة اي كبرت فالى خالد بن جعفر بن كلاب فقال والله لاجعلن ذراعي وراء عنقه حتى اقتل او يقتل وفي ذلك يقول خالد بن جعفر

اريغوني اراغتكم فاني   وحذفة كالشجا تحت الوريد
حذفة فرس بن خالد مقربة اواسيها بنفسي   والحفها ردائي في الجليد
لعل الله يمكنني عليها   جهارا من زهير او اسيد
فاما تثقفوني فاقتلوني   ومن اثقف فليس الى خلود

ويقال بل كان السبب ان زهير بن جذيمة لما قتل في غني من قتل بابنه شاس ووافى عكاظ فلقيه خالد بن جعفر بن كلاب وكان نحيفا فقال يا زهير اما ان لك ان تشتفي وتكف يعني مما قتل بشاس فاغلظ له زهير وحقره فقال خالد اللهم امكن يدي من هذه الشعراء المقشعرة يعني زهير بن جذيمة ثم مضى فقال زهير اللهم امكن يدي من هذه السحناء الطويلة من عنق خالد الرجل بيننا فقالت قريش هلكت والله يا زهير فقال انتم والله الذين لا علم لهم ثم اجمع خالد بن جعفر على قصد زهير وقتله واتفق نزول زهير بالقرب من بني عامر وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد امراة زهير بن جذيمة وام ولده قريبة من اخيها الحارث بن عمرو بن الشريد فقال زهير لبنيه ان هذا الحمار طليعة عليكم فاوثقوه فقالت اخته لبنيها ايزوركم خالكم فتوثقونه وقالت تماضر لاخيها الحارث اي لي ريبي اكتبانك وقرونك الكبنان الغم والقرون السكون فلا ياخذن فيك ما قال زهير فانه رجل بيلة شنوع قال الاثرم البيلة الكثير الكلام والشنوع السيء الخلق ثم حلبوا له وطبا واخذوا منه يمينا انه لا يخبر عليهم ولا ينذرهم احد فخرج الحارث حتى اتى بني عامر فقعد الى شجرة يجتمع اليها بنو عامر والقى الوطب عنها والقوم ينظرون اليه ثم قال ايتها الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن فانظري ما طعمه فقال القوم هذا الرجل ماخوذ عليه وهو يخبركم خبرا فذاقوا اللبن فاذا هو حلو لم يقرص بعد فقالوا الخبر ان مطلبنا بعيد قريب فركب خالد بن جعفر بن كلاب ومعه جماعة وكان راكبا فرسه حذفة فلقوا زهيرا فاعتنق خالد زهيرا وخرا عن فرسيهما ووقع خالد فوق زهير ونادى يا بني عامر اقتلوني والرجل واستغاث زهير ببنيه فاقبل اليه ورقاء بن زهير يشتد بسيفه فضرب خالدا ثلاث ضربات فلم يغن شيئا وكان على خالد درعان قد ظاهر بينهما ثم ضرب جندع راس زهير فقتله وفي ذلك يقول ورقاء بن زهير رايت زهيرا تحت كلكل خالد فاقبلت اسعى كالعجول ابادر

فشلت يميني يوم اضرب خالدا   ويمنعه مني الحديد المظاهر

فياليت اني قبل ضربة خالد   ويوم زهير لم تلدني تماضر

واما جفر الهباءة فان بني عبس وغطفان لما التقوا الى جنب جفر الهباءة في يوم قائظ واقتتلوا ولحقهم شرح طويل معروف فسار حذيفة ومن معه نحو جفر الهباءة ليتبردوا فيه فهجم عليه القوم فقال حذيفة يا بني عبس فاين العود والاحلام فضرب حمل بن بدر بين كتفيه وقال اتق مأثور القول بعد اليوم فارسلها مثلا وقتل قرواش بن وهيب حذيفة بن بدر وقتل الحرث بن زهير حملا فاخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير اخيه وكان حمل بن بدر اخذه من مالك بن زهير يوم قتل فقال قيس في ذلك

تعلم ان خير الناس ميت   على جفر الهباءة لا يريم
ولولا ظلمه ما زلت ابكي   عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر   بغى والبغي مرتعه وخيم
اظن الحلم دل على قومي   وقد يستجهل الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني   فمعوج علي ومستقيم

وقال قيس ايضا

شفيت النفس من حمل بن بدر   وسيفي من حذيفة قد شفاني
فان اك قد شفيت بهم غليلي   فلم اقطع بهم الا بناني

اخر المجلس

تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون فقال اي وجه لتسمية الذين كفروا بالصايح الناعق بالغنم والكلام يدل على ذمهم ووصفهم بالغفلة وقلة التامل والتمييز والناعق بالغنم قد يكون مميزا متاملا محصلا الجواب قلنا في هذه الاية تحتمل وجوها اولها ان يكون المعنى مثل واعظ الذين كفروا والداعي لهم الى الايمان والطاعة كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لا تعقل معنى دعائه وانما تسمع صوته ولا تفهم غرضه والذين كفروا بهذه الصفة لانهم يسمعون وعظ النبي ودعاءه وانذاره وينصرفون عن قبول ذلك ويعرضون عن تامله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه لاشتراكهما في عدم الانتفاع به وجاز ان يقول مثل الذين كفروا والمعنى مثل الواعظ الداعي لهم كما يقول العرب فلان يخافك كخوف الاسد والمعنى كخوفه من الاسد واضاف المعنى الى الرجل قال الشاعر

فلست مسلما ما دمت حيا   على زيد بتسليم الامير

اراد بتسليمي على الامير ونظائر ذلك كثيرة والجواب الثاني ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا كمثل الغنم التي لا تفهم نداء الناعق فاضاف الله تعالى المثل الثاني الى الناعق وهو في المعنى مضاف الى المنعوق به على مذهب العرب في قولها طلعت الشعرى وانتصب العود في الحرباء والمعنى انتصب الحرباء على العود وجاز التقديم والتاخير لوضوح المعنى وانشد الفراء

ان سراجا لكريم مفخره   تحلى به العين اذا ما تجهره

معناه تحلى بالعين فقدم واخر وانشد الفراء ايضا

كانت فريضة ما تقول كما   كان الزناء فريضة الرجم

والمعنى كما كان الرجم فريضة الزنا وقد انشد ايضا

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي   على وعل في ذي المطارة عاقل

اراد ما تزيد مخافة وعل على مخافتي ومثله كان لون ارضه سماؤه ومثله

ترى الثور فيها مدخل الظل راسه   وسائره باد الى الشمس اجمع

اراد مدخل راسه الظل وقال الراعي فصبحته كلاب الغوث يوسدها مستوضحون يرون العين كالاثر يريد انهم يرون الاثر كالعين وقال ابو النجم قبل دنو الافق من جوزائه فقلب وقال العباس بن مرداس

فديت بنفسه نفسي ومالي   وما آلوك الا ما اطيق

اراد فديت بنفسي نفسه وقال ابن مقبل ولا تهيبني الموماة اركبها اذا تجاوبت الاصداء بالسحر اراد لا اتهيب الموماة وهذا كثير جدا والجواب الثالث ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا ومثلنا او مثلهم ومثلك يا محمد كمثل الذي ينعق اي مثلهم في الاعراض ومثلك في الدعاء والتنبيه والارشاد كمثل الناعق بالغنم فحذف المثل الثاني اكتفاء بالاول ومثله قوله تعالى وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر واراد الحر والبرد فاكتفى بذكر الحر من البرد قال ابو ذويب

عصيت اليها القلب اني لامره   مطيع فما ادري ارشد طلابها

اراد ارشد ام غي طلابها فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الامر والجواب الرابع ان يكون المراد ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام التي يعبدونها من دون الله تعالى وهي لا تعقل ولا تسمع ولا تفقه ولا تنفع كمثل الذي ينعق دعاء ونداء بما لا يسمع صوته جملة والدعاء والنداء على هذا الجواب ينتصبان بينعق لا بيسمع توكيدا للكلام ومعناهما الالغاء قال الفرزدق

هم القوم الا حيث سلوا سيوفهم   وضحوا بلحم من محل ومحرم

والمعنى هم القوم حين سلوا سيوفهم والجواب الخامس ان يكون ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام وعبادتهم لها واسترزاقهم اياها كمثل الراعي الذي ينعق بغنمه وينادي بها فهي تسمع دعاءه ونداءه ولا تفهم معنى كلامه فشبه تعالى من يدعوه الكفار من المعبودات دون الله تعالى بالغنم من حيث لا تعقل ولا تفهم ولا نفع عندها فيه ولا مضرة وهذا الجواب يقارب الذي قبله وان كانت بينهما مزية

ظاهرة لان الاول يقتضي ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء ولا النداء جملة ولا يجب ان يكون مصروفا الى
غير الغنم وما اشبهها مما تسمع وان لم تفهم وهذا الجواب الاخر يقتضي ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء و
النداء وان يفهمهما والاصنام من حيث كانت لا تسمع الدعاء جملة يجب ان يكون داعيها ومناديها اسوا
حالا من منادي الغنم ويصح ان ينصرف الى الغنم وما اشبهها مما يشارك في السماع ويخالف في الفهم
والتمييز وقد اختلف الناس في ينعق فقال اكثرهم لا يقال نعق ينعق الا في الصياح بالغنم وحدها وقال
بعضهم نعق ينعق بالغنم والابل والبقر والاول اظهر في كلام العرب قال الاخطل

فانعق بضانك يا جرير فانما   منتك نفسك في الخلاء ضلالا

ويقال نعق الغراب ونغق بالغين المعجمة اذا صاح من غير ان يمد عنقه ويحركها فاذا مدها وحركها
فاذا مدها وحركها ثم صاح قيل نعب ويقال ايضا نعب الفرس ينعب وينعب نعبا ونعيبا ونعبانا وهو صوته
ويقال فرس منعب اي جواد ويقال ناقة نعابة اذا كانت سريعة [illegible] وروي ان النبي صلى الله عليه
خرج مع اصحابه الى طعام دعوا اليه فاذا بالحسين عليه السلام وهو صبي يلعب مع صبية في السكة فاستنتل
رسول الله امام القوم فطفق الصبي يفر مرة ههنا ومرة ههنا ورسول الله صلى الله عليه يضاحكه ثم اخذه فجعل
احدى يديه تحت ذقنه والاخرى تحت فاس راسه واقنعه فقبله وقال انا من حسين وحسين مني احب الله
من احب حسينا حسين سبط من الاسباط معنى استنتل تقدم يقال استنتل الرجل استنتالا وابرنتى
ابرنتاء وابرندع ابرنداعا اذا تقدم هكذا ذكر ابو بكر الانباري ووجدت بعض المتقدمين في علم اللغة
يحكي في كتابه يقول استنتلت استنتالا اذا استعددت له واستنتل الرجل تفرد من القوم ويقال استنتل
اشرف والمعاني تتقارب والخبر يليق بكل واحد منها وحكى هذا الرجل الذي ذكرناه في كتابه ابرنتاء
وابرندع ايضا انه من الاستعداد فاما السكة فهي المنازل المصطفة والنخل المصطف ومعنى طفق ما زال
قال الشاعر: طفقت تبكي واسعدها   وكلانا ظاهر الكمد وفاس الراس طرف القمحدوة
المشرف على القفا ومعنى اقنعه رفعه هذا ذكره ابن الانباري وقال غيره اقنعه اقناعا اذا طاطاه
ثم رفعه برفق فاما الاسباط فاصلها في ولد اسحاق عليه السلام كالقبائل في بني اسمعيل عليه السلام قال ابن
الانباري يقال السبيد والسبوق بالباء والواو معا حدثنا ابو القسم عبيد الله بن عثمان بن جنيقا قال
اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد الحكيمي قراءة عليه قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب قال اخبرنا
ابن الاعرابي قال قيل لابنة الخس ما مائة من المعز قالت مويل يشف الفقر من ورائه مال الضعيف
وحرفة العاجز قيل فما مائة من الضان قالت قرية لا حمى بها قيل فما مائة من الابل قالت بخ جمال وما

ومنى الرجال قيل فما مائة من الخيل قالت طغى عند من كانت ولا توجد قيل فما مائة من الحمر
قالت عازبة الليل وخزي المجلس لا لبن فيحلب ولا صوف فيجز ان ربط عيرها دلى وان ارسل ولى وبهذا
الاسناد عن ابن الاعرابي قال قيل لابنة الخس ما احسن شيء فقالت غادية
في اثر سارية في نفخاء رابية قال النفخاء ارض مرتفعة لان النبات في موضع مشرف احسن وقالوا النفخاء
اي رابية ليس بها رمل ولا حجارة قال وانما مدح النفاخي ونبت الرابية احسن من نبت الاودية لان السيل
يصرع الشجر فيقذفه في الاودية ثم يلقي عليه الدمن [illegible] رضي الله عنه ومما يدل على ان نبت الرابية
احسن قول الاعشى: ما روضة من رياض الحزن معشبة   خضراء جاد عليها مسبل هطل

وقال كثير: فما روضة بالحزن طيبة الثرى   يمج الندى جثجاثها وعرارها

فخص الحزن للمعنى الذي ذكرناه وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابي قال العرب تقول جانا بطعام لا ينادى
وليده اذا جاءه بطعام كثير لا يزاد فيه زيادة ووقع في امر لا ينادى وليده يقول لا يدعى له الصبيان ولا يستعان
الا بالكبار الرجال فيه [illegible] رضي الله عنه وفي ذلك قولان آخران احدهما عن الاصمعي قال اصله من الشدة
تصيب القوم حتى تذهل الام عن ولدها فلا تناديه لما هي فيه ثم صار مثلا لكل شدة ولكل امر عظيم والقول
الآخر عن الكلابي قال اصله من الكثرة والسعة فاذا اهوى الوليد الى شيء لم يزجر عنه حذرا من الافساد لسعة ما هم
فيه ثم صار مثلا لكل كثرة قال الفرا وهذا القول يستعار في كل موضع يراد به الغاية وانشد

لقد شرعت كفا يزيد بن مزيد   شرائع جود لا ينادى وليدها

وبالاسناد الذي تقدم عن ابن الاعرابي قال دخل ودفة الاسدي على معن بن زائدة الشيباني فقال له اكرمك
الله نعم ان تنفع من نفسك بحيث وضعت نفسي من رجائك فانك قد بلغت حالا لو اعتقك الله فيها لكرمك
من نصف الرجال بعدك لم يكن كثيرا واني قد مدحت الرجال واحسنت الثناء ولزمت الحفاظ ثم انشا يقول

يا معن انك لم تنعم على احد   فنال نعماك تنغيص ولا كدر
فانظر الي بطرف غير ذي مرض   فربما صح لي من طرفك النظر
ايام وجهك لي طلق يخبرني   اذا سكت بما تخفي فتضطمر
ودعواك شفيع لي يعجلني   وان نايت وان قلت بي الذكر
قد كنت اثرت عندي من اثرك   وقد تقارب يعفو لذلك الاثر
فاجبر بفضلك عظما كنت تجبره   واجبر بفعلك ما قد كان ينكسر
ما نازع العسر في الحر الكريم على   كفي سبيلك الا ظفر اليسر

وقد حسبت وهذا الله رد وغيره ۝ بان يداك لطول الحقوق العسر

وايا كان من عسر وميسرة ۝ فان لك فيه الحمد والشكر

فقال معن وما كنا اعطيناك شيا قال لا قال اما الذهب والفضة فليسا عندنا ولكن هات تختا من ثياب يا غلام فدفعه اليه وكان قد حمل عليه بابن عياش وحبيب بن زيد فاعطاهما معه تختين وقال عرشي يا ودفعه تخت ثياب [illegible] المرتضى رضي الله عنه وكان معن بن زايدة جوادا شجاعا شاعرا ويكنى ابا الوليد وهو معن بن زايدة بن مطر بن شريك بن عمرو اخي الحوفزان بن عمرو وكان معن من اصحاب ابن هبيرة فلما قتل رثاه معن فقال

الا ان عينا لم تجد يوم واسط ۝ عليك بجاري دمعها لجمود

عشية قام النائحات وشققت ۝ جيوب بايدي ماتم وخدود

فان تمس مهجور الفناء فربما ۝ اقام به بعد الوفود وفود

فانك لم تبعد على متعهد ۝ بلى كل من تحت التراب بعيد

اخبرنا ابو عبيد المرزباني قال اخبرني يوسف بن يحيى المنجم عن ابيه قال اخبرنا محمد بن القسم بن مهرويه قال اخبرنا ابو زيد الحكم بن موسى قال اخبرنا ابي قال كان معن بن زايدة من اصحاب يزيد بن عمرو بن هبيرة وكان مستترا حتى كان يوم الهاشمية فانه حضر وهو معتم متلثم فلما نظر الى القوم وقد وثبوا على المنصور تقدم فاخذ بلجام بغلته ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه فلما افرجوا له وتفرقوا عنه قال له من انت ويحك قال انا طلبتك معن بن زايدة فلما انصرف المنصور حباه وكساه ورتبه ثم قلده اليمن فلما قدم عليه من اليمن قال له هيه يا معن تعطي مروان بن ابي حفصة مائة الف درهم على ان قال لك

معن بن زايدة الذي زيدت به ۝ شرفا الى شرف بنو شيبان

ان عد ايام الفعال فانما ۝ يوماه يوم ندى ويوم طعان

فقال كلا يا امير المومنين ولكنا اعطيته على قوله

ما زلت يوم الهاشمية معلما ۝ بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وقاءه ۝ من وقع كل مهند وسنان

فقال له احسنت يا معن وفي خبر اخر انه دخل على المنصور فقال له ادن ويلك يا معن ما يقال فيك من المال في اليمن وما احتسابها انذا يا امام الحق فقال ولم ذلك يا امير المومنين قال بلغنا انك اعطيت شاعرا كان لك [illegible] دينار وجعلها على هذا الذنب لشي مثله فقال يا امير المومنين انما اعطيته من فضول مالي وغلات ضيعتي [illegible] والغفلة عن [illegible] وقصده الي وما [illegible] المحمل

فجعل ابو جعفر ينكت بقضيب في يده الارض ولم يعاوده القول. اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن يحيى بن عبد الله بن ابي سعيد الوراق عن خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن عبد الله بن محمد المعروف بمقار من اهل خراسان وكان من ولاة الرشيد قال حدثني معن بن زايدة قال كنا في الصحابة سبعمائة رجل فكنا ندخل على المنصور في كل يوم فقلت للربيع اجعلني في اخر من يدخل عليه فقال لست باشرفهم فتكون في اولهم ولست باخسهم نسبا فتكون في اخرهم وان مرتبتك لتشبه نسبك قال فدخلت على المنصور ذات يوم وعلي دراعة فضفاضة وسيف حنفي اقرع بنعله الارض وعمامة قد اسدلتها من قدامي ومن خلفي فسلمت عليه وخرجت فلما صرت عند الستر صاح بي يا معن صيحة انكرتها فلبيته فقال الي فدنوت منه فاذا به قد نزل عن فراشه الى الارض وجثا على ركبتيه فقد استل عمودا من بين فراشين واستحال لونه ودرت اوداجه وقال انك لصاحبي يوم واسط لا نجوت ان نجوت قال قلت يا امير المومنين تلك نصرتي لباطلهم فكيف نصرتي لحقك قال فقال كيف قلت فاعدت عليه القول فما زال يستعيدني حتى رد العمود الى مستقره واستوى متربعا واسفر لونه وقال يا معن ان باليمن هنات قلت يا امير المومنين ليس لمكتوم راي وهو اول من ارسلها مثلا فقال انت صاحبي فاجلس فجلست وامر الربيع فاخرج كل من كان في الدار وخرج الربيع فقال لي ان صاحب اليمن قد هم بالمعصية واريد ان اخذه اسيرا ولا يفوتني شي من ماله فما قلت وليني اليمن واظهر انك قد ضممتني اليه وامر الربيع ان يزيل علتي في كل ما احتاج اليه ويخرجني في يومي هذا لئلا ينتشر الخبر قال فاستل عهدا من بين فراشين فوقع اسمي فيه وناولنيه ثم دعا الربيع فقال يا ربيع انا قد ضممنا معنا الى صاحب اليمن فازح علته فيما يحتاج اليه من السلاح والكراع ولا يمسي الا وهو راحل قال ثم ودعني فودعته وخرجت الى الدهليز فلقيني ابو الوالي فقال يا معن اعزز علي بان تضم الى ابن اخيك قال فقلت انه لا غضاضة على الرجل بان يضمه سلطانه الى ابن اخيه وخرجت الى اليمن فاتيت الرجل فاخذته اسيرا وقرات عليه العهد وقعدت في مجلسه. وروى عمر بن شبة قال اجتمع عند معن بن زايدة ابن ابي عاصية وابن حفصة والضمري فقال لينشدني كل رجل منكم امدح بيت قاله في فانشده ابن ابي حفصة

مسحت ربيعة وجه معن سابقا ۝ لما جرى وجرى ذوو الاحساب

فقال له معن الجواد يعثر فيمسح وجهه من الغبار والعثار وغير جيد وانشده الضمري

انت امرؤ همك المعالي ۝ ودون معروفك الربيع

ويروى ودلو معروفك الربيع

وشانك الحمد تشتريه ۝ تشيعه عند من يشيع

فقال له ما احسن ما قلت الا انك لم تسمني ولم تذكر في شعرك انتحله فانشده ابن ابي عاصية

اذ زال معن بني شريك لم يزل   لِبَنًى الي بلدٍ بغيرِ مسافرِ

ففضله عليهما وروي انه اتي معن بن زائدة بثلثمائة اسير فامر بضرب اعناقهم فقال له شاب منهم يا اخا بني شيبان نناشدك الله ان تقتلنا عطاشا فقال اسقوهم ماء فلما شربوا قال يا اخا بني شيبان نناشدك الله ان تقتل اضيافك فقال اطلقوهم ، وذكر احمد بن كامل ان الخوارج قتلت معن بن زائدة بسجستان في سنة احدى وخمسين ومائة . وروي ان عبد الله بن طاهر كان يوما عند المامون فقال له يا ابا العباس من اشعر الناس من قال الشعر في خلافة بني هاشم قال امير المومنين اعرف بهذا مني قال علي ذلك قال عبد الله اشعرهم الذي يقول في معن بن زائدة

ايا قبر معن كنت اول حفرةٍ   من الارض خطت للسماحة مضجعا
ايا قبر معن كيف واريت جوده   وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلي قد وسعت الجود والجود ميت   ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

والابيات للحسين بن مطير الاسدي وهي تزيد علي هذا المقدار اولها

الما بمعن ثم قولا لقبره   سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا

وفيها

فتي عيش في معروفه بعد موته   كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
وما كان الا الجود صورة وجهه   فعاش ربيعا ثم ولي مودعا
ولما مضي معن مضي الجود وانقضى   واصبح عرنين المكارم اجدعا

تأويل آية ان سأل سائل فقال ما الوجه في قوله تعالى الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق وفي موضع اخر وقتلهم الانبياء بغير حق وظاهر هذا القول يقتضي ان يكون قتلهم بحق وقوله عز وجل ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به وقوله تعالى الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها وقوله تعالى ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا وقوله تعالى لا يسألون الناس الحافا والسوال عن هذه الايات من وجه واحد الجواب ان للعرب فيما جري هذا المجري من الكلام عادة معروفة ومذهبا مشهورا عند من تصفح كلامهم وفهم عنهم ومرادهم بذلك المبالغة في النفي وتاكيده فمن ذلك قولهم فلان لا يرجا خيره ليس يريدون ان فيه خيرا لا يرجا وانما غرضهم انه لا خير عنده على وجه من الوجوه ومثله قلما رايت مثل هذا الرجل وانما يريدون ان مثله لم ير لا قليلا ولا كثيرا وقال امرؤ القيس

علي لاحبٍ لا يهتدي بمناره   اذا سافه العود الديافي جرجرا

يصف طريقا واراد انه لا يهتدي بمناره انه لا منار له فيهتدي به والعود المسن من الابل والديافي منسوب الي دياف قرية بالشام معروفة وسافه شمه والجرجرة مثل الهدير وانما اراد ان العود اذا شمه عرفه فاستبعده وذكر ما يلحقه فيه من المشقة فجرجر لذلك وقال ابن احمر

لا تفزع الارنب اهوالها   ولا تري الضب بها ينجحر

اراد ليست بها اهوال فتفزع الارنب وقال النابغة

يحفه جانبا نيقٍ ويتبعه   مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد

اراد ليس بها رمد فتكحل له وقال امرؤ القيس

وصُمٍّ حوامٍ ما يقين من الوجا

والوجا هو الحفا ويقين اي يتوقين يقال وقي الفرس اذا هاب المشي فاراد انه لا يحلهن فيتهيبن الارض من اجله والرال فرخ النعام وشبه اشراف عجز الرال وقال الاخر

لا يغمز الساق من اينٍ ومن وصبٍ   ولا يعض علي شرسوفه الصفر

اراد ليس بساقه اين ولا وصب فيغمزها من اجلها وقال سويد بن ابي كاهل

من اناسٍ ليس في اخلاقهم   عاجل الفحش ولا سوء الجزع

ولم يرد ان في اخلاقهم فحشا اجلا ولا جزعا غير سيء وانما اراد نفي الفحش والجزع عن اخلاقهم ومثله قولهم فلان غير سريع الي الخنا وهم يريدون انه لا يقرب الخنا لا بطيًا ولا سريعا وقال الفرزدق وهو يهجو بني جعفر بن كلاب ويعيرهم بان منهم اصيبوا في بعض حروبهم فحملت النساء القتلي حين اتي بهم الحي

ولم تات عيرٌ اهلها كالذي اتت   به جعفرا يوم الهضيبات عيرها
اتتهم بعيرٍ لم تكن هجرية   ولا حنطة الشام المزيت خميرها

يعني ان العير انما تحمل التمر والطعام الي الحي فحملت عيرهم الي القوم القتلى وقوله لم تكن هجرية اي لم تحمل التمر وذلك لكثرة التمر بهجر ثم قال ولا حنطة الشام المزيت خميرها ولم يرد ان هناك حنطة ليس في خميرها زيت لكنه اراد انها لم تحمل تمرا ولا حنطة ثم وصف الحنطة بما يجعل في خميرها من الزيت وعلى هذا تتأول الايات التي وقع السوال عنها لانه تعالى لما قال ويقتلون النبيين بغير حق دل على ان قتلهم لا يكون الا بغير حق وانما وصف القتل بما لا بد ان يكون عليه من الصفة وهي وقوعه على خلاف الحق وكذلك ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به انما هو وصف لهذا الدعاء وانه لا يكون الا من غير برهان وقوله تعالى الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها وجه ايضا انه لو كان هناك عمد لرايتموه فاذا نفي رؤية العمد نفي وجود العمد كما قال لا يهتدي بمناره اي لا منار له من حيث يعلم انه لو كان ثم منار لاهتدي به فصار نفي الاهتداء بالمنار نفيا لوجود المنار وقوله تعالى ولا تكونوا اول كافر به تغليظ وتاكيد في تحذيرهم من الكفر وهو ابلغ من ان يقول ولا تكفروا به ويجري مجرى قولهم فلان لا يسرع الي الخنا وقلما

كذا وقع الازد وقد عد ارا

الحجر

رايت مثلا ارادوا تاكيد نفي الخنا ونفي رويته مثل المذكور وكذلك قوله تعالى لا يسالون الناس الحافا معناه
لا مسيلة تقع منهم ومثل الاول ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا قال الفايق ان كل ثمن لها لا يكون الا قليلا فهما
نفي الثمن القليل نفيا للكل ثمن [illegible] في ذكر المعمرين شيء من اخبار المعمرين واشعارهم و
منهم كلاحسم [illegible] بن عمرو بن وعلة بن خالد بن مالك بن ادد المذحجي ومذحج
هي ام مالك بن ادد نسب ولد مالك اليها وانما سميت مذحج لانها ولدت على اكمة تسمى مذحج وهي مدلة
بنت ذي منجشان قال ابو حاتم السجستاني جمع الحارث بن كعب بنيه لما حضرته الوفاة فقال يا بني قد
اتت علي ستون ومائة ما صافحت يميني يمين غادر ولا قنعت نفسي بخلة فاجر ولا صبوت بابنة عم ولا
كنة ولا طرحت عندي مومسة قناعها ولا بحت لصديق بسره واني لعلى دين شعيب النبي عليه السلم وما عليه احد
من العرب غيري وغير اسد بن خزيمة وتميم بن مرة فاحفظوا وصيتي وموتوا على شريعتي الهكم فاتقوه يكفكم
المهم من اموركم ويصلح لكم اعمالكم واياكم ومعصيته لا يحل بكم الدمار وتوحش منكم الديار يا بني كونوا جميعا و
لا تفرقوا فتكونوا شيعا وان موتا في عز خير من حياة في ذل وعجز وكلما هو كاين كاين وكل جمع الى تباين
الدهر ضربان فضرب رخاء وضرب بلاء واليوم يومان فيوم حبرة ويوم عبرة والناس رجلان فرجل
لك ورجل عليك تزوجوا الاكفاء وليستعملن في طيبهن الماء وتجنبوا الحمقاء فان ولدها الى افن ما يكون الا
انه لا راحة لقاطع القرابة واذا اختلف القوم امكنوا عدوهم وافة العدد اختلاف الكلمة والتفضل
بالحسنة يقي السيئة والمكافاة بالسيئة الدخول فيها والعمل بالسوء يزيل النعماء وقطيعة الرحم تورث الهم
وانتهاك الحرمة يزيل النعمة وعقوق الوالدين يعقب النكد ويمحق العدد ويخرب البلد والنصيحة تجر الفضيحة
والحقد يمنع الرفد ولزوم الخطية يعقب البلية سوء الدعة يقطع اسباب المنفعة والضغاين تدعو الى
التباين ثم انشا يقول اكلت شبابي فافنيته ❊ وانضيت بعد دهور دهورا

ثلاثة اهلين صاحبتهم ❊ فبادوا واصبحت شيخا كبيرا
قليل الطعام عسير القيام ❊ قد ترك الدهر خطوي قصيرا
ابيت اراعي نجوم السماء ❊ اقلب امري بطونا ظهورا

قوله لا صبوت بابنة عم ولا كنة الصبوة رقة الحب والكنة امراة ابن الرجل وامراة اخيه فاما المومسة
فهي الفاجرة البغي اراد بقوله انما لم تطرح عندي قناعها اي لم تتبذل عندي وتنبسط كما تفعل مع من تريد
الفجور بها وقوله فيوم حبرة ويوم عبرة فالحبرة الفرح والسرور والعبرة تكون من حزن لان العبرة لا تكون
الا من حزن وغم فاما الافن فهو الحمق يقال رجل افين اذا كان احمق ومن امثالهم وجدان الرقين يغطي

يغطي على افن الافين وجدان المال يغطي على حمق الاحمقين وواحد الرقين رقة وهي الفضة
فاما قوله النصيحة تجر الفضيحة فيشبه ان يكون معناه ان النصيح اذا نصح من لا يقبل نصيحته ولا يصغي
اليه وعصيه فقد افتضح عنده لانه افضى اليه بسره وباح بمكنون صدره فاما سوء الدعة فانه يقال فلان
حسن الرعة والتورع اي حسن الطريقة [illegible] وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن زيد
سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر وانما سمي المستوغر لبيت قاله وهو

ينش الماء في الربلات منها ❊ نشيش الرضف في اللبن الوغير

الربلات واحدتها ربلة وربلة بفتح الباء واسكانها وهي لحمة غليظة هكذا ذكر ابن دريد والرضف الحجارة
المحماة وفي الحديث كانه على الرضف واللبن الوغير الذي يلقى فيه حجارة محماة ثم يشرب لتذهب وخزه وغيره الطرق هي
اشد ما يكون من الحر ومنه وغر صدر فلان يوغر وغرا اذا التهب من غضب او حقد وقال اصحاب الانساب
عاش المستوغر ثلثمائة سنة وعشرين سنة وادرك الاسلام او كاد يدركه اوله وقال ابن سلام كان المستوغر
قديما وبقي بقاء طويلا حتى قال

ولقد سئمت من الحياة وطولها ❊ وعمرت من عدد السنين مئينا
مائة اتت من بعدها مائتان لي ❊ وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ما بقي الا كما قد فاتنا ❊ يوم يكر وليلة تحدونا
وهو القايل ❊ اذا ما المرء صم فلم يكلم ❊ واودى سمعه الا ندايا
ولاعب بالعشي بني بنيه ❊ كفعل الضب يحترش العظايا
يلاعبهم وودوا لو سقوه ❊ من الذيفان مترعة ملايا
فلا ذاق النعيم ولا شرابا ❊ ولا يشفى من المرض الشفايا

اراد بقوله صم فلم يكلم اي لم يسمع ما يكلم به فاحتقر ويريد لم يكلم الناس من استماعه فاعرض عن خطابه لذلك
وقوله واودى سمعه الا ندايا انما اراد ان سمعه هلك الا انه يسمع الصوت العالي الذي ينادى به وقوله ولاعب
بالعشي بني بنيه فانه مبالغة في وصفه بالهرم والخرف وانه قد انتهى الى ملاعبة الصبيان وانهم به ويشبه ان
يكون خص العشي بذلك لانه وقت رواح الصبيان الى بيوتهم واستقرارهم فيها وقوله يحترش العظايا اي يصيدها
والاحتراش ان يقصد الرجل الى جحر الضب فيضربه بكفه فيحسبه الضب افعى فيخرج اليه فياخذه يقال حرشت الضب
واحترشته ومن امثالهم هذا اجل من الحرش يضرب بهذا الامر يستعظم ويتكلم بذلك على لسان الضب قال يزيد
قال الضب لابنه اتق الحرش قال وما الحرش قال اذا سمعت حركة بباب الجحر فلا تخرج فسمع يوما وقع المحفار فقال يا

ابد هذا الحرش فقال هذا اجل من الحرش فجعل مثلاً للرجل اذا سمع الشيء الذي هو اشد مما كان يتوقعه والنيقان السم والعظايا جمع عظاية وهي دويبة معروفة واحد المعمرين دويد بن زيد بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بضم اللام بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن مرة بن مالك بن حمير قال ابو حاتم عاش دويد بن زيد اربعمائة سنة وستا وخمسين سنة وقال ابن دريد لما حضرت دويدا الوفاة وكان من المعمرين قال ولا تعد العرب معمرا الا من عاش مائة وعشرين سنة فصاعدا قال لبنيه اوصيكم بالناس لا ترحموا لهم عبرة ولا تقيلوا لهم عثرة قصروا الاعنة وطولوا الاسنة واطعنوا شزرا واضربوا هبرا واذا اردتم المحاجزة فقبل المناجزة والمرء يعجز لا المحالة بالجد لا بالكد التجلد ولا التبلد المنية ولا الدنية لا تاسوا على فائت وان عز فقده ولا تحنوا على ظاعن وان الف قربه ولا تطمعوا فتطبعوا ولا تهنوا فتخرعوا ولا يكن لكم المثل السوء ان الموصين بنو سهوان اذا مت فارحبوا خط مضجعي ولا تضنوا علي برحب الارض وما ذاك بمود الي بروح ولكن راحة نفس خامرها الاشفاق ثم مات قال ابو بكر بن دريد وفي حديث آخر انه قال

٭ اليوم يبنى لدويد بيته ٭ يا رب نهب صالح حويته ٭
٭ ورب قرن بطل ارديته ٭ ورب غيل حسن لويته ٭
٭ ومعصم مخضب ثنيته ٭ لو كان للدهر بلى ابليته ٭
٭ او كان قرني واحدا كفيته ٭ ومن قوله ايضا ٭
٭ القى على الدهر رجلا ويدا ٭ والدهر ما اصلح يوما افسدا ٭
يفسد ما اصلحه اليوم غدا ٭

قوله اطعنوا شزرا واضربوا هبرا معنى الشزر ان تطعنه في احدى ناحيتيه يقال فتل الحبل شزرا اذا فتله على الشمال والنظر الشزر نظر بمؤخر العين وقال الاصمعي يقال نظر اليه شزرا اذا نظر اليه من عن يمينه وشماله وطعنه شزرا كذلك وقوله هبرا فالهبر ضرب اللحم اهبره هبرا اذا قطعته قطعا كبارا والاسم الهبرة والهبرة وسيف هبار وهابر واللحم الهبير ومهبور والمحالة الحيلة وقوله بالجد لا بالكد اي يدرك الرجل حاجته بالجد وهو الحظ والبخت ومنه رجل مجدود فاما الكد فهو الكدح في الامر وطلبه والعدو فيه وقوله التجلد ولا التبلد اي تجلدوا ولا تبلدوا وقوله فتطبعوا اي فتدنسوا والطبع الدنس يقال طبع السيف يطبع طبعا اذا ركبه الصدأ قال ثابت بن قطنة العتكي لا خير في طمع يدني الى طبع ٭ وعفة من قوام العيش تكفيني وقوله ولا تهنوا فتخرعوا فالوهن الضعف والخرع الرخاوة ومنه سميت الشجرة الخروع للينها وقوله ان الموصين بنو سهوان فالموصين جمع موصى وبنو سهوان يضرب مثلا اي لا تكونوا ممن تقدم اليهم فسهوا واعرضوا عند

عن الوصية وقالوا انه يضرب هذا المثل للرجل الموثق فمعناه ان الذين يحتاجون الى ان يوصوا يحتاج لحاجتهم الذين يسهون عنها لغفلتهم وانت غير غافل ولا ساه عن حاجتي وقوله فارحبوا اي وسعوا والرحب السعة والروح الراحة وقوله في الشعر ورب غيل فالغيل الساعد الممتلئ والمعصم موضع السوار من اليد [illegible] بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد بن اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير قال ابو حاتم عاش زهير بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة وواقع مائتي وقعة وكان سيدا مطاعا شريفا في قومه ويقال كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من اهل زمانه كان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك وطبيبهم والطب في ذلك الزمان شرف وحازي قومه والحزاة الكهانة وكان فارس قومه وله البيت فيهم والعدد منهم واوصى بنيه فقال يا بني اني قد كبرت سني وبلغت حرسا من دهري فاحكمتني التجارب والامور تجربة واختبارا فاحفظوا عني ما اقول لكم اياكم والخور عند المصائب والتواكل عند النوائب فان ذلك داعية للغم وشماتة للعدو وسوء ظن بالرب واياكم ان تكونوا بالاحداث مغترين ولها آمنين فانه ما سخر قوم قط الا ابتلوا ولكن توقعوها فانما الانسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة فمقصر دونه ومجاوز موضعه وواقع عن يمينه وشماله ثم لا بد ان يصيبه قوله حرسا من دهري يريد دهرا والحرس الدهر قال الراجز في نعمة عشنا بذاك حرسا والسنة المدة من الدهر والتواكل ان يكل القوم امرهم الى غيرهم يقال رجل وكل اذا كان لا يلي نفسه ويكل امره الى غيره ويقال رجل وكلة تكلة فاما قول كلما نصبته للرمي تعاوره اي تداوله [illegible] المرتضى رضي الله عنه وقد نظم ابن الرومي معنى قول زهير بن جناب الانسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة فمقصر دونه ومجاوز له وواقع عن يمينه وشماله ثم لا بد ان يصيبه في ابيات له احسن فيها كل الاحسان والابيات ٭

٭ كفى بسراج الشيب في الراس هاديا ٭ الى من اضلته المنايا لياليا ٭
٭ امن بعد ابداء المشيب مقاتلي ٭ لرامي المنايا تحسبيني ناجيا ٭
٭ غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه ٭ لشخصي اخلق ان يصبن فؤاديا ٭
٭ وكان كرامي الليل يرمي ولا يرى ٭ فلما اضاء الشيب شخصي رمانيا ٭

اما البيت الاخير فانه ابدع فيه واغرب وما علمت انه سبق الى معناه لانه جعل الشباب كالليل الساتر على الانسان الحاجز بينه وبين من اراد رميه لظلمته والشيب مبديا لمقاتله هاديا الى

اصابته لضوءه وبيانه وهذا في نهاية حسن المعنى واراد بقوله رماني اصابني ومثله قول الشاعر

۞ ولما رمى شخصي رميت سواده ۞ ولا بد ان يرمى سواد الذي يرمي ۞

وكان زهير بن جناب على عهد كليب وائل ولم يك كان في العرب انطق من زهير ولا اوجه عند الملوك لسداد رايه ويمن كان كاهنا ولم يجتمع قضاعة الا عليه وعلى رزاح بن ربيعه وسمع زهير بعض نسائه تتكلم بما لا ينبغي لامراة ان تتكلم به عند زوجها فنهاها فقالت اسكت عني والا ضربتك بهذا العمود فوالله ما كنت اراك تسمع شيا ولا تعقله فقال عند ذلك

الا يا لقومي لا ارى النجم طالعا ۞ ولا الشمس الا حاجبي بيميني
معزبتي عند القفا بعمودها ۞ يكون نكيري ان اقول ذريني
امينا على سر النساء وربما ۞ اكون على الاسرار غير امين ۞
فللموت خير من حداج موطا ۞ مع الظعن لا ياتي المحل لحين ۞

وهو القايل ابني ان اهلك فقد اورثتكم مجدا بنيه ۞ وتركتكم ابناء سادات زنادكم وريه
من كل ما نال الفتى قد نلته الا التحيه ۞ ولقد رحلت البازل الكوماء ليس لها وليه
وخطبت خطبة حازم غير الضعيف ولا العييه ۞ فالموت خير للفتى فليهلكن وبه بقيه
من ان يرى الشيخ البجال وقد يهادى بالعشيه ۞ وهو القايل
ليت شعري والدهر ذو حدثان ۞ اي حين منيتي تلقاني
اسبات على الفراش رفات ۞ ام بكفي مفجع حران ۞ وقال حين حلت له مايتا
سنة من عمره لقد عمرت حتى ما ابالي ۞ احتفي في صباحي او مسايي
۞ وحق لمن اتت مايتان عاما ۞ عليه ان يمل من الثواء

قوله معزبتي يعني امراته يقال معزبة الرجل وطلته وحنته كل ذلك امراته وقوله امينا على سر النساء والسر هاهنا خلاف العلانية والسر ايضا النكاح قال الحطيه ۞

۞ ويحرم سر جارتهم عليهم ۞ وياكل جارهم انف القصاع ۞

وقال امرؤ القيس الا زعمت بسباسة اليوم انني ۞ كبرت وان لا يحسن السر امثالي ۞

وكلام زهير يحتمل الوجهين جميعا الا انه اذا كبر وهرم لم يتهيبه النساء ان يتحدثن بحضرته باسرارهن تهاونا به وتقليلا لاجله لقلة عقله وكذلك هرمه وكبره يوجبان كونه امينا على نكاح النساء لعجزه عنه وقوله حداج موطا الحداج مركب من مراكب النساء والجمع احداج وحدوج والظعن والاظعان الهوادج

الهوادج والظعينة المراة في الهودج ولا تسمى ظعينة حتى تكون في هودج والجمع ظعاين وانما عنى هرمه وانه قد تحير فيكون مع الظعن في حمل النساء ۞ وقوله زنادكم وريه الزناد جمع زند والزند هما عودان يقدح بهما النار وفي احدهما فروض وهي ثقب فالتي فيها الفروض هي الانثى والذي يقدح بطرفه هو الذكر ويسمى الزند الاب والزندة الام وكنى بزنادكم وريه عن علو همهم ومآربهم تقول العرب ورت بك زنادي اي نلت بك ما احب من النجح والنجاة ويقال للرجل الكريم واري الزناد فاما التحية فهي الملك فكانه قال من كل ما نال الفتى قد نلته الا الملك وقيل التحية هاهنا الخلود والبقاء والبازلة الناقة التي تطلع فيها بلغت تسع سنين وهي اشد ما يكون ولفظ البازل في الناقة والجمل سواء والكوماء العظيمة السنام والوليه برذعة على ظهر البعير تحت حلسه والبجال الذي يجله قومه ويعظمونه ومعنى يهادى بالعشيه اي تماسكه الرجال فتسنده لضعفه والتهادي المشي الضعيف ۞ وقوله سبات فالسبات سكون الحركة ورجل مسبوت وللخفاف يقال حقت الرجل اذا اصابه ضعف من مرض او جوع والمفجع الذي فجع بولد له او قرابته والحران العطشان الملتهب جوفه هاهنا المحترق على قتله ۞ ومما يروى لزهير بن جناب ۞ اذا ما شئت ان تسلا خليلا ۞ فاكثر دونه عدد الليالي فما سلا حبيبك مثل ناء ۞ ولا بلى جديدك كابتذال ۞ سابع عشر ۞ [illegible] العدواني واسمه حرثان بن محرث بن الحارث بن سعد بن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عتاب بن يشكر بن عدوان وهو الحرث بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر وانما سمي الحارث عدوان لانه عدا على اخيه فهم فقتله وقيل بل فقا عينه وقيل ان اسم ذي الاصبع محرث بن حرثان وقيل حرثان بن حويرث وقيل حرثان بن حارثه ويكنى ابا عدوان وسبب لقبه بذي الاصبع ان حية نهشته على اصبعه فشلت فسمي بذلك ويقال انه عاش مايه وسبعين سنة وقال ابو حاتم عاش ثلثمايه سنه وهو احد حكام العرب في الجاهلية وذكر انه كان اثرم وروي عنه ولا يبعدنه عهد الشباب ولا لذاته ونباته النضر ۞

لولا اوليك ما حفلت متى عوليت في حرجي الى قبري ۞ هزئت اثيلة اذ رات هرمي وان انحنى لتقادم ظهري

وكان لذي الاصبع بنات اربع فعرض عليهن التزويج فابين وقلن خدمتك وقربك احب الينا فاشرف عليهن يوما من حيث لا يرينه فقلن لتقل كل واحدة منا في نفسها فقالت الكبرى ۞

۞ الا هل اراها ليلة وضجيعها ۞ اشم كنصل السيف غير مهند ۞
۞ عليم بادواء النساء واصله ۞ اذا ما انتمى من سر اهلي ومحتدي ۞

ويروى غير مهند ويروى غير مهند ويروى من سر اصلي ومحتدي فقلن لها انت تريدين ذا قرابة قد عرفته

وقالت الثانية ، ألا ليت زوجي من أناس ذوي غنى ، حديث الشباب طيب الثوب والعطر ،
لصوق بأكباد النساء كأنه ، خليفة جان لا يخاف على وتر ،

ويروى إلى غنى ويروى لا ينام على هجر ، فقلن لها أنت تريدين فتى ليس من أهلك ثم قالت

الثالثة ، ألا ليته يكسى الجمال نديه ، له جفنة يشقى بها المعز والجزر ،
له حكمات الدهر من غير كبرة ، تشين فلا فان ولا ضرع غمر ،

فقلن لها أنت تريدين سيدا شريفا وقلن للرابعة قولي فقالت لا أقول شيئا فقلن يا عدوة الله علمت ما في أنفسنا ولا تعلمينا ما في نفسك فقالت زوج من عود خير من قعود فمضت ثلاثة فزوجهن أبوهن وتركهن حولا ثم أتى الكبرى فقال يا بنية كيف زوجك فقالت خير زوج يكرم الحليلة ويعطي الوسيلة قال فما مالكم قالت خير مال الإبل نشرب ألبانها جرعا ويروى جرعا بالألبان المعهرة ونأكل لحمانها مزعا وتحملنا وضعفتنا معا فقال يا بنية زوج كريم ومال عميم ثم أتى الثانية فقال يا بنية كيف زوجك فقالت خير زوج يكرم أهله وينسى فضله قال وما مالكم قالت البقر تألف الفناء وتملأ الإناء وتودك السقاء ونساء مع النساء فقال لها حظيت وبظيت ثم أتى الثالثة فقال يا بنية كيف زوجك فقالت لا سمح بذر ولا بخيل حكر قال فما مالكم قالت المعزى قال وما هي قالت لو كنا نولدها فطما ونسلخها أدما ويروى أدما بالفتح لم نبغ بها نعما فقال لها جذوة مغنية ويروى حذوة مغنية ثم أتى الصغرى فقال يا بنية كيف زوجك قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال فما مالكم قالت شر مال قال وما هو قالت الضأن جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن وأمر مغويتهن يتبعن فقال أبوها أشبه امرأ بعض بزه فمضت مثلا وأما قول أخرى بناته في الشعر شم فالشمم هو ارتفاع أرنبة الأنف وورودها يقال رجل أشم وامرأة شماء وقوم شم

قال حسان ، بيض الوجوه كريمة أنسابهم ، شم الأنوف من الطراز الأول ،

فالشمم الارتفاع في كل شيء فيحتمل أن يكون أراد حسان بشم الأنوف ما ذكرناه من ورود الأرنبة لأن ذلك عندهم دليل العتق والنجابة ويجوز أن يكون أراد بذلك الكناية عن نزاهتهم وتباعدهم عن دنايا الأمور ودليلها وخص الأنف بذلك لأن الحمية والغضب والأنفة فيها ولم يرد طول أنفهم وهذا أشبه أن يكون مراده لأنه قال في أول البيت بيض الوجوه ولم يرد اللون في الحقيقة وإنما كنى بذلك عن نقاء أعراضهم وجميل أخلاقهم وأفعالهم كما يقول القائل جاءني فلان بوجه أبيض وقد بيض فلان وجهه بكذا وكذا وإنما يعني ما ذكرناه وقول المرأة أشم كنصل السيف يحتمل الوجهين أيضا ومعنى قول حسان أنهم من الطراز الأول أي أنهم في آبائهم وسلفهم وأنهم لم يحدثوا أخلاقا مذمومة لا تشبه نجارهم وأصولهم وقولها عين مهند يعني المهند بعينه كما يقال هو هو بعينه وعين الشيء نفسه وفي الرواية الأخرى عين مهند أي السيف هو السيف

السيف المنسوب إلى الهند وإنما هو مستجد في معناه وقوله من سر أهلها أي من أكرمهم وأخلصهم يقال فلان في سر قومه أي هو في صميمهم وشرفهم وسر الوادي أطيبه ترابا والمتلد الأصل وقول الثانية إلى غنى فإن ما معناه أن يكون ذا غناء لا يترك عدوله هو الفسل الرذل الذي لا خير عنده والكريم الفاضل من الناس هو الحسد المعادي وقولها لصوق بأكباد النساء تعني في المضاجعة ويحتمل أن يكون أرادت في المحبة والمودة وكنت بذلك عن شدة محبتهن له وميلهن إليه وهواشته وقولها كأنه خليفة جان أي كأنه حية للصوقه والجان جنس من الحيات خففت لضرورة الشعر وقول الثالثة يكسى الجمال نديه فالندي هو المجلس وقولها له حكمات الدهر تقول قد أحكمته التجارب وجعلته حكيما فأما الضرع فهو الضعيف والغمر الذي لم يجرب الأمور وقول الكبرى يكرم الحليلة ويعطي الوسيلة فالحليلة هي امرأة الرجل والوسيلة هي الحاجة وقولها نشرب ألبانها جرعا فالجرع جمع جرعة وهو القليل من الماء يبقى في الإناء وقولها مزعا فالمزعة البقية من الدسم ويقال ما له جرعة ولا مزعة كذا ذكر ابن دريد بالضم في جرعة ووجدت غيره يكسرها ويقول جرعة وإذا كسرت فينبغي أن يكون نشرب ألبانها جرعا في بكسر الجيم وهذا ليزدوج الكلام فيقول ونأكل لحمانها مزعا فإن المزعة بالكسر فهي القطعة من اللحم والمزع بالكسر أيضا من الريش والقطن وغير ذلك من الخرق والتمزيع التقطيع والتشقيق يقال إنه ليكاد يتمزع من الغيظ ومزع الظبي في عدوه ويمزع مزعا إذا أسرع وقوله مال عميم أي كثير وقول الثانية تودك السقاء من الودك الذي هو الدسم وقول الثالثة نولدها فطما فالفطم جمع فطيم وهو المفطوم من الرضاع وقولها نسلخها أدما فالأدم جمع أديم وهو الذي يؤكل يقول لو أنا فطمناها عند الولادة وسلخناها للأدم من الحاجة لم نبغ بهما نعما وعلى الرواية الأخرى أدما من الأديم وقوله جذوة مغنية فالجذوة القطعة منه وقول الصغرى جوف لا يشبعن فالجوف جمع جوفاء وهي العظيمة الجوف والهيم العطاش ولا ينقعن أي لا يروين ومعنى قوله وأمر مغويتهن يتبعن أي القطيع من الضأن يمر على قنطرة فتزل واحدة فتقع في الماء فيقعن كلهن اتباعا لها والضأن يوصف بالبلادة أخبرنا أبو الحسن علي بن يحيى الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس قال ابن دريد وأنبأنا العكلي عن أبي خالد عن الهيثم بن عدي عن مسعر بن كدام قال أخبرنا سعيد بن خالد الجدلي قال لما قدم عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مصعب دعا الناس على فرائضهم فأتيناه فقال من القوم قلنا جديلة قال جديلة عدوان قلنا نعم فتمثل عبد الملك

عذير الحي من عدوان كانوا حية الأرض ، بغى بعضهم بعضا فلم يرعوا على بعض ،
ومنهم كانت السادات والموفون بالقرض ، ومنهم حكم يقضي فلا ينقض ما يقضي ،

ومنهم من يجير الناس بالسنة والفرض ثم اقبل علي رجل كنا قدمناه امامنا جسيم وسيم فقال ايكم يقول هذا الشعر فقال لا ادري فقلت من خلفه يقوله ذو الاصبع فتركني واقبل على ذلك الجسيم وقال ما كان اسم ذي الاصبع فقال لا ادري فقلت من خلفه اسمه حرثان فاقبل عليه وتركني فقال لم سمي ذي الاصبع فقلت لا ادري فقلت انا من خلفه نهشته حية فقال لهما ايكم كان قال لا ادري فقلت من خلفه من بني ناج فاقبل على الجسيم فقال كم عطاوك قال سبعماية درهم ثم اقبل علي فقال كم عطاوك فقلت اربعماية فقال يا ابا الزعيزعة حط من عطا هذا الثلثماية وزدها في عطاء هذا فرحت وعطائي سبعماية وعطاوه اربعماية وفي رواية اخرى انه لما قال لم ايكم كان قال لا ادري فقلت انا من خلفه من بني ناج الذين يقول فيهم الشاعر

وأما بنو ناج فلا تذكرنهم ۞ ولا يتبعن عينيك من كان هالكا
اذا قلت معروفا لاصلح بينهم ۞ يقول وهيب لا اسالم ذلكا
فاضحى كظهر العود جب سنامه ۞ يدب الى الاعداء احدب باركا

ويروى لا احاول وقد رويت هذه الابيات لذي الاصبع ايضا ومن ابيات ذي الاصبع السائرة

اكاشر ذا الضغن المبين منهم ۞ واضحك حتى يبدو الناب اجمع
واهدنه بالقول هدنا ولو يرى ۞ سريرة ما اخفي لبات يفزع

معنى اهدنه اسكته ومن قوله ايضا

اذا ما الدهر جر على اناس ۞ شراشره اناخ باخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا ۞ سيلقى الشامتون كما لقينا

معنى الشراشر ههنا الثقل يقال القى عليه شراشره وجراميزه اي ثقله ومن قوله ايضا

ذهب الذين اذا راوني مقبلا ۞ هشوا الي ورحبوا بالمقبل
وهم الذين اذا حملت حمالة ۞ ورايتهم فكانني لم احمل

ومن قوله وهي مشهورة

لي ابن عم على ما كان من خلق ۞ مختلفان فاقليه ويقليني
ازرى بنا اننا شالت نعامتنا ۞ فخالني دونه وخلته دوني
لاه ابن عمك لا افضلت في حسب ۞ عني ولا انت دياني فتخزوني
اني لعمرك ما بابي بذي غلق ۞ عن الصديق ولا خيري بممنون
ويروى [illegible] ولا لساني على الادنى بمنطلق ۞ بالفاحشات ولا اغضي على الهون
ماذا علي وان كنتم ذوي رحمي ۞ الا احبكم اذ لم تحبوني

يا عمرو

يا عمرو ان لا تدع شتمي ومنقصتي ۞ اضربك حيث تقول الهامة اسقوني
وانتم معشر زيد على مائة ۞ فاجمعوا امركم طرا فكيدوني
لا اخرج القسر مني غير مابيه ۞ ولا الين لمن لا يبتغي ليني

قوله شالت نعامتنا معناه تنافرنا فصرت لا اطمئن اليه ولا يطمئن الي يقال شالت نعامة القوم اذا انتقلوا عن الموضع وقوله لاه ابن عمك وقال ابن دريد اقسم واراد والله ابن عمك وقوله عني اي علي والديان الذي يلي امره ومعنى فتخزوني اي تسوسني والخزو الهوان وقوله اضربك حيث يقول الهامة اسقوني قال الاصمعي العطش في الهامة فاراد اضربك في ذلك الموضع اي على الهامة حيث تعطش وقال الاخرون العرب تقول ان الرجل اذا قتل خرجت من راسه هامة تدور حول قبره وتقول اسقوني اسقوني فلا تزال كذلك حتى يوخذ بثاره وهذا باطل ويجوز ان يعنيه ذو الاصبع على مذاهب العرب وقوله لا يخرج القسر مني غير مابيه فالقسر القهر اي اخذت قسرا لم ازدد الا اباء [illegible] الجرهمي الذي زعم قال ابن سلام وقال معدي كرب وكان طال عمره

اراني كلما افنيت يوما ۞ اتاني بعده يوم جديد
يعود ضياوه في كل يوم ۞ ويابى لي شبابي لا يعود

[illegible] الربيع بن ضبع الفزاري ويقال انه بقي الى ايام بني امية ويروى انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له يا ربيع اخبرني عما ادركت من العمر والمدى ورايت من الخطوب الماضية قال انا الذي اقول

هانذا امل الخلود وقد ۞ ادرك عقلي ومولدي حجرا

قال عبد الملك قد رويت هذا من شعرك وانا صبي قال وانا القائل

اذا عاش الفتى مايتين عاما ۞ فقد ذهب اللذاذة والفتاء

قال قد رويت هذا من شعرك وانا غلام وابيك يا ربيع لقد طلبك جد غير عاثر ففصل لي عمرك قال عشت مايتي سنة في فترة عيسى عم وعشرين ومايه سنة في الجاهلية وستين سنة في الاسلام قال اخبرني عن فتية من قريش متواطي الاسماء قال سل عن ايهم شئت قال اخبرني عن عبد الله بن عباس قال فهم وعلم وعطاء جزم ومقرى ضخم قال فاخبرني عن عبد الله بن عمر قال حلم وعلم وطول كظم وبعد من الظلم قال فاخبرني عن عبد الله بن جعفر قال ريحانة طيب ريحها لين مسها قليل على المسلمين ضررها قال فاخبرني عن عبد الله بن الزبير قال جبل وعر تنحدر عنه الصخر قال لله درك ما اعرفك بهم يا ربيع قال قرب جواري وكثر استخباري رضي الله عنه الا كان هذا الخبر صحيحا

فيشبه ان يكون سوال عبد الملك ولي في سنة خمس وستين من الهجرة فان كان صحيحا فلا بد مما ذكرناه وقد روي ان الربيع ادرك ايام معوية ويقال ان الربيع لما بلغ مايتي سنة قال

الا ابلغ بنيّ بني ربيع فاشرار البنين لكم فداء
باني قد كبرت ودق عظمي فلا تشغلكم عني النساء
وان كنايني لنساء صدق وما آلى بنيّ ولا اساؤا
اذا كان الشتا فادفوني فان الشيخ يهدمه الشتاء
اذا عاش الفتى مايتين عاما فقد ذهب اللذاذة والفتاء

وقال حين بلغ مايتين واربعين سنة

اصبح مني الشباب قد حسرا ان بان عني فقد ثوى عصرا
ودعنا قبل ان نودعه لما قضى من جماعنا وطرا
ها انذا امل الخلود وقد ادرك سني ومولدي حجرا
ابا امرء القيس هل سمعت به هيهات هيهات طال ذا عمرا
اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا
والذيب اخشاه ان مررت به وحدي واخشى الرياح والمطرا
من بعد ما قوة انوء بها اصبحت شيخا اعالج الكبرا

قوله خطا جذم اي سريع وكل شيا سرعت فيه فقد جذمته وفي الحديث اذا اذنت فترسل واذا اقمت فاجذم اي اسرع والمغزى الاناء الذي يحرث فيه وقوله وما آلى بنيّ ولا اساوا اي لم يقصروا والآلي المقصر

[illegible] ابو الطمحان القيني واسمه حنظلة بن الشرقي من بني كنانة بن القين قال ابو حاتم عاش ابو الطمحان القيني مايتي سنة وقال في ذلك

حنتني حانيات الدهر حتى كاني خاتل ادنو لصيد
قصير الخطو يحسب من راني ولست مقيدا اني بقيد
تقارب خطو رجلك يا دويد وقيدك الزمان بشر قيد

وهو القايل

واني من القوم الذين هم هم اذا مات منهم ميت قام صاحبه
نجوم سما كلما غاب كوكب بدا كوكب تاوي اليه كواكبه
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وما

وما زال منهم حيث كانوا مسوّد تسير المنايا حيث سارت كتايبه

ومعنى البيتين الاولين تشبه قول اوس بن حجر

اذا مقرم منا ذرا حد نابه تخمط فينا ناب اخر مقرم

وللطفيل الغنوي مثل هذا وهو قوله

كواكب دجن كلما انقض كوكب بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب

وقد اخذ الخزيمي هذا المعنى فقال

اذا قمر منا تغور او خبا بدا قمر في جانب الافق يلمع

ومثل ذلك

خلافة اهل الارض فينا وراثة اذا مات منا سيد قام صاحبه

ومثله

اذا سيد منا مضى لسبيله اقام عمود الملك اخر سيد

وكان مزاحم العقيلي نظر الى قول ابي الطمحان اضاءت لهم احسابهم ووجوههم في قوله وقد احسن

وجوه لو ان المدلجين اعتشوا بها صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلي

ويقارب ذلك قول حجية بن المضرب السعدي

اضاءت لهم احسابهم فتضاءلت لنورهم الشمس المضيئة والبدر

وانشد محمد بن يحيى الصولي في معنى بيت ابي الطمحان

من البيض الوجوه بني سنان لو انك تستضيء بهم اضاؤا
هم حلوا من الشرف المعلى ومن كرم العشيرة حيث شاؤا
فلو ان السماء دنت لمجد ومكرمة دنت لهم السماء

وابو الطمحان القايل

اذا كان في صدر ابن عمك احنة فلا تستثرها سوف يبدو دفينها

وهو القايل

اذا شاء راعيها استقى من وقيعة كعين الغراب صفوها لم يكدر

ويروى صفوها لم يكدر والوقيعة المستنقع في الصخرة للماء اذا زال عن صخرة فوقع في بطن اخرى وهو ماء الوقايع وانشد لذي الرمة

ونلنا سقاطا من حديث كانه جنا النحل ممزوجا بماء الوقايع

ويقال للماء الذي يجري على الصخر ماء الحشرج والذي يجري بين الحصا والرمل ماء المفاصل و
انشد ولابي ذويب

مطافيل ابكار حديث نتاجها تشاب بماء مثل ماء المفاصل

وانشد ابو محلم السعدي لابي الطمحان

بني اذا ما سامك الدهر قاهر عزيز فبعض الذل ابقى واحرز
ولا تحم من بعض الامور تعززا فقد يورث الذل الطويل التعزز

وهذان البيتان يرويان لعبد الله بن معوية الجعفري ويروى لابي الطمحان في مثل هذا المعنى

يا رب مظلمة يوما لطيت لها تمضي علي اذا ما غاب نصاري
حتى اذا ما انجلت عني غيابتها وثبت فيها وثوب المخدر الضاري

بن بقيله الغساني وهو عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيله و
اسم بقيله ثعلبه وقيل الحارث وانما سمي بقيله لانه خرج على قومه في بردين اخضرين فقالوا له ما انت
الا بقيله فسمي بذلك وذكر الكلبي وابو مخنف وغيرهما انه عاش ثلثمايه وخمسين سنه وادرك الاسلام
فلم يسلم وكان نصرانيا و روي ان خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة وتحصن منه اهلها ارسل اليهم
ابعثوا الي رجلا من عقلايكم وذوي اسنانكم فبعثوا اليه عبد المسيح بن بقيلة فاقبل يمشي حتى دنا من خالد
فقال انعم صباحا ايها الملك قال قد اغنانا الله عن تحيتك هذه فمن اين اقصى اثرك ايها الشيخ قال من ظهر ابي
قال فمن اين خرجت قال من بطن امي قال فعلام انت قال على الارض قال ففيم انت قال في ثيابي قال
اتعقل لا عقلت قال اي والله واقيد قال ابن كم انت قال ابن رجل واحد قال خالد ما رايت كاليوم قط اني
اسله عن الشي وينحو في غيره قال ما انباتك الا عما سالت فاسال عما بدا لك قال اعرب انتم ام نبيط قال
قال عرب استنبطنا ونبط استعربنا قال فحرب انتم ام سلم قال بل سلم قال فما هذه الحصون قال بنيناها
لسفيه نحذر منه حتى يجي الحليم فينهاه قال كم اتى لك قال خمسون وثلثمايه سنه قال فما ادركت قال ادركت سفن
البحر ترفا الينا في هذا الجرف ورايت المراة من اهل الحيرة تضع مكتلها على راسها لا تزود الا رغيفا
حتى تاتي الشام ثم قد اصبحت اليوم خرابا وذلك داب الله في العباد والبلاد قال ومعه سم ساعة يقلبه
في كفه فقال له خالد ما هذا في كفك قال هذا السم قال وما تصنع به قال ان كان عندك ما يوافق قومي واهل
بلدي حمدت الله تعالى وقبلته وان كانت الاخرى لم اكن اول من ساق اليهم ذلا وبلاء اشربه واستريح من الحياة
فانما بقي من عمري اليسير قال خالد هاته فاخذه وقال بسم الله وبالله ورب الارض والسما الذي لا يضر مع اسمه
شي

شي ثم اكله فتجللته غشية ثم ضرب بذقنه في صدره طويلا ثم عرق وافاق كانما انشط من عقال فرجع ابن
بقيلة الى قومه فقال جئتكم من عند شيطان اكل سم ساعة فلم يضره صانعوا القوم واخرجوهم عنكم فان
هذا امر مصنوع لهم فصالحوهم على مائة الف درهم وانشا ابن بقيلة يقول

ابعد المنذرين ارى سواما تروح بالخورنق والسدير
تحاماه فوارس كل قوم مخافة ضيغم عالي الزئير
وصرنا بعد هلك ابي قبيس كمثل الشاء في اليوم المطير
يريد ابا قابوس ويروى كمثل المعز
تقسمنا القبائل من معد علانية كايسار الجزور
نؤدي الخرج بعد خراج كسرى وخرج من قريظة والنضير
كذاك الدهر دولته سجال فيوم من مساءة او سرور

ويقال ان عبد المسيح لما بنى بالحيرة قصره المعروف بقصر بني بقيله قال

لقد بنيت للحدثان بيتا لو ان المرء ينفعه الحصون
طويل الراس اقعس مشمخرا لانواع الرياح به حنين

ومما يروى ومما يروى لعبد المسيح بن بقيله

والناس ابناء علات فمن علموا ان قد اقل فمجفو ومحقور
وهم بنون لام ان راوا نشبا فذاك بالغيب محفوظ ومخفور

وهذا يشبه قول اوس بن حجر بني ام ذي المال الكثير يرونه وان كان عبدا سيد الامر جحفلا

وهم لقليل المال اولاد علة وان كان محضا في العمومة مخولا

وذكر ان بعض مشايخ اهل الحيرة خرج الى ظهرها يختط ديرا فلما حفر موضع الاساس في الاحتفار
اصاب كهيئة البيت فدخله فاذا رجل على سرير من زجاج وعند راسه كتابة انا عبد المسيح بن بقيله

حلبت الدهر اشطره حياتي ونلت من المنى بلغ المزيد
وكافحت الامور وكافحتني ولم احفل بمعضلة كؤود
وكدت انال في الشرف الثريا ولكن لا سبيل الى الخلود

واسمه قيس بن عبد الله بن عامر بن ربيعه بن جعده بن كعب بن ربيعه بن
عامر بن صعصعة ويكنى ابا ليلى وروى ابو حاتم السجستاني قال كان النابغة الجعدي اسن من النابغة

الذبياني والدليل على ذلك قوله

تذكرت والذكرى تهيج على الهوى ومن حاجة المحزون ان يتذكرا
ندامات عبد المنذر بن محرق ارى اليوم منهم ظاهر الارض مقفرا
كهول وشبان كان وجوههم دنانير مما شيف في ارض قيصرا

فهذا يدل على انه كان مع المنذر بن محرق والنابغة الذبياني كان مع النعمان بن المنذر بن محرق وقوله شيف يعني جلي والشوف الجلو ويقال ان النابغة عمر ثلثين سنة لا يتكلم ثم تكلم بالشعر ومات وهو ابن مايه وعشرين سنة باصبهان وكان ديوانه بها وهو الذي يقول

فمن يك سائلا عني فاني من الفتيان ايام الخنان

وايام الخنان ايام كانت للعرب قديمة هاج بها فيهم مرض في انوفهم وحلوقهم

مضت مائة لعام ولدت فيه وعشر بعد ذاك وحجتان
فابقى الدهر والايام مني كما ابقى من السيف اليماني
تفلل وهو ماثور جراز اذا جمعت بقائمه اليدان

وقال ايضا في طول عمره

لبست اناسا فافنيتهم وافنيت بعد اناس اناسا
ثلاثة اهلين افنيتهم وكان الاله هو المستاسا

معنى المستاس المستعان وروي عن هشام بن محمد الكلبي انه عاش مائة وثمانين سنة وروي عن ابن دريد عن ابي حاتم في موضع آخر ان النابغة الجعدي عاش مائتي سنة وادرك الاسلام وروي له

قالت امامة كم عمرت زمانة وذبحت من عتر على الاوثان

العتيرة شاة تذبح لاصنامهم في الجاهلية

ولقد شهدت عكاظ قبل محلها فيها وكنت اعد من فتيان
والمنذر بن محرق في ملكه وشهدت يوم هجائن النعمان
وعمرت حتى جاء احمد بالهدى وقوارع تتلى من القرآن
ولبست من اسلام ثوبا واسعا من سيب لا حرم ولا منان

وله ايضا في طول عمره

المرء يهوى ان يعيش وطول عيش ما يضره
تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره

وتتابع

وتتابع الايام حتى لا يرى شيئا يسره كم شامت بي ان هلكت وقائل لله دره

وروي ان النابغة الجعدي كان يفتخر ويقول اتيت النبي صلى الله عليه فانشدته

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال عليه السلام الى اين المظهر يا ابا ليلى فقلت الى الجنة يا رسول الله قال عليه السلام اجل ان شاء الله ولما انشدته

فلا خير في حلم اذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما اورد الجهل اصدرا

فقال عليه السلام لا يفضض الله فاك قال وفي رواية اخرى لا يفضض فوك فيقال ان النابغة عاش عشرين ومايه سنة لم يسقط من فيه سن ولا ضرس وفي رواية اخرى عن بعضهم قال رايت النابغة بعد ما بلغ الثمانين ترف غروبه وكانت كلما سقطت له ثنية نبتت له اخرى مكانها وهو من احسن الناس ثغرا معنى ترف اي تبرق وكان الماء يقطر منها المرتضى رضي الله عنه ومما يشاكل قوله الى الجنة في جواب قول النبي صلى الله عليه الى اين المظهر يا ابا ليلى وان كان يتضمن العكس من معناه ما روي من دخول الاخطل على عبد الملك مستغيثا من فعل الجحاف والسلمي وانه انشد

لقد اوقع الجحاف بالبشر وقعة الى الله منها المشتكى والمعول
فان لم تغيرها قريش بحلمها يكن عن قريش مستمار ومزحل

فقال الى اين يا ابن اللخناء قال الى النار قال لو قلت غير هذا لقطعت لسانك فقوله الى النار تخلص مليح على البديهة كما تخلص الجعدي بقوله الى الجنة واول قصيدة الجعدي التي ذكرنا منها الابيات

خليلي عوجا ساعة وتهجرا ولوما على ما احدث الدهر او ذرا
ولا تسالا ان الحياة قصيرة وطيرا لروعات الحوادث او قرا
وان كان امر لا تطيقان دفعه فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا
الم تعلما ان الملامة نفعها قليل اذا ما الشي ولى فادبرا
تهيج البكاء والندامة ثم ما يقرب منها ما كان قدرا
لوى الله علم الغيب عمن سواه ويعلم منه ما مضى وتاخرا

وفيها يقول

وليس بمعروف لنا ان نردها صحاحا ولا مستنكر ان تعقرا
وجاهدت حتى ما احس ومن معي سهيلا اذا ما لاح ثم تغورا

يريد اني كنت بالشام وسهيل لا يكاد يرى هناك وهذا بيت ومعنى جيد وفيها يقول

ونحن اناس لا نعود خيلنا ٭ اذا ما التقينا ان تحيد وتنفرا
وننكر يوم الروع الوان خيلنا ٭ من الطعن حتى نحسب الجون اشقرا

واخبرنا المرزباني قال انشدنا علي بن سليمان الاخفش قال انشدنا احمد بن يحيى قال انشدنا محمد بن سلام وغيره للنابغة الجعدي

تلوم على هلك البعير ظعينتي ٭ وكنت على لوم العواذل زاريا
الم تعلمي اني رزيت محاربا ٭ فما لك منه اليوم شي ولا ليا
ومن قبله ما قد رزيت بوحوح ٭ وكان ابن امي والخليل المصافيا
فتى كملت خيراته غير انه ٭ جواد فما يبقي من المال باقيا
فتى تم فيه ما يسر صديقه ٭ على ان فيه ما يسو الاعاديا
اشم طويل الساعدين سميدع ٭ اذا لم يرح للمجد اصبح غاديا

السميدع السيد ومما روي للنابغة الجعدي

عقيلية او من هلال بن عامر ٭ بذي الرمث من وادي المياه خيامها
اذا ابتسمت في الليل والليل دونها ٭ اضاء دجا الليل البهيم ابتسامها

وذكر الاصمعي عن ابي عمرو بن العلا قال سيل الفرزدق بن غالب عن الجعدي فقال صاحب خلقان يكون عنده مطرف وخمار بواف قال الاصمعي وصدق الفرزدق بينا النابغة في كلام اسهل من الزلال او اشد من الصخر اذ لان وذهب ثم انشد له

سما لك هم ولم تطرب ٭ وبت ببث ولم تنصب
وقالت سليمى ارى راسه ٭ كناصية الفرس الاشهب
وذلك من وقعات المنون ٭ ففيئي اليك ولا تعجبي

ثم يقول فيها

اتين على اخوة سبعة ٭ وعدن على ربع الاقرب
فادخلك الله برد الجنان ٭ جذلان في مدخل طيب

فلان لما خبث لو ان بالسمين قال لهذا البيت لكان ردا ضعيفا ٭ قال الاصمعي طريق الشعر اذا ادخلته في باب الخير لان الا ترى ان حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والاسلام فلما دخل

شعره في باب الخير من مراثي النبي صلى الله عليه وحمزة وجعفر وغيرهما لان شعره [illegible]

[illegible] تعلق بما ذكرناه ان سال سايل فقال كيف يصح ما اوردتموه من تطاول الاعمار واستدادها وقد علمتم ان كثيرا من الناس ينكر ذلك ويحيله ويقول انه لا قدرة عليه ولا سبيل اليه ومنهم من ينزل في انكاره درجة فيقول انه وان كان جايزا من طريق القدرة والامكان فانه مما يقطع على انتفايه لكونه خارقا للعادات وان العادات اذا وثق الدليل بانها تخرق الا على سبيل الابانة والدلالة على صدق نبي من الانبيا عليهم السلم علم ان جميع ما روي من زيادة الاعمار على العادة باطل مصنوع لا يلتفت الى مثله. الجواب قيل له اما من ابطل تطاول الاعمار من حيث الاحالة واخرجه عن باب الامكان فقوله ظاهر الفساد لانه لو علم ما العمر في الحقيقة وما المقتضي لدوامه اذا دام وانقطاعه اذا انقطع لعلم من جواز استداده ما علمناه والعمر هو استمرار كون من يجوز ان يكون حيا وغير حي حيا وانما شرطنا الاستمرار لانه يبعد ان يوصف من كان حاله واحدة حيا بان له عمرا بل لا بد من ان يراعوا في ذلك ضربا من الامتداد والاستمرار وان قل وشرطنا ان يكون ممن يجوز ان يكون غير حي او يكون لكونه حيا ابتدا احترازا من ان يلزم عليه القديم تعالى لانه جلت عظمته ممن لا يوصف بالعمر وان استمر كونه حيا وقد علمنا ان المختص بفعل الحياة القديم تعالى وفيما يحتاج اليه الحياة من البنية ومن المعاني ما يختص به جل وعز ولا يدخل الا تحت مقدوره تعالى كالرطوبة وما جرى مجراها فمتى فعل القديم تعالى الحياة وما يحتاج اليه من البنية وهي مما يجوز عليه البقا وكذلك ما يحتاج اليه فليس ينتفي الا بضد يطرا عليها او بضد ينفي ما يحتاج اليه والاقوى انه لا ضد لها في الحقيقة وربما ادعى قوم انه ما يحتاج اليه ولو كان للحياة ضد على الحقيقة لم يخل بما قصدناه في هذا الباب لانه لم يفعل القديم تعالى ضدها او ضد ما يحتاج اليه ولا نقض ما في بنية الحي استمر كون الحي حيا ولو كانت الحياة ايضا لا تبقى على مذهب من راى ذلك لكان ما قصدناه صحيحا لانه تعالى قادر على ان يفعلها حالا فحالا ويوالي بين فعلها وفعل ما يحتاج اليه فيستمر كون الحي حيا فاما ما يعرض من الهرم باستداد الزمان وعلو السن وتناقض بنية الانسان فليس مما لا بد منه وانما اجرى الله تعالى العادة بان يفعل ذلك عند تطاول الزمان ولا ايجاب هناك ولا تاثير للزمان على وجه من الوجوه وهو تعالى قادر على ان لا يفعل ما اجرى العادة بفعله واذا ثبتت هذه الجملة ثبت ان تطاول العمر ممكن غير مستحيل وانما اتي من احال ذلك من حيث اعتقد ان استمرار كون الحي حيا موجب عن طبيعة وقوة لهما مبلغ من المادة متى انتهيا اليه انقطعا واستحال ان يدوما ولو اضافوا ذلك الى فاعل مختار متصرف لخرج عندهم عن باب الاحالة

فاما الكلام على دخول ذلك في العادة وخروجه عنها فلا شك في ان العادة قد جرت في الاعمار باقدار متقاربة يعد الزايد عليها خارقا للعادة الا ترى انه قد ثبت ان العادات قد تختلف في الاوقات وفي الاماكن ايضا ويجب ان يراعى في العادة اضافتها الى من هي عادة له في المكان والوقت وليس يمتنع ان يقل ما كانت العادات جارية به على تدريج حتى يصير حدوثه خارقا للعادة بغير خلاف وان يكثر الخارق للعادة حتى يصير حدوثه غير خارق لها بلا خلاف فيه واذا صح ذلك لم يمتنع ان تكون العادات في الزمان الغابر كانت جارية بتطاول الاعمار وامتدادها ثم تناقص ذلك على تدريج حتى صارت عادتنا الان جارية بخلافه وصار ما يبلغ مبلغ تلك الاعمار خارقا للعادة وهذه جملة فيما اوردناه كافية

[illegible] المستحسنة التي يسميها قوم المسكتة اعلم ان اجوبة المحاورة والمناظرة انما تستحسن وتؤثر اذا جمعت مع الصواب سرعة الحضور فكم من جواب اتى بعد تقاعس لم يكن في النفوس ولا حل في القلوب محل الحاضر السريع ولذ كان المتثاقل لا عرق في نسبه لاصابة ولا خبر باطراف الحجة لهذا قيل احسن الناس جوابا واحضرهم قريش العرب وان الموالي تاتي اجوبتها بعد لاي وفكر وروية وقد مدح الجواب الحاضر بكل لسان فقال صحار العبدي لمعاوية بن ابي سفيان وقد سالم عن البلاغة فقال ان تجيب فلا تخطي وتسرع فلا تبطي ثم احتقر ذلك فقال لا تخطي ولا تبطي ولطول الفكر وللاعتزام في الروية مذهب واوان لا يحمد فيها السريع والعجل كما لا يحمد في اوان السرعة التثاقل والتايد وانما يحمد السرعة في اجوبة المحاورة والمناظرة وتراد الفكرة والروية للاراء المستخرجة والامور المستنبطة التي على الانسان فيها مهلة وله في تاملها فسحة ولا عيب عليه معها في اطالة التامل ومعاودة التصفح ولهذا قال الاحنف لبعضهم يا غوا الراي فان ذلك يكشف لكم عن محضه وقال عبد الله بن وهب الراسبي لما اراده الخوارج على الكلام حين عقدوا له الامرة الراي الفطير والكلام القضيب وشوور بن التوام الرقاشي وقال فامسك عن الجواب وقال انما احب الخبز الا بايتا فاما قولهم ثلاث يعرفن في الاحمق سرعة الجواب وكثرة الالتفات والثقة بكل احد فمحمول على اسراعه بالجواب عند الريث والمشاورة والاحوال التي يستحب فيها التايد والتثبت او على الاسراع من غير تحصيل ولا ضبط وذلك مذموم لا اشكال فيه ونحو ذلك ما قصدنا له وروي ان بعض ازواج النبي صلى الله عليه سالته متى يعرف الانسان ربه فقال عليه السلام اذا عرف نفسه وقال له عليه السلام رجل اني لاكره الموت فقال عليه السلام الك مال قال نعم قال قدم مالك فان قلب كل امرء عند ماله وقال يهودي لامير المؤمنين ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فقال عليه السلام انما اختلفنا عنه ولم نختلف فيه ولكنكم ما جفت ارجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون وروي انه عليه السلام لما فرغ من دفن رسول الله ص سال عن خبر السقيفة فقيل له ان الانصار قالت منا امير ومنكم امير فقال عليه السلام فهلا ذكرتم للانصار قول النبي ص يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم فكيف يكون الامر فيهم والوصاة بهم وقال له ابن الكوا يا امير المؤمنين كم بين السماء والارض فقال عليه السلام ما طعم الماء فقال عليه السلام طعم الحياة وقال له عليه السلام كم بين المشرق والمغرب فقال عليه السلام مسيرة يوم للشمس واثنى رجل عليه عليه السلام وكان له متهما انا فوق ما في نفسك ودون ما تقول وكان عليه السلام اذا اطراه رجل قال اللهم انك اعلم بي منه وانا اعلم بنفسي فاغفر لي ما لا يعلمون اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني عبد الواحد بن محمد الخصيبي قال حدثني ابو علي احمد بن اسماعيل قال حدثني ابو ايوب بن الحسين الهاشمي قال كان قدم من الرسيلة رجل من الانصار يقال له نفيع وكان عريضا فحضر باب الرشيد ومعه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وحضر موسى بن جعفر عليهما السلام على حمار له فتلقاه الحاجب بالبشر والاعظام والاكرام واعظمه من كان هناك وعجل له الاذن فقال نفيع لعبد العزيز من هذا الشيخ قال وما تعرفه قال لا قال هذا شيخ آل ابي طالب هذا موسى بن جعفر فقال ما رايت اعجز من هولاء القوم يفعلون هذا برجل يقدر ان يزيلهم عن السرير اما لئن خرج لاسوءنه فقال له عبد العزيز لا تفعل فان هولاء اهل بيت قلما تعرض لهم احد في خطاب الا وسموه في الجواب سمة يبقى عارها مدى الدهر قال وخرج موسى فقام اليه نفيع الانصاري فاخذ بلجام حماره ثم قال من انت فقال يا هذا ان كنت تريد النسب فانا ابن محمد حبيب الله بن اسمعيل ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وان كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله عز وجل على المسلمين وعليك الحج اليه ان كنت منهم وان كنت تريد المفاخرة فوالله ما رضي مشركو قومي مسلمي قومك اكفاء لهم حتى قالوا يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قريش خل عن الحمار فخلى عنه ويده ترعد وانصرف فقال له عبد العزيز الم اقل لك ويقال ان معاوية استشار الاحنف بن قيس في عقد البيعة لابنه يزيد فقال له انت اعلم بليله ونهاره وقال الحسن بن يوسف لابي يعقوب الخزيمي ما مدحك لمحمد بن منصور اجود من مراثيك فقال كنا نعمل للرجاء واليوم للوفاء وبينهما بون ودخل مطيع بن اياس على الهادي في حيوة المهدي بعد هنه فقال السلام عليك يا امير المؤمنين فقيل له مه فقال بعد امير المؤمنين وقال معوية لعقيل بن ابي طالب وكان يجيد الجواب حاضره انا خير لك من اخيك فقال عقيل ان اخي اثر دينه على دنياه وانت اثرت دنياك على دينك فاخي خير لنفسه منك وانت خير لي منه وقال له يوما ان فيكم لشبقا يا بني هاشم فقال هو منا في الرجال ومنكم في النساء وقال له يوما وقد

دخل عليه هذا عقيل عمه ابو لهب فقال له عقيل هذا معوية عمته حمالة الحطب عمة معوية ام جميل بنت حرب بن امية
وكانت امراة ابي لهب وقال له يوما يا ابا يزيد اين ترى عمك ابا لهب فقال له عقيل اذا دخلت النار فانظر
عن يسارك تجده مفترشا عمتك فانظر ايهما اسوا حالا الناكح ام المنكوح وقال له ليلة الهرير يا ابا يزيد انت
معنا الليلة فقال ويوم بدر كنت معكم وقيل لسعيد بن المسيب وقد كف الا تقدح عينك فقال حتى افتحها
على من ودخل معن بن زايدة على المنصور فقال له كبرت يا معن قال في طاعتك قال وانك لتتجلد قال على
اعدائك قال وان فيك لبقية قال هي لك وقال عبيد الله بن زياد لمسلم بن عقيل والله لاقتلنك قتلة تتحدث بها
بعدك فقال مسلم اشهد انك لا تدع سوء القتلة ولوم الغدرة لاحد اولى بهما منك وقال رجل لعمرو بن العاص
لا تفرغن لك فقال الآن وقعت في الشغل وقال معوية لعمرو بن العاص الملقب بالاشدق الى من اوصى بك
ابوك فقال ان ابي اوصى الي ولم يوص بي وقال عبيد الله بن زياد بن ظبيان وقد حضرته الوفاة قد اوصيت
بك فلانا لعله يعدي فقال يا ابه اذا لم يكن للحي الا وصية الميت فالحي هو الميت وقال الوليد بن يزيد لابن
تغلبي انشدني بعض قولك في الخمر فانشده

كميت اذا شجت وفي الكاس وردة ،، لها في عظام الشاربين دبيب

فقال له شربتها ورب الكعبة فقال له ابن الرقاع لئن كان نعتي لها رابك لقد رابني معرفتك بها ولما اتى معاوية
نعي الحسن بن علي عليهما السلام بعث الى ابن عباس وهو لا يعلم الخبر فقال له هل عندك خبر من المدينة قال لا قال اتاني
نعي الحسن واظهر سرورا فقال له ابن عباس اذن لا ينسي اجلك ولا يسد حفرتك قال احسبه ترك صبية صغارا
قال كلنا كان صغيرا فكبر قال واحسبه قد بلغ سنا قال اما مثل مولدك يجهل قال معوية لو قيل انك اصبحت
سيد قومك قال اما ما ابو عبد الله الحسين بن علي حي فلا فلما كان الغداة اتى يزيد ابن عباس وهو في المسجد يعزي
فجلس بين يديه جلسة المعزي واظهر حزنا وغما فلما انصرف اتبعه ابن عباس بصره وقال لا اذا ذهب الله
ذهب حلم قريش وقيل ان وفودا دخلت على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فاراد فتى منهم الكلام فقال عمر
ليتكلم الاكبر فقال الفتى انه ان كان بالسن فيهما من هو اسن منك فقال تكلم يا فتى وروي محمد بن سلام الجمحي قال
استاذن على عبد الملك بن مروان

على ابن ابي العاصي دلاص حصينة ،، اجاد المسدي نسجها فاذالها

فقال له ما قلت كما قال الاعشى ،، ها

واذا تكون كتيبة ملمومة ،، شهباء يخشى الذائدون نهالها
كنت المقدم غير لابس جنة ،، بالسيف تضرب معلما ابطالها

فقال

فقال انه وصفه بالخرق ووصفتك بالحزم ويشبه ذلك ما روي عن ابي عمرو بن العلاء انه لقي ذا الرمة
فقال انشدني قصيدتك

ما بال عينك منها الماء ينسكب ،، فانشده اياها فلما انتهى الى قوله
تصغي اذا شدها بالكور جانحة ،، حتى اذا ما استوى في غرزها تثب

فقال له ابو عمرو قول عمك الراعي احسن مما قلت وهو

تراها اذا قام في غرزها ،، كمثل السفينة او اوفر
ولا تعجل المرء عند الورك ،، وهي بركبته ابصر

فقال له ذو الرمة ان الراعي وصف ناقة ملك وانا وصفت ناقة سوقة وحكى الصولي ان اعرابيا
سمع ذا الرمة ينشد بيته الذي حكيناه فقال سقط والله الرجل فانما الغرز للناقة فهو مثل الركاب للدابة
وهو منه مسقور وقوله تصغي يريد تميل راسها كانها تسمع له وهذا البيت يقرب مودته معقومة والكور
للرجل وقد اخذ هذا المعنى ابو نواس فاحسن نهاية الاحسان فقال يصف الناقة في مدح الخصيب بن
عبد الحميد وكانها مصغ لتسمعه ،، بعض الحديث باذنه وقر ،، ولم يرض بان وصفها بالاصغا
حتى وصفها بالوقر وهو الثقل في الاذن لان الثقيل السمع يكون اصغاوه وميله الى جهة الحديث
اشد واكثر رضي الله عنه واني لاستحسن القصيدة التي من جملتها البيت الذي اوردناه لابي
نواس لانها دون العشرين بيتا في اولها وصف للناقة باحسن وصف ثم المدح للرجل الذي قصد
مدحه واقتضا حاجته كل ذلك بطبع متدفق وروق يترقرق وسهولة مع جزالة والقصيدة

يا منة امتنها السكر ،، ما ينقضي مني لها الشكر
اعطتك فوق مناك من قبل ،، قد كان قبل مرامها وعر
يثني اليك بها سوالفه ،، رشا صناعة عينه السحر
ظلت حميا الكاس تبسطنا ،، حتى تهتك بيننا الستر
في مجلس ضحك السرور به ،، عن ناجذيه وحلت الخمر

اما قوله حلت الخمر فيحتمل ان يريد بها وصفه من طيب الموضع وتكامل السرور به وحضور المامول فيه
مما يقتضي الشرب للخمر وميلنا الى تناولها وارتفاع للحرج فيها على مذهب الشعراء في المبالغة وتكون فائدة
وصفها بانها حلت المبالغة في وصف الحال بالحسن والطيب ويحتمل ايضا ان يكون عقد على نفسه
ولي الا ينال الخمر الا بعد الاجتماع مع محبوبه فكان الاجتماع بعد محرجا عن يمينه على مذهب للعرب

الخمر لما نفوسهم الى ان ياخذوا بثارهم ويجرى مجرى قول الشنفرى

حلت لي الخمر وكانت حراما . وبلاي ما المت تحل .

ويحتمل ايضا ان يريد بحلت نزلت واقامت من الحلول الذي هو المقام لا من الحلال ولكنه وصف بلوغ جميع ارابه وحضور قوته لذاته وانها تكملت بحضور الخمر التي فيها جماع اللذات وهذا الوجه وان لم يشر اليه احد ممن تقدم في تفسير هذا البيت فالقول يحتمله ولا مانع من ان يكون مرادا وقد قيل انما اراد انا استحللنا الخمر بسكرنا وفقدنا للعقول التي كنا نمتنع لها من الحلم والوجه المتقدم اشبه واقرب الى الصواب

ولقد تجوب بي الفلاة اذا ، صام النهار وقالت العفر

اراد بصام النهار وقف وذلك وصف له بالاستداد والطول والعفر الظباء اللواتي في الوانهن حمرة تخالطها كدرة وقالت من القايلة وهي وقت نصف النهار لا من القول

سدنية رعت الحمى فاتت ، مثل الحباب كانها قصر

سدنية منسوبة الى سدن وهو موضع باليمن يقال للملك ذو سدن

تثني على الحاذين ذا خصل ، تعاله الشذران والخطر

الحاذان موخر الفخذ والشذران رفع الناقة ذنبها من المرح والنشاط والخطر معروف فاما اذا رفعته سامية فتقول زقّق تسر يعني سامية مبالغة في رفع ذنبها ويقال زقق الطاير اذا نشر جناحه طايرا من غير تحريك

اما اذا وضعته خافضة ، فتقول اخذ وبها سير

وتشلخيا تا فحسبها ، بطلاه مترسم يقاده اثر

معنى تشف اي ترفع راسها من الارض والمترسم الذي يتبع الرسم ويتامله ومعنى يقاده اثر اي هو طالب الاثر وموكل بتتبعه ويقال اثر واثر واثر ثلاث لغات وقد وهم القوم في تفسير هذا البيت لانه قال ابدا بانواتين جمع الاثر اثار او جمعها اثر ثم خفف فقال اثر وليس يحتاج الى ما ذكره مع ما اوردناه وانما ذهب عليه انه يقال في الاثر اثر

فاذا قصرت لها الزمام سما ، فوق المقادم ملطم حر

فكانها مصغ لتسمعه ، بعض الحديث باذنه وقر

تبرى لانقاض اضربها ، جرب البرى فجذودها صعر

معنى تبارى تعرض له والانقاض والنقاض جمع نقض وهو البعير الذي قد هزله السفر والكد والبرى جمع برة وهي حلقة تكون في انف البعير لذلها يدني

يدني اليكما بها ابنوا امل ، عتبوا فاعتبهم بكن الدهر

انتما الخصيب وهذه مصر ، فتدفقا وكلاكما بحر

لا تقعدا بي عن مدا املي ، شيئا فما لكما به عذر

ويحق لي اذ صرت بينكما ، ان لا يحل بساحتي فقر

قال المرتضى رضي الله عنه ثم نعود الى ما كنا اخذنا فيه من مستحسن الجوابات روي ان رجلا خطر الى كثير الشاعر راكبا وابو جعفر محمد بن علي عليهما السلم يمشي فقال له اتركب وابو جعفر يمشي قال هو امرني بذلك فانا بطاعته في الركوب افضل مني في عصياني اياه في المشي وروى ان دعاة خراسان صاروا الى ابي عبد الله الصادق عليه السلم فقالوا اردنا ولد محمد بن علي فقال اولئك بالسراة ولست بصاحبكم فقالوا لو اراد الله بنا خيرا لكنت صاحبنا وقال المنصور بعد ذلك لابي عبد الله اردت الخروج علينا فقال عليه السلم نحن بذلنا عليكم في دولة غيركم فكيف نخرج عليكم في دولتكم وقال عبد الملك بن مروان لنصيب هل لك في الشراب فقال له نصيب الشعر مفلفل واللون مرمد وانما قربني اليك عقلي فهبه لي وقال مروان بن محمد الملقب بالحمار الجاحد وقد ولي منهزما اكرّ عليهم بالسيف فقال لا طاقة لي بذلك فقال والله لئن لم تفعل لاسوانك فقال وددت انك تقدر على ذلك وقال يحيى بن خالد البرمكي لبعض علمنا مما علمك الله يا ابا عبد الله فقال سرّك اذا علمتم بما تعلمون علمنا كما تجهلون وقال المامون لمحمد بن عمران بلغني انك بخيل فقال ما اجمد في حق ولا اذوب في باطل وقيل لابي داود الايادي ونظر الى بنيه تسوسهم اسمها يا ابا داود فقال اهنتها بكرامتي كما اكرمتها بهواني ومثل ذلك قول اعرابي حجدل على باب السلطان

اهين لهم نفسي لاكرمها بهم ، ولن تكرم النفس التي لا تهينها

ودخل عمارة بن حمزة على المنصور فجلس مجلسه الذي كان يجلس فيه فقام رجل الى المنصور فقال مظلوم يا امير المؤمنين فقال له من ظلمك قال عمارة غصبني ضيعة فقال المنصور قم يا عمارة فاجلس مع خصمك فقال عمارة ما هو لي بخصم قال وكيف قال ان كانت الضيعة له فلست انازعه وان كانت لي فهي له ولا اقوم من مجلس قد شرفني به امير المؤمنين لاقعد في ادنى منه بسبب ضيعة وقال الحجاج بن عبد الملك لرجل في الكعبة سل حاجتك فقال لا اسال في بيت الله غير الله وهرب سليمان بن عبد الملك من الطاعون فقيل له ان الله تعالى يقول قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا فقال ذلك القليل نطلب وقيل ان الحجاج بذرهم جعل في قادومه ترابا وهما

فاستجاد دوداوه وهو ام فقال لاصحابه انا خلقت ذاك لاني كنت سبب كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليهما
السلام فقال عليه السلام فليعلم كم هو وكم الذكران منه والاناث ان كان خلقه وكم وزن كل واحد منهن ولم
الذي يسلك هذه الجهة ان يرجع الى غيرها فانقطع وهرب . وقال المامون للفضل بن سهل
اني اخاف عليك قوما يعادونك فلا تركب الا في جيش فقال الفضل ما اخاف غيرك لانك ان امنتني من نفسك
لم يضرني انسان . وقيل لابي نؤاس ما تقول في حماد بن زيد بن درهم وحماد بن سلمة بن دينار فقال
فقال بينهما في العلم كقيمة ما بين ابويهما في الصرف . واراد المامون تقبيل السواد وحبس ناظر العمال
عليه ذلك فقام اليه رجل من الدهاقين فقال يا امير المؤمنين ان الله تعالى ملكك علينا بالامانة فلا تقبلنا بها
فانه يشين ذلك . وقال رجل لابن عباس رضي الله عنه زوجني من فلانة وكانت يتيمة في حجره فقال لا ارضاها لك لا
تشرف فقال الرجل قد رضيت انا فقال ابن عباس الان لا ارضاك لها . ويسند هذا الخبر من وجه
ما رواه المدايني قال ارسل عمر بن عبد العزيز رجلا من اهل الشام وامره ان يجمع بين اياس بن معوية المزني
وبين القاسم بن ربيعة الحبشي بن عبد الله بن سلقان فولي القضاء انفذهما فقدم الرجل البصرة فجمع
بينهما فقال اياس للشامي ايها الرجل سل عني وعن القاسم فقيهي المصر الحسن وابن سيرين رضي الله عنهما
فان اشارا عليك بتوليته فوله وكان القسم ياتي الحسن وابن سيرين ولم يكن اياس ياتيهما فعلم القسم
انه ان سالهما اشارا به فقال للشامي لا تسل عني ولا عنه فوالله الذي لا اله الا هو ان اياسا افضل مني
وافقه واعلم بالقضاء فان كنت عندك ممن يصدق انه لينبغي لك ان تقبل مني وان كنت كاذبا فما يحل
لك ان توليني وانا كاذب فقال اياس للشامي انك جئت برجل فاقمته على شفير جهنم فافتدى نفسه من النار
ان تقذفه فيها بيمين لغو كذب فيها يستغفر الله منها وينجو مما يخاف فقال الشامي اما اذا فطنت لهذا
فانت وليك فاستقضاه . ولما اخذ معوية بيعة يزيد جعل الناس يعظونه فقال يزيد لابيه ما ندري
انخدع الناس لم يخدعونا فقال معوية يا بني من خدعته فتخادع لك لتخدعه فقد خدعته . وسمع عبد
الملك بن مروان ليلة قبيل موته وهو يجود بنفسه وقد سمع صوت قصار يقول ليتني كنت غسالا
اعيش بما اكتسب يوما بيوم فبلغ ذلك ابا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه
ولا نتمنى في الحياة ما هم فيه . وقال الواثق للجارية اما ني فقال لها ان الدنيا اصفتني الندية لك
منذ تهتك بعد الكرم سوى حسن وكيف اكون على دينه . وقال ابن عباس للخوارج وقد ارسله امير المؤمنين
اليهم انشدكم الله ايما اعلم بالتنزيل والتاويل علي ام انتم قالوا علي فقال ليس تردون لعلي ان
حكم به فلم تفضل علمه على ما لا تعلمون فرجع اكثرهم . وقال عتبة بن ابي سفيان لعبد الله بن عباس

رضي

رضي الله عنه ما منع عليا ان يجعلك احد الحكمين فقال اما والله لو بعثني لاعترضت مدارج انفاسه
اطير اذا اسف واسف اذا طار واعقدت له عقدا لا ينقض مريره ولا يدرك طرفاه ولكن سبق قدر الله
ومضى اجل والاخرة خير لامير المؤمنين عليه السلام من الدنيا . وقال ابو جعفر محمد بن علي عليهما السلام
لكثير امتدحت عبد الملك فقال لم افعل له يا امام الهدى وانما قلت له يا شجاع والشجاع الحية ويا اسد
والاسد كلب ويا غيث والغيث موات فتبسم ابو جعفر عليه السلام . وقالت بنت عبد الله بن مطيع
لزوجها يحيى بن طلحة ما رايت الام من اصحابك اذا ايسرت لزموك واذا اعسرت تركوك فقال هذا
من كرمهم ياتونا في حال القوة ويفارقونا في حال الضعف منا عنهم . وقيل لابراهيم النخعي متى كنت
قال حين احتيج الي . ورأى رجل يصلي صلاة خفيفة فقيل له ما هذه الصلاة فقال صلاة ليس فيها
رياء . واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابي الازهر قال اخبرنا محمد بن يزيد النحوي قال
تزعم الرواة ان قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند افضى الى اثاث لم ير مثله وآلات لم يسمع بمثلها فاراد
ان يري الناس عظيم ما فتح ويعرفهم اقدار القوم الذين ظهر عليهم فامر بدار ففرشت وفي صحنها قدور يرتقى
اليها بالسلالم فاذا الحضين بن المنذر بن الحرث بن وعلة الرقاشي قد اقبل والناس جلوس على مراتبهم
والحضين شيخ كبير فلما راه عبد الله بن مسلم اخو قتيبة قال لقتيبة ائذن لي في معاتبته فقال لا
ترده فانه خبيث الجواب فابى عبد الله الا ان ياذن له وكان عبد الله يضعف وكان قد تسور حائطا
الى امراة قبل ذلك فاقبل على الحضين فقال امن الباب دخلت يا ابا ساسان فقال اجل اسن عمك عن تسور
الحيطان فقال رايت هذه القدور قال هي اعظم من ان لا ترى فقال ما احسب بكر بن وائل راى مثلها
قال اجل ولا عيلان ولو راها سمي شبعان ولم يسم عيلان فقال عبد الله يا ابا ساسان اتعرف الذي يقول

عزلنا وامرنا وبكر بن وائل ... تجر خصاها تبتغي من تحالف

قال اعرفه واعرف الذي يقول ... وخيبة من يخيب على غني ... وباهلة بن يعصر والرباب
قال اتعرف الذي يقول ... كأن فقاح الازد حول ابن مسمع ... وقد عرقت افواه بكر بن وائل
قال اعرفه واعرف الذي يقول ... قوم قتيبة امهم وابوهم ... لولا قتيبة اصبحوا في مجهل
قال اما الشعر فاراك ترويه ولكن تقرا شيئا من القران قال اقرا منه الكثير الطيب هل اتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا قال فاغضبه فقال والله لقد بلغني ان امراة الحضين حملت اليه وهي
حبلى من غيره قال فما تحرك الشيخ عن هيئته الاولى ثم قال على رسله وما يكون تلد غلاما على فراشي
فيقال ابن الحضين كما يقال عبد الله بن مسلم فاقبل قتيبة على عبد الله فقال لا يبعد الله غيرك

ولقي شريك النميري رجلا من بني تميم فقال له التميمي يعجبني من الجوارح البازي فقال له شريك و
خاصة اذا اصطاد القطا اراد التميمي بقوله البازي قول جرير

⁘ انا البازي المطل على نمير ⁘ واراد شريك بقوله اذا اصطاد قول الطرماح

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا ⁘ ولو سلكت طرق المكارم ضلت ،

وساير شريك النميري عمر بن هبيرة الفزاري على بغلة فجاوزت بغلته برذون عمر فقال له عمر اغضض من لجامها فقال شريك انها مكتوبة فقال عمر ما اردت ذاك فقال شريك ولا انا اردته ظن شريك انه انما اراد بقوله اغضض من لجامها قول جرير ⁘

⁘ فغض الطرف انك من نمير ⁘ فلا كعبا بلغت ولا كلابا ⁘

وعنى شريك بقوله

⁘ لا تأمنن فزاريا خلوت به ⁘ على قلوصك فاكتبها باسيار ⁘

يعني باكتبها اشددها ولما انشد ابو تمام الطائي احمد بن المعتصم قصيدته السينية التي يمدحه فيها فلما بلغ الى قوله

⁘ في حلم احنف في شجاعة عامر ⁘ في جود حاتم في ذكا اياس ⁘

قال له الكندي وكان حاضرا ما صنعت شيئا قال وكيف قال لان شعراء دهرنا قد تجاوزوا بالممدوح من كان قبله الا ترى الى قول ابي العكوك في ابي دلف

⁘ رجل ابر على شجاعة عامر ⁘ باسا وغبر في محيا حاتم ⁘

فاطرق الطائي ثم رفع راسه فانشد ⁘

⁘ لا تنكروا ضربي له من دونه ⁘ مثلا شرودا في الندى والباس ⁘

⁘ فالله قد ضرب الاقل لنوره ⁘ مثلا من المشكاة والنبراس ⁘

وقال ابن هبيرة لابي دلامة وكان مع بني امية لما ظهرت المسودة لا تزن كل منهم صيدا حالكا بحلك فلما غلت حملتهم وقتلت خيلهم قال ابو دلامة للسا الله وقد لقي منهم مولى صالحا اخذه وقال رجل لعبد الملك بن صالح الهاشمي ان خصالك كاملة سوى حقد فيك فقال انا خزانة تحفظ للخير والشر وقد نظر ابن الرومي الى هذا المعنى في قوله

وما الحقد الا توام الشكر في الفتى ⁘ وبعض السجايا ينتسبن الى بعض

⁘ فحيث ترى حقدا على ذي اساءة ⁘ فثم ترى شكرا على حسن القرض ⁘ اذا

⁘ اذا الارض ادت ما انت زارع ⁘ من البذر فيها فهي ناهيك من ارض

وقال الحجاج لحطيط الخارجي ما تقول في عبد الملك فقال ما اقول في رجل انت خطية من خطاياه قال فهل هممت بي قط قال نعم ولكن حالت بيننا بين وقد اعطيت الله عهدا ان سالتني لاصدقنك وان خليتني لا ظلمتك وان عذبتني لاصبرن لك بعقله واما البين فهي الارض الواسعة قال ابن فارع

⁘ يس وحمر والى النعال به ⁘ اني تسديت وهنا ذلك البينا ⁘

وقيل لابي العتاهية لما قال ⁘ عتبت ما للخيال خبرني ومالي خرجت من العروض فقال انا اكبر من العروض وقال عبد الملك بن مروان للهيثم بن الاسود ما مالك فقال القوام من العيش وغنى عن الناس فقيل له لم لا تجمعه فقال ان كان كثيرا حسدني وان كان قليلا ازدراني واغتاب للاعمش رجل من اصحابه فطلع الرجل على بقية ذلك فقال له رجل من اصحابه قل ما قلته حتى لا يكون غيبة فقال له الاعمش بل قل انت حتى لا تكون نميمة وقال معوية لعمرو بن العاص هل غششتني منذ نصحتني فقال لا الا يوم اشار علي بمبارزة علي بن ابي طالب وانت تعلم من هو فقال عمرو دعاك رجل عظيم الخطر الى المبارزة فكنت من مبارزته على احدى الحسنيين اما ان قتلته فقبلت قتال الاقران وازددت شرفا الى شرفك وخلوت بملكك واما ان قتلك فتعجل مرافقة الشهداء والصالحين والصديقين فقال معوية هذه علي اشد من الاولى قال عمرو وافلت من جهادك في شك فتوب من الساعة قال دعني منك الان وقيل للاحنف وقد راى مسيلمة الكذاب كيف هو فقال ما هو بنبي صادق ولا بمتنبي حاذق وروى المبرد قال قال زياد لابي الاسود الدؤلي لولا انك قد كبرت لاستعنا بك في بعض اعمالنا فقال ان كنت تريدني للصراع فليس عندي وان كنت تريد عقلي ورايي فهما اوفر ما كانا وكان ابو الاسود حاضر الجواب جيد الكلام مليح النادرة وروي عن الشعبي انه قال قاتل الله ابا الاسود ما كان اعف اطرافه واحضر جوابه ودخل على معاوية بالنخيلة فقال له معوية اكنت ذكرت للحكومة قال نعم قال فما كنت صانعا قال كنت اجمع الفا من المهاجرين وابنائهم والفا من الانصار وابنائهم ثم اسئل من حضر رجل من المهاجرين احكام رجل من الطلقاء فلعنه معوية وقال الحمد لله الذي كفاناك وقد روي ان ابا الاسود خطب ان يكون في الحكومة وقال لامير المؤمنين ع في وقت الحكمين يا امير المؤمنين لا ترض بابي موسى فاني قد عجمت الرجل وبلوته وحلبت اشطره فوجدته قريب القعر مع انه يماني ما ادري ما يبلغ نصحه فابعثني فانه لا يحل عقدة الا عقدت له اشد منها فانهم قد رموك بحجر الارض فان قلت انه لا صحبة لي فاجعلني ثاني اثنين فليس صاحبهم الا من تقرب وكان في الخلاف كالنجم فابى عليه ع

عليه وروى محمد بن يزيد النحوي ان ابا الاسود كان نازلا في بني قشير وكانوا يخالفونه في المذهب لان ابا الاسود كان شيعيا فكانوا يرمونه بالليل فاذا اصبح شكا ذلك فشكاهم مرة فقالوا ما نحن نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم لو كان الله تعالى يرميني ما اخطاني وقال لهم يوما يا بني قشير ما خلق الله احدا احب الي طول بقاء منكم قالوا وله ذلك قال لانكم اذا ركبتم امرا علمت انه غي فاجتنبته واذا اجتنبتم امرا علمت انه رشد فاتبعته فنازعوه الكلام فانشا يقول

يقول الارذلون بنو قشير   طوال الدهر لا تنسى عليا
احب محمدا حبا شديدا   وعباسا وحمزة والوصيا
احبهم لحب الله حتى   اجي اذا بعثت على هويا
فان يك حبهم رشدا اصبه   ولست بمخطي ان كان غيا

فقالوا له شككت يا ابا الاسود الم تسمع الله يقول وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين افترون الله شك اما قوله هويا فانه لغة هذيل يقولون ذلك في كل مقصور مثل الهوى والعصا والقفا قال ابو ذويب الهذلي

سبقوا هوي واعنقوا لسبيلهم   فتخرموا ولكل جنب مصرع

وروي ان ابا الاسود دخل على معوية فقال له اصبحت جميلا يا ابا الاسود فلو علقت تميمة عندك تنفي عنك العين فقال ابو الاسود

افنى الشباب الذي فارقت بهجته   كر الجديدين من ات ومنطلق
لم يتركا لي في طول اختلافهما   شيئا اخاف عليه لذعة الحدق

وروي انه دخل يوما السوق يشتري ثوبا فقال له رجل هلم اقاربك في هذا الثوب فقال له ان لم تقاربني باعدتك ثم قال له بكم هذا قال اعطيت به كذا وكذا قال انما تخبرني عما فاتك وروي انه راى ماشيا في طريق فقال له راكبا الطريق الطريق الطريق فقال عن الطريق تعذلني ومر ابو الاسود فقيل له هو امين الله فقال ذلك اسلم له ويقال ان امراة ابا الاسود خاصمته الى زياد في ولدها فقالت ايها الامير ان هذا يريد ان يغلبني على ولدي وقد كان بطني له وعاء وثديي له سقاء وحجري له فناء فقال ابو الاسود ابهذا تريدين ان تغلبيني على ابني فوالله لقد حملته قبل ان تحمليه ووضعته قبل ان تضعيه فقالت لا سواء انك حملته خفا وحملته ثقلا ووضعته شهوة ووضعته كرها فقال له زياد انها امراة عاقلة يا ابا الاسود فادفع ابنها اليها فاخلق ان تحسن ادبه وقال

وقال رجل لابي الاسود انت والله ظرف لفظ وظرف علم ووعاء حلم غير انك بخيل فقال وما خير ظرف لا يمسك ما فيه وسلم عليه اعرابي فقال ابو الاسود كلمة مقولة فقال اتاذن في الدخول فقال وراءك اوسع لك فقال هل عندك شي قال نعم قال اطعمني قال عيالي احق به قال ما رايت الام منك قال نسيت نفسك وساله رجل شيئا فمنعه فقال يا ابا الاسود ما اصبحت حاتما فقال بلى قد اصبحت حاتما من حيث لا تدري اليس حاتم يقول

اماوي اما مانع فمبين   واما عطاء لا ينهنهه الزجر

اخبرنا المرزباني قال اخبرنا ابو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة النحوي قال لما اتي سليمان بن عبد الملك بيزيد بن ابي مسلم كاتب الحجاج في جامعة وكان رجلا دميما تزدريه العين فلما راه سليمان قال لعن الله امرا اجرك رسنك وولى امرك فقال يا امير المومنين رايتني والامر عني مدبر ولو رايتني والامر علي مقبل لاستعظمت ما احتقرت ولاستجللت ما استصغرت فقال سليمان اترى الحجاج اهوى في النار ام قد استقر فقال يا امير المومنين لا تقل ذلك فان الحجاج قمع لكم الاعداء ووطا لكم المنابر وزرع لكم الهيبة في قلوب الناس وبعد فانه ياتي يوم القيمة عن يمين ابيك عبد الملك وشمال اخيك الوليد فضعه حيث شئت وروي ان خالد بن صفوان فاخر رجلا من بني عبد الدار الذين يسكنون اليمامة فقال له العبدري من انت قال انا خالد بن صفوان بن الاهتم فقال له العبدري انت خالد لكن هو خالد في النار وانت ابن صفوان وقد قال الله تعالى كمثل صفوان عليه تراب وانت ابن الاهتم والصحيح خير من الاهتم فقال له خالد بن صفوان يا اخا بني عبد الدار اتكلم وقد هشمتك بنو هاشم وامتك بنو امية وخزمتك بنو مخزوم وجمحتك بنو جمح فانت عبد دارهم تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا فقام العبدري محموما وتقدم الاشعث بن قيس الى شريح لقد عهدتك وان شانك لشوون فقال له انت امرو تعرف النعمة في غيرك وتنساها في نفسك وروى ابو العينا عن العتبي قال دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وعنده الحطية فلما مثل بين يديه قال

اليك فررت منك ومن زياد   ولم احسب دمي لكما حلالا
فان يكن الهجاء احل قتلي   فقد قلنا لشاعركم وقالا
ترى الغر الجحاجح من قريش   اذا ما الامر في الحدثان غالا
قياما ينظرون الى سعيد   كانهم يرون به الهلالا

قال الحطية هذا والله ايها الامير لا ما كنا نعلل به منذ اليوم يا غلام قد مت امك الحجاز فقال الفرزدق

ولكن قدمه الى اراد الحطيئة بقوله ان كانت قدمت للجاز فقد وقعت عليها فكنت انت مني والد
الفرزدق بقوله لكن قدمه الى وقع بامك فكنت انت منه   ويشيد ذلك ما روي ان الفرزدق
كان ينشد شعره يوما والناس حوله اذ مر به الكميت بن زيد فقال له الفرزدق كيف ترى شعري قال
حسن لبس فقال له الفرزدق ايسرك اني ابوك فقال لا اما ابي فلا اريد به بدلا ولكن يسرني ان لو كنت
امي فقال له الفرزدق اكتم هذا على عمك فما مر بي مثلها يا ابن اخي وقيل ان عبد الملك لما ظفر برجل من
بني مخزوم زبيري الراي فقال له لما حضر مجلسه قال اليس قد ردك الله على عقبيك فقال الرجل او من
رد اليك يا امير المؤمنين فقد رد على عقبيه فوجم عبد الملك وقال موسى بن عيسى بن موسى لجلسائه
يا عبد الملك الله عزلوك عن القضاء فقال ما رأينا قاضيا عزل فقال شريك هم الملوك
يعزلها ويخلعون يعرض بان اباه خلع من ولاية العهد وذكر ابو عبيدة المثنى ان المفضل الضبي الرواية
وهب لبعض جيرانه اضحية ايام الاضحى فلما لقيه قال كيف وجدت اضحيتك قال ما وجدت لها
دما يعرض بقوله   ولو ذبح الضبي بالسيف لم يجد   من اللوم للضبي لحما ولا دما
وروي عن المامون انه قال ما اعياني جواب احد قط مثل جواب ثلثة احدهم ام الفضل بن سهل فاني عزيتها   من صو
عن ابنها وقلت لا تجزعي على الفضل لانه ولدك وها انا ابنك مكانه فقالت وكيف لا اجزع على من
جعل مثلك لي ولدا   والاخر رجل احضرته زعم انه نبي وانه موسى ع فقلت له ان الله عز وجل اخبرنا عن موسى
ع انه يدخل يده في جيبه فيخرجها بيضاء من غير سوء فقال لي انما فعل ذلك موسى ع الا بعد ما قال فرعون
فاعمل ما عمل فرعون حتى افعل كما فعل موسى والثالث رجال عدة من اهل الكوفة اجتمعوا الي يشكون عاملهم
فقلت ارضوا لواحدا يسمع منه فرضوا برجل منهم فقال في العامل اكثر فقلت له كذبت بل هو العفيف
الورع العدل فذهب اصحابه يتكلمون فاسكتهم وقال صدقت يا امير المؤمنين فليس بين رعيتك في العدل
ففرقه عنهم   ودخل عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي على معوية فقال له معوية ما فعل الطرفات يعني طريفا
وطرافا وطرفة قال قتلوا مع علي عليه السلم قال ما انصفك ابن ابي طالب قدم بنيك واخر بنيه فقال عدي
بل ما انصفته انا ان قتل وبقيت   وكتب رجل الى صديق له يقترض منه شيئا فاجابه يشكو ضيق حاله
فكتب اليه ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وان كنت صادقا فجعلك الله كاذبا وان كنت معذورا
فجعلك الله مذموما وان كنت ملوما فجعلك الله معذورا   وسمع الاحنف رجلا يقول ما احلم معوية فقال لو كان
حليما ما سفه الحق ووصف رجل عند الشعبي بالحلم فقال الشعبي ويحك وهل اغمد سيفه وفي قلبه على احد
وقال زياد لرجل ممن ابن غزاك فقال وسط النهر قال فمالك من الولد قال تسعة فقيل لزياد ان داره

دار اقصى البصرة عند المقابر وله ابن واحد فقال الرجل داري بين اهل الدنيا والاخرة فهي وسط
البصرة وكان لي عشرة بنين فقدمت تسعة منهم وبقي واحد لا ادري اهو لي ام انا له وقال رجل
لابن سيرين اني وقعت فيك فاجعلني في حل فقال لا احب ان احل لك ما حرم الله وان الله لا يعذبك
فامر به فحبس فجاء اهله فشهدوا انه مجنون فقال ان اقر بالجنون اطلقته فقيل له اعترف بذلك فتخلص
فقال لا والله لا اقول انه ابتلاني وقد عافاني وحدث البصري بحديث فقال له رجل يا ابا سعيد   حسنة
عن من فقال وما تصنع بعن اما انت فقد نالتك عظته وقامت عليك حجته. وقيل لعبد الله بن جعفر
ونظر اليه يماكس في درهم اتماكس في درهم وانت تجود بما تجود به فقال ذلك مالي جدت به وهذا عقلي
بخلت به   وروي ان ابا العيناء محمد بن القسم اليمامي حدث بعض الزبيريين بحديث في فضائل اهله
فقال له الزبيري تجلب التمر الى هجر فقال ابو العيناء نعم اذا اجدبت ارضها وعادم نخلها وكان ابو
العيناء من احضر الناس جوابا واجودهم بديهة واملحهم نادرة وروي له وعن ابي العيناء قال لما
دخلت على المتوكل دعوت له وكلمته فاستحسن خطابي وقال يا محمد بلغني ان فيك شرا فقلت يا امير
المؤمنين ان يكن الشر ذكر المحسن باحسانه والمسيء باسائته فقد زكى الله تعالى وذم فقال في التزكية
نعم العبد انه اواب وقال في الذم هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم فذمه الله
حتى قذفه وقال الشاعر   اذا انا بالمعروف لم اثن دائبا   ولم اشتم الجبس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه   وشق لي الله المسامع والفما
وان كان الشر كفعل العقرب التي تلسع النبي والذمي بطبع لا بتمييز فقد صان الله عبدك عن ذلك وروي
انه قال له يوما الحكم تمدح الناس وتذمهم فقال لما احسنوا واساؤا   وروي ان المتوكل قال له ما
اني لا فرق من لسانك فقال له ان الشريف ذو فرقة وان اللئيم ذو منة واقدام وقال له يوما دخل
عليه قد اشتقتك والله يا ابا العيناء فقال يا سيدي انما يشتد الشوق على العبد لانه لا يصل الى مولاه
فاما السيد فمتى اراد عبده دعاه. وروي انه قال له ما بقي احد في مجلسي الا وقد اغتابك وذمك عند
ما جرى ذكرك فقال ابو العيناء   اذا رضيت عني كرام عشيرتي   فلا زال غضبانا علي لئامها
وذكر ابو العيناء قال قال لي المتوكل كيف ترى داري هذه فقلت رايت الناس بنوا دورهم في الدنيا
وامير المؤمنين جعل الدنيا في داره قال ابو العيناء قال لي المتوكل ما تقول في اسخى من رايت من الخلق
قال ما رايت اسخى من احمد بن ابي داود ولا ابخل من موسى بن عبد الملك قال وكيف وقفت على بخله فقلت
رايته يحرم القريب كما يحرم البعيد ويعتذر من الاحسان كما يعتذر من الاساءة قال الاجمل لي من

اطرحته فضيعته والحمد اكرمته امسكته فبخلته فقلت يا امير المومنين ان الصدق ليس يحوي في موضع
من المواضع انفق منه بحضرتك والناس يغلطون فيمن ينسبونه الى السخا فاذا نسب الناس السخا الى
الى البرامكة فانما ذلك سخا امير المومنين الرشيد واذا نسب الناس السخا الى الحسن بن سهل والفضل بن
سهل فانما ذلك من سخا امير المومنين المامون واذا نسبوا احمد بن ابي دواد الى السخا فذلك سخا
امير المومنين المعتصم واذا نسبوا الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى الى السخا فانما هو سخاوك والا فما
بال هولا القوم لم ينسبوا الى السخا قبل صحبتهم للخلفا فقال لي صدقت وسري عنه وقال له
المتوكل ما اشد عليك في ذهاب البصر فقال له فقد رويتك مع اجماع الناس على جمالك وقال له يوما
اريدك لمجالستي فقال لا اطيق ذلك وما اقول هذا جهلا بما لي في هذا المجلس من الشرف ولكن انا
رجل محجوب والمحجوب يخلف اشاراته ويخفى عليه ما عليه بادره ويجوز على ان اتكلم بكلام غضبان ووجهك
راض او وجهك غضبان ومتى لم اميز بين هذين هلكت فقال صدقت وروي انه قال له لولا انك ضرير
لنادمتك فقال ان اعفيتني من رويه الاهله وقراة نقش الخواتيم فاني اصلح وقال له المتوكل ما تقول في
ابن مكرم والعباس بن رستم فقال هما الخمر والميسر واثمهما اكبر من نفعهما فقال له بلغني انك تودهما
فقال لقد ابتاعت الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال له يوما ان سعيد بن عبد الملك يضحك منك
فقال ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون وقال ابو العينا قال لي المنتصر ما احسن الجواب فقلت
ما اسكت المبطل وحير المحق وقيل لابي العينا ابرهيم بن نوح النصراني عليك عاتب فقال ولن ترضى
عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ورآه زرقان وهو يضاحك نصرانيا فقال
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا فقال ابو العينا لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
في الدين اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال اخبرنا ابو العينا
قال كان سبب تنقلي باحمد بن ابي دواد ان قوما من اهل البصرة عادوني فدعوا علي دعاوى كثيرة
منها انني رافضي فاحتجت الى ان خرجت من البصرة الى سر من راى والقيت نفسي على ابن ابي داود
وكنت لا افارقه اجالسه في كل يوم وبلغ القوم خبري فشخصوا الى سر من راى فقلت له ان
القوم قد جاوا من البصرة للاجلاب علي فقال يد الله فوق ايديهم فقلت ان لهم مكرا فقال ويمكرون ويمكر
الله والله خير الماكرين فقلت هم كثيرون فقال كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله فقلت لله درك
ايها القاضي فانت والله كما قال الصموت الكلابي لله درك اي جنة خايف ومتاع دنيا انت للحدثان
ويفرج الباب الشديد رتاجه متخمط يطا الرجال بغلظة وطا الفنيق دوارج القردان

ونكبهم

ونكبهم حتى كان رووسهم ... مامومة تنحط للغربان
ويفرج الباب الشديد رتاجه ... حتى يصير كانه بابان

فقال لابنه الوليد اكتب هذه الابيات فكتبها بين يديه قال الصولي حفظي من ابي العينا الصموت
الكلابي على انه رجل وقال وكيع انها الصموت الكلابية على انها امراة ودخل ابو العينا على الحسن بن
سهل فاثنى عليه فامر له بعشرة الاف درهم فقال والله ما استكثر كثيرك ولا استقل قليلك قال وكيف
ذاك قال لا استكثر كثيرك لانك اكثر منه ولا استقل قليلك لانه اكثر من كثير غيرك وقال له عبيد الله بن
يحيى بن خاقان يوما اعذرني فاني مشغول فقال اذا فرغت لم احتج اليك وقال له يوما قد تبينت فيك
الغضب يا ابا عبد الله فقال له ابقاك الله قدرك من غضبي انما يغضب الرجل على من دونه فاما على من
فوقه فلا ولكني احزنني تقصيرك فسميت حزني غضبا ويقال ان صاعد بن مخلد كان من احسن من اسلم
دينا واكثرهم صلوة وصدقة فصار الى بابه ابو العينا مرات كثيرة يطلب سلامه فحجب وقيل هو مشغول
بصلاته فقال ابو العينا لكل جديد لذة ودخل يوما على الصقر بن بلبل فقال له يا ابا عبد الله ما
اخرك عنا فقال سرق حماري فقال وكيف سرق قال لم اكن مع الذي سرقه فاخبرك قال فهلا
اكتريت او استعرت او اشتريت قال اقعدني عن الشري قلتي وكرهت منه العواري وذلة المكاري
او هبه لي حمارا او وصله وادناه ابو الصقر يوما ودفعه فقال تدنيني حتى كاني بعضك وتبعدني حتى
كاني ضدك وقال لعبيد الله بن سليمان وقد قعد الحكم ترفعني ولا ترفع بي راسا وقال له يوما
انا معك مغبوط الظاهر مرحوم الباطن ويقال ان ابا علي الضرير قال لابي العينا وكانت
بينهما ملاحاة معروفة في اي وقت ولدت قال قبل طلوع الشمس فقال ابو علي فلذلك خرجت شحاذا ابتلي
لانه الوقت الذي ينتشر فيه السوال اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي
قال اخبرنا ابو العينا قال ما رايت قط احسن شاهدا من ابن عايشة قلت له يوما كان ابو عمرو المخزومي
يصلك وقد جفاك فانشد فان تناعت لا تقدر وان تقف تجدنا على العهد الذي كنت تعلم
ثم قال ولا ادري لمن هذا البيت فقلت ان ابن سلام روى عن يونس ان الفرزدق للمطال

عند حاجته

تصرم مني ود بكر بن وايل ... وما خلت دهري ودهم يتصرم
قوارص تاتيني ويحتقرونها ... وقد يملا القطر الاناء فيفعم

وكان نزل عليهم حين هرب من زياد فقال جرير بن خرقا العلي يجيبه

لقد بوانك الدار بكر بن وايل ... وردتك للاحسا اذا انت مجرم

ليالي تمنى ان تكون حمامة ... بمكة تغشاها الستار المحرم

فان تنأ عنا لا تضرنا وان تعد ... تجدنا على العهد الذي كنت تعلم

فقال ابن عائشة انت والله يا بني ممن يستصدق في العلم عقله ويكثر عليه دلايله وقال ابو العيناء
لابي الصقر بن بلبل وهو وزير انت والله تقرب منا اذا احتجنا اليك وتبعد منا اذا احتجت الينا
رضي الله عنه وهذا يشبه قول ابراهيم بن العباس الصولي

ولكن الجواد ابا هشام ... وفي العهد مامون المغيب

بطي عنك ما استغنيت عنه ... وطلاع عليك مع الخطوب

ولعله ماخوذ منه فليس ينكر ذلك لانهما وان اجتمعا في زمان واحد في بعض الاوقات فان ابا العيناء
بقي بعد ابراهيم بقاء طويلا لان ابراهيم توفي في سنة ثلاث واربعين ومايتين وابو العيناء توفي في سنة اثنين
او ثلاث وثمانين ومايتين وما حكيناه عنه من الكلام قاله لابي الصقر في وزارته وكانت بعد وفاة ابرهيم
بن العباس بزمان طويل ويشبه بيتا ابراهيم ويوشك ان يكونا ماخوذين منه قول اوس بن حجر

وليس اخوك الدايم العهد بالذي ... يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا

ولكنه النائي اذا كنت امنا ... وصاحبك الادنى اذا الخطب اعضلا

ولابراهيم بن العباس ما يقارب هذا المعنى ايضا وهو قوله

اسد ضار اذا هيجته ... واب بر اذا ما قدرا

يعلم الابعد ان اثرى ولا ... يعلم الادنى اذا ما افتقرا

ويروى اذا ما اقترا ويشبه ان يكون هذا ماخوذا من قول الفقعسي

اذا افتقر المولى لم ير فقره ... وان ايسر المولى ايسر صاحبه

ومما يشبه قول المولى بعينه قول ابرهيم بن العباس الصولي ايضا

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهر فقرا اذا النعل زلت

راى خلتي من حيث يخفى مكانها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلت

او من قول المتنخل الهذلي ابو مالك قاصر فقره ... على نفسه ومشيع غناه وهذا البيت الذي
رويناه للهذلي من جملة ابيات يرثي بها المتنخل اباه وقيل يرثي اخاه اولها

لعمرك ما ان ابو مالك ... بوان ولا بضعيف قواه

ولا بالد له نازع ... يعادي اخاه اذا ما نهاه

معنى نازع اي خلق سوء يترعه

يترعه ويغادي بلاحي ويشاره ولكنه هين لين ... كعالية الرمح عرد نساه العرد الشديد
يقال وترعرد وعرد وعرند اي شديد والنسا عرق معروف اذا سدته سدت مطواعة
ومهما وكلت اليه كفاه معنى سدته من المساودة التي هي المسارة والسواد السرار كانه قال
اذا ساررته طاوعك وساعدك وقال قوم انه من السيادة فكانه اراد اذا كنت فوقه وسيدا
له اطاعك ولم يحسدك وان وكلت اليه شيا كفاك وقوم يروونه اذا سسته سست مطواعة
ولم اجد في ذلك رواية

الا من ينادي ابا مالك ... افي امرنا هو ام في سواه

ابو مالك قاصر فقره ... على نفسه ومشيع غناه

مجلس [illegible] تاويل اية ان
سال سايل عن قوله تعالى سأصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل اية
لا يومنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك
بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين فقال ما تاويل هذه الاية على ما يطابق العدل فان ظاهرها
كانه مخالف له الجواب قيل له في هذه الاية وجوه منها ما ابتدانا ومنها ما سبقنا اليه غيرنا
واخترنا فيه من المطاعن واجبنا عما لعله يعترض فيه من الشبهة اولها ان يكون تعالى عنى بذلك
صرفهم عن ثواب النظر في الايات وعن العز والكرامة اللذين يستحقهما من ادى الواجب عليه في
ايات الله تعالى وادلته وتمسك بها والايات على هذا التاويل يحتمل ان تكون ساير الادلة ويحتمل
ان تكون ساير الادلة معجزات الانبيا عليهم السلم خاصة وهذا التاويل يطابق الظاهر لانه
تعالى قال ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين فبين تعالى ان صرفهم عن الايات مستحق بتكذيبهم
ولا يليق ذلك الا بما ذكرناه وثانيها ان يصرفهم تعالى عن زيادة المعجزات التي يظهرها على
الانبيا عليهم السلم بعد قيام الحجة بما تقدم من اياتهم ومعجزاتهم لانه تعالى انما يظهر هذا الضرب
من المعجزات اذا علم انه يومن عنده من لم يومن بما تقدم من الايات فاذا علم تعالى خلاف ذلك
لم يظهرها وصرف الذين علم من حالهم انهم لا يومنون بها ويكون الصرف على احد وجهين اما بان
لا يظهرها جملة او بان يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم فان قيل ما الفرق
فيما ذكرتموه بين ابتداء المعجزات وبين زيادتها قلنا الفرق بينهما ان المعجز الاول يجب اظهاره لازاحة
العلة في التكليف ولانا به نعلم صدق الرسول المودي الينا ما فيه العلة في التكليف ولانا به نعلم
صدق الرسول المودي الينا ما فيه لطفنا ومصلحتنا فاذا كان التكليف يوجب تعريفنا المصالح و
الالطاف لازاحة العلة وكان لا سبيل اليهما فيهما الا الوجه الذي تكون لطفا الا من قبل الرسول صلى

صلى الله عليه وكان لا سبيل الى العلم بكونه رسولاً الا من جهة المعجز وجب بعثة الرسول وتحميله ما فيه
مصلحتنا من الشرايع واظهار المعجز على يده لتعلق هذه الامور بعضها ببعض ولا فرق في هذا الموضع
بين ان لا يعلم المبعوث اليهم الرسول او بعضهم يطيعون ويومنون وبين ان لا يعلم ذلك في وجوب
البعثة وما يجب بوجوبها لان تعريف المصالح ما يقتضيه التكليف العقلي الذي لا فرق في حسنه بين
ان يقع عنده الايمان او لا يقع وليس هذا سبيل ما يظهر من المعجزات بعد قيام الحجة بما يقوم منها لانه متى
لم ينتفع بها منتفع ويومن عندها من لم يومن لم يكن في اظهارها فايدة وكانت عبثاً فافهم الامران
فان قيل كيف يطابق هذا التاويل قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين ومن المعلوم
ان صرفهم عن الايات لا يكون مستحقاً بذلك قلنا يمكن ان يكون قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا لم يرد
به تعليل قوله سبحانه ساصرف بل يكون كالتعليل لما هو اقرب اليه في ترتيب الكلام وهو قوله تعالى و
ان يروا كل اية لا يومنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وان يروا سبيل الغي يتخذوه
سبيلاً لان من كذب بايات الله عز وجل وغفل عن تاملها والاهتداء بنورها ركب الغي واتخذه سبيلاً
وحاد عن الرشد وضل ضلالاً بعيداً ورجوع لفظة ذلك الى ما ذكرناه اشبه بالظاهر من رجوعها الى
قوله تعالى ساصرف لان رجوع اللفظة في اللغة الى اقرب المذكورين اليها اولى ويمكن فيه ان يكون قوله تعالى
كذبوا وان كان بلفظ الماضي المراد به الاستقبال ويكون وجهه ان التكذيب لما كان معلوماً منهم
لو ظهرت لهم الايات جعل انه واقع وبني الخطاب عليه ولهذا نظاير في اللغة كثيرة او يكون نحوا بالحذف
فكانه تعالى قال ذلك بانهم متى اظهرنا لهم اياتنا كذبوا بها ويجري ما ذكرناه اولاً مجرى قوله تعالى ونادى
اصحاب النار اصحاب الجنة في انه بلفظ الماضي والمعنى الاستقبال وثالثها ان يكون المعنى ساصرف عن
اياتي اي ان اريها من هذه صفته واذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلتا اللفظتين تفيد معنى واحدا
وليس لاحد ان يقول هلا قال ساصرف اياتي عن الذين يتكبرون والايات ههنا هي المعجزات التي تختص بها الانبيا
عليهم السلم فان قيل فاي فايدة في قوله تعالى على سبيل التعليل ذلك بانهم كذبوا باياتنا واي معنى لتخصيص
الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وهو لا يوتي الايات والمعجزات الا الانبيا عليهم السلم دون غيرهم وان
كان من لا يتكبر قلنا لخروج الكلام مخرج التعليل على هذا التاويل وجه صحيح لان من كذب بايات الله
تعالى وجحد اياته ومضى لتكذيبه وكفره وان كان قد يكون غيره كذلك فمنع من تتابع الايات على حد
الملجئ والبعث على الحق مانع من تتابع ايات الله تعالى لان منع غيره ويجري مجرى قول القايل انا لا اود فلانا
لانه بخيل ولا يلزم اذا كان لا يود من كان بخيلا ان يود كل من خلا من البخل وحصل على صفة اخرى تمنع من موده ويجوز

ويجوز ايضا ان تكون الاية خرجت على ما يجري مجرى السبب وان يكون بعض الجهال في ذلك العصر اعتقد
جواز ظهور المعجزات على يد الكفار المتكبرين فاكذبهم الله تعالى بذلك ورابعها ان يكون المراد بالايات العلامات
التي يجعلها الله تعالى في قلوب المومنين ليدل بها الملايكة على الفرق بين المومن والكافر فيفعلوا بكل
واحد منهما ما يستحقه من التعظيم والاستخفاف كما تاول اهل الحق الطبع والختم اللذين ورد بهما
القران على ان المراد بهما العلامة المميزة بين المومن والكافر فيكون معنى ساصرفهم عنها اي اعدل بها
عنهم واخص بها المومنين المصدقين باياتي وانبيايي وهذا التاويل يشهد له ايضا قوله تعالى ذلك بانهم
كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين لان صرفهم عن هذه الايات كالمستحق بتكذيبهم واعراضهم عن اياته تعالى
وخامسها ان يريد تعالى اني اصرف من رام المنع من اداء اياتي وتبليغها لان من الواجب عليه تعالى ان
يحول بين من رام ذلك وبينه ولا يمكن منه لانه ينقض الغرض في البعثة ويجري مجرى قوله تعالى والله
يعصمك من الناس والايات ههنا القران وما يجري مجراه من كتب الله تعالى التي تحملها الرسل عليهم
السلم والصرف وان كان متعلقا في الاية بنفس الايات فقد يجوز ان يكون في المعنى متعلقا بغيرها مما
هو متعلق بها واذا ساغ ان يعلقه بالثواب والكرامة المستحقين على التمسك بالايات ساغ ان يعلقه
بمنع من تبليغها وادايها واقام الحجة بها وعلى هذا التاويل لا يجعل قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا
راجعا الى ساصرف بل نرده الى ما هو قبله بلا فصل من قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه
سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا على ما بيناه في الوجه الثاني
من تاويل هذه الاية وسادسها ان يكون الصرف ههنا الحكم والتسمية والشهادة ومعلوم ان من
شهد على غيره بالانصراف عن شي جاز ان يقال صرفه عنه كما يقال اكفره وكذبه وفسقه وكما قال جل من
قايل ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم اي شهد عليها بالانصراف عن الحق والهدى وكقوله فلما زاغوا ازاغ
الله قلوبهم وهذا التاويل يطابقه قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين لان الحكم
عليهم بما ذكرناه والتسمية به موجب تكذيبهم وغفلتهم عن ايات الله واعراضهم عنها وسابعها
انه تعالى لما علم ان الذين يتكبرون في الارض بغير الحق ينصرفون عن النظر في اياته والايمان بما اظهره
على ايدي رسله عليهم السلم جاز ان يقول ساصرف عن اياتي ويريد تعالى ساظهر ما ينصرفون بسوء
اختيارهم عنه ويجري ذلك مجرى قوله سابخل فلانا وساخطيه اي ساساله ما يبخل ببذله وامتحنه
بما يخطي فيه ولا يكون المعنى اني افعل به البخل والخطاء والايات على هذا الوجه جايز ان تكون المعجزات
دون ساير الادلة الدالة على الله سبحانه وجايز ان تكون جميع الادلة ويجب ان يكون قوله تعالى ذلك

بانه كذبوا باياتنا لا يرجع الى قوله تعـ ساصرف بل الى ما قدمنا ذكره لتقع الثانية وثانيها
ان يكون الصرف هٰهنا معناه المنع من ابطال الايات والحجج والقدح فيها بما يخرجها عن ان تكون ادلة
وحججا ويكون تقدير الكلام اني بما اويده من حججي واحكمه من اياتي وبيناتي صارف للمبطلين والمكذبين عن القدح
في الايات والدلالات ومانع لهم مما كانوا لولا هذه الاحكام والتاييد يعترضونه ويعتمدونه من تمويههم
حق ولبسه بالباطل ويجري هذا مجرى قول احدنا قد منع فلان اعداه بافعاله الكريمة واخلاقه المهذبة
وطرايقه الممدوحة من عيبه وصرفهم عن ذمه واخرس السنتهم عن الطعن عليه وانما يريد المعنى الذي
ذكرناه فان قيل اليس في المبطلين من طعن على ايات الله تعـ واورد الشبهة فيها مع ذلك قلنا لم يرد
عزوجل الصرف عن الطعن الذي لا يوثر ولا يشتبه على من احسن النظر وانما اراد تعالى ما قدمناه
وقد يكون الشي في نفسه مطعونا عليه وان لم يطعن عليه طاعن كما قد يكون بريا من الطعن وان طعن
بما لا يوثر فيه الا ترى ان قولهم فلان قد اخرس اعداه عن ذمه ليس يراد انه منعهم عن التلفظ بالذم وانما
المعنى فيه انه لم يجعل للذم عليه سبيلا وطريقا ومجالا ويجب ايضا على هذا الوجه ان يكون قوله تعـ ذلك بانهم
كذبوا يرجع الى ما قبله بلا فصل ولا يرجع الى قوله ساصرف وثالثها ان الله تعـ لما وعد موسى وامته
باهلاك عدوهم قال ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق واراد جل وعز انه يهلكهم
ويصطلمهم ويجتاحهم على سبيل العقوبة لهم بما كان منهم من التكذيب بايات الله تعـ عزوجل والرد
لحججه والمروق عن بيناته وليس من جملته بعض الحال من المومنين بالوفاء بها وهو تعالى اذا اهلك بعض
الجبارين المتكبرين واصطلمهم فقد صرفهم عن اياته من حيث اقطعهم عن مشاهدتها والنظر فيها بانقطاع
التكليف عنهم وخروجهم عن صفات اهله وهذا الوجه يمكن ان يقال فيه ان العقوبة لا تكون الا
مقارنة للاستخفاف والاهانة كما ان الثواب لا بد ان يكون مقترنا بالتبجيل والتعظيم واماتة الله تعـ الامم
وما يفعله بهم من بوار وهلاك لا يقترن اليه ما لا بد ان يكون مقترنا الى العقاب من الاستخفاف ولا
خالف ما يفعله تعـ باوليائه على سبيل الامتحان والاختبار فكيف يصح ما ذكرتموه ويمكن ان يجاب عن
ذلك بان يقال لا يمتنع ان يضم تعـ الى ما يفعله بهولاء الكفار المتكبرين من الاهلاك والبوار اللعن
والذم والاستخفاف ويامرنا ان نفعل ذلك بهم فيكون ما يقع بهم من الايلام على وجه العقوبة ولشرائطها
ولا يمتنع ايضا ان يكون الله يتعبدنا بامر باهلاكهم وقتلهم على وجه الاستخفاف والتذليل ويضيف ذلك
اليه من حيث وقع بامره وعن اذنه فان قيل فما معنى قوله تعالى يتكبرون في الارض بغير الحق وهل يكون
التكبر الا بغير الحق قلنا في هذا وجهان احدهما ان يكون على سبيل التاكيد والتغليظ والبيان عن

ان التكبر لا يكون الا بغير الحق وان هذه صفة له لازمة غير مفارقة ويجري ذلك مجرى قوله تعـ ومن
يدع مع الله الها اخر لا برهان له به وقوله فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله وقتلهم الانبيا بغير
حق ولم يرد تعـ الا المعنى الذي ذكرناه ومثله قوله تعالى ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا لم يرد النهي عن
الثمن القليل دون الكثير بل اراد تعـ تاكيد القول بان كل من يوخذ عنها يكون قليلا [illegible]
يكون المعوض عنها مغبونا بخسا خاسر الصفقة والوجه الاخر ان في التكبر ما يكون ممدوحا لان من
تكبر وتنزه عن الفواحش والدنايا وتباعد من فعلها وتجنب اهلها يكون مستحقا للمدح سالكا لطريق
الحق وانما التكبر المذموم هو الواقع على وجه النخوة والبغي والاستطالة على ذوي الضعف والفخر عليهم
والمباهاة لهم ومن كان بهذه الصفة فهو مجانب للتواضع الذي ندب الله تعالى اليه وارشد الى
الثواب المستحق عليه ومستحق لذلك الذم والمقت فلهذا شرط تعالى ان يكون التكبر بغير الحق وقوله
تعـ في هذه السورة قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق يحتمل هذين
الوجهين اللذين ذكرناهما فان اريد به البغي المكروه الذي هو الظلم وما اشبهه كان قوله تعالى بغير الحق
تاكيدا واخبارا عن ان هذه صفته وان اريد البغي الطلب فذلك هو اصله في اللغة كان الشرط في موضعه
لان الطلب قد يكون بالحق وبغير الحق فان قيل فما معنى قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه
سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا وهل الروية هٰهنا العلم او الادراك بالبصر وهل يمكن
ان تكون في قوله تعـ وان يروا كل اية لا يومنوا بها محمولة على روية البصر لان الايات والادلة عندنا
كيف تحمل الروية الثانية على سبيل العلم وسبيل الرشد انما هو طريقه ولا يصح ان يرجع بها الى الادلة
والاعتقادات التي لا تجوز عليها روية البصر فلا بد اذا من ان يكون المراد به روية العلم ومن علم طريق
الرشد لا يجوز ان ينصرف عنه الى طريق الغي لان العقلاء لا يختارون مثل ذلك قلنا الجواب عن ذلك
من ثلاثة اوجه احدها ان يكون بالروية الثانية روية البصر ويكون السبيل المذكورة هي الادلة
والايات لانها مما تدرك بالبصر وتسمى بانها سبيل الى الرشد من حيث كانت موصلة الى الرشد ومودية
الى حصوله ويكون سبيل الغي هي الشبهات والمخاريق التي ينصبها المبطلون المدغلون في الدين
ليوقعوا بها الشبهة على اهل الايمان وتسمى بانها سبيل الغي وان كان النظر فيها لا يوجب حصول الغي
من حيث كان المعلوم ممن يشتغل بها واغتر باهلها انه يصير الى اهل الغي والوجه الثاني ان يكون المراد
بالروية العلم لان العلم لم يتناول كونها سبيلا للرشد وكونها سبيلا للغي بل تناولها [illegible]
الا ترى ان كثيرا من المبطلين يعلمون مذاهب اهل الحق واعتقاداتهم الباطلة الفاسدة لا انهم يجهلون

كونها باطلة ويعتقدون صحتها بالشبهة فيصرون اليها وعلى هذا الوجه يجب ان يكون تعالى وصفهم بالعناد وترك الحق مع العلم به والوجه الثالث ان يكونوا عالمين سبيل الرشد والغي مميزين بينهما غير انهم للميل الى اعراض الدنيا والذهاب مع الهوى والشهوات يعدلون عن الرشد الى الغي ويجحدون ما يعلمون كما اخبر تعالى عن كثير من اهل الكتاب بانهم يجحدون الحق وهم يعلمونه ويستيقنونه فان قيل فما معنى قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا والتكذيب لا يكون في الحقيقة الا في الاخبار دون غيرها قلنا التكذيب قد يطلق في الاخبار وغيرها انهم يقولون فلان يكذب بكذا اذا كان يعتقد بطلانه كما يقولون يصدق بكذا اذا كان يعتقد صحته ولو صرفنا التكذيب ههنا الى اخبار الله تعالى التي تضمنتها كتبه الواردة على ايدي رسله عليهم السلام جاز وتكون الايات ههنا هي الكتب المنزلة دون ساير المعجزات فان قيل فما معنى ذمه تعالى بانهم كانوا عن الايات غافلين والغفلة على مذهبكم من فعله تعالى لان السهو وما جرى مجراه مما ينافي العلوم الضرورية ولا تكليف على الساهي فكيف يذم بذلك قلنا المراد ههنا بالغفلة التشبيه لا الحقيقة ووجه التشبيه انهم لما اعرضوا من تامل ايات الله تعالى والانتفاع بها اشبهت حالهم حال من كان ساهيا غافلا عنها فاطلق عليهم هذا القول كما قال تعالى صم بكم عمي على هذا المعنى وكما يقول احدنا لمن يستبطيه ويصفه بالاعراض عن التامل والتبين انت ميت وراقد وما لك لا تسمع ولا تبصر وما اشبه ذلك وكل هذا واضح بحمد الله [illegible]

[illegible] سايل عن الخبر المروي عن عبد الله بن عمر قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول ان قلوب بني ادم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن يصرفها كيف يشاء ثم قال رسول الله ص عند ذلك اللهم مصرف القلوب اصرف قلوبنا الى طاعتك وعما يرويه انس قال قال رسول الله ص ما من قلب ادمي الا وهو بين اصبعين من اصابع الله فاذا شاء ان يثبته اثبته واذا شاء ان يقلبه قلبه وعما يرويه ابن حوشب قال قلت لام سلمة زوج النبي ص ما كان اكثر دعاء النبي ص قالت كان اكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالت قلت يا رسول الله اكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقال يا ام سلمة ليس من ادمي الا وقلبه بين اصبعين من اصابع الله ما شاء اقام وما شاء ازاغ فقال ما تاويل هذه الاخبار على ما يطابق التوحيد وينافي التشبيه اوليس من مذهبكم ان الاخبار التي تخالف ظاهرها الاصول وتنافي حقايق العقول لا يجب ردها والقطع على كذب راويها الا بعد ان لا يكون لها في اللغة مخرج ولا تاويل وان كان لها ذلك باستكراه وتعسف ولستم ممن يقول ذلك في هذه الاخبار الجواب ان الذي يعول عليه من تكلم في هذه الاخبار هو ان يقال الاصبع في كلام العرب وان كانت للجارحة المخصوصة

في

فهي ايضا الاثر الحسن يقال لفلان على ماله وابله اصبع حسنة اي قيام واثر حسن قال الراعي يصف راعيا حسن القيام على ابله: ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها اذا ما اجدب الناس اصبعا ، قال طفيل الغنوي يصف خيلا: كميت كركن الباب احيا بناته مقاليتها واستحملتهن اصبع ، وقال لبيد بن ربيعة: من يبسط الله عليه اصبعا بالخير والشر باي مولعا ، يملا له منه ذنوبا مترعا ، وقال حميد: اغر كلون البدر في كل منكب من الناس نعمى يحتذيها باصبع ، وقال اخر: وازنهات ليس فيهن ابن ذو اصبع في متنها وذو بطن ، وقال اخر:

اكرم ايادا واسقد المشعشعا ، فان فيه خصلات اربعا ،

حبا وجودا ونداء واصبعا ، والاصبع فيما اوردناه المراد به الاثر الحسن والنعمة فيكون المعنى ما من ادمي الا وفي قلبه بين نعمتين جليلتين لربه حسنتين فان قيل هذا فقد ذكر كما حكيتم فان قيل على هذا المعنى فقد ذكر كما حكيتم الا انه لم يفصل ما النعمتان وما وجه التثنية ههنا ونعم الله تعالى على عباده كثيرة لا تحصى قلنا يحتمل ان يكون الوجه في ذلك نعم الدنيا ونعم الاخرة وثناهما لانهما كالجنسين او النوعين وان كان كل قبيل منهما في نفسه ذا عدد كثير لان الله تعالى قد انعم على عباده بان عرفهم بادلته وبراهينه ما انعم به عليهم من نعم الدنيا والاخرة وعرفهم ما لهم في الاعتراف بذلك والشكر عليه والثناء به من الثواب الجزيل والبقاء في النعيم الطويل ويمكن ان يكون الوجه في تسميتهم للاثر الحسن بالاصبع هو من حيث يشار اليه بالاصبع اعجابا به وتنبيها عليه وهذه عادتهم في تسمية الشيء بما يقع عنده وما له به علقة وقد قال قوم في بيتي طفيل والراعي انهما ارادا ان يقولا يدا في مكان اصبع لان اليد النعمة فلم يمكنهما فعدلا عن اليد الى الاصبع لانها من اليد وفي الاصبع التي هي الجارحة ثماني لغات اصبع بفتح الالف والباء واصبع بفتح الالف وكسر الباء واصبع بضم الالف والباء واصبع بضم الالف وفتح الباء واصبوع بضم الالف والواو واصبع بكسر الالف والباء واصبع بكسر الالف وفتح الباء واصبع بكسر الالف وضم الباء وفي هذه الاخبار وجه اخر هو اوضح مما ذكر واشبه بمذاهب العرب وملاحن كلامها وتصرف خطابها وهو ان يكون المعنى في ذكر الاصابع الاخبار عن تيسر تصريف القلوب وتقلبها والفعل فيها عليه جلت عظمته ودخول ذلك تحت قدرته الا ترى انهم يقولون هذا الشيء في خنصري واصبعي وفي يدي وقبضتي كل ذلك اذا ارادوا تيسره [illegible] وارتفاع المشقة فيه والمؤونة وعلى هذا المعنى يتاول المحققون قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيامة وقوله تعالى والسماوات مطويات بيمينه فكانه عليه السلام لما اراد المبالغة في وصفه

تعالى بالقدرة على تقليب القلوب وتصريفها بغير مشقة ولا كلفة وان كان عز وجل يتعالى عن ذلك ولا يتمكن منه قال انها بين اصبعين من اصابعه كناية عن هذا المعنى واختصارا للفظ الطويل وجريا على مذهب العرب في اخبارهم عن مثل هذا المعنى بمثل هذا اللفظ ومثل هذا الوجه يجب ان يكون مقدما على الاول ومعتمدا عليه فانه واضح جلي ويمكن ان يكون في الخبر وجه اخر على تسليم ما يقترحه المخالفون من ان الاصبعين هما المخلوقتان من الدم واللحم استظهارا في الحجة واقامة لها على كل وجه وهو انه لا ينكر ان يكون القلب يشتمل على جسمان على شكل الاصبعين يحركه الله بهما ويقلبه بالفعل فيهما ويكون وجه تسميتهما بالاصابع من حيث كانا على شكلها والوجه في اضافتهما الى الله تعالى وان كان افعاله تضاف اليه بمعنى الملك والقدرة انه لا يقدر على الفعل فيهما من تحريكهما منفردين عما جاورهما غيره تعالى فقيل اصبعان له من حيث اختص تعالى بالفعل فيهما على الوجه لان غيره انما يقدر على تحريك القلب وما هو مجاور للقلب من الاعضاء بتحريك جملة الجسم ولا يقدر على تحريكه وتصريفه منفردا عما جاوره غيره تعالى فمن ابن للمتطلبين المتاولين هذه الاخبار باهوائهم وضعف رايهم ان الاصابع ههنا اذا كانت لحما ودما في جوارحه تعالى فما هذا الوجه الذي ذكرناه ببعيد وعلى المتاول ان يورد كلما يحتمله الكلام مما لا تدفعه حجة وان ترتب بعضه على بعض في القوة والوضوح ونحن نعود الى تفسير ما لعله ان يشتبه من الابيات التي استشهدنا بها اما قوله جبنا وجودا وندا واصبعا فعنى بالجود المضا والنفاذ وقول الاخر فلم ار تاتا ليس فيهن ابن فالارزنات العصي والابن العقد فاما قول حميد بن ثور في كل منكب من الناس فالمنكب الجماعة من والمنكب ايضا الناحية فاما معنى ابيات لبيد فانه اراد من يسوق الله اليه خيرا او يصرف عنه شرا انما فعل ذلك به اصبعه له حتى ينتهي منتهاه فاما بيت طفيل فعناه ان هذا الفحل الذي وصفه بانه كميت وانه كركن الباب لتمامه وشدته لما ضرب في الابل التي وصفها عاشت اولادها التي هي بناته بعد ان كن مقاليت والمقاليت اللواتي لا يعيش لهن ولد فكان هذا منه اثرا جميلا عليها واما بيت الراعي فعنى بقوله ضعيف العصا بريئا انه قليل الضرب لها اما لانها لا تحوجه الى ذلك او لشفقته عليها وهذه كناية في نهاية الحسن واختصار شديد وقد يجوز ان يريد به ضعف العصا في الحقيقة من حيث لا يحتاج الى استعمالها في ضربها فيختارها قوية ويجوز ان يكون تخفف واراد ضعف فعل العصا وقوله بادي العروق يعني عروق رجليه لفسادها من السعي في اثرها والراد بالاصبع ان له عليها في جدب الناس اثرا حسنا لحسن قيامه وتعاهده وقد قيل انه انما سمي الراعي لبيت قاله في هذه القصيدة بعد بيتين من البيت الذي انشدناه وهو لها امرها حتى اذا ما تبوأت

باخفا

بأخفافها مأوى تبوأ مضجعا وهو قول الاصمعي وقال السكري سمي بذلك لقوله في هذه القصيدة

هدان اخو وطب وصاحب علبة ،، يرى المجد ان يلقى خلاء وامرعا ،،

ويروى عن بعض بني نمير انه قال اسمي بذلك لقوله بيت مه ،،

بنيت مرافقهن فوق مزلة ،، لا يستطيع بها القراد مقيلا ،،

فقال بعض بني نمير لما سمع هذا البيت ما هو الا راعي ابل فبقيت عليه وقال المحبر سلام سمي الراعي لكثرة وصفه للابل وحسن نعته لها واسمه عبيد بن حصين بن جندل وكنيته ابو جندل وقيل ابو نوح

ان سأل سائل عن قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب فقال ما المراد بالنفس في هذه الاية وهل المعنى فيها كالمعنى في قوله تعالى ويحذركم نفسه او يخالفه ويباينه معنى الايتان والمراد به ما رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال قال الله تعالى اذا احب العبد لقاي احببت لقاه واذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم واذا تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا واذا تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا [illegible] قلنا النفس في اللغة لها معان وهي في التصرف متباينة فالنفس نفس الانسان وغيره من الحيوان وهي التي اذا فقدها خرج من كونه حيا ومنه قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت والنفس ذات الشيء الذي يخبر عنه كقولهم فعل ذلك فلان بنفسه اذا تولى فعله والنفس الانفة من قولهم ليس لفلان نفس اي لا انفة له والنفس الارادة من قولهم نفس فلان في كذا اي ارادته وقال الشاعر

فنفساي نفس قالت ائت ابن بجدل ،، تجد فرجا من كل غمى تهابها ،،

ونفس تقول اجهد نجاءك لا تكن ،، كخاضبة لم يغن عنها خضابها ،،

ومنه ان رجلا قال للحسن يا ابا سعيد لم احج قط فنفس تقول لي حج ونفس تقول لي تزوج فقال الحسن انما النفس واحدة ولكن لك هم يقول لك حج وهم يقول تزوج وامر بالحج وقال الممزق العبدي وروي لمعقر بن حمار البارقي

الا من لعين قد نآها حميمها ،، وارقها بعد المنام همومها ،،

فباتت لها نفسان شتى همومها ،، فنفس تعزيها ونفس تلومها ،،

وقال النمر بن تولب العكلي

اما خليلي فاني لست معجله ،، حتى يؤامر نفسيه كما زعما ،،

نفس له من نفوس القوم صالحة ،، تعطي الجزيل ونفس ترضع الغنما ،،

واراد انه بين نفسين نفس تامره بالجود واخرى تامره بالبخل وكنى برضاع الغنم عن البخل لان اللئيم يرضع

اللبن من الشاة ولا يحلبها ليلا ليسمع الضيف صوت الشخب فيهتدي اليه ومنه قيل لئيم راضع وقال كثير

فاصبحت ذا نفسين نفس مريضة ،، بها الياس ما ينفك هم يعودها ،،
ونفس تجحد وصلها بعد صرمها ،، تجلدا كي يزداد غيظا حسودها ،،

والنفس العين التي تصيب الانسان ويقال اصابت فلانا نفس اي عين وروي ان رسول الله صلى الله عليه واله كان يرقي فيقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء هو فيك من عين عاين ونفس نافس وحسد حاسد وقال ابن الاعرابي النفوس الذي تصيب الانسان بالعين وذكر رجلا فقال كان والله حسودا نفوسا كذوبا وقال عبد الله بن قيس الرقيات

يتقي اهلها النفوس عليها ،، فعلى نحرها الرقى والتميم ،،

وقال مضرس بن ربعي الفقعسي

واذا نموا صعدا فليس عليهم ،، منا الخبال ولا نفوس الحسد ،،

وقال ابن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك

فاسلم سلمت من المكاره والردى ،، وعثارها ووقيت نفس الحسد ،،

والنفس ايضا من الدباغ مقدار الدبغة يقول اعطني نفسا من دباغ ولا اعلم ما في نفسك اي قدر ما ادبغ به دبغة والنفس الغيب يقول القايل اني لا اعلم نفس فلان اي غيبه وعلى هذا تاويل قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم غيبي وما عندي ولا اعلم ما غيبك وقيل ايضا ان النفس ايضا العقوبة من قولهم احذرك نفسي اي عقوبتي وبعض المفسرين يحمل قوله تعالى ويحذركم الله نفسه على هذا المعنى كانه تعالى قال يحذركم الله عقوبته ويروى ذلك عن ابن عباس والحسن واخرون قالوا معنى الاية يحذركم الله اياه وقد روي عن الحسن ومجاهد في قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك ما ذكرناه من التاويل بعينه فان قيل ما وجه تسمية الغيب بانه نفس قلنا لا يمتنع ان يكون الوجه في ذلك ان نفس الانسان لما كانت خفية الموضع نزل ما تكتمه وتخفيه في سترها منزلتها وسمي باسمها فقيل فيه انه نفسه مبالغة في وصفه بالكتمان والخفاء وانما حسن ان يقول تعالى مخبرا عن نبيه ولا اعلم ما في نفسك من حيث تقدم قوله تعلم ما في نفسي ليزدوج الكلام ولهذا لا يحسن ابتداء ان يقول انا لا اعلم ما في نفس الله وان حسن على الوجه الاول ولهذا نظاير في الاستعمال مشهورة متلوة فاما الخبر الذي ذكره السايل فقد تاوله تاويلا ظاهرا وهو خارج على مذهب للعرب في مثل هذا الباب معروف ومعناه ان نذر ربي في نفسه جارية على ذكره لي فهذا تقرب الى النبل

على

على تقربه اليه وكذلك الجزاء الى اخره فسمي المجازاة على الشيء باسمه اتساعا كما قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ويمكرون ويمكر الله والله يستهزي بهم وكما قال الشاعر

الا لا يجهلن احد علينا ،، فنجهل فوق جهل الجاهلينا ،،

ونظاير هذا كثيرة في كلام العرب ولما اراد تعالى المبالغة في وصف ما يفعله من الثواب والمجازاة على تقربه بالكثرة والزيادة كنى عن ذلك بذكر المسافة المضاعفة فقال ذراعا وباعا اشارة الى المعنى وهذا من ابلغ الوجوه واحسنها

مجلس ثالث وعشرون ان سال سايل فقال ما تاويل قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا وكيف يجوز ان تبلغ القلوب الحناجر مع كونهم احياء ومعلوم ان القلب اذا زال عن موضعه المخلوق فيه مات صاحبه ومن اي شي زاغت الابصار وباي شي تعلقت ظنونهم بالله تعالى الجواب قيل له في هذه الاية وجوه منها ان يكون المراد بذلك انهم جبنوا وفزع اكثرهم لما اشرف المشركون عليهم وخافوا من بوايقهم وبوادرهم ومن شان الجبان عند العرب ان [illegible] ان تنتفخ رئته ولهذا يقولون للجبان انتفخ سحره اي رئته وليس بممتنع ان تكون الرئة اذا انتفخت دفعت القلب فنهضت به الى نحو الحنجرة وهذا التاويل قد ذكره الفراء وغيره ورواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ومنها ان القلوب قد توصف بالوجيب والاضطراب في احوال الجزع والهلع قال الشاعر كأن قلوب ادلايها معلقة بقرون الظبا

وقال امرؤ القيس ،، ولا مثل يوم في قدار ظللته ،، كاني واصحابي على قرن اعفرا ،،

ويروى في قذاران ظللته اراد المبالغة في وصف نفسه واصحابه بالقلق والاضطراب ومفارقة السكون والاستقرار وانما خص الظبي لان قرنه اكثر تحريكا واضطرابا لنشاطه ومرحه وسرعته وقد قال بعض الناس في هذا البيت ان امرأ القيس لم يصف شدة اصابته من اضطراب وقلق وقوله على قرن اعفرا ويل المذكور بل وصف ما كان فيها مشرفا مرتفعا الا ترى الى قوله قبل هذا البيت بلا فصل

الا رب يوم صالح قد شهدته ،، بتاذف ذات من فوق طرطرا

فيكون معنى قوله على هذا الوجه انه كان على مكان عال مشرف شبهه لارتفاعه وطوله بقرن الظبي وهذا القول لابن الاعرابي والاول للاصمعي فاما قول الاخر الا قل لخير الشام كيف تغيرا ،، فاصبح يرمي الناس عن قرن اعفرا فلا يحتمل الا الشدة والحال المذمومة ويجوز ان يريد ان الناس غير مطمئنين بل هم منزعجون قلقون كانهم على قرن ظبي ويحتمل انه يطعنهم بقرن ظبي كقولك رماه الله بداهية فيكون معنى عن ههنا معنى الباء فقال على قرن اعفرا وهو يريد بقرن اعفر وقد ذكر في هذا البيت الوجهان معا فيكون معنى الاية على

هذا التاويل ان القلوب لما اتصل وجيبها واضطرابها بلغت الحناجر لشدة القلق ومنها ان يكون المعنى كادت القلوب من شدة الرعب والخوف تبلغ الحناجر وان لم تبلغ في الحقيقة والغي ذكر كادت لوضوح الامر فيه ولفظة كادت ههنا للمقاربة مثل قول قيس بن الخطيم

اتعرف رسما كاطراد المذاهب ۔ لعمرة وحشا غير موقف راكب
ديار التي كادت ونحن على منى ۔ تحل بنا لولا نجاء الركايب

معناه قاربت ان تحل بنا وان لم تحلل على الحقيقة وقوله غير موقف راكب فيه وجهان احدهما انه ليس موضع يقف فيه راكب لخلوه من الناس ووحشته والاخر ان يكون اراد انه وحشا الا راكبا واقفا به يعني نفسه وقال نصيب

وقد كدت يوم الحزن لما ترنمت ۔ هتوف الضحى محزونة بالترنم
اموت لمبكاها اسى ان عولتي ۔ ووجدي بسعدى شجوه غير منجم

يعني بالمنجم المقلع وقال ذو الرمة ۔ وقفت على ربع لمية ناقتي ۔ فما زلت ابكي عنده واخاطبه
واسقيه حتى كاد مما ابثه ۔ تكلمني احجاره وملاعبه

وكل هذا معنى كاد فيه المقاربة ومتى دخلت العرب على كاد جحدا فقالوا ما كاد عبد الله يقوم ولم يكد عبد الله يقوم كان فيه وجهان احدهما ان يكون قام عبد الله بعد ابطاء ولاي مثل قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون اي ذبحوها بعد ابطاء وتاخر لان وجدان البقرة عسر عليهم وروي انهم اصابوها ليتيم لا مال له غيرها فاشتروها منه بملء جلدها ذهبا فقال تعالى وما كادوا يفعلون اما لانهم لم يقفوا عليها او لغلاء ثمنها والوجه الاخر في قولهم ما كاد عبد الله يقوم اي ما يقوم عبد الله وتكون لفظة يكاد على هذا مطرحة لا حكم لها وعلى هذا يحمل اكثر المفسرين قوله تعالى اذا اخرج يده لم يكد يريها اي لم يرها اصلا لانه جل وعز لما قال او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض كان بعض هذه الظلمات يحول بين العين وبين النظر الى اليد وساير المناظر فيكد على هذا التاويل زيدت للتوكيد والمعنى انه اذا اخرج يده لم يرها وقال قوم معنى الاية انه اذا اخرج يده لم يرها الا بعد ابطاء وعسر لتكاثف الظلام وترادف الموانع من الروية فيكد على هذا الجواب ليست بزايدة وقال الفراء معنى الاية انه اذا اخرج يده لم يرد ان يراها لان الذي شاهد من تكاثف الظلمات آيسه من تامل يده وقربه في نفسه انه لا يدركها ببصره وحكي عن العرب اولئك اصحابي الذين كاد انزل عليهم اي الذين انا نازل عليهم وقال الشاعر ۔ كادت وكدت وتلك خير ارادة ۔ ان عاد من لهو الصبابة ما مضى

اي

انا دت واردت وقال الافوه الاودي ۔ فان نجم اوتاد واعمدة ۔ وساكن بلغوا الامر الذي كادوا اي ارادوا وقال بعضهم معنى قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف اي اردنا ليوسف ومما يشهد وقال ابن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ومما يشهد لمن جعل لفظة يكاد زايدة في الاية قول الشاعر

سريع الى الهيجاء شاك سلاحه ۔ فما ان يكاد قرنه يتنفس

اي فما يتنفس قرنه ويكاد مزيد للتوكيد وقال حسان ويكاد يكسل ان يجي فراشها ۔ في جسم خرعبة وحسن غلام معناه ويكسل ان يجي فراشها وقال الاخر

وان لا الوم النفس فيما اصابني ۔ وان لا اكاد بالذي نلت انجح

اي لا انجح بالذي نلت ولو لم يكن الامر على هذا لم يكن البيت مدحا وروى عبد الصمد بن المعذل عن غيلان عن ابيه عن جده غيلان قال قدم علينا ذو الرمة الكوفة وانشدنا بالكناسة وهو على راحلته قصيدته الحايية التي يقول فيها

اذا غير النأي المحبين لم يكد ۔ رسيس الهوى من حب مية يبرح

فقال له عبد الله ابن شبرمة قد برح يا ذا الرمة ففكر ساعة ثم قال

اذا غير النأي المحبين لم اجد ۔ رسيس الهوى من حب مية يبرح

قال قال فاخبرت ابي بما كان من قول ذي الرمة واعتراض ابن شبرمة عليه فقال اخطا ذو الرمة في رجوعه عن قوله الاول واخطا ابن شبرمة في اعتراضه عليه هذا قوله عز وجل اذا اخرج يده لم يكد يراها اي لم يرها فاما قوله عز وجل ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس فقد قيل فيه وجه اخر هو ان يتم الكلام عند قوله عز وجل ان الساعة اتية اكاد ويكون المعنى اكاد اتي بها ويقع الابتداء بقوله تعالى اخفيها لتجزى كل نفس ومما يشهد لهذا الوجه قول ضابي البرجمي

هممت ولم افعل وكدت وليتني ۔ تركت على عثمان تبكي حلايله

اراد وكدت اقتله فحذف الفعل لبيان معناه وروي عن سعيد بن جبير انه كان يقراها اكاد اخفيها فمعنى اخفيها على هذا اظهرها قال عبدة بن الطبيب يصف ثورا

يخفي التراب باظلاف ثمانية ۔ في اربع مسهن الارض تحليل

اراد انه يظهر التراب ويستخرجه باظلافه وقال امرؤ القيس

فان تدفنوا الداء لا نخفه ۔ وان تبعثوا الحرب لا نقعد ۔ اي لا نظهره وقال النابغة ۔ تخفي باظلافها حتى اذا بلغت ۔ يبس الكثيب تداعى الترب فانهدما ۔ وقد حكي اهل

العربية اخفيت الشي بمعنى سترته واخفيته بمعنى اظهرته وكان القراة بالضم يحتمل الامرين الاظهار والستر
والقراة بالفتح لا يحتمل غير الاظهار واذا كانت بمعنى الاظهار كان الكلام في كاد واحتمالها للوجوه الثلثة
التي ذكرناها كالكلام فيها اذا كانت بمعنى الستر والتغطية فان قيل اي معنى لقوله لتجزى
كل نفس بما تسعى واظهرها على الوجهين جميعا واي فايدة في ذلك قلنا الوجه في هذا ظاهر لانه تع اذا
ستر عنا وقت الساعة كانت دواعينا الى فعل الحسن والقبيح مترددة واذا عرفنا وقتها بعينه كنا ملجئين
الى التوبة بعد مفارقة الذنوب ونقض ذلك الغرض بالتكليف واستحقاق الثواب به فصار ما اريد من
المجازاة للمكلفين بسعيهم واتصال ثواب عاملهم ممنوع من الجائهم على وقت انقطاع التكليف عنهم فاما
اذا كانت لفظة اخفيها بمعنى الاظهار فوجهها ايضا واضح لانه تع انما يقيم القيامة ويقطع التكليف
ليجازي كلا باستحقاقه ويوفي مستحق الثواب ثوابه ويعاقب المسي باستحقاقه فوضح وجه قوله تع اكاد
اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى في المعنيين جميعا [illegible] رضي الله عنه وجدت ابا بكر محمد بن
القسم الانباري يطعن على جواب من اجاب في قوله تع وبلغت القلوب الحناجر بانه قال معناه كادت
تبلغ ويقول كاد لا يضمر ولا بد ان تكون منطوقا بها ولو جاز ضميرها لجاز ان يقال قام عبد الله بمعنى كاد عبد
الله يقوم فيكون تاويل قام عبد الله لم يقم عبد الله لان معنى كاد عبد الله يقوم ولم يقم وهذا الذي
ذكره غير صحيح ونظن ان الذي حمله على الطعن على هذا الوجه حكايته له عن ابن قتيبة لان من شانه ان يرد
كلما ياتي به ابن قتيبة وان تعسف في الطعن عليه والذي استبعده غير بعيد لان كاد قد تضمر في مواضع
يقتضيها بعض الكلام وان لم تكن في صريحه الا ترى انهم يقولون اوردت على فلان من العتاب والتوبيخ
والتقريع ما مات عنده وخرجت نفسه ولما راى فلان فلانا لم يبق فيه روح وما اشبه ذلك ومعنى جميع
ما ذكرناه المقاربة فلا بد من اضمار كاد فيه وقال جرير

ان العيون التي في طرفها مرض ۝ قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

والمعنى انهن كدن يقتلننا وهذا اكثر في الشعر والكلام من ان نذكره فاما قوله لم يحيين قتلانا
فالظاهر ان معناه انهن لم يزلن ما قاربنا عنده الموت والقتل من الصدود والهجر وما اشبه ذلك وسمين من
الامر حياة ثم سمي ابتداؤها قتلا وقد قيل ان معنى يحيين انهن لم يدين قتلانا من الدية لان دية القتيل
عند العرب حياة له وقد روي ثم لا يحيين قتلانا وهذه الرواية شاذة لم تسمع من عالم ولا تحصل
ومعناها ضعيف ركيك واذا كان الامر على ما ذكرناه لم يمتنع ان يقال قام فلان بمعنى كاد يقوم
اذا دلت الحال على ذلك كما قال مات بمعنى كاد يموت فاما قوله فيكون تاويل قام عبد الله لم يقم عبد الله

الله فخطاء لانه ليس معنى كاد يقوم انه لم يقم كما ظن بل معناه انه قارب القيام ودنا منه فمن قال قام
عبد الله بمعنى كاد يقوم فقد افاد ما لا يفيده قوله لم يقم فاما قوله زاغت الابصار فمعناه زاغت عن
النظر الى كل شي فلم تلتفت الا الى عدوها ويجوز ان يكون المراد زاغت اي حادت ومالت عن القصد في
دهشا وتحيرا فاما قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا فمعناه انكم تظنون مرة انكم تنصرونه وتظهرون
على عدوكم ومرة انكم تبتلون وتمحنون بالتخلية بينكم وبينهم ويجوز ايضا ان يريد تع ان ظنونكم اختلفت وظن
المنافقون منكم خلاف ما وعدكم الله تع من النصر وشكوا في خبره عز وجل كما قال تع حكاية عنهم ما وعدنا
الله ورسوله الا غرورا وظن المومنون ما طابق وعد الله سبحانه وتع كما حكى الله عز وجل عنهم في قوله تع وعده
هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وكل ما ذكرناه واضح في تاويل الاية وما يتعلق بها
يتلوه المجلس الرابع والعشرين مجلس رابع وعشرون تاويل اية ان سال سائل عن قوله تع وجعلنا
نومكم سباتا فقال اذا كان السبات هو النوم فكانه تع قال وجعلنا نومكم نوما وهذا مما لا فايدة فيه الجواب
قيل في هذه الاية وجوه منها ان يكون المراد بالسبات الراحة والدعة وقد قال قوم ان اجتماع الخلق
كان في يوم الجمعة والفراغ منه كان في يوم السبت فسمي اليوم بالسبت للفراغ الذي كان فيه ولان الله
امر بني اسرائيل فيه بالاستراحة من الاعمال قيل واصل السبات التمدد يقال سبتت المراة شعرها
اذا حلته من العقص وارسلته قال الشاعر

وان سبتته مال جثلا كانه ۝ سدى واهلات من نواضح خثعما

ويروى نواسج اراد وان ارسلته ومنها ان يكون المراد بذلك القطع لان السبت القطع والسبت ايضا
الحلق يقال سبت شعره سبتا اذا حلقه وهو يرجع الى معنى القطع والنعال السبتية التي لا شعر عليها قال
عنترة

بطل كان ثيابه في سرحة ۝ يحذى نعال السبت ليس بتوام

ويقال لكل ارض مرتفعة منقطعة مما حولها سبتا وجمعها سبات فيكون المعنى على هذا الوجه جعلنا
نومكم قطعا لاعمالكم وتصرفكم ومن اجاب بهذا الجواب يقول انما سمي يوم السبت بذلك لان بدء الخلق
كان يوم الاحد وجمع يوم الجمعة وقطع يوم السبت فترجع التسمية الى معنى القطع وقد اختلف الناس
في ابتداء الخلق فقال اهل التورية ان الله تع ابتدا في يوم الاحد كان في يوم الاحد والاثنين والثلثا
والاربعا والخميس والجمعة ثم فرغ يوم السبت وهذا قول اهل التورية وقال اخرون ان الابتدا
كان في يوم الاثنين الى يوم السبت وفرغ منه يوم الاحد وهذا قول اهل الانجيل فاما قول اهل
الاسلام فهو ان ابتداء الخلق كان في يوم السبت واتصل الى الخميس وجعلت الجمعة عيدا فعلى هذا القول

يمكن ان يسمى اليوم بالسبت من حيث قطع فيه بعض خلق الارض وقد روى ابو هريرة عن النبي ص انه قال ان الله تعالى خلق التربة في يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الاحد ومنها ان يكون المراد بذلك وجعلنا نومكم سباتا ليس بموت لان النايم قد يفقد من علومه وقصوده واحواله اشيا كثيرة يفقدها الميت فاراد تعالى ان يمتن علينا بان جعل نومنا الذي يضاهي فيه بعض احوالنا احوال الميت ليس بموت على الحقيقة ولا مخرج لنا عن الحياة والادراك فجعل التاكيد بلفظ المصدر قايما مقام نفي الموت وسادا مسده وقوله تعالى وجعلنا نومكم سكنا ليس بموت ويمكن ان يكون في الآية وجه اخر لم يذكر فيها وهو ان السبات ليس هو كل نوم وانما هو من صفات النوم اذا وقع على بعض الوجوه والسبات هو النوم الممتد الطويل السكون ولهذا يقال فيمن وصف بكثرة النوم انه مسبوت وبه سبات ولا يقال ذلك في كل نايم واذا كان الامر على هذا لم يجر قوله تعالى وجعلنا نومكم سباتا مجرى ان يقول وجعلنا نومكم نوما والوجه في الامتنان علينا بان جعل نومنا ممتدا طويلا ظاهرا وهو لما في ذلك لنا من المنفعة والراحة لان التهويم والنوم الغرار لا يكسبان شيا من الراحة بل يصحبهما في الاكثر القلق والانزعاج والهموم وهي التي تقلل النوم وتنزره وفراغ القلب ورخاء البال يكون معهما غزارة النوم وامتداده وهذا واضح [illegible] المرتضى رضي الله عنه وجدت ابا بكر محمد بن القاسم الانباري يطعن على الجواب الذي ذكرناه اولا وهو لابن قتيبة اخذه واعتمده لان الراحة لا يقال لها سبات ولا يقال سبت الرجل بمعنى استراح واراح ويعتمد على الجواب الذي ثنينا بذكره ويقول فيما استشهد به ابن قتيبة من قولهم سبتت المراة شعرها ان معناه ايضا القطع لان ذلك انما يكون بازالة الشداد الذي كان مجموعا به وقطعه والذي ذكره ابن الانباري لا يقدح في جواب ابن قتيبة لانه لا ينكر ان يكون السبات هو الراحة والدعة اذا كانا عن نوم وان لم توصف كل راحة بانها سبات ويكون هذا الاسم يختص بالراحة اذا كانت على هذا الوجه ولهذا نظاير كثيرة في الاسماء واذا امكن ذلك لم يكن في امتناع قولهم سبت الرجل بمعنى استراح في كل موضع دلالة على ان السبات لا يكون اسما للراحة عند النوم الذي بقي علينا ان نبين ان معنى السبات هو النوم للراحة والدعة ويستشهدون على ذلك بشعر او لغة فان البيت الذي ذكرناه اخيرا اقلنا الفرق بينهما بين لان ابن قتيبة جعل السبات نفس الراحة وجعله عبارة عنها واخذ يستشهد على ذلك بالمد دون غيره ونحن جعلنا السبات من صفات النوم والراحة ولعودها عند الامتداد وطول السكون فيه فلا يلزمنا ان يقال سبت الرجل بمعنى استراح لان الشي لا يسمى بما يقع عنه حقيقة والمطابقة مع [illegible] عند السبات وليس السبات الراحة بعينها على ان في الجواب الذي اختاره ابن الانباري [illegible] من الحكم ان السبت وان كان القطع على ما ذكره فلم يسمع فيه البنا الذي ذكره

من ذكره وهو السبات ويحتاج في اثبات مثل هذا البنا الى سماع عن اهل اللغة وقد كان يجب ان يورد من اي وجه كان السبت وهو القطع جاز ان يقال سبات على هذا المعنى ولم نره فعل ذلك [illegible] ان

قال قايل ما تاويل الخبر الذي يروى عن النبي ص انه قال ان الميت يعذب ببكاء الحي عليه وفي رواية اخرى ان الميت يعذب في قبره بالنياحة عليه وقد روى هذا المعنى المغيرة بن شعبة ايضا قال سمعت النبي ص يقول من نيح عليه فانه يعذب بما نيح عليه الجواب انا اذا كنا قد علمنا بادلة العقول التي لا يدخلها الاحتمال والاتساع مجازا قبح مواخذة احد بذنب غيره وعلمنا ذلك ايضا بادلة الشرع مثل قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فلا بد من ان نصرف الظاهر الذي هو مجاز في هذه الادلة الى ما يطابقها والمعنى في الاخبار التي سالنا عنها ان صحت روايتها انه اذا وصى موص بان يناح عليه ففعل ذلك بامره وعن اذنه فانه يعذب بالنياحة وليس معنى يعذب بها انه يواخذ بفعل النواح وانما معناه انه يواخذ بامره بها ووصيته بفعلها وانما قال صلى الله عليه وسلم ذلك لان الجاهلية كانوا يرون البكاء عليهم والنوح ويامرون به ويوكدون الوصية بفعله وهذا مشهور عنهم قال طرفة [illegible] اذا مت فانعيني بما انا اهله وشقي علي الجيب يا ابنة معبد

وقال بشر بن ابي خازم لابنته عمرة

فمن يك سايلا عن بيت بشر فان له بجنب الردة بابا
ثوى في ملحد لا بد منه كفى بالموت نايا واغترابا
رهين بلى وكل فتى سيبلى فاذري الدمع وانتحبي انتحابا

وقد روي عن ابن عباس في هذا الخبر انه قال وهل ابن عمر انما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودي فقال انكم لتبكون عليه وانه ليعذب وقد روي انكار هذا الخبر عليه ايضا عن بعض ازواج النبي انها قالت لما اخبرت بروايته وهل ابو عبد الرحمن كما وهل يوم قليب بدر انما قال عليه السلم ان اهل الميت ليبكون عليه وانه ليعذب بجرمه [illegible] رضي الله عنه معنى وهل اي ذهب وهمه الى غير الصواب يقال وهلت الى الشي فانا اهل وهلا اذا ذهب وهمك اليه ووهلت عنه اهل وهلا اذا نسيته وغلطت فيه ووهل الرجل يوهل وهلا اذا فزع والوهل الفزع فاما القليب فهي البير والجمع القلب قال حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر من المشركين

يناديهم رسول الله ص لما قذفناهم كباكب في القليب
الم تجدوا حديثي كان حقا وامر الله ياخذ بالقلوب

وقال اخر يبكي قتلى بدر من المشركين

فماذا بالقليب قليب بدر من القينات والشرب الكرام
وماذا بالقليب قليب بدر من الشيزى تكلل بالسنام

ومعنى قوله في ذكر القليب انه روي ان النبي ص وقف على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعد ربكم
حقا ثم قال عليه السلم انهم ليسمعون ما اقول فانكر ذلك عليه السلم وقيل انما قال عليه السلم انهم الان ليعلمون
ان الذي كنت اقول لهم هو الحق واستشهد عليه السلم بقوله تع فانك لا تسمع الموتى واهل القليب جماعة من
قريش فيهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وغيرهم وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال
بينا النبي ص ذات يوم قائما يصلي بمكة واناس من قريش في حلقة فيهم ابو جهل بن هشام فقال ما يمنع احدكم
ان ياتي الجزور التي نحرها آل فلان فياخذ سلاها ثم ياتي به حتى اذا سجد وضعه على ظهره قال عبد الله
فانبعث اشقى القوم وانا انظر اليه فجاء به حتى وضعه على ظهره قال عبد الله فلو كانت لي يومئذ منعة
لمنعته وجاءت فاطمة عليها السلم وهي يومئذ صبية حتى اماطته عن ظهره عليها السلم ثم جاءت حتى
قامت على رؤوسهم فاوسعتهم شتما قال فوالله رايت بعضهم يضحك حتى انه ليطرح نفسه على صاحبه
من الضحك فلما سلم النبي صلى الله عليه اقبل على القوم وقال اللهم عليك بفلان وفلان فلما راوا
قد دعا عليهم اسقط في ايديهم فوالله الذي لا اله غيره ما سمى النبي ص احدا الا وقد رايته يوم بدر
وقد اخذ برجله الى القليب مقتولا وقوله ياخذ سلاها اي جلدتها التي فيها ولدها ما دام في بطنها و
للجميع الاسلاء قال ابن حبيب الاسلاء التي فيها الاولاد قال الاخطل

يطرحن بالثغر السخال كانما ... يشققن بالاسلاء اردية العصب

وقال الشماخ والعيس دامية المناسم ضمر ... يقذفن بالاسلاء تحت الاركب

قال الفراء اسقط في ايديهم من الندامة وسقط واسقط لغتان وهي بغير الف اكثر واجود ويمكن ان
يكون قوله ع يعذب ببكاء اهله عليه وجه آخر وهو ان يكون المعنى ان الميت اذا علم ببكاء اهله واعزته
عليه وما لحقهم بعده من الحزن والهم تالم بذلك فكان عذابا له والعذاب ليس بجار مجرى العقاب
الذي لا يكون الا على ذنب متقدم بل قد يستعمل كثيرا بحيث يستعمل الضرر والالم الا ترى ان القائل
قد يقول لمن يبتدئه بالضرر والالم قد عذبتني بكذا وكذا واذيتني كما يقول اضررت بي والمتني وانما
يستعمل العقاب حقيقة في الالم المبتدا من حيث كان استعمال لفظة المعاقبة التي لا بد من تقدم سبب لها
وليس هذا في العذاب [illegible] ان سال سائل عن الخبر الذي يرويه ابو هريرة عن النبي ص ما من احد
يدخله عمله الجنة وينجيه من النار قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه
وفضل يقولها ثلاثا فقال اليس هذا دالا على ان الله سبحانه يتفضل بالثواب وانه غير مستحق عليه
وما مذهبكم خلاف ذلك قلنا فاما معناه بيان فقر المكلفين الى الله سبحانه وحاجتهم الى الطافه وتوفيقاته ومعوناته وان العبد لو احوج الى نفسه وقطع الله تعالى مواد المعونة واللطف عنه لم يدخل
بعمله الجنة ولا نجا من النار فكانه عليه السلم اراد انا حملا لا يدخل بعمله الذي لم يعنه الله تعالى عليه ولا
لطف فيه ولا ارشد اليه الجنة وهذا هو الحق الذي لا شبهة فيه فاما الثواب فما يابى القول بانه
تفضل بمعنى ان الله تعالى تفضل بسببه الذي هو التكليف ولهذا نقول انه لا يجب على الله تعالى شي
ابتداء وانما يجب عليه ما اوجبه على نفسه والثواب مما اوجبه على نفسه بالتكليف وكذلك
التمكين والالطاف فكما اوجبه فيجب عليه التكليف ولولا ايجابه له على نفسه بالتكليف لما وجب فان
قيل فقد سمى الرسول عليه السلم ما يفعل به تفضلا فقال عليه السلم الا ان يتغمدني الله برحمة منه
وفضل قلنا هذا يطابق ما ذكرناه لان الرحمة النعمة والثواب نعمة وهو فضل وتفضل من الوجه
الذي ذكرناه وانما حملناه قوله ع برحمة منه على ما يفعل به من الالطاف والمعونات فهي نعمة وفضل
وتفضل لان سببها غير واجب فاما قوله ع يتغمدني فمعناه يسترني يقال غمدت السيف اذا سترته
قال الشاعر

نصبنا رماحا فوقها جد عامر ... كظل السماء كل ارض تغمدا

فالجد هاهنا الحظ وشبه ما قسم لعامر من الغلبة والظفر بظل السماء الذي يستر كل شي ويظله عليه
اخبرنا ابو القسم عبد الله بن عثمان بن يحيى حنيفا قال حدثنا ابو عبد الله احمد بن محمد الحكيمي قراءة قال
املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوي قال اخبرنا ابن الاعرابي قال يقال للقوم اذا دعي عليهم
بهرهم الله والمبهور هو المكذوب وانشدنا

ابرزوها مثل المهاة تهادى ... بين خمس كواعب اتراب
ثم قالوا تحبها قلت بهرا ... عدد القطر والحصى والتراب

[illegible] رضي الله عنه قيل في معنى قوله بهرا غير هذا الوجه اخبرنا ابو عبيد المرزباني قال اخبرني
محمد بن يحيى الصولي قال اخبرنا القسم بن اسماعيل قال اخبرنا التوزي عن ابي عمرو الاسدي قال
سمعت ابا عمرو بن العلا يقول عمر بن ابي ربيعة حجة في العربية وما اخذ عليه شي الا قوله ثم قالوا
تحبها قلت بهرا وله فيه عذر ان اراد الخبر لا الاستفهام كانهم قالوا انت تحبها على جهة الاخبار
منهم لا الاستفهام فوكدوا اخبارهم بحيث بعد هذا لحسن قوله بهرا ويجوز ان يكون اراد نعم حبا بهرني بهرا
ويكون ايضا بمعنى عجبا وتعسا ودعاء عليهم اذ جهلوا من حبه ما لا يجهل مثله وانشد ابو عمرو

لحى الله قوما يدعون مهجتي ... بجارية بهرا لهم بعدها بهرا

قال ابو عمرو ويكون بهرا بمعنى ظاهرا اي بين حبها ظاهرا من قولهم قمر باهر وقد روى بعض الرواة

انه قال لي هل تحبها قلت بهرا . والرواية الاولى هي المشهورة ولعل من روى ذلك في هذه الرواية من
اللحن هذان البيتان لعمر بن ابي ربيعة المخزومي في ابيات منها

من رسولي الى الثريا باني ... ضقت ذرعا بهجرها والكتاب
هي مكنونة تحير منها ... في اديم الخدين ماء الشباب
سلبتني مجاجة المسك عقلي ... فسلوها بما يحل اغتصابي
ازهقت ام نوفل اذ دعتها ... مهجتي ما لقاتلي من متاب
حين قالت لها اجيبي فقالت ... من دعاني قالت ابو الخطاب
ابرزوها مثل المهاة تهادى ... بين خمس كواعب اتراب
ثم قالوا تحبها قلت بهرا ... عدد القطر والحصى والتراب

والثريا هذه التي عناها عمر بن ابي ربيعة اموية وقد اختلف نسبها فقيل انها بنت عبد الله بن الحرث بن امية الاصغر بن عبد شمس وقيل انها الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحرث بن امية الاصغر وذكر الزبير بن بكار ان الثريا هي بنت علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحرث بن امية الاصغر وانها اخت محمد بن عبد الله المعروف بابن ابي جراب العبلي الذي قتله داود بن علي واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني عمر بن ابرهيم قال اخبرنا احمد بن يحيى عن الزبير بن بكار قال حدثني مومن بن عمر بن افلح قال حدثني بلال مولى ابن ابي عتيق في حديث طويل لعمر بن ابي ربيعة مع الثريا اختصرناه واوردنا بعضه قال سمع ابن ابي عتيق قول عمر من رسولي الى الثريا فقال اياي اراد وبي نوه لا جرم والله لا اذوق اكالا حتى اشخص اليه لاصلح بينهما ونهض ونهضت معه فجاء قوما من بني الديل بن بكر لم تغادرهم النجايب يكرونها فاكترى منهم راحلتين واغلى لهم بهما فقلت له استوضعهم شيا فقال دعني ما كسهم فقد اشتطوا فقال لي ويحك ما علمت ان المكاس ليس من خلق الكرام وركب احدهما وركبت الاخرى فسار سيرا شديدا فقلت له ارفق على نفسك فان ما تريد لا يفوتك فقال

ابادر حبل الود ان يتقضبا ... وما ملح الدنيا ان يتم الصدع بين عمر والثريا فقدمنا مكة غير محرمين فدق على عمر بابه فخرج اليه وسلم عليه فما نزل ابن ابي عتيق عن راحلته وقال لعمر اركب معي اصلح بينك وبين الثريا فانا رسولك الذي سالت عنه فركب معه فقدمنا الى الطايف فقال ابن ابي عتيق هذا عمر قد جشمني السفر من المدينة اليك فجيتك به معترفا بذنب لم يجنه متعذرا من اساته اليه فدعيني من التعداد والترداد فانهما ... والذين يقولون ما لا يفعلون فصالحته احسن صلح وكررنا الى المدينة ولم يقم ابن ابي عتيق

عتيق بمكة ساعة وفي الثريا يقول عمر ايضا لما تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف المكني بابي الابيض وقيل بل تزوجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان

ايها المنكح الثريا سهيلا ... عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت ... وسهيل اذا استهل يماني

[illegible] تاويل آية ان سال سايل عن قوله تعـ فغشيهم من اليم ما غشيهم فقال ما الفايدة في قوله ما غشيهم وما الوجه في ذلك قلنا قد ذكر في هذا اجوبة احدها ان يكون المعنى فغشيهم من ماء اليم البعض الذي غشيهم لانه لم يغشهم جميع مايه بل غشيهم بعضه فقال تعـ ما غشيهم ليدل على ان الذي غرقهم بعض الماء وانهم لم يغرقوا بجميعه وهذا الوجه يحكى عن الفرا وذكره ابن الانباري ولعمد ابن الانباري واعتمد غيره اوضح منه واليم البحر قال الشاعر

وبنى تبع على اليم قصرا ... عاليا مشرفا على البنيان

والثاني ان يكون المعنى فغشيهم من اليم ما غشي موسى واصحابه وذلك ان موسى عليه السلم واصحابه وفرعون واصحابه سلكوا جميعا البحر وغشيهم كلهم الا ان فرعون وقومه لما غشيهم غرقهم وموسى عليه السلم وقومه جعل الله لهم في البحر طريقا يبسا والهاء والميم في قوله تعـ كناية عن غير من كني عنه بقوله فغشيهم لان الاولى كناية عن فرعون وقومه والثانية كناية عن موسى وقومه والثالث انه غشيهم من عذاب اليم واهلاكه لهم ما غشي الامم السالفة من العذاب والهلاك عند تكذيبهم انبيآيهم واقامتهم على ردا فعالهم والعدول عن ارشادهم وللامم السالفة وان لم يغشهم العذاب [illegible] لك من قبل البحر فقد غشيهم عذاب واهلاك استحقوه بما كفرهم وتكذيبهم انبياهم فشبه بينهم وبين هولاء من حيث اشتمال العذاب على جميعهم عقوبة على التكذيب ورابعها ان يكون المعنى فغشيهم من قبل اليم ما غشيهم من العطب والهلاك فيكون لفظ غشيهم الاولى للبحر والثانية للهلاك والعطب اللذين لحقاهم من قبل البحر ويمكن في الآية وجه خامس لم يذكر فيهما وهو اوضح من يليق بمذاهب العرب في استعمال مثل هذا اللفظ وهو ان يكون الفايدة في قوله تعـ ما غشيهم تعظيم الامر وتفخيمه كما يقول القايل فعل فلان ما فعل واقدم على ما اقدم اذا اراد التفخيم وكما قال الله تعـ وفعلت فعلتك التي فعلت وما جرى هذا المجرى ويدخل في هذا الباب قولهم للرجل هذا وانت انت وفي القوم هم هم قال الهذلي

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع ... فقلت وانكرت الوجوه هم هم

وقال ابو النجم ... انا ابو النجم وشعري شعري ... كل ذلك اذا ارادوا تعظيم الامر وتكبيره

[illegible] ان سال سايل عن قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم فقالوا اما القايل في قوله تعم من فوقهم وهو لا يفيد الا ما يفيد قوله تعم فخر عليهم السقف لان مع الاقتصار على القول الاول لا يذهب وهم احد الى ان السقف لا يخر من تحتهم الجواب قيل له في ذلك اجوبة اولها ان يكون على بمعنى عن فيكون معنى قوله تعم فخر عليهم السقف من فوقهم اي خر عن كفرهم وعن جحودهم بالله تعالى واياته كما يقول القايل اشتكى فلان عن دوا شربه وعلى دوا شربه فيكون على وعن بمعنى واحد اي من اجل الدوا وكذلك معنى الآية خر من اجل كفرهم السقف من فوقهم قال الشاعر

ارمي عليها وهي فرع اجمع وهي ثلاث اذرع واصبع

اراد ارمي عنها لان كلام العرب رميت عن القوس فاقام على مقام عن ولولا انه تعالى قال على هذا المعنى فخر عليهم السقف ولم يقل من فوقهم جاز ان يتوهم متوهم ان السقف خر وليسوا تحته وثانيها ان يكون على بمعنى اللام والمراد فخر لهم السقف فان قد يقام مقام اللام وحكي عن العرب ما اغضك علي وما اغمك علي يريدون ما اغضك واغمك لي وقال الطرماح يصف ناقته كان مخواها على ثفناتها معرس خمس وقعت للجناجن اراد وقعت على الجناجن وهي عظام الصدر واقام اللام مقام على وقد يقول القايل ايضا تداعت على فلان داره واستهدم عليه حايطه ولا يريد انه كان تحته فا[illegible] تعم بقوله من فوقهم عن فايدة لولاه ما فهمت ولجاز ان يتوهم متوهم في قوله تعم فخر عليهم السقف ما يتوهم من قولهم خرب عليه ربعه ووقفت عليه دابته واشباه ذلك وللعرب في مثل هذا مذهب لطيف طريف لانهم لا يستعملون لفظة على في مثل هذا الموضع الا في الشر والامر المكروه الضار ويستعملون اللام وغيرها في ذلك خلاف ذلك الا ترى انهم لا يقولون عمرت على فلان ضيعته بدلا من قولهم خربت عليه ضيعته ولا ولدت عليه جاريته بل يقولون عمرت له ضيعته وولدت له جاريته وهكذا من شانهم اذا قالوا قال علي وروى علي فانه يقال في الشر والكذب وفي الخير والحق يقولون قال عني ومثل ذلك قوله تعم واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ولانهم اضافوا الشر والكفر الى ملك سليمان حسن ان يقال يتلون عليه ولو كان خيرا لقيل عنه ومثل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون وقوله تعم اتقولون على الله ما لا تعلمون وقال الشاعر

عرضت نصيحة مني ليحيى فقال غششتني والنصح مر
وما بي ان اكون اعيب يحيى ويحيى طاهر الاخلاق بر
ولكن قد اتاني ان يحيى يقال عليه في بقعاء شر

فقلت

فقلت له تجنب كل شي يعاب عليك ان الحر حر

ومثله قول الفرزدق في عنبسة بن معدان المعروف بعنبسة الفيل وقد كان يتتبع شعره ويخطيه ويلحنه

لقد كان في معدان والفيل زاجر بعنبسة الراوي علي القصايدا

فقال علي ولم يقل عني للمعنى الذي ذكرناه وثالث الوجوه في الآية ان يكون من فوقهم تاكيدا للكلام وزيادة في البيان كما قال تعم ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وان القلب لا يكون الا في الصدر ونظاير ذلك في الكتاب وكلام العرب [illegible] ان سال سايل عن الخبر الذي يرويه ناضح عن ابي اسحاق الهجري عن الاحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلعم انه قال ان هذا القران مادبة الله فتعلموا مادبته ما استطعتم وان اصفر البيوت لجوف اصفر من كتاب الله تعم فقال ما تاويله وكيف بيان غريبه الجواب قلنا المادبة في كلام العرب هي الطعام يصطنعه الرجل ويدعو الناس اليه فشبه عليه السلم ما يكتسبه الانسان من خير القران ونفعه وعايدته عليه اذا قراه وحفظه بما يناله المدعو من طعام الداعي وانتفاعه به ويقال قد ادب الرجل يادب ادبا فهو ادب اذا دعا الناس الى طعامه ويقال للمادبة المدعاة وذكر الاحمر انه يقال فيها ايضا مادبة بفتح الدال قال طرفة

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الادب فينا ينتقر

ومعنى الجفلى انه عم بدعوته ولم يخص بها قوما دون قوم ومعنى ينتقر من النقرى انه يخص بها بعضا دون بعض قال بعض هذيل

وليلة يصطلي بالفرث جازرها يختص بالنقرى المثرين داعيها
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة عند الصباح ولا تسري افاعيها

معنى يصطلي بالفرث جازرها اي ان الجازر اذا شق الكرش دخل يديه لشدة البرد في الفرث مستدفيا به ومعنى يختص بالنقرى المثرين داعيها اي يختص بدعايه الى طعامه الاغنياء الذين يطمع من جهتهم في المكافاة وقال الآخر

قالوا ثلاثاء وخلبث ومادبة وكل ايامه يوم الثلثاء

وقال الهذلي يصف عقابا

كان قلوب الطير في جوف وكرها نوى القسب يلقى عند بعض المادب

اراد جمع مادبة وقد روي هذا الحديث بفتح المادبة وقال الاحمر المراد بهذه اللفظة مع الفتح هو المراد بها مع الضم وقال غيره المادبة بفتح الدال مفعلة من الادب معناه ان الله تعم انزل القران ادبا للخلق وتقويما لهم وانما دخلت الهاء في مادبة ومادبة والقران مذكر لمعنى المبالغة كما قالوا هذا شراب مطيبة للنفس وكما قال عنترة والكفر مخبثة لنفس المنعم وجرى ذلك مجرى قولهم رجل نسابة وعلامة

في باب المدح على جهة التشبيه بالداهية وتجعل هلباجة في باب الذم على جهة التشبيه بالبهيمة ويقال لطعام الاملاك وليمة ولطعام الزفاف العرس ولطعام الختان العذيرة ولطعام بناء الدار الوكيرة وللطعام حلق الشعر العقيقة ولطعام القادم من سفر النقيعة ولطعام النفاس الخرس وللذي تطعمه النفساء الخرسة قال الشاعر اذا الاذ المخرس

اذا النفساء لم تخرس ببكرها ٭ غلاما ولم يسكت بحتر فطيمها

الحتر الشيء القليل وقال الآخر

كل الطعام يشتهي ربيعه ٭ الخرس والاعذار والنقيعه

ويروى الخرس ايضا وينشد ايضا في النقيعه

انا لنضرب بالسيوف رؤوسهم ٭ ضرب القدار نقيعة القدام

والقدار الجزار والقدام جمع قادم قال ابو زيد يقال لطعام الاملاك النقيعة ولطعام بناء الدار الوكرة والوكيرة ولطعام الختان الاعذار والعذيرة قال الفراء الشندخي طعام الاملاك والوليمة طعام العرس وقال ابو زيد يقال من النقيعة نقعت وقال الفراء يقال منها انقعت وقال ابن السكيت يقال للطعام الذي يتعلل به قبل الغداء السلفة واللهنة يقال لهنوا ضيفكم اي اطعموه اللهنة قال الشاعر

عجبت كارهتها منقل ٭ طعامها اللهنة او اقل

قال ابن السكيت ويقال فلان ياكل الوجبة اذا كان ياكل اكلة في اليوم وقال الاصمعي فلان ياكل الوجبة اذا كان ياكل في اليوم والليلة اكلة وقال بشار

فاستغن بالوجبات عن ذهب ٭ لم يبق قبلك لامرئ ذهبه

وقال ابن السكيت قال الاصمعي لرجل اسرع في سيره كيف كان سيركم فقال كنت آكل الوجبة وانجو الوقعة واعرس اذا افجرت وارتحل اذا اسفرت واسير الوضع واجتنب الملع فجئتكم لمسي سبع قوله انجو الوقعة معناه اقضي الحاجة مرة في اليوم وهو من النجو وقوله واسير الوضع فالوضع سير فيه بعض الاسراع والملع سير اشد منه اراد انه يجتنب السير الشديد من السير كراهة ان تنقطع قبل ان يبلغ الارض التي يقصدها ويقال شر السير الحقحقة اي السير الشديد الذي يقطع صاحبه عن بلوغ بغيته قال الشاعر اذا ما اردت الارض ثم تباعدت ٭ عليك فخفض رحل المطية وانزل

واسرح حتى تقوى على السير وان تجهدت نفسك لم تقطع ارضا ولم تبق ظهرا وهذا من ابيات المعاني التي لم يتنبه لمعناها والذي قيل فيه ما ذكرناه وهذا كما روي عن النبي عم انه قال ان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى ويمكن ان يكون معنى البيت اذا بعدت عليك ارض فانزل عنها وتسلَّ عنها كما يقال دواء ما عز مطلبه الصبر فهذا يجري مجرى ذلك من الفاظ التسلية والامر بالعدول عن تتبع ما صعب من الامور وقال آخر في معنى البيت الاول

تقطع بالنزول الارض عنا ٭ وبعد الارض يقطعه النزول

وقوله جئتكم لمسي سبع معناه لمسا سبع ليال ويقال للذي يحضر طعام القوم من غير ان يدعى اليه الوارش والورش وقول العامة طفيلي مولد لا يوجد في العتيق من كلام العرب وانما كان يقال له طفيل كان بالكوفة لا يتعدى عن وليمة من غير ان يدعى اليها فقيل للوارش طفيلي تشبيها بطفيل هذا في وقته ويقال للذي يحضر شراب القوم من غير ان يدعى واغل قال امرؤ القيس

فاليوم اشرب غير مستحقب ٭ اثما من الله ولا واغل

ويقال لما يشربه الواغل الوغل قال الشاعر

ان اك مسكرا فلا اشرب الوغل ٭ ولا يسلم مني البعير

وقوله صلعم ان اصفر البيوت لجوف اصفر من كتاب الله تع معناه اخلى البيوت والصفر عند العرب الخالي من الآنية وغيرها ويمكن في قوله مادبة وجه آخر وهو ان يكون وجه التشبيه للقران بالمادبة وتسميته بها من حيث دعاء الخلق اليه وامرهم بالاجتماع عليه فسماه مادبة لهذا الوجه لان المادبة هي التي يدعى اليها الناس ويجتمعون عليها وهذا الوجه يخالف الاول لان الاول تضمن ان وجه التشبيه من حيث النفع العايد على الحافظ للقران كما ينتفع المدعو الى المادبة بما يصيبه من الطعام وهذا الوجه الآخر تضمن ان التشبيه وقع لاجتماع الناس في الدعاء اليه والارشاد الى اصابته وليس بعيدا ان يريد عليه السلم بالخبر المعنيين معا فلا تنافي فيهما اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال كنا في مجلس الاصمعي اذ اقبل اعرابي فقال اين عميدكم فاشرنا الى الاصمعي فقال له ما معنى قول الشاعر

لا مال الا العطاف توزره ٭ ام ثلاثين وابنة الجبل

فقال الاصمعي

عصرته نطفة تضمنها ٭ لصب تلقى مواقع السبل

او وجبة من جناة اشكله ٭ ان لم يرعها بالقوس لم تنل

قال فادبر الاعرابي وهو يقول لم ار كاليوم عضلة قال ابن دريد انما وصف رجلا خائفا في راس جبل يقول لا مال له الا العطاف وهو السيف توزره ام ثلاثين يعني كنانة فيها ثلاثون سهما وابنة الجبل يعني القوس لانها تعمل من شجر الجبال مثل النبع وغيره وقوله لا يرتقي البز في ذا ذلك لانه في راس جبل

لا أن هناك ما يتعلق بما يفضل من ثيابه ولا يمل بعدي تعليه عنها والعصر الملجأ والنطفة الماء المجتمع في صخر أو غيره من بقية ماء المطر لم يغير واللصب الشق في الجبل أضيق من اللهب وأوسع من الشعب والجبل المطر والوجبة أن يأكل كل يوم مرة والأشكل السدر الجبلي واحده أشكلة يقول هذه النطفة والوجبة من الأشكل عصرتاه وقوله مرتها بالقوس يعني بها الاحتيال بالنبل حتى تحرك بالقوس

المرتضى رضي الله عنه إنما جعل الأصمعي إنشاد بيت الشعر دلالة على معرفة معناه لأنه لا يبعد أن يعرفها ولا يعرف معناها والأعرابي لما سأل عن المعنى فأقام إنشاده لها مقام تفسيرها واستغنى الأعرابي بذلك وتمام الأبيات معرفة معناها وكان الأصمعي كثيرا إذا أنشد شيئا من الشعر كان ينشد في معناه في الحال فمن ذلك أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنشد يوما لنفسه إذا كانت الأحرار أصلي ومنصبي

وقام بنصري حازم وابن حازم عطست بأنف شامخ وتناولت يداي الثريا قاعدا غير قائم

قال فلما فرغت من إنشادهما أنشد بعقب ذلك

ألا أيها السائلي جاهلا ليعرفني أنا أنف الكرم
نمت في الكرام بني عامر فروعي وأصلي قريش العجم

قال فجاء والله بالشعر الذي يحوته وعلمت بيتي عليه أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال أخبرنا عون بن محمد قال حدثنا إسحق بن إبراهيم قال ما أنشدت الأصمعي شيئا قط إلا أنشدني مثله كأنما أعد لي فأنشدته يوما للأعشى

علقتها عرضا وعلقت رجلا غيري وعلق أخرى غيرها الرجل

فأنشدني وقد

فليتك بنت أخولوي إذ رمت وأصاب شكلك ذو رميت سواها
وأعارها الحلي من ملك حقه وأعار غيرك ودها وهواها

وذكر أبو العيناء قال كان الأصمعي إذا سمع إنسانا ينشد شعرا في معنى أنشد في ذلك المعنى من غير أن أراده فأنشده رجل قول القطامي

والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهي ولأم المخطئ الهبل

وأنشد هو قول قعنب الفزاري

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

ودوى

وروى ميمون بن هرون قال سمعت إسحق بن إبراهيم يقول أنشدت الأصمعي قول الأعشى طلبا أن ينشدني مثله وكان مع بخله بالعلم لا يفتر بمثل هذا

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنزلون فإنا معشر نزل

فأنشدني لربيعة بن مقروم الضبي

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها بسليم أوظفة القوائم هيكل
فدعوا نزال فكنت أول نازل وعلام أركبه إذا لم أنزل

وروى إسحق بن إبراهيم أيضا قال دخل يوما الأصمعي إلي وعندي أخ للعماني الراجز حافظ راوية فلما دخل عرفت به أخ العماني فقال له فمن هنا هو الباهلي الذي يقول

فما صخرة ما دومة بأهالة بالطيب منها ولا اقطرب

فقال التجمل أن يستتم كل أحد هو على كل حال بأصلح من قول أخيك العماني

يا رب جارية حوراء ناعمة كأنها عومة في جوف اقود

قال إسحق فقلت له ألست تعرف هذا قال لا ولكن ما من شيء إلا وأنا أعرف منه طرفا

إن سأل سائل عن قول الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم أي معنى لقوله تعالى بأفواههم ومعلوم أن القول لا يكون إلا بالأفواه الجواب قلنا القول يحتمل معنيين في لغة العرب أحدهما القول باللسان والآخر بالقلب فالقول الذي ينضاف إلى القلب هو الظن والاعتقاد ولهذا المعنى ذهبت العرب بالقول مذهب الظن فقالوا تقول عبد الله خارجا ومتى تقول محمدا منطلقا يريدون متى تظن قال الشاعر

أما الرحيل فدون بعد غد فمتى تقول الدار تجمعنا

أراد متى تظن الدار وقال الآخر

أجهالا تقول بني لؤي لعمر أبيك أم متجاهلينا

أراد أتظن بني لؤي وقال توبة بن الحمير

ألا يا صفي النفس كيف تقولها لو أن طريدا خائفا يستجيرها
تخبر إن شطت بها غربة النوى ستنعم ليلى أو يفك أسيرها

أراد كيف تظنها ولما كان يستعمل في الأمرين معا أفاد قوله تعالى بأفواههم قصر المعنى على ما يكون باللسان دون القلب ولو أطلق ولم يأت بذكر الأفواه جاز أن يتوهم المعنى الآخر ومما يشهد لذلك قوله عز وجل

اذا جاءك المنافقون قالوا انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فلم يكذبهم تعالى في قولهم المستقيم لانهم لم يخبروا بافواههم الا بالحق بما يرجع الى قلوبهم من الاعتقادات ووجه آخر وهو ان تكون الفايدة في قوله تعالى بافواههم ان القول لا برهان عليه وانه باطل كذب لا يرجع فيه الى مجرد القول باللسان قد يقول بلسانه الحق والباطل وانما يكون قوله حقا اذا كان راجعا الى البرهان فيكون اضافة القول الى اللسان يقتضي ما ذكرناه من الفايدة وهذا كما يقول القايل لمن يشك في قوله او يكذبه هكذا تقول وليس الشان فيما تقوله وتتفوه به وتقلب به لسانك فكانهم ارادوا ان يقولوا هذا قول لا برهان عليه فاما قولهم وهكذا قول بلسانك وانما يقولون بافواههم مقام ذلك والمعنى انه قول لا يعضده حجة ولا برهان ولا يرجع فيه الا الى اللسان ووجه آخر وهو ان تكون الفايدة في ذلك التاكيد فقد جرت به عادة العرب في كلامها وما تقدم من الوجهين اولى لان حمل كلامه تعالى على الفايدة اولى من حمله على ما يسقط معه [illegible] ان سال سايل عن قوله تعالى الم ياتكم نبو الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فقال اي معنى اراد برد الايدي في الافواه واي مدخل لذلك في التكذيب بالرسل عليهم السلام الجواب قلنا في ذلك وجوه اولها ان يكون اخبارا عن القوم بانهم ردوا ايديهم في افواههم عاضين عليها غيظا وحنقا على الانبياء عليهم السلام كما يفعل المتوعد لغيره البالغ في معاداته ومكايدته وهذه عادة معروفة في المغيظ والمحنق انه يعض على اصابعه ويفرك انامله ويضرب باحدى يديه على الاخرى وما شاكل ذلك من الافعال وثانيها ان يكون الهاء في الايدي للكفار المكذبين والهاء التي في الافواه للرسل عليهم السلام فكانهم لما سمعوا وعظ الرسل ودعاءهم وانذارهم اشاروا بايديهم الى افواه الرسل مانعين لهم عن الكلام كما يفعل المسكت منا لصاحبه الراد لقوله وثالثها ان يكون الهاء في الايدي والافواه معا للرسل والمعنى انهم كانوا ياخذون ايدي الرسل فيضعونها على افواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم ورابعها ان يكون الهاءان جميعا راجعتان الى الكفار لا الى الرسل فيكون المعنى انهم لما سمعوا وعظهم وانذارهم وضعوا ايديهم الى انفسهم على افواههم مشيرين بذلك الى الكف عن الكلام من وضع اصبعه في فيه وخامسها ان يكون المعنى ردوا القول بايدي انفسهم الى افواه الرسل اي انهم كذبوهم ولم يسمعوا الى افواههم فالهاء الاولى للقوم والثانية للرسل وانما ذكرت الايدي مبالغة وتاكيدا كما يقول القايل اهلك فلان نفسه بيده اي تم الهلاك من جهته لا من غيره وسادسها ان يكون المراد بالايدي النعم وفي محمول على الباء والهاء الثانية للقوم المكذبين والتي قبلها للرسل والمعنى ردوا بافواههم نعم الرسل اي ردوا وعظهم وانذارهم وتنبيههم على مصالحهم الذي لو قبلوها لكان نعما عليهم ويجوز ايضا ان يكون الهاء التي في الايدي للقوم الكفار لانها نعم من الله تعالى عليهم ويجوز ايضا فيها اليهم وحمل لفظة في على معنى الباء جايز لقيام بعض الصفات مقام بعض يقولون رضيت عنك ورضيت عليك وحكي في لغة طي ادخلك الله بالجنة يريدون في الجنة فيعبرون بالباء عن معنى في كذلك ايضا يصح ان يعبروا بفي عن الباء قال الشاعر

وارغب فيها عن لقيط ورهطه   ولكنني عن سنبس لست ارغب

اراد وارغب بها فحمل على الباء وما بعدها وهو جواب اختاره ابو مسلم محمد بن بحر وزعم انه وجه غيره المفسرون في قوله ايديهم الرسل وكذلك المضمرون في افواههم والمراد باليد هاهنا ما نطق به الرسل من الحجج والبينات التي ذكر الله تعالى انهم جاءوا بها قومهم واليد في كلام العرب قد تقع على النعمة وعلى السلطان ايضا وعلى الملك وعلى العهد والعقد ولكل ذلك شاهد من كلامهم والذي اتى به الانبياء قومهم هو الحجة والسلطان وهو النعمة وهو العهد كل ذلك يقع عليه اسم اليد ولما كان ما يعظ به الانبياء قومهم وينذرهم به انما يخرج من افواههم فردوه وكذبوا قيل انهم ردوا ايديهم في افواههم اي انهم ردوا القول من حيث جاء قال ويجوز ان يكون الضمير كما اوله بعض المفسرين وذكر ان معناه انهم عضوا انامله غيظا لان رافع يده الى فيه والعاض عليها لا يسمى رادا يده الى فيه الا اذا كان يده في فيه ثم ردها [illegible] المرتضى رحمه الله وليس ما استنكره ابو مسلم من رد الايدي الى الافواه بمستنكر ولا بعيد لانه قد يقال رد يده الى فيه والى وجهه وعاد فلان يقول كذا ورجع يفعل كذا وان لم يتقدم ذلك الفعل ولو لم يسغ هذا القول تحقيقا لجاز تجوزا واتساعا وليس يؤخذ العرب بالتحقيق في كلامها فان تجوزها واستعارتها اكثر على انه يمكن ان يكون المراد بذلك انهم فعلوا ذلك الفعل شيئا بعد شيء وتكرر منهم فلهذا جاز ان يقول ردوا ايديهم في افواههم لانه قد تقدم منهم هذا الفعل فلما تكرر جازت العبارة بالرد عنه وهذا يبطل استبعاده للجواب الذي حكاه الى ان اراده [illegible] وروي ان سالم الخزاعي ثم المصطلقي قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انشده منشد قول سويد بن عامر المصطلقي

لا تامنن وان امسيت في حرم   ان المنايا بكفي كل انسان
واسلك طريقك تمشي غير مختشع   حتى تبين ما يمني لك الماني

وكل ذي صاحب يوما يفارقه ❊ وكل زاد وان ابقيته فاني
والخير والشر مقرونان في قرن ❊ بكل ذلك يأتيك الجديدان

فقال رسول الله صلعم لو ادركته لاسلم فبكى مسلم فقال له ابنه يا ابه ما يبكيك من مشرك مات في الجاهلية فقال يا بني لا تفعل فما رايت مشركة تلقفت من مشرك خيرا من سويد وقوله ما يمني لك الماني معناه ما يقدر لك القادر قال الفرا يقال منى الله عليه الموت اي قدر الله عليه الموت وقال يقال مناك الله بما يسرك اي قدر لك ما يسرك وانشد

لعمر ابي عمرو لقد ساقه المنى ❊ الى جدث يوزى له بالاهاضب

وقال ابن الاعرابي ساقه المنى اي ساقه القدر وانشد ابن الاعرابي

منت لك ان تلاقيني المنايا ❊ احاد احاد في الشهر الحلال

معناه قدرت لك وقال ابو عبيدة في قوله تعالى من نطفة اذا تمنى اذا تخلق وتقدر وقال بعض اهل اللغة انما سميت منى منى لما يمنى فيه من ثواب الله عز وجل اي يقدر فيه وقيل بل لما يمنى فيه من الدم وقيل انما سميت بذلك لان ابراهيم عم لما انتهى اليه قال له الملك تمن قال اتمنى الجنة فسميت منى لذلك ومنى يذكر ويونث والتذكير اجود وقال الشاعر في التذكير سقى منى ثم رواه وساكنه ❊ ومن ثوى فيه واهي الودق منبعق ❊ وقال اخر في التانيث

ليومنا بمنى اذ نحن ننزلها ❊ اسر من يومنا بالعرج او ملل

واما قوله والخير والشر مقرونان في قرن فالقرن الحبل واراد انهما مجموعان لا يفترقان من حيث لا يكاد يصيب الانسان في الدنيا خير صرف ولا شر فيه فلهذا قال انهما مقرونان ويجوز ايضا ان يريد سرعة تقلب الدنيا وابدالها الخير بالشر كان للخير والشر مقرونان مجموعان مع التقارب ما بينهما واما الجديدان فهما الليل والنهار وهما ايضا الاجدان والملوان والردفان والعصران قال الشاعر

ان الجديدين في طول اختلافهما ❊ لا يفسدان ولكن يفسد الناس

ويروى الجديدين وقال اخر

وامطله العصرين حتى يملني ❊ ويرضى بنصف الدين والانف راغم

وقال ابو عبيدة يقال لليل والنهار ابنا سبات وانشد ابن الاعرابي

وكانوا كابني سبات تفرقا ❊ سويا وكان منجدا وتهاميا

ويقال للغداة والعشي القرنان والردفان والبردان. اخبرنا ابو القسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال اخبرنا

ابو عبد الله الحكيمي قال املا علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوي قال انشدنا ابن الاعرابي لرفيع الوالبي

كذبتك ما وعدتك من صلاح ❊ وعسى يكون لما وعدت نجاح
برءا من السقم الطويل ضمانة ❊ لا يستوي سقم بكم وصحاح
اصلاح انك قد رميت فوارسا ❊ وجوانحا ليست لهم جراح لهن
ولقد رايتك في القوادم مرة ❊ وعلي من سدف العشي رياح

ومعنى رياح ههنا اي علي وقت اي العشي ومثله دواح وقوم يروونه بالكسر وليس بشي

فلكان ادجني بغرات الصبى ❊ فاليوم قد شفعت لي الاشباح
وسنى بخبا الشخص شخص مثله ❊ والارض نائية الشخوص ضحاح
حلق الحوادث لمتي فتركن لي ❊ راسا يصل كانه جماح
وذكا باصداغ وقرن ذوابتي ❊ فنبي المشيب كانه مصباح

قال كانه جماح من ملاسته وجماح سهم او قصبة يجعل على طينة ثم يرمي بها الطير وبهذا الاسناد لبعضهم

اري الناس للصعلوك حربا ولا ارى ❊ لذي نسب الا خليلا مصافيا
اري المال يغشى ذا الوصوم فلا يرى ❊ ويدعى من الاشراف من كان غانيا

الصعلوك الفقير ويروى الرسوب والسهوب والوصوم العيوب وبهذا الاسناد لعقيل بن علفة

اني ليحمدني الصديق اذا اجتبى ❊ مالي ويكرهني ذوو الاضغان
واببت تخلجني الهموم كانني ❊ دلو السقاة تمد بالاشطان
واسير بالليل وقد ارى ❊ ان الرؤوس مصارع الفتيان العليل

واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن منصور قال اخبرني محمد بن موسى عن دعبل بن علي قال انشدني قال عقيل بن علفة وذكر الابيات الثلاثة وزاد فيها ❊ ولقد علمت لئن هلكت لتذكرن قولي اذا ما جاء الشجى

[illegible] المرتضى رضي الله عنه كان عقيل بن علفة مع شعره جيد الكلام حكيم الالفاظ وروي المدائني قال قال عبد الملك بن مروان لعقيل بن علفة المري ما احسن اموالكم فقال ما نال احدنا عن جلد تعقلها قال ثم ايها قال العوارثنا قال فايها اشر قال ما استفدناه بوقعة جولت نعما وافادت عنا قال فما مبلغ جودكم قال ما عقدنا به منتنا وابقينا به ذكرا قال فما مبلغ حفاظكم قال يدفع كل رجل منا عن المستجير به كدفاعه عن نفسه قال عبد الملك هكذا فليصف الرجل قومه وروينا انه قيل لعقيل بن علفة عنست بناتك اما تخاف عليهن الفساد قال كلا اني خلفت عندهن الحافظين قيل وما هما قال الجوع والعري

اجيئن فلا يأسرن فأقرهن ولا يظهرن وقال له عبد الملك يوما ما لك تجفو قومك قال لانهم اشباه
الغنم اذا صيح بها رفعت واذا سكت عنها رتعت قال انما يقول البيت والبيتين قال حسبي من القلادة
ما احاط بالعنق وأما معنى علفة اسم ابيه قال ابن الاعرابي العلفة مثل الباقلاء الرطبة تكون تحت الورق
من البقل وغيره قال ابو سعيد السكري العلفة ضرب من اوعية بزر النبات مثل قشرة الباقلاء واللوبيا
وهو الغلاف الذي يجتمع على حبه وقيل ان عقيلا كان يكنى بابي الوليد وكان [illegible] موصوفا بشدة الغيرة
وروى ابو عمرو بن العلاء انه خطب اليه ابنة له فانشأ يقول

اني وان سيق الي المهر الف وعبدان وذود عشر
احب اصهاري الي القبر

وذكر الاصمعي ان عقيلا كان لغيرته اذا رأى رجلا يتحدث
الى النساء اخذه ودهن رفاغه ومغابنه بزبد وربطه وطرحه في قرية النمل فلا يعود الى محادثتهن وروى
الاصمعي قال خرج عقيل بن علفة في بعض سفره ومعه ابنه العملس وابنته الجرباء فانشأ

قضت وطرا من دير سعد وربما على عجل ناطحنه بالجماجم

ثم اقبل على ابنه فقال اجز يا عملس فقال

واصبحن بالموماة يحملن فتية نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم اقبل على ابنته فقال اجيزي يا جربا فقالت

كأن الكرى سقاهم صرخدية عقارا تمشت في المطا والقوائم

قال فاقبل على ابنته يضربها وقال والله ما وصفتها بهذه الصفة حتى شربتها فوثب عليه اخوتها فقاتلوا
دونها فرماه احدهم بسهم فانتظم فخذيه فقال عقيل

ان بني رملوني بالدم من يلق ابطال الرجال يكلم
ومن يكن ذا اود يقوم شنشنة اعرفها من اخزم

الشنشنة الطبيعة والسجية وقيل النشنشة وهذا مثل اخذه عقيل وقد قيل قبله ولعقيل

ولله اثواب فكن في لباسه كلبسته يوما اجد واخلقا
وكن اكيس الكيسى اذا كنت فيهم وان كنت في الحمقى فكن انت احمقا

[illegible] ان سأل سائل عن قوله تعالى والى الله ترجع الامور فقال كيف يصح [illegible]
انما رجعت اليه وهي لم تخرج عن يده الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه احدها ان الناس في دار الدنيا ودار التكليف
قد يغتر بعضهم ببعض فيعتقدون فيهم انهم يملكون جر المنافع وصرف المضار عنهم وقد تدخل الشبهة لبعضهم

لتقصيرهم في النظر وعدولهم عن وجهه وطريقه فيعبدون الاصنام وغيرها من المعبودات الجامدة
التي لا تسمع ولا تبصر ويعبد اخرون البشر ويجعلونهم شركاء لله تعالى فيضيفون نعمه الى غيره فاذا جاءت الآخرة وكشف
الغطاء ولجئوا الى المعارف زال ما كانوا عليه في الدنيا من الضلال واعتقاد الباطل وايقن الكل انه لا
خالق ولا رازق ولا ضار ولا نافع غير الله تعالى فردوا اليه امورهم وانقطعت آمالهم من غيره وعلموا ان الذي
كانوا عليه من عبادة غيره وتأميله للضر والنفع غرور وزور فقال تعالى والى الله ترجع الامور لهذا المعنى
والوجه الثاني ان يكون معنى الآية ان الامور كلها لله تعالى وفي يده وفي قبضته من غير رجوع حقيقي وقد
تقول العرب قد رجع علي من فلان مكروه بمعنى صار الي منه ولم يكن سبق الي قبل هذا الوقت وكذلك
يقولون عاد علي من زيد كذا وان وقع منه على سبيل الابتداء قال الشاعر

فان تكن الايام احسن مرة الي فقد عادت لهن ذنوب

اي صارت لها ذنوب لم تكن من قبل بل كان قبلها احسان فحمل الآية على هذا المعنى سائغ جائز يشهد له
اللغة والوجه الثالث انا قد علمنا ان الله تعالى ملك العباد في دار التكليف امورا تنقطع بانقطاع
التكليف وافضاء الامر الى الدار الآخرة مثل ما ملك الموالي من العبيد وما ملكه من الحكام من الحكم في غير
ذلك فيجوز ان يريد تعالى برجوع الامر اليه انتهاء ما ذكرناه من الامور التي يملكها غيره بتمليكه الى ان يكون
وحده مالكها ومدبرها ويمكن في الآية وجه آخر وهو ان يكون المراد ان الامر ينتهي الى ان لا يكون موجودا
قادر غيره وينتهي الامر في الانتهاء الى ما كان عليه في الابتداء لان قبل انشاء الخلق كذا كانت الصورة
وبعد فنائهم هكذا يصير فيكون الكناية برجوع الامور اليه عن هذا المعنى وهو رجوع حقيقي لانه عاد
الى ما كان عليه متقدما ويحتمل ايضا ان يكون المراد بذلك ان يعود المقدورات الى قدرته لان ما
افناه من مقدوراته الباقية لان ما افناه من مقدوراته الباقية كالجواهر والاعراض الباقية يرجع الى قدرته
ويصح منه تعالى ايجاده لعوده الى ما كان عليه وان كان ذلك لا يصح في مقدورات البشر وان كانت باقية لما دل
الدليل عليه من اختصاص مقدوره بالقدر واستحالة العود فيها من حيث لم يجز فيها التقدم والتأخر
ايضا حكم هو تعالى المنفرد به دون سائر القادرين والله اعلم بما اراد [illegible] ان سأل سائل
عن قوله تعالى وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من ابوابها فقال
اي معنى لذكر البيوت وظهورها وابوابها وهل المراد بذلك البيوت المسكونة على الحقيقة او كنى بهذا
اللفظ عن غيرها فان كان الاول فما الفائدة في اتيانها من ابوابها دون ظهورها وان كانت كناية فبينوا
وجهها ومعناها الجواب قلنا قد قيل في هذه الآية وجوه اولها ما ذكر ان الرجل من العرب اذا قصد حاجة

فلم نقض ولم ينجح فيها رجع فدخل من موخر البيت فلم يدخل من بابه تطيرا فدلهم الله تعالى على ان هذا من فعلهم لا بر فيه وامرهم بالتقى لما ينفعهم ويقربهم اليه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه عن ان يورد ذو عاهة على مصح ومعنى هذا الكلام ان من لحقت ابله افة او مرض فلا ينبغي ان يوردها على ابل غيره صحاح لانه متى لحق الصحاح مثل الافة من تلك الابل ظنها عدوى تابلي فنهى النبي صلى الله عليه عن هذا ليزول المآثم بين الفريقين والظن القبيح وثانيها ان العرب الا قريشا ومن ولدته قريش كانوا اذا احرموا في غير الاشهر الحرم لم يدخلوا بيوتهم من ابوابها ودخلوا من ظهورها اذا كانوا من الوبر واذا كانوا من اهل المدر نقبوا من بيوتهم ما يدخلون ويخرجون منه ولم يدخلوا ويخرجوا من ابواب البيوت فنهاهم الله تعالى عن ذلك واعلمهم انه لا معنى له وانه ليس من البر وثالثها ما اجاب به ابو عبيدة معمر بن المثنى ان المعنى ليس البر بان تطلبوا الخير من غير اهله ولتمسوه من غير بابه واتوا البيوت من ابوابها معناه واطلبوا الخير من وجهه ومن عند اهله واربابه وهو جواب ابي علي الجبائي ورابعها ان يكون الغاية في هذا الكلام ضرب من المثل ان ليس البر ان ياتي الرجل الشي من خلاف جهته لان اتيانه من خلاف جهته قبيح الفعل عن جهة الصواب والبر الى الاثم وبين ان البر التقوى وامر بايتان الامور من وجوهها وان تفعل على الوجوه التي لها وجبت وحسنت وجعل ذكر البيوت وظهورها وابوابها مثلا لهذا العادل في الامر عن وجهه في البيت عن بابه وخامسها ان تكون البيوت كناية عن النساء ويكون المعنى واتوا النساء من حيث امركم الله والعرب تسمي المراة بيتا قال الشاعر

مالي اذا انزعها ما اصابت * اكبر غيرني ام بيت

اراد بالبيت المراة ومما يمكن ان يكون شاهدا للجواب الذي حكيناه عن ابي علي الجبائي والجواب عن ابي عبيدة ايضا ما اخبرنا به ابو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد الحكيمي قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوي قال انشدنا ابن الاعرابي

اني عجبت لام العمر اذ حزنت * من شيب راسي وما بالشيب من عار

ويروى لام الغمر بالغين المعجمة

ما شقوة المرء بالاقتار يقتره * ولا سعادته يوما باكثار
ان الشقي الذي في النار منزله * والفوز فوز الذي ينجو من النار
اعوذ بالله من امر يزين لي * شتم العشيرة او يدني من العار
وخير دنيا ينسي شر اخرة * وسوف يدني الى الجنا الهاري
لا ادخل البيت احبو من مؤخره * ولا اكسر في ابن العم اظفاري

فقوله

فقوله لا ادخل البيت احبو من مؤخره يحتمل ان يريد به لا اتي الامور من غير وجهها على احد الاجوبة في الاية ويحتمل ايضا انني لا اطلب الخير من غير اهله على جواب ابي عبيدة ويحتمل وجها اخر وهو ان يريد انني لا اقصد البيت للريبة والفساد لان من شان من يسعى الى فساد الحرم ويقصد البيوت للريبة ان يعدل عن ابوابها طلبا للاخفاء امره وكانه نفى عن نفسه بهذا القول القبيح وتنزه عنه كما تنزه بقوله ولا اكسر في ابن العم اظفاري عن مثله واراد انه لا يبدي لابن العم مني الشر ولا ينال منه الشي من جهتي فاكون كاني قد جرحته باظفاري وكسرتها في لحمه وهذه كنايات بليغة مشهورة للعرب يجري مجرى هذه الابيات ويقاربها في المعنى وحسن الكناية قول هلال بن خثعم بن

واني لعف عن زيارة جارتي * واني لمشنوء الي اغتيابها
اذا غاب عنها بعلها لم اكن لها * زؤورا ولم تنبح علي كلابها
وما انا بالداري احاديث بيتها * ولا عالم من اي حوك ثيابها
وان قراب البطن يكفيك ملؤه * ويكفيك سوات الامور اجتنابها

قال المرتضى رضي الله عنه وقد جمعت هذه الابيات فقرا عجيبة وكنايات بليغة لانه نفى عن نفسه زيارة جارته عند غيبة بعلها وخص حال الغيبة لانها ادنى الى الريبة واخص بالتهمة وقال ولم تنبح علي كلابها اراد انني لا اطرقها ليلا مستخفيا متنكرا فتنكرني كلابها وتنبحني وهذه كناية تجري مجرى قول الشاعر المتقدم لا ادخل البيت احبو من مؤخره وقد روي ولم تانس الي كلابها وهذا معنى آخر كانه اراد ليس يكثر الطروق اليها والغشيان لمنزلها فتانس بي كلابها لان الانس لا يكون الا مع المواصلة والمواترة وقوله وما انا بالداري احاديث بيتها اراد انه تاكيد لنفي زيارتها وطروقها عن نفسه لانه اذا ادمن الزيارة عرف احاديث بيتها واذا لم يزر وصار ممن لم يعرف ويحتمل ان يريد انني لا اسال عن احوالها واحاديثها كما يفعل اهل الفضول فنزه نفسه عن ذلك وقوله ولا عالم من اي حوك ثيابها كناية مليحة عن انه يجتمع معها ولا يقرب منها فيعرف ويصف ثيابها وبالاسناد المتقدم لحارثة بن بدر الغداني اذا الهم امسى وهو داء فامضه * ولست بممضيه وانت تعادله

ولا تنزلن امر الشديد بامرئ * اذا هم امرا سوفته عواذله
فهما كلما حاولتنا الموت دونه * ولا دون نار صاده وحبايله
وما الفتك الا امرت فيه والذي * تحدث من لاقيت انك فاعله
وما الفتك الا لامرئ ذي حفيظة * اذا هم لم ترعد عليه خصايله
فلا تجعلن سرا الى غير اهله * فتغدو اذا افشا عليك تجادله

ولا تسل المال البخيل لمغنى مثابي بعد ضر او بشر او بلد ..
ارى المال افيا الظلال فتارة يؤوب واخرى تخبل المال خابله ..

معنى امرت فيداي شاورت والخصايل كل لحم مجتمع وقد روي في هذه الابيات زيادة على القدر الذي ذكرناه اخبرنا المرزباني قال اخبرنا الحسين بن علي قال اخبرنا محمد بن العباس قال حدثني المفضل بن غسان المنهال المهلبي قال من الابيات السابقة قول حارثة بن بدر الغداني ..

لعمرك ما ابقى لي الدهر من اخ حفي ولا ذي خلة لي اواصله
ولا من خليل ليس فيه غوايل وشر الاخلاء الكثير غوايله
وقل للفواد ان نزى بك نزوة من الروع افرخ اكثر الروع باطله

معنى افرخ اسكن يقال افرخ روعه اذا سكن وما كلها حاولته الموت دونه ولا دونه ارصاده وحبايله وذكر البيتين اللذين بعده فزاد

وكن انت ترتب صدر نفسك واعلمن بان اقل الناس للسر حامله
اذا ما قبلت الشيء علما فقل به ولا تقل الشيء الذي انت جاهله

ومما يستحسن لحارثة بن بدر قوله

لنا نبعة كانت تقينا فروعها وقد بلغت الا قليلا عروقها
وانا لتستحلي المنايا نفوسنا ونترك اخرى مرة ما نذوقها
وشيب راسي قبل حين مشيبها رعود المنايا بيننا وبروقها

قوله لنا نبعة كانت تقينا مثل ضربه وانما اراد عشيرته واهل بيته وقد روى هذه الابيات علي بن سليمان الاخفش عن ابي العباس ثعلب فزاد فيها

رايت المنايا باديات وعودا الى دارنا سهلا الينا طريقها
وقد قسمت نفسي فريقين منهما فريق مع الموتى وعندي فريقها
وبينا ترجى النفس ما هو نازح من الامر لاقت دونه ما يعوقها

وروى لنا الميناوي قال انشد الشعبي عبد الله بن جعفر الابيات الثلاثة الاول فقال عبد الله لمن هذه يا شعبي فقال لحارثة بن بدر قال تراه حق بهذا ثم امر للشعبي باربعمائة دينار ومما يستحسن من قوله

ولقد وليت امارة فرقتها في المال ساوقة ولم اتمول
ولقد منعت النفس من متقبل ولقد رفدت النفس من لم يقبل

وابي

وباي لمسة لامس لم المس وباي حيلة خايل لم اختل
يا طالب الحاجات يرجو نجحها ليس النجاح مع الاخف الاعجل
واصدق اذا حدثت تكتب صادقا واذا حلفت ممارئا فتحلل

معنى تكتب صادقا اي تكون صادقا عند الله وقوله فتحلل اي استثن

واذا رايت الباهشين الى العلا غبرا اكفهم بريب فاعل .. معنى الباهشين المادين ايديهم الى الشيء المنتشين له

واعزم مكان السوء لا تحلل به واذا نبا بك منزل فتحول
واذا ابن عمك لج بعض لجاجه فانظر به عنه ولا تستعجل
واذا افتقرت فلا تكن متخشعا ترجو الفواضل عند غيره
استغن ما اغناك ربك بالغنى واذا تكون خصاصة فتجمل

واخبرنا المرزباني قال اخبرني محمد بن ابي الازهر قال اخبرنا محمد بن يزيد النحوي قال كان حارثة بن بدر الغداني رجل بني تميم في وقته وكان قد غلب على زياد وكان الشراب قد غلب عليه فقيل لزياد ان هذا قد غلب عليك وهو مستهتر بالشراب فقال زياد كيف باطراح رجل هو يسايرني منذ دخلت العراق ولم يصطك ركابي ركابه ولا تقدمني فنظرت في قفاه ولا تاخر عني فلويت عنقي اليه ولا اخذ علي الشمس في شتاء قط ولا الروح في صيف قط ولا سالته عن علم الا ظننته انه لا يحسن غيره فلما مات زياد جفاه عبيد الله فقال له حارثة ايها الامير ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند ابي المغيرة فقال له عبيد الله ان ابا المغيرة قد كان برع بروعا لا يلحقه معه عيب وانا حدث وانما انسب الى من يغلب علي وانت رجل نديم الشراب فمتى قربتك فظهرت منك رائحة الشراب لم امن ان يظن بي فدع الشراب وكن اول داخل علي واخر خارج عني فقال له حارثة انا لا ادعه لمن يملك ضري ونفعي افادعه للحال عندك قال فاختر من عملي ما شئت قال توليني رامهرمز فانها ارض عذاة وسرق فان بها شرابا وصف لي فولاه اياها فلما شيعه الناس قال انس بن ابي انس وقيل بن ابي اياس الدئلي

احار بن بدر قد وليت امارة وروي ولاية فكن جرذا فيها تخون وتسرق
ولا تحقرن يا حار شيئا وجدته فحظك من ملك العراقين سرق
وباه تميما بالغنى ان للغنى لسانا به المرء الهيوبة ينطق
فان جميع الناس اما مكذب يقول بما تهوى واما مصدق

يقولون اقوالا ولا يعلمونها ،، فان قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

ومن الابيات لابي الاسود الدؤلي وانه كتب بها الى حارثة لما ردت اليه سرق ويزيد فيها

،، وكن حازما في اليوم ان الذي به يجي غد يوم على الناس مطبق ،،
،، ولا تعجزن فالعجز اوطا مركب ،، وما كل من يدعى الى الخير يرزق ،،
،، اذا ما دعاك القوم عدوك كاتبا ،، فكل جار او دع لست ممن تحقق ،،

وقال ان حارثة بن بدر اجاب عن هذه الابيات بقوله

،، جزاك اله العرش خير جزائه ،، فقد قلت معروفا واوصيت كافيا

ويقال ان حارثة بن بدر اشرت بامر لو اشرت بغيره لالفيتني فيه لامرك عاصيا ،،

ويقال ان حارثة بن بدر والاحنف بن قيس دخلا على ابن زياد فقال لحارثة اي الشراب اطيب وكان يتهم فقال برة طاسارية واقطة غنوية وسمنة عنزية وسكرة سوسية ونطفة مسرقانية فقال للاحنف يا ابا بحر اي الشراب اطيب فقال الخمر قال وما يدريك ولست من اهلها قال رايت فيها خصلتين عرفت انها اطيب الشراب بهما قال وما هما قال رايت من احلت له الشراب لا يعداها الى غيرها ومن حرمت عليه يتناولها فعلمت انها اطيب الشراب ولحارثة بن بدر يخاطب عبيد الله بن زياد لما تغير عليه بعد اختصاصه كان به ،،

،، اهان واقصى ثم يتنصحونني ،، واي امرئ يعطي نصيحته قسرا
،، رايت اكف المصلتين عليكم ،، ملاء وكفي من عطاياكم صفرا
ولم يعاتبه ،، وكم من امير قد تجبر بعد ما ،، [illegible] ،،
،، واني مع الساعي اليكم بسيفه ،، اذا احدث الايام في عظمكم كسرا ،،
،، متى تسالوني ما علي وتمنعوا ،، الذي لي لا استطع على ذلكم صبرا ،،
ولم يعاتبه ،، وكم من امير قد تجبر بعد ما ،، مريت له الدنيا بسيفي فدرت ،،
،، اذا زنته عن هوا اتيت به ،، دعا فيه لا ادعى اذا ما اقرت ،،
،، اذا ما هي احلولت فحاق مقسمي ويقسم لي منها اذا ما امرت ،،

[illegible] ويتمثل بابيات حارثة هذه [illegible] عبد الله بن الزبير الاسدي يعاتب معوية ومروان واهل بيته من جملة قصيدة وهي ابيات قريحا ،،

،، عطاؤكم للضاربين رقابكم ،، وندعى اذا ما كان حز الكراكر ،،

اخز

،، اخز اخوكم في المضيق وسهمنا ،، اذا ما قسمتم في العطاء الاصاغر
للعطاء سهام صغار ،،
،، وتدنيكم الادنى اذا ما سالتم ،، ونلقى ببيد حين نسال باسر ،،
،، فان كان فينا الذنب في الناس كله ،، اخذنا به من قبل ناه وامر ،،

معنى من قبل ناه وامر من قبل ان ينهى عنه او يومر باجتنابه ،،

،، وان جاءكم منا غريب بارضكم ،، لويتم له لوما جنوب المناخر ،،
،، فهل يفعل الاعداء الا كفعلكم ،، هوان السراة وابتغاء العواثر ،،
،، ويبعدني عنكم ما فعلتم ،، وذكرى وان منكم متظاهر ،،
،، جفاكم من هاج الحرب عنكم ،، وابعدا وكم من بين جاب وعاسر ،،
،، فلا تسالوني عن هواكم وودكم ،، وكل في فؤاد قد توجد نافر ،،

ولحارثة بن بدر يرثي زيادا

،، لهفي عليك للهفة من خائف ،، يبغي جوارك حين ليس مجير ،،
اما القبور فانهن اوانس ،، بجوار قبرك والديار قبور ،،
،، عمت فواضله فعم مصابه ،، فالناس فيه كلهم ماجور ،،
،، ردت صنائعه اليه حياته ،، فكانه من نشرها منشور ،،

قال المرتضى رضي الله عنه واظن ان ابا تمام نظر الى قول حارثة ردت صنائعه اليه حياته في قوله ،، الم تمت يا شقيق الجود مذ زمن ،، فقال لي لم يمت من لم يمت كرمه ،،

[illegible] واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال انا ابن دريد قال اخبرني عبد الرحمن يعني ابن اخي الاصمعي عن عمه قال مر حارثة بن بدر الغداني ومعه كعب مولاه فجعل لا يمر بمجلس من مجالس بني تميم الا قالوا مرحبا بسيدنا فقال كعب ما سمعت كلاما قط هو اقر لعيني والذ في سمعي مما سمعته اليوم فقال حارثة ولكني ما سمعت كلاما قط هو اكره الي منه وقال ،، ذهب الرجال فسدت غير مسود ،، ومن الشقاء تفردي بالسودد ،، وهذا البيت يقال انه لحارثة الا انه تمثل به اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا عبد الله بن جعفر قال اخبرنا محمد بن يزيد قال قال الكناني مر حارثة بن بدر بالاحنف بن قيس فقال لولا انك مستعجل لشاورتك فقال له الاحنف كانوا يكرهون ان يشاور الجائع حتى يشبع والعطشان حتى ينقع والمضل حتى يجد والغضبان حتى يرضى والحزين حتى يفيق [illegible] تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى

اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب فقال اي تمدح في سرعة الحساب وليس بظاهر المدحة فيه الجواب قلنا في ذلك وجوه اولها ان يكون سريع المجازاة للعباد على اعمالهم وان وقت الجزاء قريب وان تاخر ويجري ذلك مجرى قوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وانما جاز ان يعبر عن المجازاة والجزاء بالحساب لان ما يجزى به العبد هو كفؤ لفعله وبمقداره فهو حساب له اذا كان مماثلا مكافيا ومما يشهد بان في الحساب معنى الكفاية والمكافاة قوله تعالى جزاء من ربك عطاء حسابا اي عطاء كافيا ويقال احسبني الطعام يحسبني احسابا اذا كفاني قال الشاعر

واذ لا ترى في الناس حسنا يفوقها ... وفي الناس حسن لو تاملت محسب

معناه كاف وثانيها ان يكون المراد انه جل وعز يحاسب الخلق جميعا في اوقات يسيرة ويقال ان مقدار ذلك مقدار حلبة شاة لانه تعالى لا يشغله محاسبة بعض عن بعض بل يحاسبهم جميعا على اعمالهم في وقت واحد وهذا احد ما يدل على انه تعالى ليس بجسم وانه لا يحتاج في الكلام الى آلة لانه لو كان بهذه الصفة تعالى عنها لما جاز ان يخاطب اثنين في وقت واحد بخطابين مختلفين ولكان خطاب بعض الناس يشغله عن خطاب غيره ولكانت مدة محاسبة الخلق على اعمالهم طويلة غير يسيرة كما ان جميع ذلك واجب في المحدثين الذين يفتقرون في الكلام الى الآلات وثالثها ما ذكره بعضهم من ان المراد بالآية انه سريع العلم بالمحسوب وانه لما كانت عادة بني الدنيا يستعملوا الحساب والاحصاء في اكثر الامور اعلمهم عز وجل انه يعلم ما يحسبون بغير حساب وانما سمى العلم حسابا لان الحساب انما يراد به العلم وهذا جواب ضعيف لان العلم بالحساب والمحسوب لا يسمى حسابا ولو سمي بذلك لما جاز ايضا ان يقال انه سريع العلم لكن لان العلم بالاشياء ليس مما يتجدد فيوصف بالسرعة ورابعها ان الله تعالى سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك انه يسال في وقت واحد سؤالات مختلفة من امور الدنيا والآخرة فيجزي كل عبد بمقدار استحقاقه ومصلحته ويوصل اليه عند دعائه ومسئلته ما يستوجبه بجده ومقداره فلو كان الامر على ما يتعارفه الناس لطال العدد واتصل الحساب فاعلمنا تعالى انه سريع الحساب اي سريع لطالب القبول للدعاء بغير احتباس فيه وبحث عن المقدار الذي يستحقه الداعي كما يحتبس المخلوقون للحساب والاحصاء وهذا الجواب ايضا مبني على دعوى ان قبول الدعاء يسمى حسابا في لغة ولا عرف ولا شرع وقد كان ينبغي لمن اجاب بهذا الجواب ان يستشهد على ذلك بما يكون حجة فيه والا فلا طائل فيما ذكره ويمكن في الآية وجه آخر وهو ان يكون المراد بالحساب محاسبة الخلق على اعمالهم يوم القيمة وموافقتهم ويكون الغاية في الاخبار بسرعته الاخبار عن قرب الساعة كما قال تعالى سريع العقاب وليس لاحد ان يقول هذا

هذا هو الجواب الاول الذي حكيناه وذلك ان بينهما فرقا لان الاول مبني على ان الحساب في الآية هو الجزاء والمكافاة على الاعمال وفي هذا الجواب لم يخرج الحساب عن بابه وعن معنى الحساب المحاسبة المعروفة والمقابلة بالاعمال او ترجيحها وذلك غير الجزاء الذي يفضي الحساب اليه وقد طعن بعضهم في الجواب الثاني الذي ذكرناه معترضا على ابي علي الجبائي رحمه الله في اعتماده اياه بان قال مخرج الكلام في الآية مخرج الوعيد وليس في خفة الحساب وسرعة زمانه ما يقتضي زجرا ولا هو مما يتوعد بمثله فيجب ان يكون المراد الاخبار عن قرب امر الآخرة والمجازاة على الاعمال وهذا الجواب ليس ابو علي رحمه الله هو المتفرد به بل قد حكي عن الحسن البصري واعتمده ايضا قطرب بن المستنير النحوي وذكره المفضل بن سلمة وليس الطعن الذي حكيناه عن هذا الطاعن مبطل له لانه اعتمد على ان مخرج الآية مخرج الوعيد وليس كذلك لانه قال تعالى ومن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويكون راجعا الى الجميع فيكون المعنى ان للجميع نصيبا مما كسبوا فلا يكون وعيدا خالصا او وعدا ووعيدا على انه لو كان وعيدا خالصا على ما ذكر الطاعن لكان قوله تعالى والله سريع الحساب على تاويل من اراد قصر التاويل على سرعة المواقفة وحده يتعلق بالوعد والوعيد لان الكلام على كل حال متضمن لوقوع المحاسبة على اعمال العباد وما احاط بخيرها وشرها وان وصف تعالى الحساب مع ذلك بالسرعة وفي هذا ترغيب وترهيب لا محالة لان من علم انه يحاسب باعماله ويواقف على جميلها وقبيحها انزجر عن القبيح ورغب في فعل الواجب فهذا يبطل الجواب وانا كنا لا ندفع ان في حمل الحساب على قرب المجازاة او قرب المحاسبة على الاعمال ترغيبا في الطاعات وزجرا عن المقبحات فالتاويل الاول اشبه بالظاهر وبنسق الآية الا ان التاويل الآخر غير مدفوع ايضا ولا مردود [illegible] ان سال سائل عن قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب فقال اي تمدح في الاعطاء بغير حساب وقد يكون المعطي بحساب اجزل عطية من المعطي بغير حساب الجواب قلنا في هذه الآية وجوه اولها ان يكون الفائدة انه تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير من المرزوق ولا احتساب منه فالحساب ههنا راجع الى المرزوق لا اليه تعالى كما يقول القائل ما كان هذا في حسابي اي لم اؤمله ولم اقدر انه يكون وهذا وصف للرزق باحسن الاوصاف لان الرزق اذا لم يكن محتسبا كان اهنا له واحلى وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية انه قال على بها اموال بني قريظة والنضير وانها تصير اليكم بغير حساب ولا قتال وعلى اسهل الامور وايسرها واقربها وثانيها انه تعالى يرزق من يشاء بغير حساب اي رزقا غير ضيق ولا مقتر بل يزيد في السعة على كل عطاء المخلوقين فيكون نفي الحساب عنه نفيا للتضييق ومبالغة في وصفه بالسعة والعرب تسمي العطاء القليل

مسوّغًا وقال قيس بن الحطيم: أنّى سربتَ وكنتَ غير سروبِ ... وتقرّب الأحلام غير قريبِ
ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه ... في النوم غير مصرّدٍ محسوبِ

وثالثها أن يكون المعنى يرزق من يشاء من غير طلب للمكافاة أو لإرادة لغاية تعود إليه أو منفعة ترجع عليه لأن من شأن أهل الدنيا أن يعطوا ليكافَوا أو ليشفعوا ولهذا يقال لمن يقصد بالعطية الجهة الأخرى فلان يحاسب الناس فيما يعطيهم ويناقشهم فيما يوصله إليهم وما أشبه ذلك فلما انتفت هذه الأمور عن عطاياه تعالى جاز أن يقول سبحانه إنه يرزق بغير حساب ورابعها ما أجاب به قطرب رحمه الله فقال معنى الآية أنه تعالى يعطي العبد الكثير مما لا يضبطه الحساب أو لا يأتي عليه العدد ولأن مقدوره تعالى لا يتناهى وما في خزائنه لا ينحصر ولا يقع عليه النفاد وليس كالمعطي منا الألف من الألفين والعشرة من المائة لأن مقدار ما يتسع له ويتمكن منه محدود متناهٍ ولا تناهي ولا انقطاع لما يقدر سبحانه عليه وخامسها أنه تعالى يعطي عباده في الجنة من النعيم واللذات أكثر مما استحقوه وأزيد مما وجب لمحاسبته تعالى إياهم على طاعاتهم كما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له أضعافًا كثيرة وكما قال تعالى إن تقرضوا الله قرضًا حسنًا يضاعفه لكم ويغفر لكم وكما قال تعالى ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وسادسها أن المعطي منا لغيره شيئًا والرازق سواه رزقًا قد يكون له ذلك فيكون فعله حسنًا ولا يؤاخذ به ولا يحاسب عليه ومن لم يكن له ذلك فيكون فعله قبيحًا يؤاخذ به ويحاسب عليه فنفى الله تعالى عن نفسه أن يفعل الرزق القبيح وما ليس له أن يفعله بنفي الحساب عنه تعالى وأنبأ أنه تعالى لا يرزق ولا يعطي إلا أفضل الوجوه وأحسنها وأبعدها من الذم وتجري الآية مجرى قوله تعالى لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون وإنما أراد أنه تعالى من حيث وقعت أفعاله كلها حسنة غير قبيحة لم يحسن أن يسأل عنها وأن يسأل العباد عن أفعالهم لأنهم يفعلون الحسن والقبيح معًا وسابعها أن الله تعالى إذا رزق العبد وأعطاه من فضله كان من العبد ساقطًا من جهة الناس فليس لأحد أن يقول له لم رزقت ولا يقول لربه تعالى لم رزقته ولا يسأله عن الرزق وعلله وإنما يسأله عن إنفاقه في الوجوه التي ينفقه فيها فسقط الحساب عنه من هذا الوجه على ما يرزقه عز وجل فلذلك قال تعالى بغير حساب وثامنها أن يكون المراد أنه يرزق من يشاء من أهل الجنة لأنه تعالى يرزقهم رزقًا لا يجوز أن يتناوله جميع الحساب ولا العدد والإحصاء من حيث لا نهاية له ولا انقطاع للمستحق منه ويطابق هذه الآية قوله تعالى في موضع آخر فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب

إنه سأل سائل عن الخبر الذي يرويه زيد بن ثابت عن النبي ص أنه قال توضأوا مما غيرت النار فقال ما المراد بالوضوء ههنا ومذهبكم أن مس ما غيرت النار لا يوجب وضوءًا الجواب أنه وضّئوا أي نظفوا أيديكم من الزهومة لأنه روي أن جماعة من الأعراب كانوا لا يغسلون أيديهم من الزهومة ويقولون فقدها أشد علينا من ريحها فأمر عليه السلام بتنظيف

كيف

بتنظيف الأيدي لذلك فإن قيل كيف يصح أن يحمل الخبر على اللفظ اللغوي مع انتقاله بالعرف الشرعي إلى الأفعال المخصوصة بدلالة أن من غسل يده أو وجهه لا يقول له بالإطلاق توضأت فمتى سلم لكم أن الوضوء أصله النظافة لم ينفعكم مع الانتقال الذي ذكرناه وكلامه عليه السلام أخص بالعرف الشرعي وحمله عليه أولى من حمله على اللغة قلنا لسنا ننكر أن إطلاق الوضوء هو المنتقل من اللغة إلى عرف الشرع والمختص بالأفعال المعينة وكذلك المضاف منه إلى الحدث أو الصلاة وما أشبههما فأما المضاف إلى الطعام وما جرى مجراه فباقٍ على أصله ألا ترى أنهم إذا قالوا توضأت للطعام ومن الغمر وتوضأت للطعام لم يفهم منه إلا الغسل والتنظيف فإذا قالوا توضأت إطلاقًا أو توضأت من الحدث أو الصلاة فهم منه الأفعال الشرعية وليس ينكر ما ذكرناه من اختصاص النقل لأنه كما يجوز انتقال اللفظ من فائدة في اللغة إلى فائدة في الشرع على كل وجه كذلك يجوز أن ينتقل على وجه دون وجه ويبقى من الوجه الذي لم ينتقل منه على ما كانت عليه في اللغة وقد ذهب كثير من الناس إلى أن إطلاق لفظة مؤمن تنقل من اللغة إلى عرف الدين ومختص باستحقاق الثواب وإن كان تقييدها باقيًا على ما كان عليه في اللغة ومن ذلك أيضًا ما روي عن الحسن رضي الله عنه من أنه قال الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم إنما أراد غسل اليد بغير شك وروي عن قتادة أنه قال غسل اليد وضوء وروى عكراش أن رسول الله ص أكل وغسل يديه ومسح ببلل يديه وجهه وذراعيه وقال عليه السلام هكذا الوضوء مما مسته النار على أنه لو كانت هذه اللفظة منتقلة على كل حال إلى الأفعال الشرعية المخصوصة لصح أن نحملها في الخبر على خلاف ذلك ونردها إلى أصلها بالأدلة فإنه كان الأولى لولا الدلالة أن نحمل على مقتضى الشرع فمن الأدلة على ما ذكرناه ما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ص أكل كتف شاة وقام وصلى ولم يتوضأ وروى عطاء عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قربت جنبًا مشويًا إلى النبي ص فأكل منه وصلى ولم يتوضأ وروى محمد بن المنكدر عن جابر قال كان آخر الأمرين من رسول الله ص ترك الوضوء مما مسته النار وكل هذه الأخبار توجب العدول عن ظاهر الخبر الأول لو كان له ظاهر فكيف وقد بينا أنه لا ظاهر له فأما اشتقاق الوضوء فهو من الوضاءة التي هي الحسن فلما كان من غسل يديه ونظفهما فقد حسّنهما ووضّأهما ويقال فلان وضيء الوجه وقوم وضاء قال الشاعر

مساميح الفعال ذوو أناة ... مراجيح وأوجههم وضاء

والوُضوء بضم الواو المصدر وكذلك التوضؤ والوَضوء بفتح الواو اسم الماء يتوضأ به وكذلك الوَقود اسم لما توقد به النار والوُقود بالضم المصدر ومثله التوقد وقد يجوز أيضًا أن يكون الوَقود بفتح الواو المصدر وكذلك

الوضوء بفتح الواو حكاه ابو الحسن القبول بفعلى الفعول مصدرا وهو مفتوح الاول ولم يجئ في الوقود و الوضوء بالضم الا بمعنى المصدر وحده قال جرير

اهوى اراك برامتين وقودا ام بالجنينة من مدافع اودا
وقال آخر
اذا سهيل لاح كالوقود فردا كشاة البقر المطرود
وقال آخر
واحجنا بكل بقاع ارض وقود النار للمشتوينا

اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابراهيم قال اخبرنا محمد بن يحيى قال اخبرنا عمر بن شبه قال اخبرنا ابراهيم بن المنذر قال حدثني ابراهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه عن ابن شهاب قال اتيت عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يوما في منزله فاذا هو مغتاظ ينفخ فقلت مالي اراك هكذا قال دخلت على اميركم هذا يعني عمر بن عبد العزيز ومعي عبد الله بن عمرو بن عثمان فسلمت فلم يرد علي السلام فقلت

الا ابلغا عني عراك بن مالك فان انت لم تفعل فابلغ ابا بكر
لقد جعلت تبدو شواكل منكما كانكما بي موقران من الصخر
وطاوعتما بي داغرا ذا معاكة لعمري لقد اوري وما مثله يوري

يقال معك به ودلك به اذا تعرض له للشر

فلولا اتقاء الله بقيا عليكما للمتما لوما احر من الجمر
فمس تراب الارض منها خلقتما وفيها المعاد والمصير الى الحشر
ولا تانفا ان تسالا وتسلما فما حشي الاقوام شرا من الكبر
ولو شئت ادلى فيكما غير واحد علانية او قال عندي في السر

معناه لو شئت لاغتابكما عندي غير واحد

فان انا لم آمر ولم انه عنكما ضحكت له حتى يلج ويستشري
وكيف تريان ان تصيبن حجة علي ابنه وابن عمه وعشر
لقد علمت دلوا لما دلوتما من القوم لا رخو المراس ولا نزر

قال ابن شهاب فقلت له مثلك يرحمك الله مع نسكه وتفقهك تقول الشعر فقال ان المصدور اذا نفث برا وانما ذكر عراك بن مالك وابا بكر بن عمرو بن حزم وكانا صديقيه لانه ذكر ما غيرهما وقد

وقد جاءت رواية اخرى بان ابا بكر بن عمرو بن حزم وعراك بن مالك كانا يحتازان على عبيد الله فلا يلمان عليه فقال الابيات فخاطبهما بها ووقع محمد بن سلام لعبيد الله بن عتبة

اذا كان لي سر فحدثته العدى وضاق به صدري فللناس اعذر
هو السر ما استودعته فكتمته وليس بسر حين يفشو ويظهر

وانشد مصعب الزبيري لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

اواخي رجالا لست اطلع بعضهم على سر بعض ان صدري لواسعه
اذا ما حللت وسط عوذ بن غالب فذاك وذو نازح لا اطالعه
تلاقت حياري على قلب حازم كتوم لما ضمت عليه اضالعه
بناي عبد الله في فرعة العلا وعتبة مجد لا تنال مصانعه

والبيت الاول يشبه قول مسكين الدارمي
وفتيان صدق لست مطلع بعضهم على سر بعض كان عندي جماعها
ومما يستحسن لعبيد الله قوله

تغلغل حب عثمة في فؤادي فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور
شققت القلب ثم ذررت فيه هواك فليم فالتام الفطور
اكاد اذا ذكرت العهد منها اطير لو ان انسانا يطير
غني النفس ان ازداد حبا ولكني الى وصل فقير

واخذ هذا المعنى ابو نواس

احلت من قلبي هواك محلة ما حلها المشروب والماكول

واخذه المتنبي في قوله

وللسر مني موضع لا يناله نديم ولا يفضي اليه شراب

وكان العباس بن الاحنف الم به في قوله

لو شق عن قلبي يرى وسطه اسمك والتوحيد في سطر

وقول عبيد الله بن عبد الله احسن من الجميع وبعده بيت المتنبي ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة

يعدون يوما واحدا ان اتيتها وينسون ما كانت على الدهر تهجر
فان يكن الواشون اغروا بهجرها فاني بحبل المودة احذر

ومن مستحسن غزله قوله لعمري لئن شطت بعثمة دارها لقد كنت من وشك الفراق أليح

٭ أروح بهم ثم أغدو بمثله ٭ ويحسب أني في الثياب صحيح ٭

أخذ هذا المعنى بشار بن برد فقصر عنه بقوله

٭ يصبح محزونا ويمسي به ٭ وليس يدري ما له عندكي ٭

[illegible] إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكيا عن شعيب قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا فقال إن هذا تصريح منه بأن الله تعالى يجوز أن يشاء الكفر والقبيح لأن ملة قومه كانت كفرا وضلالا وقد أخبر أنه لا يعود فيها إلا أن يشاء الله. الجواب قيل له في هذه الآية وجوه أولها أن تكون الملة التي عناها إنما هي العبادات الشرعيات التي كان قوم شعيب متمسكين بها وهي منسوخة عنهم ولم يعن بها ما يرجع إلى الاعتقادات في الله تعالى وصفاته مما لا يجوز أن تختلف العبادة فيه والشرعيات يجوز فيها اختلاف العبادة من حيث تتبع المصالح والألطاف والمعلوم من أحوال المكلفين فكأنه تعالى قال إن ملتكم لا نعود فيها مع علمنا بأن الله تعالى قد نسخها وأزال حكمها إلا أن يشاء أن يتعبدنا بمثلها فنعود إليها و تلك الأفعال التي كانوا متمسكين بها مع نسخها عنهم ونهيهم عنها وإن كانت ضلالا وكفرا فقد كان يجوز فيما هو مثلها أن يكون إيمانا وهدى بل فيها أنفسها قد كان يجوز ذلك وليس تجري الأفعال مجرى الجهل بالله تعالى الذي لا يجوز أن لا يكون قبيحا وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال كيف يجوز أن يتعبدهم الله تعالى بتلك الملة مع قوله تعالى قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها فيقال له لم ينف تعالى عودهم إليها على كل حال وإنما نفى العود إليها مع كونها منسوخة منهيا عنها والذي تعلقه بمشيئة الله تعالى من العود إليها هو مشروط بأن يأمر بها ويتعبد بمثلها فالجواب مستقيم لا خلل فيه وثانيها أنه تعالى أراد أن ذلك لا يكون أبدا من حيث علقه بمشيئة الله تعالى لما كان معلوما أنه لا يشاؤه وكل أمر علق بما لا يكون فقد نفي كونه على أبعد الوجوه وتجري الآية مجرى قوله تعالى لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وتجري مجرى قول القائل لا أفعل كذا حتى يبيض القار أو يشيب الغراب وكما قال الشاعر

٭ وحتى يؤوب القارظان كلاهما ٭ وينشر في الموتى كليب لوائل ٭

والقارظان لا يؤوبان أبدا وكليب لا ينشر أبدا فكأنه تعالى قال إن هذا لا يكون أبدا وثالثها ما ذكره قطرب في الاستثناء بأن في الكلام تقديما وتأخيرا وأن الاستثناء من الكفار وقع لا من شعيب فكأنه تعالى قال حاكيا عن الكفار لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا إلا أن يشاء الله أن تعودوا في ملتنا

ملتنا ثم قال تعالى حاكيا عن شعيب عليه السلام وما يكون لنا أن نعود فيها على كل حال ورابعها أن تكون الهاء في قوله تعالى فيها إلى القرية لا إلى الملة لأن ذكر القرية قد تقدم كما تقدم ذكر الملة ويكون تلخيص الكلام إنا سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها إلا أن يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد في الإظهار عليكم والظفر بكم فنعود إليها وخامسها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يردكم إلى الحق فنكون جميعا على ملة واحدة غير مختلفة لأنه تعالى لما قال حاكيا عنهم أو لتعودن في ملتنا كان معناه أو لنكونن على ملة واحدة غير مختلفة فحسن أن يقول تعالى من بعد إلا أن يشاء الله أن يجمعكم معنا على ملة واحدة فإن قيل الاستثناء بالمشيئة إنما كان بعد قوله وما يكون لنا أن نعود فيها فكأنه تعالى قال ليس نعود فيها إلا أن يشاء الله فكيف يصح هذا الجواب قلنا هو كذلك إلا أنه لما كان معنى قولهم أن نعود فيها أن تصير ملتنا واحدة غير مختلفة جاز أن يوقع تعالى الاستثناء على المعنى فيقول إلا أن يشاء الله أن تدخلوا في الملة بأن ترجعوا أنتم إلى الحق فإن قيل فكأن الله تعالى ما شاء أن يرجع الكفار إلى الحق قلنا بلى قد شاء ذلك إلا أنه ما شاءه على كل حال بل من وجه دون وجه وهو أن يؤمنوا ويصيروا إلى الحق مختارين ليستحقوا الثواب الذي أجري بالتكليف إليه ولو شاءه تعالى على كل حال لما جاز أن لا يقع منهم وكأن شعيبا عليه السلام قال إن ملتنا لا تكون واحدة إلا أن يشاء الله أن يلجئكم إلى الاجتماع معنا على ديننا وموافقتنا في ملتنا والفائدة في ذلك واضحة لأنه تعالى لو أطلق أنه لا يتفق أبدا ولا يقع منهم رجوع لتوهم متوهم أن ذلك مما لا يمكن على حال من الأحوال فأراد تعليقه بالمشيئة هذا الوجه ويجري قوله إلا أن يشاء الله مجرى قوله ولو شاء ربك لجعل الناس جميعا ولآمن من في الأرض كلهم جميعا وسادسها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يمكنكم من إكراهنا ويخلي بينكم وبينه فنعود إلى إظهارها مكرهين ويقوي هذا الوجه قوله تعالى أولو كنا كارهين وسابعها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بإظهار ملتكم مع الإكراه لأن إظهار كلمة الكفر قد يحسن في الأحوال إذا تعبد الله بإظهارها وقوله تعالى أولو كنا كارهين يقوي هذا الوجه أيضا فإن قيل كيف يجوز في نبي من أنبياء الله تعالى أن يتعبد بإظهار الكفر وخلاف ما جاء به من الشرع قلنا يجوز أن يكون لم يرد بالاستثناء نفسه بل قومه فكأنه قال وما يكون لي ولا لأمتي أن نعود فيها إلا أن يشاء الله أن يتعبد أمتي بإظهار ملتكم وهذا جائز غير ممتنع [illegible] روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال خير الصدقة ما أبقت غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقد قيل في قوله صلى الله عليه وآله خير الصدقة ما أبقت غنى قولان أحدهما أن خيرها ما تصدقت به بما فضل عن قوت عيالك وكفايتهم وإذا خرجت صدقتك إلى من أعطيته خرجت عن استغناء منك ومن عيالك عنها ومثله الحديث الآخر إنما الصدقة عن ظهر غنى وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو قال ما فضل عن أهلك والجواب الآخر

يكون اراد خير الصدقة ما اغنيت به من اعطيت عن المسئلة اي تجزل له في العطية فيستغني بها وذلك
مثل ان يريد الرجل ان يتصدق بمائة درهم فيدفعها الى رجل واحد محتاج فيستغني بها ويكف عن المسئلة
فذلك افضل من ان يدفعها الى مائة رجل لا تبين عليهم والتاويل الاول يشهد له الخبر وهو قوله عم وابدا
بمن تعول ويشهد له الحديث الاخر ايضا انما الصدقة عن ظهر غنى وقوله عليه السلم واليد العليا خير من اليد السفلى
قال قوم يريد ان اليد المعطية خير من اليد الاخذة وقال اخرون ان العليا هي الاخذة والسفلى هي المعطية
قال ابن قتيبة ولا ارى هؤلاء الا قوما استطابوا السؤال فهم يحتجون للدناءة ولو كان هذا يجوز لقيل ان المولى
من فوق وهو الذي اعتق والمولى من اسفل وهو الذي عتق والناس انما يعلمون بالعطاء والمولى
[illegible] رضي الله عنه وعندي ان معنى قوله عم واليد العليا خير من اليد السفلى غير ما ذكر
من الوجهين جميعا وهو ان تكون اليد ههنا هي العطية والنعمة لان النعمة قد تسمى يدا في مذهب اهل اللسان
بغير شك وكانه عم اراد ان العطية الجزيلة خير من العطية القليلة وهذا حث منه عليه السلم على المكارم
وتحضيض على اصطناع المعروف باوجز الكلام واحسنه مخرجا ويشهد لهذا التاويل احد الخبرين المتقدمين
في قوله عم ما ابقت غنى اشبه واولى من ان نحمل اليد على الجارحة لان نذهب الى ذلك وجعل المعطية خيرا من
الاخذة لا يستمر قولنا لان فيمن ياخذ من هو خير عند الله تعالى ممن يعطي ولفظه خير لا يحمل الا على الفضل في
الدين واستحقاق واما من جعل الاخذة خيرا من المعطية فيدخل عليه هذا الطعن ايضا مع انه قد قال قولا
شنيعا وعكس الامر على ما ذكر ابن قتيبة فان قيل كيف يصح تاويلكم مع قوله عم خير الصدقة ما ابقت غنى
وهي لا تبقي غنى الا بعد ان تنقص عن شيء ها واذا كانت العطية التي هي الجزل افضل فتلك لا تبقي غنى والتي
تبقي غنى ليست الجزيلة وهذا تناقض قلنا اما تاويلنا فمطابق للوجهين المذكورين في قوله عم خير الصدقة
ما ابقت غنى لانه من تاول ذلك على ان المراد به المعطى وان خير العطية ما اغنته عن المسئلة فالمطابقة
ظاهرة ومن تاوله على الوجه الاخر وحمله على بقاء الغنى على المعطي واهله واقاربه فتاويلنا ايضا مطابق له
لانه قد يكون في العطايا التي تبقي بعدها الغنى على الاهل والاقارب جزل وغير جزيل فكانه عليه السلم
قال خير الصدقة ما ابقت غنى بعد اخراجها والعطية التي يبقى بعدها غنى خير من القليلة فمدح عليه السلم بعد بقاء الغنى
جزيل العطية وحث على الكرم والفضل اخبرنا ابو عبيد الله بن حنيفة قال اخبرنا ابو عبد الله الحكيمي قال املى
علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوي قال انشدنا ابن الاعرابي لثابت بن قطنة العتكي

يا هند كيف بنصب بات يكلؤني   ومائر في سواد العين يؤذيني
كان ليلي والاصداء هاجدة   ليل السليم واعيا من يداويني
لما حنا الدهر من قوسي وعذرني   شيبي وقاسيت امر الغلظ واللين
اذا ذكرت ابا غسان ارقني   هم اذا عرض الساري يشجيني
كان المفضل عزا في ذوي يمن   وعصمة وثمالا للمساكين
غيثا لذي ازمة غبراء شاتية   من السنين وماوى كل مسكين
اني تذكرت قتلى لو شهدتهم   في حومة الحرب لم يصلوا بها دوني
لا خير في العيش ان لم اجن بعدهم   حربا تبيرهم قتلى فتشفيني
لا خير في طمع يدني الى طبع   وغفة من قوام العيش تكفيني
انظر في الامر يعنيني النجاء به   ولست انظر فيما ليس يعنيني
لا اركب الامر تزري بي عواقبه   ولا يعاب به عرضي ولا ديني
لا يغلب الجهل حلمي عند مقدرة   ولا العضيهة من ذي الضغن تكويني
كم من عدو رماني لو قصدت له   لم ياخذ النصف مني حين يرميني

رضي الله عنه وهذه الابيات يروى بعضها لعروة بن اذينة وتداخل ابيات له على هذا الوزن
وهي التي يقول فيها   لقد علمت وما الاشراف من خلقي   ان الذي هو رزقي سوف ياتيني
اسعى له فيعنيني تطلبه   ولو قعدت اتاني لا يعنيني
كم قد اذفت وكم اتلفت من نشب   ومن تعارض رزق فيه يمنوني
فما اسفت على شيء فجعت به   نفسي لخلته عنها يبليني
خيم كريم ونفس لا تحدثني   ان الاله بلا رزق يخليني
وما اشتريت بمالي قط محمدة   الا تيقنت اني غير مغبون
ولا دعيت الى مجد ولا كرم   الا اجبت اليه من يناديني
لا ابتغي فضل من يبغي مفارقتي   ولا الين لمن لا يبتغي ليني
اني سيعرفني من لست اعرفه   ولو كبهت وابدا حين يحفيني
فعظني جاهلا واجهل اذا   لاقيت قومك فانظر هل تعظيني

وقوم يخطئون فيروون قوله لقد علمت وما الاسراف من خلقي بالسين غير معجمة وذلك خطا لانه اراد
بالاشراف انني لا استشرف واتطلع الى ما فاتني من امور الدنيا ومكاسبها ولا اتبعها نفسي
المرتضى رضي الله عنه ولي ابيات في معنى ابيات ثابت بن قطنة وعروة بن اذينة التي تقدمت

ولي من جملة قصيدة طويلة خرجت عني منذ اثنتي عشرة سنة والابيات

يعاقبني بؤس الزمان وخفضه ... وادبني حرب الزمان وسلمه
وقد علم المغرور بالدهر انه ... وراء سرور المرء في الدهر غمه
وما المرء الا نهب يوم وليلة ... تخب به شهب الفناء ودهمه
يعلله برد الحياة يمسه ... ويغره روح النسيم يشمه
وكان بعيدا عن منازعه الردي ... فالقته في كف المنيه امه
الا ان خير الزاد ما سد فاقة ... وخير تلادي الذي لا اجمه
وان الطوي بالعز احسن للفتى ... اذا كان من كسب المذلة طعمه
واني لانهي النفس عن كل لذة ... اذا ما ارتقى منها الى العرض وصمه
واعرض عن نيل الثراء اذا بدا ... وفي نيله سوء المقال وذمه
اعف وما الفحشاء مني بعيدة ... وحسبي في صحو عن الامر لمه
وما العف من يعلى عن الصب سقمه ... ولكن من ولى عن السوء حزمه

ولي في معنى قوله وما الاشراف من خلقي

ما خامر الريب قلبي قبل تجربة ... ولا بسطت لدى النايبات يدي
كم قد ترادف لي اخطار ثروته ... ولو تجاوزني خافت في عضدي ويروى زايد
ان اسخط الا ابدله عتبا مضطربا ... وان اريد لا من مذهب جلد

ومعنى ما خامر الريب قلبي قبل تجربة الحلم امنه ولا تطلعت الى حضوره ولا خطر لي ببال تنزها عن تمنيه والعتبة ويحسن معنى بسط اليد في النوائب لان النوائب يفزع عندها الى الاكثر المنن وطلب فلم النزال مع لحاجة وشدة الشهوة هو لكامل المروة ومعنى البيت الثاني ظاهر واما الثالث فالمراد به انني ممن اذا اذهب شيئا تمكن من مفارقته والنزوع عنه ولست ممن يعشق عليه ويتصوفه به من استبداله منه بما يكن وفيه وجه اخر فايده اخرى وهي انني ممن لا يملكه العادات ويقتاده الاهواء بل لست مفارقة خلق اليمين وعادة الهواها لم يكن ذلك على شبعته امرنا حيث كان لراي على هواي السلطان والرجحان اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا محمد بن ابراهيم قال اخبرنا الحسن بن يحيى الكوفي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عروة بن عبيد الله بن عروة بن الزبير قال كان عروة بن اذينة نازلا معي في قصر عروة بالعقيق فسمعته ينشد لنفسه ، ان التي زعمت فؤادك ملها ... خلقت هواك كما خلقت هوى لها

فيك

فيك الذي زعمت بها وكلاكما ... ابدى لصاحبه الصبابة كلها
ولعمرها لو كان حبك فوقها ... يوما وقد ضحيت اذا لاظلها
ولقد وجدت لها وساوس سلوة ... شفع الضمير الى الفؤاد فسلها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها ... بلباقة فادقها واجلها
لما عرضت مسلما لي حاجة ... اخشى صعوبتها وارجو ذلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبي ... ما كان اكثرها لنا واقلها
فدنا فقال لعلها معذورة ... في بعض رقبتها فقلت لعلها

قال عروة بن عبيد الله فجاءني ابو السايب المخزومي يوما فسلم وجلس الي فقلت له بعد الترحيب به الك حاجة يا ابا السايب فقال وكما تكون الحاجة ابيات لعروة بن اذينة بلغني انك سمعتها منه قلت اي ابيات قال وهل يخفى القمران التي زعمت فؤادك ملها فانشدته اياها فقال ما يروى هذا الا اهل المعرفة والعقل هذا والله الصادق الود الدايم العهد لا الهذلي الذي يقول

ان كان اهلك يمنعونك رغبة ... عني فاهلي بي اضن وارغب

لقد عدا الاعرابي طوره واني لارجو ان يغفر الله لابن اذينة في حسن الظن بها وطلب العذر لها قال فعرضت له بطعام فقال لا والله حتى ارويت هذه الابيات فلما رواها وثب فقلت كما انت يغفر الله لك حتى تاكل فقال والله ما كنت لاخلط بحبي لها واخذي اياها غيرها وانصرف [illegible] رضي الله عنه والهذلي عناه هو عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي وقول عروة باكرها النعيم اراد انها لم تعتق الا في النعيم ولم تعرف الا الخفض والنعيم فلا قت بوسا ولم تتجشم وتخشن ويوثر ذلك في جمالها ونمائها والبكور هو التقدم في كل وقت . وكان عروة بن اذينة مع تغزله يوصف بالعفاف والنزاهة وروي ان سكينة بنت الحسين عليها السلام مرت به فقالت يا ابا عامر انت الذي تقول

اذا وجدت اوار الحب في كبدي ... اقبلت نحو سقاء القوم ابترد
هبني بردت ببرد الماء ظاهره ... فمن لنار على الاحشاء تتقد

وانت القايل

قالت وابثثتها وجدي فبحت به ... قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
الست تبصر من حولي فقلت لها ... غطى هواك وما القي على بصري

قال نعم قالت هن حرائر واشارت الى جواريها ان كان خرج هذا من قلب سليم . وانشد ابو الحسن عن احمد بن

يحيى لعروة

كأنّ وخزامى طلّها صافها الذي   وفارة مسك ضمّنتها ثيابها
فكدت لذكراها أطير صبابة   وغالبت نفسًا زاد شوقًا غلابها
إذا اقتربت سعدى لججت بهجرها   وإن تغترب يومًا يرعك اغترابها
فقلبي حذار لمّا تك عندها   سواء لعمري نأيها واقترابها
وعاد الهوى منها كظلّ سحابة   ألاحت ببرق ثم مرّ سحابها

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وحيات هذا البيت الأخير من قول كثير

وإنّي وتهيامي بعزّة بعدما   تخلّيت ممّا بيننا وتخلّت
لكالمرتجي ظلّ الغمامة كلّما   تبوّأ منها للمقيل اضمحلّت
كأنّي وإيّاها سحابة ممحل   رجاها فلمّا جاوزته استهلّت

وروى يحيى بن علي قال أخبرنا أبو هفان قال أشعر أبيات قيلت في الحسد والدعاء لعمر الله أربعة فأولها قول الكميت بن المعروف الأسدي

إن يحسدوني فإنّي غير لائمهم   قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
ولهم فدام لي ما بي وما بهم   ومات أكثرنا غيظًا بما يجد
أنا الذي يجدوني في صدورهم   لا أرتقي صدرًا منهم ولا أرد
لا ينقص الله حسّادي فإنّهم   أسرّ عندي من اللائي لهم ودّوا

وقال عروة بن أذينة لا أبعد الله حسّادي فخلّدهم   حتى يموتوا بداء في مكنون
إنّي رأيتهم في كلّ منزلة   أجلّ قدرًا من اللاتي يحبّوني

وقال نصر بن سيار

إن يحسدوني على ما بي وما بهم   فمثل ما بي لعمري جرّ لي الحسدا

وقال معن بن زائدة

إنّي حسدت فزاد الله في حسدي   لا عاش من عاش يومًا غير محسود
ما يحسد المرء إلا من فضائله   بالعلم والحلم أو بالبأس والجود

المرتضى رضي الله عنه وقد أخذ البحتري هذا المعنى في قوله

محسّد بخلال فيه فاضلة   وليس يفترق النعماء والحسد

وأخذ أبو العتاهية أحسنه في قوله لم يطب للملك اسم معاناة ولم يرد كل الدنيا بغير تزيين

كأنّ

كأنّ عاينكم بيدي مجالسكم   وصفًا فيمدحكم عندي ويغريني
ما فوق حبّك حبّ لست أعلمه   فلا يغرّك إلا ستزيديني

من قول عروة بن أذينة

لا يبعد سعدى غير محيي من جوى سقم   يومًا ولا قربها إن حمّ يشفيني
إذا الوشاة لحوا فيها عصيتهم   وخلت أن ليعنى اللوم يغريني

وقد أخذ أبو نواس هذا المعنى في قوله

ما حطّك الواشون من رتبة   عندي ولا ضرّك مغتاب
كأنّهم أثنوا ولم يعلموا   عليك عندي بالذي عابوا

ولعروة بن أذينة

تروعنا الجنائز مقبلات   ونلهو حين تذهب ذاهبات
كروعة ثلّة لمغار ذئب   فلمّا غاب عادت راتعات

الثلّة القطعة من الضأن وهذا المعنى قد سبق إليه بعض العرب فقال

وتحدث روعات لدى كلّ فزعة   ونسرع نسيانًا وما جاءنا أمن
وأنا وإكفران لله ربّنا   لكالبدن لا تدري متى يومها البدن

وأخذه أبو العتاهية في قوله

إنّ الفتى مثل الهلال له   نور الليالي ثم يمّحق
يبلى وتفنيه الدهور كما   يبلى وتنضو الجدّة الخلق

من قول بعض شعراء طي

ومهما يكن ريب الزمان فإنّني   أرى قمر الليل المعبّد كالفتى
يهلّ صغيرًا ثم يعظم ضوءه   وصورته حتى إذا ما هو استوى
تقارب يخبو ضوءه وشعاعه   ويمصح حتى يستسرّ فلا يرى
كذلك زيد المرء ثم انتقاصه   يعود إلى مثل الذي كان قد بدا

وأخذه محمد بن يزيد الكاتب فقال

المرء مثل هلال عند مطلعه   يبدو ضعيفًا ضئيلًا ثم يتّسق
يزداد حتى إذا ما تمّ أعقبه   كرّ الجديدين نقصًا ثم يمّحق

ان سأل سائل عن قوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون. فقال كيف ينزل الله سبحانه السحر على الملائكة وكيف تعلم الملائكة الناس السحر والتفريق بين المرء وزوجه وكيف نسب تعالى الضرر الواقع عند ذلك الى انه باذنه وهو تعالى قد نهى عنه وحذر من فعله وكيف اثبت العلم لهم ونفاه عنهم بقوله تعالى ولقد علموا لمن اشتراه ثم بقوله لو كانوا يعلمون. الجواب قلنا في الاية وجوه كل واحد منها يزيل الشبهة الداخلة على من لم يمعن النظر فيها اولها ان يكون ما في قوله تعالى وما انزل على الملكين بمعنى الذي فكانه تعالى خبر عن طائفة من اهل الكتاب بانهم اتبعوا ما تكذب فيه الشياطين على ملك سليمان وتضيفه اليه من السحر فبراه الله تعالى من قرفهم واكذبهم في قولهم فقال تعالى وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا باستعمال السحر والتمويه على الناس ثم قال تعالى يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين واراد تعالى انهم يعلمونهم السحر والذي نزل على الملكين وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتيال فيه ليعرفا ذلك ويعرفاه الناس فيجتنبوه ويحذروا منه كما انه تعالى قد اعلمنا ضروب المعاصي ووصف لنا احوال القبائح لنجتنبها لا لنواقعها غير ان الشياطين كانوا اذا علموا ذلك وعرفوه استعملوه واقدموا على فعله وان كان غيرهم من المؤمنين لما عرفه اجتنبه وحاذره وانتفع باطلاعه على كيفيته ثم قال تعالى وما يعلمان من احد يعني الملكين ومعنى يعلمان يعلمان والعرب تستعمل لفظة علم قال القطامي

تعلم ان بعد الغي رشدا ... وان لهذه الغمر انقشاعا

وقال كعب بن زهير تعلم رسول الله انك مدركي ... وان وعيدا منك كالاخذ باليد ومعنى تعلم في البيتين بمعنى اعلم والذي يدل ان ههنا الاعلام لا التعليم قوله تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر اي انهما لا يعرفان صفات السحر وكيفيته الا بعد ان يقولا انما نحن فتنة لان الفتنة بمعنى المحنة وانما كانا محنة من حيث القيا الى المكلفين امرا لينزجروا عنه وليمتنعوا من مواقعته وهم اذا عرفوه امكن ان يستعملوه ويرتكبوه فقالا لمن يطلعانه على ذلك لا تكفر باستعماله ولا تعدل عن الغرض في القاء هذا اليك فانه القي اليك واطلعت عليه لتجتنبه لا لتفعله ثم قال تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي فيعرفون من جهتهما ما يستعملونه في هذا الباب وان كان الملكان ما القياه اليهم لذلك ولهذا قال تعالى ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم لما قصدوا بتعلمه ان يفعلوه ويرتكبوه لا ان يجتنبوه

صار

صار ذلك بسوء اختيارهم ضررا عليهم وثانيها ان يكون ما انزل موضعه موضع جر ويكون معطوفا بالواو على ملك سليمان والمعنى واتبعوا ما كذب به الشياطين على ملك سليمان وعلى ما انزل على الملكين اي معهما وعلى السنتهما كما قال تعالى ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك اي على السنتهم ومعهم وليس بمنكر ان يكون ما انزل معطوفا على ملك سليمان وان اعترض بينهما من الكلام ما اعترض لان رد الشيء الى نظيره وعطفه على ما هو اولى به هو الواجب وان اعترض بينهما ما ليس منهما ولهذا نظائر في القران وكلام العرب كثيرة قال الله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما وقيما من صفات الكتاب حال منه لا من صفة عوجا وان تباعد ما بينهما ومثله ويسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام فالمسجد الحرام ههنا معطوف على الشهر الحرام اي يسألونك عن الشهر الحرام والمسجد الحرام وحكي عن بعض علماء اهل اللغة انه قال العرب تلف الخبرين المختلفين وترمي بتفسيرهما جملة ثقة بان السامع يرد كل الى كل خبره تعالى كقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وهذا واضح في مذهب العرب كثير النظائر ثم قال تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر والمعنى انهما لا يعلمان احدا بل ينهيان عنه ويبلغ من نهيهما عنه وصدهما عن فعله واستعماله ان يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر باستعمال السحر والاقدام على فعله وهذا كما يقول الرجل ما امرت فلانا بكذا ولقد بالغت في نهيه حتى قلت له انك ان فعلت اصابك كذا وكذا وهذا هو نهاية البلاغة في الكلام والاختصار الدال مع اللفظ القليل على المعاني الكثيرة لانه استغنى بقوله تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة عن بسط الكلام الذي ذكرناه وللحذف نظائر في القران قال الله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض فلولا الاختصار لكان معنى شرح الكلام ما اتخذ من ولد وما كان معه من اله ولو كان معه اله لذهب كل اله بما خلق ومثله قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي فيقال للذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وامثاله كثيرة ثم قال تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وليس يجوز ان يرجع الضمير على هذا الجواب الى الملكين وكيف يرجع اليهما وقد نفى تعالى عنهما التعليم بل يرجع الى الكفر والسحر وقد تقدم ذكر السحر وتقدم ايضا ذكر ما يدل على الكفر ويقتضيه في قوله تعالى ولكن الشياطين كفروا فدل كفروا على الكفر والعطف عليه مع السحر جائز وان كان التصريح وقع بذكر السحر دونه ومثل ذلك قوله تعالى سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى اي يتجنب الذكرى الاشقى ولم يتقدم

تصريح بالكفر التي دل عليها قوله تع سيذكر بعد ويجوز ايضا ان يكون معنى يتعلمون منهما اي بدلا مما علمه الملكان ويكون المعنى انهم يعدلون عما علمهم ووقفهم عليه الملكان من النهي عن السحر الى تعلمه واستعماله كما يقول القايل ليت لنا من كذا كذا اي بدلا منه كما قال الشاعر

جمعت من الخيرات وطبا وعلبة ... وصرا لاخلاف المزممة البزل
ومن كل اخلاق الكرام نميمة ... وسعيا على الجار المجاور بالمحل

يريد جمعت مكان الخيرات ومكان اخلاق الكرام هذه الخصال الذميمة وقوله تع ما يفرقون به بين المرء وزوجه فيه وجوه احدها ان يكونوا يغوون احد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله فيكون بذلك قد فارق زوجه الاخر المؤمن المقيم على دينه ليفرق بينهما اختلاف النحلة والملة والوجه الاخر ان يسعوا بين الزوجين بالنميمة والوشاية والاغراء والتمويه بالباطل حتى يؤول امرهما الى الفرقة والمباينة وثالث الوجوه في الاية ان يحمل قوله تع وما انزل على الملكين على الجحد والنفي فكانه تعالى قال واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولا انزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هروت ومروت ويكون قوله تع ببابل هروت ومروت من المؤخر الذي معناه التقديم فيكون على هروت وماروت رجلين من جملة الناس هذان اسماهما وانما ذكرا بعد ذكر الناس تمييزا وتبيينا ويكون الملكان المذكوران اللذان نفي تع عنهما السحر جبرايل وميكايل لان سحرة اليهود فيما ذكر كانت تدعي ان الله تع انزل السحر على لسان جبريل وميكايل الى سليمان فاكذبهم الله تع بذلك ويجوز ان يكون هروت وماروت يرجعان الى الشياطين كانه تع قال ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا ويسوغ ذلك كما ساغ في قوله تع وكنا لحكمهم شاهدين يعني تع حكم داود وسليمان صلى الله عليهما ويكون قوله تع على هذا التاويل وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر راجعا الى هاروت وماروت اللذين هما من الشياطين او من الانس المتعلمين السحر من الشياطين والعاملين به ومعنى قولهما انما نحن فتنة فلا تكفر يكون على طريق الاستهزاء والتماجن والتخالع كما الماجن من الناس اذا فعل قبيحا او قال باطلا هذا فعل من لا يفلح وقول من لا ينجب والله ما حصلت الا على الخسران وليس ذلك منه على سبيل النصيحة للناس وتحذيرهم من مثل فعله بل على جهة المجون والتخالع ويجري ايضا على هذا التاويل الذي فيه الجحد والنفي بين هاروت وماروت وتاسمين الملكين وينفي عنهما انزال السحر بقوله تع وما انزل على الملكين ويجوز قوله تع وما يعلمان من احد حتى يقولا الى قبيلتين من الجن او الى الشياطين والانس فيحسن التثنية لهذا وقد روي هذا التاويل الذي حمل على النفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن غيره من المفسرين وروي ان بعض القراء قرا على الملكين بكسر اللام ويقول متى كان العلجان ملكين انما كانا ملكين وعلى هذه القراءة لا يشكل

قوله

قوله تع وما يعلمان من احد اليهما ويمكن على هذه القراءة في الاية وجه اخر وهو ان يحمل قوله تع وما انزل على الملكين على الجحد والنفي وان يكون هؤلاء الذين اخبر عنهم انهم اتبعوا ما تتلو الشياطين وتدعيه على ملك سليمان اتبعوا ما انزل على هذين الملكين من السحر ولا يكون الانزال مضافا الى الله تع وان اطلق لانه جل وعز لا ينزل السحر يكون منزله اليهما لا من السماء انه اتى به من نجود البلاد واعاليها فان من هبط من نجد البلاد الى غورها يقال نزل وهبط وما جرى هذا المجرى فاما قوله تع وما هم بضارين به من احد الا باذن الله فيحتمل وجوها منها ان يريد بالاذن العلم من قولهم اذنت فلانا بكذا اذا اعلمته واذنت لكذا اذا استمعته وعلمته قال الشاعر في سماع ياذن الشيخ له وحديث مثل ماذي مشار ومنها ان يكون الا باذنه فيكون المعنى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويجري مجرى قول احدنا لقيت زيدا فاكرمته ومنها ان يكون اراد بالاذن التخلية وترك المنع فكانه اراد بذلك ان العباد لم يعجزوه وما هم بضارين احدا الا بتخلية الله تع بينهم وبينه ولو شاء لمنعهم بالقهر والقسر زائدا على منعهم بالزجر والنهي ومنها ان يكون الضرر الذي عنى انه لا يكون الا باذنه واضافه اليه هو ما يلحق المسحور من الادوية والاغذية التي يطعمها اياه السحرة ويدعون انها موجبة لما يقصدونه فيه من الامور ومعلوم ان الضرر من حيث كان الفاعل له هو المستحق للذم وعليه يجب العوض ومنها ان يكون الضرر المذكور انما هو ما يحصل عن التفريق بين الازواج لانه اقرب اليه في ترتيب الكلام والمعنى انهم اذا اغووا احد الزوجين فكفر فبانت منه فاستضر بذلك كانوا ضارين له بما حسنوه له من الكفر الا ان الفرقة لم تكن الا باذن الله تع وحكمه لانه تع هو الذي حكم وامر بالتفريق بين المختلفي الاديان فلهذا قال وما هم بضارين به من احد الا باذن الله والمعنى انه لولا حكم الله تع واذنه في الفرقة بين هذين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا ضارين له هذا الضرب من الضرر الحاصل عند الفرقة ويقوي هذا الوجه ما روي انه كان من دين سليمان عم انه من سحر بانت منه امراته فاما قوله تع ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق ثم قوله تع لو كانوا يعلمون ففيه وجوه اولها ان يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا ويكون الذين علموا الشياطين والذين خبر عنهم بانهم نبذوا كتاب الله تع وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان هم الذين لم يعلموا ابهم الذين تعلموا السحر وشروه بانفسهم وثانيها ان يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا الا انهم علموا شيئا ولم يعلموا غيره وكانه تع وصفهم بانهم عالمون بانه لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ولم يعلموا كنه ما يصيرون اليه من عقاب الله تع الذي لا نفاد له ولا انقطاع وثالثها ان يكون نفي العلم بعد اثباته انهم لم يعملوا بما علموا فكانهم لم يعلموا وهذا كما يقول احدنا لغيره ما ادعوك اليه خير لك واعود عليك لو كنت تعقل وتنظر في العواقب الا انه لا يعمل بموجب علمه فيحسن ان يقال له مثل هذا

القول قال كعب بن زهير يصف ذئبا وغرابا تبعاه ليصيبا من زاده ۞

۞ اذا حضراني قلت لو تعلمانه ۞ الم تعلما اني من الزاد مرمل ۞

فنفى عنهما العلم ثم اثبت بقوله الم تعلما وانما المعنى في نفيه العلم عنهما لم يعملا بما علماه وكانا لم يعلما
ورابعها ان يكون المعنى ان هؤلاء القوم الذين نقل على الاخرة لا حظ لهم فيها مع علمهم القبيح الا انهم
ارتكبوه طمعا في حطام الدنيا وزخرفها فقال الله تبارك وتعالى ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا
يعلمون ان الذين آثروه وجعلوه عوضا من الاخرة لا يتم لهم ولا يبقى عليهم وانه منقطع زايل ومضمحل
باطل وان المآل الى المستحق في الاخرة فكل ذلك واضح والحمد لله ۞ روى عقبة بن عامر الجهني عن
النبي صلعم انه قال لو كان القران في اهاب ما مسته النار وقد ذكر متاولوا حديث النبي صلعم في هذا الخبر
وجوها كثيرة كلها غير صحيح ولا شاف وانا اذكر ما اعتمدوه وابين ما فيه ثم اذكر الوجه الصحيح قال ابن قتيبة
ذهب الاصمعي الى ان من تعلم القران من المسلمين لو القي في النار لم تحرقه النار وكنى بالاهاب وهو الجلد
عن الشخص والجسم واحتج على تاويله هذا الحديث عن سليمان بن محمد قال سمعت ابا امامة يقول اقرؤا
القران ولا تغركم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا وعى القران قال ابن قتيبة وفي الحديث
تاويل اخر وهو انه يريد القران لو كتب في جلد ثم القي في النار على عهد رسول الله صلعم لم تحرقه النار لاية على
صحة امر رسول الله ثم انقطع ذلك بعده قال ويجري هذا مجرى الذئب وشكاية البعير وغير ذلك من اياته
وقال في تاويل ثالث وهو ان يكون الاحراق انما يقع على القران لا على الاهاب ويكون معنى الحديث لو جعل
القران في شيء اهاب ثم القي في النار ما احترق القران فكان النار تحرق الجلد والمداد ولا تحرق القران لان
الله تعالى ينتزعه ويرفعه من الجلد صيانة له عن الاحراق وقال ابو بكر محمد بن القسم الانباري رادا على ابن قتيبة
معترضا عليه تدبرت ما قال ابن قتيبة من ذلك كله فما وجدت فيه شيئا صحيحا اما قوله الاول فيرده ما
روي عنه صلعم من قول يخرج من النار قوم بعدما احترقوا فيها فيقال هؤلاء الجهنميون طلقاء الله عز وجل
قال وقد روى ابو سعيد عن النبي صلعم انه قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار يقول الله عز وجل
انظروا من في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجوه منها. قال ابو بكر وكيف يصح قول ابن قتيبة في
ان النار لا تحرق من قرا القران ولا اختلاف بين المسلمين ان الحجاج وغيره ممن يحفظ كتاب الله تع ويقرا القران
تحرقهم النار بغير شك واحتجاجه بخبر ابي امامة ان الله تع لا يعذب قلبا وعى القران ومعناه قرا القران وعمل
به فاما من حفظ الفاظه وضيع حدوده فانه غير واع له قال واما قوله انه من دلايل النبوة التي انقطعت
بعده فما روي في هذا الحديث انه باق في دلالته صلى الله عليه ولو اراد ذلك دليلا لكان النبي صلعم يحمل القران

في اهاب ثم يلقيه في النار فلا يحترق قال وقوله انه يقلبه لا تحرق الجلد والمداد ولم يحرق القران غير
صحيح لان الذي يصحح هذا القول يوجب ان القران غير المكتوب وهذا محال لان المكتوب في المصحف
القران والدليل على هذا قوله تعالى انه لقران كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون ومنه الحديث
لا تسافروا بالقران الى ارض العدو انما يريد المصحف قال ابو بكر والقول عندنا في تاويل هذا الحديث انه اراد
لو كان القران في جلد ثم القي في النار ما ابطلته لانها وان احرقته فانها لا تذهبه اذ كان الله تعالى قد ضمنه
قلوب الاخيار من عباده والدليل على صحة هذا القول قول الله تعالى للنبي صلعم فيما روي انه منزل عليكم كتابا
لا يغسله الماء تقراه نائما ويقظانا فلم يرد الله تعالى ان القران لو كتب في شيء ثم غسل بالماء لم ينغسل
وانما اراد ان الماء لا يبطله ولا يذهبه اذ كانت القلوب تعيه وتحفظه قال ومثل هذا كثير في كتاب الله
تعالى وفي لغة العرب قال الله تعالى يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا
يكتمون الله حديثا وهم قد كتموا الله تعالى لما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وانما اراد عز وجل ولا يكتمون الله
حديثا في نفس الامر لانهم وان كتموه في الظاهر غير مستتر عنده ۞ المرتضى رضي الله عنه والوجه
الصحيح في تاويل الخبر غير ما توهمه ابن قتيبة وابن الانباري جميعا وهو ان يكون هذا من كلام النبي صلعم على طريق
المثل والمبالغة في تعظيم القران والاخبار عن جلالة قدره وعظم خطره والمعنى انه لو كتب في اهاب و
القي في النار وكانت النار مما لا تحرق شيئا لعلو شانه وجلالته لم تحرقه ولهذا نظاير في القران وكلام
العرب وامثالهم كثيرة ظاهرة على من له ادنى انس بمذاهبهم وتصرف كلامهم فمن ذلك قوله تعالى لو انزلنا
هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون
ومعنى الكلام انا لو انزلنا القران على جبل وكان الجبل مما يتصدع اشفاقا من شيء او خشية لامر لتصدع
مع صلابته وقوته فكيف بكم يا معشر المكلفين مع ضعفكم وقلتكم فانتم اولى بالخشية والاشفاق وقد صرح
الله تعالى بان الكلام خرج مخرج المثل بقوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ومثله
قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ومثله قول الشاعر ۞

۞ اما وجلال الله لو تذكرينني ۞ كذكراك ما نهنهت للعين مدمعا ۞
۞ فقالت بلى والله ذكرا لو انه ۞ يضمنه صم الصفا لتصدعا ۞
ومثله ۞ فلو ان ما بي بالحصا فلق الحصا ۞ وبالريح لم يسمع لهن هبوب ۞
ومثله ۞ وقفت على ربع لمية ناقتي ۞ فما زلت ابكي عنده والاعبه ۞
۞ واسقيه حتى كدت مما ابثه ۞ تكلمني احجاره وملاعبه ۞

وهذه طريقة للعرب مشهورة في المبالغة يقولون هذا كلام يفلق الصخر ويهد الجبال ويصرع الطير وينزل الوعول وليس ذلك بكذب منهم بل المعنى انه لحسنه وحلاوته يفعل مثل هذا لو تاتى ولو كان مما يسهل ويتيسر لشيء من الاشياء لسهلت به ومن اجله فاما الجواب الاول الحاكي عن ابن قتيبة فالذي يفسده زايدًا على ما اورده ابن الانباري انه لو كان الامر على ما ذكره ابن قتيبة وحكاه عن الاصمعي لكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اغرانا بالذنوب لانه اذا امن حافظ القران ومتعلمه من دخوله النار والعذاب فيها ومتعلمه من دخول النار والعذاب فيها ركن المكلفون الى تعلم القران والاقدام على امنين غير خايفين وهذا لا يجوز عليه والمعنى في قول ابي امامة ان الله تعالى لا يعذب قلبا وعى القران على نحو ما ذكره ابن الانباري فاما جواب ابن قتيبة الثاني فقد بين له ان ذلك مختص بزمانه صلى الله عليه وسلم وليس في ظاهر اللفظ ولا غيره دلالة عليه واقوى ما يبطله لو كان نصا كما ذكر لما جاز ان يخفى على جماعة المسلمين الذين رووا جمع معجزاته صلى الله عليه وسلم وضبطها وفي وصل الينا ما روي ذلك وجميعهم غير عارف بهذه الدلالة لابطال ما توهمه فاما الجواب الثالث فباطل لان القران في الحقيقة ليس يحل الجلد ولا يكون فيه حتى ينسب الاحراق الى الجلد دونه واذا كان الامر على هذا لم يكن في قوله ان الاهاب هو المحترق دون القران فايدة لان هذه الصفة تليه من عيب الامور قول ابن الانباري وهذا يوجب ان يكون القران غير المكتوب لان كلام ابن قتيبة ليس يوجب ما ظنه بل يوجب ضده من ان المكتوب هو القران ولهذا علق الاحراق بالكتابة والجلد دون المكتوب الذي هو القران واذا كان المكتوب في المصحف هو القران على ما اقترح ابن الانباري فما المانع من قول ابن قتيبة ان الجلد يحترق دونه لان احدا لا يقول ان الجلد هو القران وانما يقول قوم انه مكتوب فيه وانا كان غيره ولم يمتنع اضافة الاحراق الى احدهما دون الاخر وهذا كله تخليط من الرجلين لان القران غير حال في الجلد على الحقيقة وليست الكتابة غير المكتوب وانما الكتابة امارة على الحروف فاما ان تكون هي الكلام على الحقيقة او يوجد معها الكلام مكتوبا فمحال واما استشهاده على ذلك بالنهي بقوله لا تسافروا بالقران الى ارض العدو فذلك توسع وتجوز وليس يجب ان يجعل اطلاق الالفاظ المحتملة دليلا على اثبات الاحكام والمعاني ومعترضة على دليل العقول وقد يجوز القوم باكثر من هذا فقالوا في هذا الكتاب شعر امرئ القيس وعلم الشافعي وفقه فلان ولم يقتض ذلك ان يكون العلم والكلام في الحقيقة موجودين في الدفتر وقد بينا الكلام في هذا الباب في مواضع هي اولى به والجواب ابن الانباري الذي ارتضاه لنفسه فاما المبطل فيه انه لا مزية للقران فيما ذكره على الكلام والشعر في العالم لانا نعلم ان الشعر او الكلام المحفوظ في صدور الرجال اذا كتب في جلد ثم احترقا وسلم ما

يذهب

يذهب ما في الصدور ومنه بل يكون ثابتا بحاله فاي مزية للقران في هذا على غيره واي فضيلة فان قال وجه المزية ان غير القران من الشعر وغيره يمكن ان ينساه فيبطل باحراق النار اذا كان موضعه المتولي لايداعه الصدور لا يتم ذلك فيه قلنا الكل سواء لان غير القران انما يبطل باحراق الاهاب المكتوب فيه متى لم يكن محفوظا مودعا للصدور ومتى كان بهذه الصفة لم يبطل باحتراق الجلد وهكذا القران لو لم يحفظ في الصدور لبطل بالاحتراق ولكنه لا يبطل بهذا الشرط فصار الشرط في بطلان القران واثباته فلا مزية على هذا الجواب للقران فيما خص به من ان النار لا تمسه وهذا بين في ابطال جميع ما ذكرناه في الخبر وهو اشبه بمذاهب العرب واولى بتفضيل القران وتعظيمه اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال انشدنا ابو حاتم قال ابن دريد وانشدناه عبد الرحمن عن ابن اخي الاصمعي عن عمه عن الحسين بن مطير الاسدي وقال عبد الرحمن قال عمي لو كان شعر العرب هكذا ما اثم منشده

الا حب بالبيت الذي انت هاجره وانت بتلماح من الطرف زايره
لانك من بيت لعيني معجب واملح في عيني من البيت عامره
اصد حياء ان يلج بي الهوى وفيك المنى لولا عدو احاذره
وفيك حبيب النفس لو استطيعه لمات الهوى والشوق حين تجاوره
فان آته لم ينج الا بظنة وان يأته غيري ينط بي جرايره
وكان حبيب النفس للقلب واترا فكيف يحب القلب من هو واتره
وان كن الاعدا احموا كلامه علينا فان تحمى علينا مناظره
احبك يا سلمى على غير ريبة ولا باس في حب تعف سرايره
ويا عاذلي لولا نفاسة حبها عليك لما باليت انك خابره
بنفسي من لا بد اني هاجره ومن انا في الميسور والعسر ذاكره
ومن قد لحاه الناس حتى اتقاهم ببغضي الا ما تجن ضمايره
احبك حبا لن اعنف بعده محبا ولكني اذا ليم عاذره
لقد مات قلبي اول الحب نقضه ولو مت اضحى الحب قد مات اخره
كلامك يا سلمى وان قل نافعي ولا تحسبي اني وان قل حاقره
الا لا ابالي اي حي تحملوا اذا غدا البرقا لم يخل حاضره

وانشدنا الاعرابي لابن مطير لعمرك للبيت الذي لا نطوره احب الينا من بلاد نطورها

تقلبت في الاخوان حتى عرفتهم   ولا يعرف الاخوان الا خبيرها
ولا اصرم الاخوان حتى تصارموا   وحتى يسير طاير لا اسيرها
فانك بعد الشر ما انت واجد   خليلا مديما شيمة لا يديرها   متى يرها يقلبها
من ههنا ومن ههنا

وانك في غير الاخلاء عالم   بان التي تخفى عليك ضميرها
فلا تك مغرورا لمبسم صاحب   من الود لا تدري علام نميرها
وما الجود من فقر الرجال ولا الغنى   ولكنه خيم الرجال وخيرها
وكاين ترى من حال دنيا تغيرت   وحال صفا بعد اكدرار غديرها
ومن طامع في حاجة لن ينالها   ومن ايس منها اتاه بشيرها
فنفسك اكرم من امور كثيرة   فما لك نفس بعدها تستعيرها

رضي الله عنه ولي في معنى قول ابن مطير وقد تغدر الدنيا والبيت الذي بعده من جملة قصيدة

وكيف انس بالدنيا لست ارى   الا انها قد تغتدي عن غرورها
يصبو اليها بامال فجية   كاننا ما نرى عقبى ما بنيها
ووحشة الدار ممن كان يسكنها   كل اعتبار بمن قد طل باويها
لا تكذبن فما قلبي لها وطنا   وقد رايت طلولا من مغانيها

حدثنا ابو عبيد الله المرزباني قال انشدنا علي بن سليمان الاخفش قال انشدنا احمد بن يحيى ثعلب للحسين بن مطير

لقد كنت جلدا قبل ان يوقد الهوى   على كبدي نارا بطيئا خمودها
ولو تركت نار الهوى لتضرمت   ولكن شوقا كل يوم يزيدها
وقد كنت ارجو ان تموت صبابتي   اذا قدمت ايامها وعهودها
وقد جعلت في حبة القلب والحشا   عهاد الهوى يولى بشوق يعيدها
بمرتجة الارداف هيف خصورها   عذاب ثناياها عجاف قيودها

من [illegible] اللثات واصول الاسنان جمع قودها قال ابو العباس ثعلب يعرف بالحفض [illegible] لانه ليس
[illegible] النساء [illegible] ان [illegible] نفسنا لانه حال من الثنايا باخذه الاوسادا

مخصرة الاوساط زانت عقودها   باحسن مما زينتها عقودها
وصفر تراقيها وحمر اكفها   وسود نواصيها وبيض خدودها

وصف صفرة التراقي من الطيب وحمرة كفها من الخضاب

يمنيننا حتى ترف قلوبنا   رفيف الخزامى بات طل يجودها

واخذ قوله مخصرة الاوساط زانت عقودها البيت من قوله مالك بن اسماء بن خارجة

وتزيدين طيب الطيب طيبا   ان تمسيه اين مثلك اينا
واذا الدر زان حسن وجوه   كان للدر حسن وجهك زينا

وقد روى ابو تمام الطائي في الحماسة بعض الابيات التي ذكرناها للحسين بن مطير ورويناها
ويشبه ان يكون الجميع من قصيدة واحدة   وكنت اذود

وكنت اذود العين ان ترد البكا   فقد وردت ما كنت عنه اذودها
خليلي ما بالعيش عيب لو اننا   وجدنا لايام الصبى من يعيدها

وروى ابو تمام ايضا لغيره وبعض الرواة يرويها لابن مطير في نظره بعد الصدود من الجوى كنظرة ثكلى
قد الحبيب   ولي نظرة بعد الصدود من الجوى   كنظرة ثكلى قد اصيب وليدها
هل الله عاف عن ذنوب تسلفت   ام الله ان لم يعف عنها يعيدها

وانشد ابو تمام لابن مطير

قضى الله يا اسماء ان لست زائلا   احبك حتى يغمض العين مغمض
وحبك داء غير ان لا يسرني   وان كان داء انني لك مبغض
اذا انا رضت النفس في حب غيرها   اتى حبها من دونها يتعرض
فيا ليتني اقرضت جلدا صبابتي   واقرضني صبرا على الشوق مقرض

ويشبه ان يكون اخذ قوله اذا انا رضت النفس في حب غيرها من قول رجل من فزارة

ولو ان حيا يحسب الناس انما   بي الهجر لا ها الله ما بي لك الهجر
ولكن اروض النفس انظر هل لها   اذا فارقت احبتها صبر

او من قول نصيب واني لاستحيي كثيرا واتقي   عيونا واستبقي المودة بالهجر
واندب بالهجران نفسي اروضها   لاعلم عند الهجر هل لي من صبر

ويشبه ان يكون اخذ قوله فيا ليتني اقرضت جلدا صبابتي البيت من قول بعض الاعراب

دعي قلبه البرق الملالي رميه   بحب الحمى هنا فكاد يهيم
فهل من معين طرف عين خلية   فانسان عين العامري كليم

وللحسين في هذا المعنى مما رواه المبرد

ولي كبد مقروحة من يبيعني ،، بها كبدا ليست بذات قروح
ابى الناس ويب الناس لا يشترونها ،، ومن يشتري ذا علة بصحيح

ولحق العباس بن الاحنف هذا المعنى فقال

من ذا يعيرك عينه تبكي بها ،، ارايت عينا للبكاء تعار

اخبرنا المرزباني قال حدثني ابو عبد الله الحكيمي قال حدثنا يموت بن المزرع قال اخبرنا محمد بن حميد قال كنا عند الاصمعي فانشده رجل ابيات دعبل

اين الشباب واية سلكا ،، لا اين يطلب ضل بل هلكا
لا تعجبي يا سلم من رجل ،، ضحك المشيب براسه فبكا
يا سلم ما بالشيب منقصة ،، لا سوقة يبقي ولا ملكا
قصر الغواية عن هوى قمر ،، وجد السبيل اليه مشتركا
يا ليت شعري كيف نومكما ،، يا صاحبي اذا دمي سفكا
لا تاخذا بظلامتي احدا ،، قلبي وطرفي في دمي اشتركا

فاستحسنها كل من كان في المجلس واكثر التعجب من قوله ضحك المشيب براسه فبكا فقال الاصمعي انما اخذ قوله هذا من قول ابن مطير الاسدي حين يقول

اين اهل القباب بالدهناء ،، اين جيراننا على الاحساء
جاورونا والارض ملبسة ،، نور الاقاحي تجاد بالانواء
كل يوم باقحوان جديد ،، تضحك الارض من بكاء السماء

وقد اخذه مسلم صريع الغواني مستعبر يبكي على دمنة وراسه يضحك فيه المشيب

المرتضى رضي الله عنه ولابي الحسنا نصيب لا صبهم مثل هذا المعنى وهو قوله

فبكى الغمام به فاصبح روضه ،، جذلان يضحك بالنعيم ويزهر

ولابن دريد

تبسم المزن اذ املت ملعبه ،، فاضحك الروض مع الضاحك الباكي
وغازل الشمس نور ظل يخلفها ،، بعين مستعبر بالدمع ضحاك

وروينا عن ابي العباس المبرد انه قال اخذ ابن مطير قوله تضحك الارض من بكاء السماء من قول دكين الراجز

جن النبات في ذراها وزكا ،، وضحك المزن به حتى بكا [illegible] ان

ان سال سائل عن قوله تعالى واما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب الجواب قلنا قد ذكر في هذه الاية وجهان مطابقان للحق احدهما ان يكون الراسخون في العلم يقولون معطوفين على اسم الله تعالى فكانه قال وما يعلم تاويله الا الله والا الراسخون في العلم فانهم مع علمهم به يقولون امنا به فوقع قوله امنا به في موضع الحال والمعنى انهم يعلمونه قائلين امنا به كل من عند ربنا فهذا غاية المدحة لهم لانهم اذا علموا ذلك بقلوبهم واظهروا التصديق به على السنتهم فقد تكاملت مدحتهم ووصفهم باداء الواجب عليهم والحجة على من ذهب الى ما بيناه في الرد على من استبعد عطفه على الاول وتقدير ان يكون قوله امنا به على هذا التاويل لا ابتداء له قوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول الى قوله شديد العقاب فذكر جملة ثم تلاها بالتفصيل وتسمية من يستحق هذا الفيء فقال للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا الى قوله تعالى انك رؤف رحيم وقال تعالى في المهاجرين الذين تبوءوا الدار والايمان وهم الانصار يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم وقال تعالى فيمن جاء من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان فهذه الايات تدل على انه لو لم يذكر في اية الراسخين في العلم ان يكون قوله تعالى يقولون امنا حالا لهم مع العلم بتاويل المتشابه ولم يشكل شيء من ذلك لما اشكل قوله تعالى والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا في انه موافق لقوله والراسخون في العلم يقولون امنا به وان السورتين واحدة ومما يشهد على ذلك قول يزيد بن مفرغ في عبد كان له يسمى بردا فباعه ثم ندم على بيعه

وشريت بردا ليتني ،، من بعد برد كنت هامه
هامة تدعو صدى ،، بين المشقر فاليمامه
الريح تبكي شجوها ،، والبرق يلمع في الغمامه

فعطف البرق على الريح ثم اتبعه بقوله يلمع في الغمامه فكانه قال والبرق ايضا يبكيه لامعا في الغمامه اي في حال لمعانه ولو لم يكن البرق معطوفا على الريح في البكاء لم يكن معنى ولا فائدة ويمكن ايضا على هذا الوجه مع عطف الراسخين على ما تقدم واثبات العلم بالمتشابه لهم ان يكون قوله تعالى يقولون امنا به استيناف للكلام جملة واستغنى فيه عن حرف العطف كما استغنى في قوله تعالى سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ونحو ذلك لان الجملة الثانية فيه التباس بالجملة الاولى فيستغنى فيه عن حرف العطف ولو عطف بحرف العطف كان حسنا

يتنزل الملتبس غير منزله والوجه الثاني في الآية ان يكون قوله تعالى والراسخون في العلم مستانفا غير معطوف
على ما تقدم ثم اخبر تعالى عنهم بانهم يقولون امنا به ويكون المراد بالتاويل على هذا الجواب المتاول
لانه قد يسمى تاويلا قال الله تعالى هل ينظرون الا تاويله والمراد به لا محالة المتاول الذي لا يعلمه
العلماء وان كان الله تعالى عالما به كنحو وقت قيام الساعة ومقادير الثواب والعقاب وصفة
الحساب وتمييز الصغاير من الكباير وغير ذلك فكانه تعالى قال وما يعلم تاويل جميعه على المعنى الذي ذكرناه الا
الله والعلماء يقولون امنا به وقد اختار ابو علي الجبائي رحمه الله هذا الوجه وقواه وضعف
الاول بان قال قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا دلالة على استسلامهم
لانهم لا يعرفون تاويل المتشابه كما يعرفون تاويل المحكم ولان ما ذكرناه من وقت القيامة ومن
التمييز بين الصغاير والكباير وهو تاويل القران اذا كان داخلا في خبر الله تعالى والراسخون في
العلم لا يعلمون ذلك وليس الذي ذكره بشيء فانه لا يمتنع ان يقول العلماء مع علمهم بالمتشابه امنا
به على الوجه الذي قدمنا ذكره فكيف يظن انهم لا يقولون ذلك الا مع فقد العلم به وما المنكر من
ان يظهر الانسان بلسانه الايمان بما يعلمه ويتحققه فاما قوله ولان ما ذكرناه من ان تاويل القران بذلك
انما يكون تاويلا للقران اذا حملت هذه الاية على التاويل الذي هو الفايدة والمعنى فاذا حملت على انه
وما يعلم تاويل المتشابه وفايدته الا الله فلا بد من دخول العلماء فيه وليس يمكنه ان يقول اذا حمل التاويل
على المتاول كان اظهر من حمله على المعنى والفايدة لان الامر بالعكس من ذلك بل حمله على المعنى اظهر واكثر
في الاستعمال واشبه في الحقيقة على انه لو قال ان الجواب الاول اقوى من الثاني لكان اولى من قوله من قبل
انه لو كان المراد بالتاويل المتاول دون الفايدة والمعنى لم يكن لتخصيص المتشابه بذلك دون المحكم معنى لان
في تاويل المحكم كاخباره تعالى عن الثواب والعقاب والحساب مما لا شبهة في كونه محكما ما لا يعرف تفصيله
ولا كنهه الا الله تعالى فاي معنى لتخصيص المتشابه والكلام يقتضي توجهه نحو المتشابه الا ترى ان قوله تعالى
فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله فخص المتشابه
بالذكر وايضا فالاولى ان يكون المراد بلفظة تاويله الاولى الثانية هو المراد بلفظة تاويله الاولى
فقد علمنا ان الذين في قلوبهم زيغ انما ابتغوا تاويله على خلاف معناه ولم يطلبوا تاويله على خلاف معنا
الذي هو متاوله فالمعنى الجواب الاول اقوى وارجح ويمكن في الاية وجه ثالث لم يذكروه وهو ان يكون قوله
تعالى والراسخون في العلم مستانفا غير معطوف ويكون المعنى وما يعلم تاويل المتشابه بعينه وعلى سبيل
التفصيل الا الله تعالى وهذا صحيح لان اكثر المتشابه قد يحتمل الوجوه الكثيرة المطابقة للحق الموافقة لادلة

لادلة العقول فيذكر المتاول جميعها ولا يقطع على مراد الله تعالى منها بعينه لان الذي يلزم في مثل
ذلك ان يعلم في الجملة انه لم يرد من المعنى ما يخالف الادلة وانه قد اراد بعض الوجوه المذكورة المتساوية
في الجواز والموافقة للحق وليس من تكليفنا ان نعلم المراد بعينه وهذا مثل الضلال والهدى اللذين احتملهما
لوجوه كثيرة منها ما يخالف الحق فيقطع على انه لم يرده ومنها وجوه تطابق الحق فيعلم في الجملة انه قد
اراد احدها ولا نعلم المراد بعينه وغير هذا من الاي المتشابهة فان اكثرها يحتمل وجوها والقليل
منها يختص بوجه واحد صحيح لا يحتمل سواه ويكون قوله تعالى من بعد والراسخون يقولون امنا به اي
صدقنا بما نعلمه مفصلا ومجملا من المحكم والمتشابه وان الكل من عند ربنا وهذا ايضا وجه صحيح اخبرنا
ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا محمد بن ابي الازهر قال انشدنا محمد بن يزيد لابي حية النميري وهي النحوي
ابيات مختارة وخبرك الواشون ان لا احبكم * بلى وستور الله ذات المحارم

اصد وما الصد الذي تعلمينه * عزاء بنا الا اجتراع العلاقم
حياء وبقيا ان تشيع نميمة * بنا وبكم اف لاهل النمايم
وان دما لو تعلمين جنيته * على الحي جاني مثله غير سالم

وروي غير سالم اما انه لو كان غيرك ارقلت * صعاد القنا بالراعفات اللهاذم
ولكنه والله ما طل مسلما * كغر الثنايا واضحات الملاغم

قال ثعلب الملاغم ما حول الفم وقال المبرد يريد العوارض وقوله ما طل مسلما اي ما ابطل دمه

اذا هن ساقطن الاحاديث للفتى * سقوط حصى المرجان من سلك ناظم

وروي ساقطنا الاحاديث للفتى وروي ساقطن الحديث كانه

رمين فاصمين القلوب ولا ترى * دما مايرا الا جوى في الحيازم

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه ومن مستحسن ما مضى في هذه القصيدة قوله

فان لم ابح بالغيظ واقتل * بتقتير ابصار الملاح السقايم
معنى اقتل اقتل فلم اله بالحدث الاكفا الذي له * غدا ريحه من فار اللطايم
اذا اللهو اذا استميله * بجار لكل العودين وحفا المقادم
واذا انا منقاد لكل مقود * الى اللهو حلاف البطالات اثم
روي احب مقود ومعنى حلاف البطالات اي في البطالات
مهين المطايا متلف غير انني * على ذلك ما اثلمه غير نادم

اري خير يومي الخميس وان غلا بي اللوم لم احفل ملامة لايم

معنى خير يومي الخميس اي احب يومي الحرب هو اخر عند اهل الراي والعقل وانشد ابو اسحاق ابراهيم بن سفيان الزيادي لابي حية قال واسمه هيثم بن الربيع

ترحل بالشباب الشيب عنا ٭ فليت الشيب كان به الرحيل
وقد كان الشباب لنا خليلا ٭ فقد قضى مآربه الخليل
لعمر ابي الشباب لقد تولى ٭ حميدا ما يراد به بديل
اذا الايام مقبلة علينا ٭ وظل اراكه الدنيا ظليل

وانشد المبرد قال انشدنا ابو عثمان المازني لابي حية

زمان الصبا ليت ايامنا ٭ رجعن لنا الصالحات القصارا
زمان علي غراب غداف ٭ فطيره الدهر عني فطارا
فلا يبعد الله ذاك الغراب ٭ وان هو لم يبق الا ادكارا
كان الشباب ولذاته ٭ وريق الصبا كان ثوبا معارا

ريق الصبي وريقه ورونقه اوله

وهازئة ان رات لمتي ٭ تلفع شيبا بها فاستدارا
وفلايني شيب بعد الحطام ٭ عذارا فما استطيع اعتذارا
اجارتنا ان ريب الزمان ٭ قبلي غال الرجال الخيارا
فاما تري لمتي هكذا ٭ فاسرعت منها لشيبي انتشارا
فقد ارتدي جنه بلة ٭ وقد ابرز الغنيات الخفارا

اما قوله علي غراب غداف فاراد به الشباب والشعر الاسود ويشبه ان يكون ماخوذا من قول الاعشي

وما طلابك شيئا لست مدركه ٭ ان كان عنك غراب الجهل قد وقعا

ولابي حية من قصيدة اولها

الا اسلمي اطلال الحسنا وانعمي ٭ وحسنا خماص الوشاحين مشيها
الى الردف افنان الكثيب المسنم ٭ الا اسلمي قبل ان ترمي النوى بنافذة بعض الفؤاد المتيم
بقف عاشق لم يبق من روح نفسه ٭ ولا عقله المسلوب غير التوهم

فقلن لها سرا فديناك لا يرح ٭ صحيحا وان لم تقتليه فالمي

ويروى

ويروى سليما ٭ فالقت قناعا دونه الشمس واتقت ٭ باحسن موصولين كف ومعصم

وهذا البيت الاخير ماخوذ من قول النابغة

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه ٭ فتناولته واتقتنا باليد

ولقوله فقلن لها سرا فديناك البيت خبر وهو ما اخبرنا به ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الباقطاني ان عبيد الله بن سليمان بن وهب امر علي بن العباس الرومي وكثر مجالسته لابي الحسين القسم ابنه وسمع شيئا من اهاجيه فقال لابي الحسين قد احببت ان اري ابن روميك هذا فدخل يوما عبيد الله الى ابي الحسين وابن الرومي عنده فاستنشده من شعره فانشده وخاطبه فراه مضطرب العقل جاهلا فقال لابي الحسين بينه وبينه ان لسان هذا اطول من عقله ومن هذه صورته لا تؤمن عقاربه عند اول عتب وما يكفيه في عاقبة فاخرجه عنك فقال اخاف ان يعمل ما يكمه في دولتنا ويذيعه في مكتبنا فقال يا بني لم ارد باخراجك له طرده فاستعمل فيه بيت ابي حية النميري فقلن لها سرا فديناك لا يرح صحيحا وان لم تقتليه فالمم بن فراس الناجي وكان اعدى الناس لابن الرومي وقد هجاه باهاج كثيرة قبيحة فقال له الوزير اعزه الله اشار بان يغتاله حتى يستريح منه وانا اكفيك ذلك فسمه في الخشكنانج فمات فقال الباقطاني والناس يقولون قتله عبيد الله وذكر محمد بن يزيد المبرد قال مما يفضل الخالص من التكلف وسلم من التزيد وبعد من الاستعانة قول ابي حية النميري

رمتني وستر الله بيني وبينها ٭ عشية ارام الكناس رميم
الا رب يوم لو رمتني رميتها ٭ ولكن عهدي بالنضال قديم

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وقد روي هذان البيتان لنصيب في غير رواية المبرد قال المبرد يقول رمتني فاصابتني بمحاسنها ولو كنت شابا لرميت كما رميت وفتنت كما فتنت ولكن عهدي قد تطاول بالشباب وهذا الكلام واضح فاما الاستعانة فهو ان يدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع اليه ليصح نظما او وزنا قال ومما يختار من شعر ابي حية ايضا

الا حي من اجل الحبيب المغانيا ٭ لبسن البلى مما لبسن اللياليا
اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة ٭ تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

ويقال ان احسن ما وصف به المسواك قول ابي حية

لقد طال ما اعيت راحلة الصبي ٭ وعللت شيطان الهوى الغوي المشوق

٭ وداويت جرح القلب منهن بالمنى ٭ وباللحظ لو يبذله المتسرق ٭
٭ وساقيني كاس الهوى وسقيتها ٭ رقاق الثنايا عذبة المترق ٭
٭ وخمصانة تغتر عن متنضد ٭ كنور الاقاحي طيب المتذوق ٭

ويروى عن متنسق يعني ثغرا على نسق واحد لا اختلاف فيه

اذا امتنعت بعد امتناع من الضحى ٭ انابيب من فرع الاراك المخلق

الامتناع الارتفاع يقال متع النهار وامتع اذا طال والمخلق الذي علق به الخلوق والطيب من ريحها
وقال بعضهم يعني الحالق الاملس. سقت شعث المسواك ماء غمامة ٭ فضيضا الخرطوم المدام المروق
لتفتيق الذي حين سال من الغمامة اي كالفضة والخرطوم سلاف الخمر وهو اول ما يخرج من عصيره ولا
دوس ٭ وان ذقت فاها بعدما سقط الندى ٭ تعاطيك خندا ردح المنطق الحيزاء العجزه
والردح العظيمة الارداف. سمعت لغزار الطل غب هيمة ٭ ونور الخزامى في الندى المترقرق الغزار
بهار البر والطل الغض الطري والهيمة مطر لين واخبرنا المرزباني قال اخبرني علي بن هرون بن علي قال
سمعت ابي قد ذكرت قول ابي حية نظرت كاني من وراء زجاجة الى الدار من ماء الصبابة انظر

٭ فعيناي طورا يغرقان من البكا ٭ فاعشى وطورا تحسران فابصر ٭

فقال لو ان ترضني ملك يجب طاعته ويلزم الانقياد لامره فقال ان شعر لهو واولى ان يستحسن ولم يصح
لي ان ميز المدح من الهجو والغزل والتشبيه وساير اصناف الشعر ومذاهب الشعراء فيه لما عدلت عن
هذين البيتين ويقال ان ابا احمد بن عبيد الله بن طاهر اجاز بيتي ابي حية هذين بقوله

٭ فلا مقلتي من غامر الماء تنجلي ٭ ولا دمعتي من كمد الوجد تقطر ٭

وبين البيت والبيتين بعيد ولابي حية ٭

٭ من المبكيات للجلدي كانما ٭ تشج بعينيه الدموع شعيب ٭

الشعيب المزادة من ادم يشعب احدهما بالاخر ٭

٭ ليالي اهلانا جميعا وحولنا ٭ سوام مهار رايح وعزيب ٭
٭ واذ يحتنا الذنوب ومالنا ٭ الا ودهن ذنوب ٭
ولابي حية ٭ اصد عن البيت الحبيب واني ٭ لاصبو الى البيت الذي يجتنب ٭
٭ اذور بيوتا غيره ولاهله ٭ علي ما علا منهم اعز واقرب ٭
٭ وقطع اسباب المودة بيننا ٭ عتاب وهل الا اصل القول يغضب ٭

والتي

٭ والتي يا ام عمرو نميمة ٭ اذا لم تجنبي تدب بها بيني وبينك عقرب ٭
٭ وما بينه لو انه كان عالما ٭ بذاك الا ولي يودون ما نترتب ٭
٭ حديث اذا لم تخش عينا كانه ٭ اذا ساقطته الشهد بل هو اطيب ٭
٭ لو انك تستشفين به بعد سكرة ٭ من الموت كادت سكرة الموت تذهب ٭
٭ فقلت لها ما انا من فاتني ٭ ارى البين ادنى وعده يترقب ٭

قال محمد بن يحيى الصولي وكان اظنه في قوله لو انك تستشفين به بعد سكرة الاتبع قول توبة بن الحمير

٭ ولو ان ليلى الاخيلية سلمت ٭ علي ودوني تربة وصفايح ٭
٭ لسلمت تسليم البشاشة اوزقا ٭ اليها صدى من جانب القبر صايح ٭

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه واول من سبق الى هذا المعنى واحسن الاعشى في قوله

٭ عهدي بها في الحي قد درعت ٭ صفرا مثل المهرة الضامر ٭
٭ لو اسندت ميتا الى نحرها ٭ عاش ولم ينقل الى قابر ٭
٭ حتى يقول الناس مما راوا ٭ يا عجبا للميت الناشر ٭

ومعنى الناشر المنشور يقال انشر الله الميت فنشر وهو ناشر بمعنى منشور مثل ماء دافق بمعنى
مدفوق وقال بعض اصحاب المعاني ان الجارية لملائمة وصفها الشاعر بمعنى انها سموت كما قال تعالى
انك ميت وانهم ميتون اي ستموت فيكون الناس عجبوا من ان يكون من يموت ينشر الموتى ومن قال هذا
اجاز نشر الله الموتى بمعنى انشر والقول الاول احسن واظهر وما ذكر الاعشى عن غيره [illegible]
انسال سائل عن قوله تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم
وهو ارحم الراحمين فقال لم خص اليوم بالقول وانما اراد تعالى العفو عنهم في جميع مستقبل الا وقات
الجواب قلنا في هذه الاية وجوه اربعة اولها انه لما كان هذا الوقت الذي اشار اليه هو اول اوقات
التي لا سف فيها نفسه لهم واطلعهم على ما كان يستره عنهم من امره اشار الى الوقت الذي لو اراد الا نتقام
لابتداء فيه والذي متى عفى فيه لم يراجع الانتقام وثانيها ان يوسف عليه السلام لما قدم توبيخهم
وعدد عليهم قبيح ما فعلوه وعظيم ما ارتكبوه وهو مع ذلك لم يستر عنهم نفسه ولا يفصح لهم بحاله
قال لهم عند تعريفهم امره لا تثريب عليكم اليوم اي قد انقطع عنكم توبيخي وتعنيفي عليكم ولايمتنع عند اعترافكم
بالذنب فكان ذكر اليوم دلالة على انقطاع المعاتبة والتوبيخ وعلى ان الاوقات المتصلة باليوم
تجري مجراه في زوال التعنيف وتمام العفو وسقوط المواخذة لهم على ما سلف منهم وثالثها ان يكون

اليوم المراد به الزمان والحين ووضع اليوم موضع الزمان كله المشتمل على الايام والليالي والشهور والسنين كما يقول القرني لغيره قد كنت تستحسن شرب الخمر فاليوم وقفت لتركها ومعناها يريد في هذا الزمان ولا يريد يوما واحدا بعينه ومثله قد كنت تقصر عن الحاجب في فنون العلم فاليوم ما يعجزك مسئلة وما توقف عنه مشكلة يريد اليوم باقي الزمان كله قال امرؤ القيس

حلت لي الخمر وكنت امرا عن شربها في شغل شاغل
فاليوم فاشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل

ولم يقصد يوما بعينه ومثله

اليوم يرحمنا من كان يغبطنا واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا

وقال لبيد وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

كل ذلك لا يراد به الا اليوم والغد فيه الا في جميع الاوقات المستقبلة وربما ان يكون المراد لا تثريب عليكم اليوم ثم قال يغفر الله لكم فعلق اليوم بالغفران فكان المعنى غفر الله لكم اليوم وقد ضعف قوم هذا من جهة ان الدعاء لا ينتصب ما قبله فاما معنى التثريب فان ابا عبيدة قال معناه لا تشعيب ولا معاقبة ولا افساد قال الشاعر فعفوت عنهم عفو غير مثرب وتركتهم لعقاب يوم سرمد

وقال ابو العباس ثعلب يقال ثرب فلان على فلان اذا عدد عليه ذنوبه وقال بعضهم التثريب ماخوذ من لفظ الثرب وهو شحم الجوف فكانه موضوع للمبالغة في اللوم والتعنيف والتقصي الى ابعد غاياتهما روى ابو عبيد القسم بن سلام عن حجاج عن حماد بن سلمة عن سلم بن حيان وحبيب بن الشهيد عن ابن سيرين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه نهى عن كسب الزمارة قال ابو عبيد قال حجاج الزمارة الزانية قال وهذا مثل حديثه الاخر انه نهى عن كسب البغي قال ابو عبيد قال غير حجاج هي الرمازة بتقديم الراء وقول حجاج اثبت عندنا لانهم كانوا يكرهون اماءهم على البغاء فنزل الله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا فالعرض هو كسب البغي الذي نهى النبي صلى الله عليه عنه قال ابو عبيد ولا اعلم الحرف الذي قال حجاج الا غريبا وجدتها مفسرة في الحديث قال ابن قتيبة الامر على ما ذكر ابو عبيد الا انكر على من فسرها انما الرمازة تصحيفا سميت بذلك لانها ترمز اي تومي بعينيها وحاجبيها وشفتيها قال والرمز الايماء في الشفتين ومنه قوله تعالى اياتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا فالرمازة صفة من صفات الفاجرة تصانع اللحظ والحاجب والحلم وكذلك قيل للجاهلي لا تنسانها تكلم الي الفراش او على الباب من الحادثه بجانب النساء وان كانت عند زوجها وقيل الخاضع للبغاء فصار ذلك اسما لها

وقد
الدال ما

لما دون غيرها من النساء وان كانت قد تكثر لزوجها وبحوقولهم للبغي على السوق في شعر الاعلى بن صاد كالاسم له والمريبة لا تكاد تعلن الكلام وانما تومي او ترمز او تومي او تعقد قال الشاعر

ورمت الى مخافة من بعلها من غير ان يبدو لها كلامها وقال الاخطل
احاديث سدّاها بجمرة وفرق ورمانة مالت لمن يستميلها وقال الراجز
يومين بالاعين والحواجب ايماض برق في عماء ناصب

العماء السحاب والناصب البعيد وقال بعضهم انما قيل للفاجرة قحبة من القحاب وهو السعال قال ولحسبه انها اذا ارادت تتنحنح او تسعل ترمز بذلك وبلغني ان المفضل انه كان يقول في قول الناس اجبن من صافر انه الرجل يصفر للفاجرة وهو يخاف كل شيء فاما الاصمعي فانه كان يقول الصافر ما يصفر من الطير وانما وصف بالجبن لانه ليس من الجوارح وقال ابن قتيبة ولا ارى القول الا قول المفضل والدليل على ذلك قول الكميت بن زيد الاسدي ارجو لكم ان تكونوا في اخائكم كلبا كورها ابقى كل صفار

لما اجابت صفيرا كان آيتها من قابس شيط الوجعاء بالنار

وهذه امراة كان يصفر لها رجل فيجيب فتمثل زوجها بدو صفر لها فاتته فشيطها بميسم فلما اعاد الصفير قالت قد قلينا صفيركم يريد انا قد عققنا واطرح اهل فاجر وقال ابو بكر محمد بن القاسم الانباري والاختيار عندي الرمازة بتقديم الراء وعلى ما قال ابو عبيد في ثلاث احدها اجماع اصحاب الحديث على الزمارة والحجة الثانية ان الفاجرة سميت زمارة لانها تحسن نفسها وكلامها والزمر عند العرب الحسن قال عمرو بن احمر الباهلي يصف شواء او غناء دنان حنانان بينهما رجل اجش غناؤه زمر قال الاصمعي معناه غناؤه حسن كانه من زامر او ذو عود والحجة الثالثة انهم سموا الفاجرة زمارة لقلتها نعتا وقلة حيائها من قول العرب نعجة زمرة اذا كانت قليلة الصوف ويقال رجل زمر المروءة اذا كان قليل المروءة قال ابن احمر

مطلنفئا لون الحصى لونه يحجر عنه الذر زيش زمر

المطلنفئ اللاصق بالارض واللاصق الشخص والزمر القليل فسميت البغي زمارة على جهة الذم لها والتصغير لشأنها كما قيل لها فاجرة لميلها عن القصد يقال فجر الرجل اذا مال قال لبيد

فان تتقدم تغش منها مقدما غليظا وان اخرت فالكفل فاجر

اي مائل والكفل ما يوضع على ظهر البعير يوقى من العرق رضي الله عنه ولا اردي لاحدى الروايتين الرواية الاخرى رجحانا لان كل واحدة منهما قد اتت من جهة من يسكن الى مثله ولكل واحدة منهما مخرج في اللغة وتاويل يرجع الى معنى واحد لان الرمازة بالراء المعجمة يرجع معناها الى معنى ما ذكره ابن

نعتا
الرواية
الراء
الانباري

قتيبة من المرزوبين رواه بالنون المعجمة المرجع في معناها الى ذلك يفضي على الوجهين اللذين ذكرهما
ان لا يتاريفه او لان يثبتا متساويين ويكون الراوي مخيرا فيهما . اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال انشدني محمد بن الكاتب قال انشدنا ابن الاعرابي للمضرب وهو عقبة بن زهير بن ابي سلمى

وما زلت ارجو نفع سلمى وودها   وتبعد حتى ابيض مني المسايح
وحتى رأيت الشخص يزداد مثله   اليه وحتى نصف راسي واضح
علا حاجبي الشيب حتى كانه   ظباء جرت منها سنيح وبارح
وهزة اظعان عليهن بهجة   طلبت وريعان الصبى بي جامح
وشدت على حدب المهاري رحالها
فلما قضينا من منى كل حاجة   ومسح بالاركان من هو ماسح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا   وسالت باعناق المطي الاباطح
وشدت على حدب المهاري رحالنا   ولا ينظر الغادي الذي هو رائح
فقلنا على الخوص المراسيل وارتمت   بهن الصحاري والصفاح الصحاصح

وانشد ابن الاعرابي له

فصدت بعيني شاذن وتبسمت   بجاعن عن الحسن غر ويب
جرى الماء تعل الاحوى عليهن او جرى   عليهن من فرع الاراك قضيب

حدثنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي قال اخبرنا محمد بن الحسن البلخي قال اخبرنا ابو حاتم الباهلي قال سمعت الاصمعي يقول سمعت الرشيد يقول قلب العاشق عليه مع معشوقه فقلت والله يا امير المومنين لحسن من قول عروة بن حزام العذري

ارى لي تعروني لذكراك روعة   لها بين جلدي والعظام دبيب
وما هو الا ان اراها فجاءة   فابهت حتى ما اكاد اجيب
ويضمر قلبي غدرها ويعينها   علي فما لي في الفؤاد نصيب

فقال الرشيد من الحذا وما فانا اقول علم الله ذلك يا اصمعي فان الجن ينال ما ينال عند العلماء قال الصولي واخذ العباس بن الاحنف هذا فقال

تحمين الحزين قلبه   وما زال فاتن الطرف ساحر
يوازره قلبي علي وليس لي   يدان بمن قلبي علي يوازره

واشار

واشار اليه في قوله قلبي الي فما

قلبي الي مما ضني داعي   يكثر احزاني واوجاعي
كيف احتراسي من عدوي اذا   كان عدوي بين اضلاعي

واخذه سهل بن هرون الكاتب فقال

اعان طرفي على جسمي واعضائي   بنظرة وقفت جسمي على دائي
وكنت غرا بما تجني علي يدي   لا علم لي ان بعضي بعض اعدائي

وقال البحتري

ولست اعجب من عصيان قلبك لي   يوما اذا كان قلبي فيك يعصيني

وروى علي بن عبد الله الضبي عن مسعود بن بشر المازني قال قال لنا الاصمعي يوما ما احسن ما قيل في امرأة عجزاء جسيمة فانشدنا قول الاعشى

صفر الوشاحين مل الدرع بهكنة   اذا تاتى يكاد الخصر ينخزل

وانشد قول علقمة بن عبدة

صفر الوشاحين مل الدرع خرعبة   كانها رشا في البيت ملزوم

وانشد قول ذي الرمة

ترى خلفها نصفا قناة قويمة   ونصفا نقا يرتج او يتمرمر

فقال احسن ما قيل فيه قول ابي وجزة السعدي

ادماء في وضح يكاد رداؤها   يفري ويشبع ما لحشه ازارها

قال ابو عثمان ومثله قول الحرث بن خالد المخزومي

عريان سمط وشاحها قلق   ريان من ارادفها المرادا

واخبرنا المرزباني قال اخبرنا محمد بن ابراهيم قال اخبرنا ابو العيناء قال اخبرنا الاصمعي قال لما مات محمد بن سليمان بن علي الهاشمي دخلت على اخيه جعفر بن سليمان وقد حزن عليه حزنا شديدا ولم يطعم ثلاثا فانشدته لابي الكرم الثقفي

لعمري لئن ابقت منك ما مضى   به الدهر او ساق الحمام الى القبر
لتستنفذن ماء الشئون باسره   ولو كنت تمريهن من ثبج البحر
فقلت لعبد الله اذ حن باكيا   تعز وماء العين منهمر يجري
تبين فان كان البكاء رد هالكا   على احد فاجهد بكاك على عمرو

ولا يبك ميتا بعد ميت اجنه   على وعباس وآل ابي بكر

قوله لم يحجب بالطعام فاعل من ساعته قوله اذ حن باكيا معناه رفع صوته بالبكاء وقال القوم الحنين من الانف والانين من الصدر وهو صوت يخرج من كل واحد منهما واخبرنا المرزباني قال اخبرنا محمد بن العباس قال اخبرنا محمد بن يزيد النحوي قال سمعت التوزي يقول دخلت مع الاصمعي الى اسماعيل بن جعفر ليلة في حاجة فانشده الاصمعي ابيات ابن هرمه

اتيناك نرجو حاجة ووسيلة   اليك وقد تخفى لديك الوسائل
وتذكر ودا شده الله بيننا   على الدهر لم تدب اليه الغوائل
فاقسم ما البين نادك قادح   ولا اكذبت فيك الرجاء القوابل
ولا رجعت ذا حاجة عنك علة   ولا عاق خيرا عاجلا عنك اجل
ولا لام فيك الباذل لوجه نفسه   ولا احتكمت في الجود منك المباخل

لم يزد على هذه الابيات فقضى حاجته واجاب مسئلته [illegible] رحمه الله ويشبه ان يكون اخذ ابن هرمه قوله واكذبت فيك الرجاء القوابل من قول الحزين الكناني في زين بن علي بن الحسين رضوان الله عليه

فلما تردى بالحمائل وانثنى   يصول باطراف القنى الذوابل
تيقنت الاعداء ان سنانه   يطيل حنين الامهات الثواكل
تبين فيه ميسم البر والتقى   وليدا يفدى بين ايدي القوابل

واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن الحسن البلخي قال حدثني ابو حاتم عن الاصمعي قال قال لي الرشيد يوما يا اصمعي اتعرف للعرب اعتذارا او ندما ودع امر النابغة فانه خبيث وبعيد فقلت له ما اعرف ذلك الا لبشر بن ابي حازم الاسدي فانه هجا اوس بن حارثة بن لام فاسره بعد ذلك واراد قتله فقالت له امه وكانت ذات راي والله لا تغسل هجاءه عنك الا مدحه اياك فعفا عنه فقال بشر

اني لما كان مني لنادم   واني الى اوس بن لام لتائب
واني الى اوس ليقبل توبتي   ويعرف ودي ما حييت لراغب
فهب لي حياتي فالحياة لقائم   بشكرك فيها خير ما انت واهب
سامحو بمدح فيك اذ انا صادق   كتاب هجاء سار اذ انا كاذب

فقال الرشيد للاصمعي ابدع ولم تحسن بمقالتك فيها واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا عبد الرحمن يعني ابن اخي الاصمعي عن عمه قال سمعت

سمعت بيتين لم احفل بهما قلت هما على حال خير من موضعهما من الكتاب قال فاتيت عند الرشيد يوما وعنده عيسى بن جعفر فاقبل على مسرور الكبير فقال يا مسرور كم في بيت السرور فقال ما مال ح فيه شيء فقال عيسى هذا بيت مال الحزن فاغتم لذلك الرشيد فاقبل على عيسى وقال والله لتعطين الاصمعي سلفا على بيت مال السرور الف دينار فوجم عيسى وانكسر فقلت في نفسي جاء موضع البيتين فانشدت الرشيد

اذا شئت ان تلقى اخاك معبسا   وجداه في الماضين كعب وحاتم
فكشفه عما في يديه فانما   تكشف اخبار الرجال الدراهم

قال فتجلى عن الرشيد وقال يا مسرور اعطه على بيت مال السرور الفي دينار فاخذت بالبيتين الفي دينار وما كانا يساويان عندي درهمين [illegible] تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى خلق الانسان من عجل سأريكم اياتي فلا تستعجلون الجواب قيل له قد ذكر في هذه الاية وجوه من التاويل نحن نذكرها ونرجح الارجح منها اولها ان يكون معنى القول المبالغة في وصف الانسان بكثرة العجلة وانه شديد الاستعجال لما يؤثره من الامور لهج باستدناء ما يجتلب اليه نفعا او يدفع عنه ضررا ولهم عادة في استعمال مثل هذا اللفظ عند المبالغة كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم ما خلقت الا من نوم وما خلق فلان الا من شر اذا ارادوا كثرة وقوع الشر منه وربما قالوا ما انت الا اكل وشرب وما اشبه ذلك قال الشاعر يصف ناقة

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت   فانما هي اقبال وادبار

واذا اراد ما ذكرناه من كثرة وقوع الاقبال والادبار منها ويشهد لهذا التاويل قوله تعالى في موضع اخر وكان الانسان عجولا ويطابق هذا قوله تعالى فلا تستعجلون لانه وصفهم بكثرة العجلة وان من شانهم فعلها ثم نهاهم عن الاستعجال باستدعاء الايات من حيث كانوا متمكنين من مفارقة طريقتهم في الاستعجال وقادرين على التثبت والتاني وثانيها ما اجاب به ابو عبيدة وقطرب بن المستنير وغيرهما من ان في الكلام قلبا والمعنى خلق العجل من الانسان واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة والمعنى ان العصبة تنوء بها وبقول العرب عرضت الحوض على الناقة وقولهم اذا طلعت الشعرى استوى العود على الحرباء وبقول الاعشى

لمحقوقة ان تستجيبي لصوته   وان تعلمي ان المعان موفق

يريد ان الموفق معان ويقول الاخر

على العيارات هداجون قد بلغت   نجران او بلغت سواتهم هجر

ومعناه ان السوات هي التي بلغت هجر وبقول خداش بن زهير وتركب خيل لا هوادة بينها وتشقى الرماح

يريد تمشي الضياطرة الحمر بالرماح ويقول الآخر

،، تمشي به عوذ النعاج كأنها ،، عذارى ملوك في بياض ثياب ،،

يريد في ثياب بيض ويقول الآخر

،، حسرت كفي عن السربال آخذه ،، فرداً يجر على ايدي المفدينا ،،

يريد حسرت السربال عن كفي ويقول ابن احمر ،،

،، وجود طار باطلها نسيلاً ،، واحدث قومها شعراً قصارا ،،

يريد طار نسيلها باطلاً ويقول الآخر

،، وصفوة الكتافهم في قيهم ،، اذا ما مشوا لا يعجزون من النسا ،،

اراد قيهم في كتافهم ويقول الآخر وهن من الاخلاف والولعان . اي الاخلاف والولعان منهن يقع على صاحب هذا الجواب المناقض له عن حمل كلام الله تعالى على القلب ان يقال له وما المعنى والفائدة في قوله تعالى خلق العجل من الانسان اترى يريد بذلك ان الله تعالى خلق في الانسان العجل فهذا لا يجوز لان العجل فعل من افعال الانسان فكيف تكون مخلوقة فيه لغيره ولو كان كذلك لما جاز ان ينهاهم عن الاستعجال في ك فيقول سأريكم آياتي فلا تستعجلون لانه لا ينهاهم عما خلقه فيهم فان قالوا المراد تعالى انه خلقها لنا اراد كثرة فعل الانسان لها وانه لا يزال يستعملها قيل له هذا هو الجواب الذي قدمناه من غير حاجة الى القلب والتقديم والتأخير واذا كان هذا المعنى يتم وينتظم على ما ذكرناه من غير قلب فلا حاجة بنا اليه وقد ذكر ابو القاسم البلخي رضي الله عنه هذا الجواب في تفسيره واختاره وقواه وسال نفسه عليه فقال كيف جاز ان يقول فلا تستعجلون وهو خلق العجلة فيهم واجاب بانه قد اعطاهم قدرة على مغالبة طباعهم وكفها وقد يكون الانسان مطبوعاً عليها وهو مع ذلك مأمور بالتثبت قادر على تجنب العجلة وذلك كخلقه في البشر شهوة النكاح وامرهم في كثير من الاوقات بالامتناع منه وهذا الذي ذكره البلخي يقرب بان المراد بالعجل غيره وهو الطبع الداعي اليه والشهوة المتناولة له ويجب ان يكون المراد بخلقنا فان شهوة العجل لا تكون مخلوقة من الانسان وانما تكون فيه وهذا تجوز على تجوز وتوسع على توسع لان القلب له ايضاً فيه بعيد المجاز وذكر العجل والمراد به غيره مجاز آخر واقامة من مقام في مجاز ثالث الى انه تعالى نهاهم عن العجلة بقوله فلا تستعجلون اي متى لم تدفعوا ان خلقت شهوة العجلة فيهم او الطبع الداعي اليها على ما ذهب اليه البلخي وهذا الى ان يكون حجة لهم اقرب منه الى ان يكون حجة عليهم وليس المراد ان لا يكون مضطراً او ملجأ فلا يكون لهذا معنى في الجواب الاول من تعليق ذلك على طريقة

طريق الذم والتوبيخ والتقريع من غير اضافة له اليه عز وجل والجواب الاول اصح وثالثها جواب روي عن الحسن قال يعني بقوله من عجل اي من ضعف يعني النطفة المهينة الضعيفة وهذا قريب ان كان في اللغة شاهد على ان العجل يكون عبارة عن الضعف ومعناه ورابعها ما حكي ان ابا الحسن الاخفش اجاب به وهو ان يكون المراد ان الانسان خلق من تعجيل من الامر لانه تعالى قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فان قيل كيف يطابق هذا الجواب قوله تعالى من بعد فلا تستعجلون قلنا يمكن ان يكون وجه المطابقة انهم لما استعجلوا بالآيات واستبطؤوها اعلمهم تعالى انه ممن لا يعجزه شيء اذا اراده ولا يمتنع عليه وان من خلق الانسان بلا علقة ولا مدة بان قال له كن فكان مع ما فيه من بدائع الصنعة وعجائب الحكمة التي يعجز عنها كل قادر ويحار فيها كل ناظر لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الآيات وخامسها ما اجاب به بعضهم من ان العجل الطين فكأنه تعالى قال خلق الانسان من طين كما قال عز وجل في موضع آخر وبدأ خلق الانسان من طين واستشهد بقول الشاعر ،،

،، والنبع ينبت بين الصخر ضاحية ،، والنخل ينبت بين الماء والعجل

ووجدنا قوماً يطعنون في هذا الجواب ويقولون ليس بمعروف ان العجل هو الطين وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم ان العجل هو الحماة ولم يستشهد عليه والبيت الذي انشدناه يمكن ان يكون شاهداً له وقد رواه ثعلب عن ابن الاعرابي خالف في شيء من الفاظه فرواه النبع في الصخرة الصماء منبته والنخل ينبت بين الماء والعجل فاذا صح هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى فلا تستعجلون على نحو ما ذكرناه وهو ان من خلق الانسان مع الحكم الظاهرة فيه من الطين لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الآيات ويكون المعنى انه لا يجب لمن خلق من الطين المهين وكان اصله هذا الاصل الحقير الضعيف ان يهزأ برسل الله تعالى وآياته وشرائعه ولانه تعالى قبل هذه الآية واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزواً وسادسها ان يكون المراد بالانسان آدم عليه السلام ومعنى من عجل اي من سرعة من خلقه لانه لم يخلقه تعالى من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق غيره وانما ابتدأه الله تعالى ابتداء وانشأه انشاء فكأنه تعالى نبه بذلك على الآية العجيبة في خلقه وانه خلق غيره بريا ولا اولا ما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه احوالهم وسابعها ما روي عن مجاهد وغيره ان الله تعالى خلق آدم بعد خلق كل شيء آخر نهار يوم الجمعة على سرعة معاجلة غروب الشمس وروي ان آدم عليه السلام لما نفخت فيه الروح وبلغت الى حسنه ولم تبلغ اسافله قال يا رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس وثامنها ما روي عن ابن عباس والسدي ان آدم عليه السلام لما خلق وجعلت الروح في اكثر جسده وثب عجلان مبادراً الى ثمار الجنة وقال القوم لما هم بالوثوب فهذا معنى قوله تعالى خلق الانسان من عجل وهذه الاجوبة الثلاثة المتأخرة

المبنية على ان المراد بالانسان آدم عليه السلم دون غيره قال [illegible] رضي الله عنه واني لاستحسن لمسكين الدارمي

ورب امور قد بريت لحاءها ،، وقومت من اصلابها ثم زغتها
اقيم بدار الحزم ما لم اهن بها ،، فان خفت من دار هوانا تركتها
واصلح جل المال حتى تخالني ،، شحيحا وان حق عراني اهنتها
ولست بولاج البيوت لفاقة ،، ولكن اذا استغنيت عنها ولجتها
ابيت عن الادلاج في الحي نائما ،، واربي بادلاج وهم قطعتها
الا ايها الجاري سنيحا وبارحا ،، بعرض غسال والاشاء قتلتها
يعارض فخر الفاخرين بعصبة ،، ولو وضعت في اناء اكلتها
وان لنا ربعية المجد كلها ،، مواريث اباء كرام ورثتها
اذا قصرت ايدي الرجال عن العلا ،، مددت يدي باعا عليهم فنلتها
وداع دعاني للعلا فاجبته ،، ودعوة باغ في الصديق خذلتها
ومكرمة كانت رعاية والدي ،، يعلمنيها والدي فعلقتها
وعوراء من قيل امرئ ذي قرابة ،، تصاممت عنها بعدما قد سمعتها
رجاة غد ان تعطف الرحم بيننا ،، ومظلمة مني نهى عن ركبتها
اذا ما امور الناس رثت وضيعت ،، وجدت اموري كلها قد رممتها
واني بتقوى الله لم ادر حقه ،، ولم يعتني يوم سر خفيتها
ولا قاذفا نفسي ونفسي بريئة ،، وكيف اعتذاري بعد ما قد قذفتها

اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابو ذر القراطيسي قال اخبرنا عبد الله بن محمد بن ابي الدنيا قال اخبرنا عبد الرحمن بن صالح الازدي عن شيخ من الانصار رحمه قال قال مسكين الدارمي

ولست اذا ما سرني الدهر فرحا ،، ولا خاشعا ما عشت من حادث الدهر
ولا جاعلا عرضي لمالي وقاية ،، ولكن اقي عرضي فيحرز وفري
اعف لدى عسري وابدي تجملا ،، ولا خير فيمن لا يعف لدى العسر
واني لاستحيي اذا كنت معسرا ،، صديقي وخلاني بان يعلموا فقري
واقطع اخواني وما حال عهدهم ،، حياء واعراضا وما بي من كبر
فان يك عارا ما اتيت فانما ،، الى المرء يوم الشهر حيث لا يدري

ومن

ومن يفتقر يعلم مكان صديقه ،، ومن يحي لا يعدم بلاء من الدهر

ومن مستحسن قوله . انا ادع مسكينا فما قصرت ،، قدري بيوت الحي والجدر

وقيل ان مسكينا ليس باسمه وانما اسمه ربيعة وانما سمي مسكينا بقوله

وسميت مسكينا وكانت لحاجة ،، واني لمسكين الى الله راغب

ومعنى قصرت قدري لي سترت بيوتا بها بادرة لا تحجبها السواتر والحيطان

ما مس رحلي العنكبوت ولا ،، جدياته من وضعه غبر

هذه كناية مليحة عن مواصلة السير وهجر الوطن لان العنكبوت انما تنسج على ما تناله الايدي ولا يكثر استعماله والجديات جمع جدية وهي باطن دفة الرحل

لا اخذ الصبيان النهم ،، والامر قد يغرى به الامر

يقول لا اقبل الصبي وانا اريد التعرض بامه ومثله لغيره

ولا الفي لذي الودعات سوطي ،، الاعبه وريبته اريد

ويروى وريبته اريد وانشد ابن الاعرابي مثله

اذا رايت صبي القوم يلثمه ،، ضخم المناكب لا عم ولا خال
فاحفظ بنيك منه ان يدنسه ،، ولا يغرنك بعد قلة المال

ويروى حسبك رجع الى القصيدة

ولرب امر قد تركت وما ،، بيني وبين لقائه ستر
ومخاصم قاومت في كبد ،، مثل الدهان فكان لي العذر

ويروى الفهر والكبد المراة التي لا يثبت فيها الارجل والدهان الاديم الاحمر

ما عابني قومي بنو عدس ،، وهم الملوك وخالي الكبر
عمي زرارة غير منتحل ،، وابي الذي حدثته عمرو
في المجد عزتنا مبينة ،، للناظرين كانها البدر
لا يرهب الجيران غدرتنا ،، حتى يواري ذكرنا القبر
لسنا كاقوام اذا كلحت ،، احدى السنين فجارهم تمر

اي تستحلي العرب كما تستحلي التمر

مولاهم لحم على وضم ،، تنتابه العقبان والنسر
ناري ونار الجار واحدة ،، واليه قبلي تنزل القدر

يقال انه كانت له امراة تماظه فلما قال ذلك قالت له اجل اما نارك ونارنا واحدة لانه اوقد ولم توقد والقدر ينزل اليه قبلك لانه طبخها ولم تطبخ فانت تستطعمه

ما ضر لي جارا اجاوره الا يكون لبيته ستر

ويقال انها قالت له في هذا البيت اجل لو كان ستر هتكته

اعمى اذا ما جارتي خرجت حتى يواري بيننا الخدر
ويصم عما كان بينهما سمعي وما بي غيره وقر

وانشد عمر بن شبه لمسكين الدارمي ايضا

لا تجعلني كاقوام علمتهم لا يظلمون البتة يوما ولا ودجا
اني لاعلامهم باللحم قد علموا نيا واخبثهم باللحم منضجا
انا ابن قيا لجوع القوم قد علموا اذا السماء كست افاقها رهجا
يا رب امرين قد فرجت بينهما اذا هما انشبا في الصدر واعتلجا
اديم خلقي لمن دامت خليقته وامزح للحلو احيانا لمن مزحا
واقطع الخرق بالخرقاء لاهية اذا الكواكب كانت في الدجى سرجا
ما انزل الله من امر فاكرهه الا سيجعل لي من بعده فرجا
ما مدحوهم بايديهم الى شرف الا روانا قيا ما فوقهم درجا

وانشد ابو العباس ثعلب له

اضاحك ضيفي قبل انزال رحله ولم يلهني عنه غزال مقنع
احدثه ان الحديث من القرى وتعلم نفسي انه سوف يهجع

ومثله لغيره اضاحك ضيفي قبل انزال رحله ويخصب عندي والمكان جديب
وما الخصب للاضياف ان يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

ويروى لثعلب

لحافي لحاف الضيف والبيت بيته ولم يلهني عنه غزال مقنع
احدثه ان الحديث من القرى وتعلم نفسي انه سوف يهجع

ومعنى قوله احدثه ان الحديث من القرى اي اصبر على حديثه واعلم انه سوف ينام ولا اعرض لحديثه لحادثة والوني وقد عيب قوله والحديث الحسن من تمام القرى قال الاصمعي احسن ما قيل في الغيرة قول

قول مسكين الدارمي الا ايها الغائر المستشيط علام تغار اذا لم تغر
تغار على الناس ان ينظروا وهل يفتن الصالحات النظر
اذا الله لم يعطه ودها فلن تعطي الود سوط ممر
فما خير عرس اذا خفتها وما خير بيت اذا لم يزر
فاني ساخلي لها بيتها فتحفظ لي نفسها او تذر
ومن ذا يراعي له عرسه اذا ضمه والمطي السفر

رضي الله عنه وكان مسكين الدارمي كثير اللهج بالقول في هذا المعنى ومن ذلك قوله

واني امرؤ لا آلف البيت قاعدا الى جنب عرسي لا افرطها شبرا
ولا مقسم لا ابرح الدهر بيتها لاجعله قبل الممات لها قبرا
اذا هي لم تحصن امام فنائها فليس ينجيها بنائي لها قصرا
ولا حاملي ظني ولا قيل قائل على غيرة حتى احيط بها خبرا
فهبني امرا راعيت ما دمت شاهدا فكيف اذا ما غبت من بيتها شهرا

وانشد ابو العيناء عن ابي العالية لمسكين

ما احسن الغيرة في حينها واقبح الغيرة في غير حين
من لم يزل متهما عرسه مناصبا فيها لرجم الظنون
يوشك ان يغريها بالذي يخاف او ينصبها للعيون
حسبك من تحصينها ضمها منك الى خلق كريم ودين
لا تظهرن منك على عورة فيتبع المقرون حبل القرين

تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فقال هل يسوغ ما تاول بعضهم في هذه الآية من ان يوسف عليه السلام عزم على المعصية وارادها وانه جلس مجلس الرجل من المراة ثم انصرف عن ذلك بان راى صورة يعقوب عليه السلام عاضا على اصبعه متوعدا له على مواقعة المعصية او بان نودي بالنهي والزجر في الحال على ما وردت به الحديث والجواب قلنا اذا ثبت بدلالة العقول التي لا يدخلها الاحتمال والمجاز ووجوه التاويلات ان المعاصي لا تجوز على الانبياء عليهم السلام صرفنا كلما ورد ظاهره بخلاف ذلك من الكتاب والسنة الى ما

يطابق الادله ويوافقها كما نفعل مثل ذلك ما يرد ظاهره مخالفا لما تدل عليه العقول من صفاته تعالى وما يجوز عليه او لا يجوز ولهذه الآية وجوه من التاويل كل واحد منها يقتضي نزاهة نبي الله صلى الله عليه من العزم على الفاحشة وارادة المعصية اولها ان الهم في الآية تعلق بما لا يصح ان يتعلق به العزم والارادة على الحقيقة لانه تعالى قال ولقد همت به وهم بها فعلق تعالى الهم بهما وذاتهما لا يجوز ان تراد او يعزم عليهما لان الموجود الباقي لا يصح ذلك فيه فلا بد من تقدير محذوف يتعلق العزم به وقد يمكن ان يكون ما تعلق به عزمه عليه السلم انما هو ضربها او دفعها عن نفسه كما يقول القايل قد كنت هممت بفلان وقد هم فلان بفلان اي بان يوقع به ضربا او مكروها فان قيل فاي معنى لقوله تع لولا ان راى برهان ربه والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها قلنا يمكن ان يكون الوجه في ذلك انه لما هم بدفعها وضربها اراه الله تعالى برهانا على انه ان اقدم على ما هم به اهلكه اهلها وقتلوه او انها تدعي عليه المراودة على القبيح وتقرفه بانه دعاها اليه وان ضربه لها كان لامتناعها منه فعل ذلك به بعض من لا تامل له ولا علم بان مثله لا يجوز عليه فاخبر الله تعالى بانه صرف عنه السوء والفحشاء ويعني بذلك القتل والمكروه اللذين كانا يوقعان به لانهما يستحقان الوصف بذلك من حيث القبح او يعني بالسوء والفحشاء ظنهم به ذلك فان قيل هذا الجواب يقتضي ان جواب لولا يتقدمها ويكون التقدير لولا ان راى برهان ربه لهم بضربها ودفعها وتقدم جواب لولا قبيح غير مستعمل او يقتضي ان يكون لولا بغير جواب قلنا اما تقدم جواب لولا فجايز مستعمل وسنذكر ما فيه عند الجواب المختص بالعزم لانه لا يحتاج اليه في هذا الجواب لان العزم على الضرب والهم به قد وقع الا انه انصرف عنه بالبرهان والتقدير ولقد همت به وهم بدفعها لولا ان راى برهان ربه لفعل ذلك فالجواب في الحقيقة محذوف في الكلام يقتضيه كما حذف الجواب في قوله تع ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رءوف رحيم ومعناه لولا فضل الله عليكم لهلكتم ومثله كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم معناه لو تعلمون علم اليقين لم تتنافسوا في الدنيا وتتفاخروا فيها وقال امرؤ القيس

فلو انها نفس تموت سوية ... ولكنها نفس تساقط انفسا

اراد فلو انها نفس تموت سوية لانقضت وفنيت فحذف الجواب على ان من تاول هذه الآية على الوجه الذي لا يليق بنبي الله عليه السلم واضاف العزم على المعصية اليه لا بد له من تقدير جواب محذوف ويكون التقدير عنده ولقد همت بالزنا وهم به لولا ان راى برهان ربه لفعله فان قيل هم بها كقوله همت به فلم جعلتم همها به متعلقا بالقبيح وهمه بها متعلقا بما ذكرتم من الضرب ودفع قلنا اما الظاهر فلا يدل على ما تعلق به الهم والعزم منهما جميعا وانما اثبتنا همها به متعلقا بالقبيح بشهادة الكتاب والاثار

وهي ممن يجوز عليها فعل القبيح ولم يؤمن دليل من جوازه عليها كما امن ذلك فيه عليه السلم والموضع الذي يشهد بذلك من الكتاب قوله تع وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه الى قوله تعالى انا لنراها في ضلال مبين وقوله تع وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وقوله تع حاكيا عنها الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وفي موضع اخر فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم والآثار واردة باطباق مفسري القران ومتاوليه على انها همت بالفاحشة والمعصية والوجه الثاني في تاويل الآية ان يحمل الكلام على التقديم والتاخير ويكون تلخيصه ولقد همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها ويجري ذلك مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا اني تداركتك وقتلت لولا اني خلصتك والمعنى لولا تداركي لهلكت ولولا تخليصي لقتلت وان لم يكن وقع هلاك ولا قتل قال الشاعر فلا تدعني قومي [illegible] لئن لم اعجل طعنة او اعجل فقدم جواب لولا في البيتين جميعا وقد استشهد ايضا عليه بقوله تع ولولا فضل الله عليكم ورحمته لهمت طايفة منهم ان يضلوك ومما يشهد لهذا التاويل ان في الكلام شرطا وهو قوله تع لولا ان راى برهان ربه فكيف يحمل على الاطلاق مع حصول الشرط وليس لهم ان يجعلوا جواب لولا محذوفا مقدرا لان جعل جوابها موجودا اولى وقد استبعد قوم تقديم جواب لولا عليها وقالوا لو جاز ذلك لجاز قام زيد لولا عمرو وقصدتك لولا بكر وقد بينا بما اوردناه من الامثلة والشواهد جواز تقديم لولا والذي ذكروه لا يشبه ما اجزناه وقد يجوز ان يقول القايل كان زيد قام لولا كذا وكذا وقد كنت قصدتك لولا ان صدني فلان وان لم يقع قيام ولا قصد وهذا هو الذي يشبه تقديم الآية وليس تقديم جواب لولا بابعد من حذف جواب لولا جملة من الكلام واذا جاز عندهم الحذف لئلا يلزمهم تقديم الجواب جاز لغيرهم تقديم الجواب حتى لا يلزم الحذف والجواب الثالث ما اختاره ابو علي الجبائي وان كان غيره قد تقدمه الى معناه وهو ان يكون معنى همّ اشتهاها ومال طبعه الى ما دعته اليه وقد يجوز ان تسمى الشهوة في مجاز اللغة هما كما يقول القايل فيما يشتهيه ليس هذا من همي وهذا اهم الاشياء الي ولا قبح في الشهوة لانها من فعل الله تع فيه وانما يتعلق القبح بتناول المشتهى وقد روي هذا التاويل عن الحسن البصري فقال اما همها فكان اخبث الهم واما همه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء ويجب على هذا الوجه ان يكون قوله تع لولا ان راى برهان ربه لعزم وفعل والجواب الرابع ان من عادة العرب ان يسموا الشي باسم ما يقع عنده في الاكثر وهذا لا ينكر ان يكون المراد بهم بها خطر بباله امرها ووسوس اليه الشيطان بالدعا اليها من غير ان يكون هناك هم وعزم فسمي الخطور بالبال هما من حيث كان الهم يقع في الاكثر عنده العزم في الاغلب

يتبعه وانا انكر لما ادعاه جهلة المفسرين ومخرقوا القصاص وقرفوا به نبي الله عليه السلم الملك في العقول من الادلة على ان مثل ذلك لا يجوز على الانبياء عليهم السلم من حيث كان منفرا عنهم وقادحا في الغرض المجري اليهم بارسالهم والقصد يستشهد بذلك لانه تع قال كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ومن اكبر السوء والفحشاء العزم على الزنا والاخذ فيه والشروع في مقدماته وقوله تع ايضا انه من عبادنا المخلصين ويقتضي تنزيهه عن الهم بالزنا والعزم عليه وحكايته عن النسوة وقولهن حاش لله ما علمنا عليه من سوء يدل على برائته من القبيح فاما البرهان الذي راه فيحتمل ان يكون لطفا لطف الله به في الحال او قبلها اختار عنده الانصراف عن المعاصي والتنزه عنها ويحتمل ايضا ما ذكره ابو علي وان يكون دلالة الله تع له على تحريم ذلك عليه وان فعله يستحق العقاب ولن يجوز ان يكون البرهان ما ظنه الجهال من رؤيته صورة ابيه يعقوب متوعدا له او النداء له بالزجر والتخويف لان ذلك ينافي المحنة ويقتضي نقض الغرض بالتكليف ويقتضي انه لا يستحق على امتناعه مدحا ولا ثوابا وهذا سوء ثناء على الانبياء عليهم السلم واقدام على قرفهم بما لم يكن منهم ونحمد الله على حسن التوفيق

احمد بن عبد الله بن العباس الصولي الملقب بطماس قال كنت يوما عند عمي ابرهيم بن العباس فدخل اليه رجل فرفعه حتى جلس الى جانبه او قريبا من ذلك ثم حادثه الى ان قال له عمي يا ابا تمام ومن بقي بعد ممدوحا قال انت لا عدمت وكان ابرهيم طويلا انت والله كما قيل

يمد نجاد السيف حتى كانه … باعلى سنامي فالج يتطوح
ويدلج في حاجات من هو نايم … ويوري كريمات الندى حين يقدح
اذا اعتم بالبرد اليماني خلته … هلالا بدا في جانب الافق يلمح
يزيد على فضل الرجال فضيلة … ويقصر عنه مدح من يتمدح

فقال ابرهيم انت تحسن قايلا وراويا ومتمثلا فلما خرج تبعته وقلت له اكتبني الابيات فقال هي لابي الجويرية العبدي فكتبتها منه وروي عن يحيى بن البحتري قال رايت بنا كثيرا جماعة من اهل الشام بمعان من الشعر اي فمروا فيها على ذكر قلة نوم العاشق وما قيل فيه فانشدوا فيه انشادات كثيرة فقال العم اي فرق بين هذه الابيات بالواثق فقال

احسب النوم حكاكا .. اذ راى منك جفاكا
منى العبرة ومنك الهجر .. فابلغي مولاكا
نعمت عين طمعت في ان تراكا .. او ما حظ لعيني ان ترى من قد راكا
ليت حظي منك .. ان تعلم ما بي من هواكا

قال لاي انه تقدم في معانيها هذه الابيات قال وكتبها جماعة من حضر الابيات لابرهيم بن العباس الصولي وانما لما نسبها الى الكاتب قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال لما بايع المامون لعلي بن موسى الرضا ع بالعهد وامر الناس بلبس الخضرة صار اليه دعبل بن علي وابراهيم بن العباس الصولي وكانا صديقين لا يفترقان فانشده دعبل

مدارس ايات خلت من تلاوة … ومنزل وحي مقفر العرصات

وانشده ابرهيم بن العباس ايضا قصيدة اولها

ازالت عزاء القلب بعد التجلد … مصارع اولاد النبي محمد

قال فوهب لهما عشرين الف درهم من الدراهم التي عليها اسمه وكان المامون امر بضربها في ذلك الوقت فاما دعبل فصار بالعشرة منها اليهم فاشترى اهلها منه كل درهم بعشرة فباع حصته بمائة الف درهم واما ابراهيم فلم تزل عنده بعضها حتى مات قال الصولي ولم اقف من قصيدة ابرهيم على غير هذا البيت وكان السبب في ذهاب هذا الفن من شعره ما حدثنا به ابو العباس احمد بن محمد بن الفرات في للحسين بن علي الباقطاني قال كان ابرهيم بن العباس صديقا لاسحق بن ابرهيم اخي زيدان الكاتب المعروف بالزمن فنسخ شعره في علي بن موسى الرضا ع وقت نهضه من خراسان ودفع اليه شيئا بخطه منه وكانت النسخة عنده الى ان ولي المتوكل وولي ابرهيم بن العباس ديوان الضياع وقد كان تباعد ما بينه وبين اخي زيدان فعزله عن ضياع كانت في يده بحلوان وغيرها وطالبه واساء مطالبته فدعا بعض من يثق به من اخوانه وقال له امض الى ابرهيم بن العباس فاعلمه ان شعره في علي بن موسى الرضا ع بخطه عندي وبغير خطه والله لئن لم يزل عني المطالبة لاوصلن الشعر الى المتوكل قال فصار ذلك الرجل الى ابرهيم بن العباس فاخبره بذلك فاضطرب اضطرابا شديدا وجعل الامر في ذلك الى الواسطة حتى اسقط جميع ما كان طالبه به واخذ الشعر منه واحلفه انه لم يبق عنده شيء فلما حصل عنده احرقه بحضرته وذكر ابو احمد يحيى بن علي بن المنجم ان ابا علي بن يحيى كان الواسطة بينهما قال الصولي وما عرفت من شعر ابراهيم في هذا المعنى شيئا الا ابياتا وجدتها بخط ابي في علي بن موسى ع من قصيدة

كفى بفعال امرئ عالم … على اهله عادلا شاهدا
ارى لهم طارفا مونقا … ولا يشبه الطارف التالدا
يمن عليكم باموالكم … وتعطون من مائة واحدا
فلا حمد الله مستنصرا … يكون لاعدائكم حامدا
فضلت قسيمك في قعدد … كما فضل الوالد الوالدا

قال الصولي فنظرت في قوله قسيمك في قعدد فوجدت علي بن موسى ع والمامون متساويين في قعدد النسب وهاشم التاسع من ابائهما جميعا وروى الصولي ان منشدا انشد ابراهيم بن العباس وهو في

نظيره في ديوان الصباح ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال قد اخذه بعينه ابو تمام فقال

ولرب نازلة يضيق لها الفتى   ذرعا وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها   فرجت وكان يظنها لا يفرج

فعجب من جودة نظمه واخبرنا ابو الحسن علي بن محمد قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني القسم بن اسماعيل بن ذكوان قال كنت بالاهواز ايام الواثق وابراهيم بن العباس يلي معونتها وخراجها فوصف له بالادب فامر باحضاري فلما دخلت قرب مجلسي وقال تسلفنا انسا طال ولم فانا للاستماع لم يتم الا فانبسطت وتناشدنا من الاشعار فما رايت احدا قط اعلم بالشعر منه فقال لي ما عندك في قول النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب فقلت اراد تفضيله على الملوك قال صدقت ولكن الشعر خبث وهاهنا اعتذر الى النعمان من ذهابه الى آل جفنة الى الشام ومدحه لهم وقال انما فعلت من الجفاء فاذا اصطفيتني لم ارد غيرك كما ان من اضاءت له الشمس لم يحتج الى ضوء الكوكب فانت تغنيني بهذا وتفضيله قال فاستحسنت ذلك منه وكان ابراهيم بن العباس من اصدق الناس لاحمد بن ابي دواد فعتب على ابنه ابي الوليد بشيء فذمه ومدح اباه واحسن في التخلص كل الاحسان فقال

عفت مساو تبدت منك واضحة   على محاسن نقاها ابوك لكا
لئن تقدمت ابناء الكرام به   لقد تقدم ابناء اللئام بكا

ولابراهيم

تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضا   ويصدع قلبي ان يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما   هوى كل نفس حيث كان حبيبها
تطلع من نفسي اليك نوازع   عوارف ان الياس منك نصيبها

واخذ هذا من قول ذي الرمة

اذا هبت الارواح من نحو جانب   به آل مي هاج شوقي هبوبها
هوى تذرف العينان منه وانما   هوى كل نفس حيث كان حبيبها

وقال ابراهيم

دنت باناس عن تناء زيارة   وشط بليلى عن دنو مزارها
وان مقيمات بمنقطع اللوى   لاقرب من ليلى وهاتيك دارها

واخذه من قول المرار الفقعسي

يقولون هذي ام عمرو قريبة   دنت بك ارض نحوها وسماء

الا

الا انما بعد الحبيب وقربه   اذا هو لم يوصل اليك سواء

وقد وجدت بعض اهل الادب يظن ان ابراهيم بن العباس سبق الى هذا المعنى في قوله

كن كيف شئت وانى تشاء   وابرق يمينا وارعد شمالا
نجا بك لومك منجى الذباب   حمته مقاذيره ان ينالا

حتى ان مسلم بن الوليد قد سبق الى هذا المعنى واحسن غاية الاحسان

اما الهجاء فدق عرضك دونه   والمدح عنك كما علمت جليل
فاذهب فانت طليق عرضك انه   عرض عززت به وانت ذليل

مجلس آخر تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فقال اذا كانت المحبة عندكم الارادة فهذا التصريح من يوسف عليه السلام بارادة المعصية لان حبسه بالسجن وقطعه عن التصرف معصية من فاعله وقبيح من المقدم عليه وهو في القبح يجري مجرى ما دعي اليه من الزنا وقوله من بعد الا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين يدل على ان امتناعه من القبيح شرط بصرفهم وصرف كيدهم وهذا بخلاف مذهبكم لانكم تذهبون الى ان ذلك لا يقع منه صرف المنع عن لطف او لم يقع فهن الجواب قلنا اما قوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه ففيه وجهان من التاويل احدهما ان المحبة متعلقة في ظاهر الكلام بما لا يصح في الحقيقة ان يكون محبوبا مرادا لان السجن انما هو جسم والاجسام لا يجوز ان يريدها وانما يريد الفعل فيها والمتعلق نفسه ليس بطاعة ولا معصية وانما الافعال فيه قد تكون طاعات ومعاصي بحسب الوجوه التي تقع عليها واذا كان القوم يوسف عليه السلام الحبس واكراههم له على دخوله معصية منهم وكونه فيه وصبره على ملازمته والمشاق التي تناله اذا استطاله طاعة منه وقربة وقد علمنا ان الظالم لو اكره مؤمنا على ملازمة بعض المواضع وترك التصرف في غيره لكان فعل المكره حسنا وان كان فعل المكره قبيحا وهذه الجملة تبين ان ظاهر الآية يقتضي ما غلط وانه لابد من تقدير محذوف يتعلق بالسجن وليس لهم ان يقدروا ما يرجع الى الحابس من الافعال الا ولنا ان نقدر ما يرجع الى المحبوس واذا احتمل الكلام الامرين ودل الدليل على ان النبي عليه السلام لا يجوز ان يريد المعاصي والقبائح خص المعنى بما يرجع اليه مما ذكرناه وذلك طاعة لا لوم على مريده ومحبه فان قيل كيف يجوز ان يقول السجن احب الي مما يدعونني اليه وهو لا يحب ما دعوه اليه جملة ومن شان هذه اللفظة ان يدخل ما وقع فيه الاشتراك في معناها وان فضل البعض على البعض قلنا قد تستعمل هذه اللفظة في مثل هذا الموضع وان لم يكن في معناها اشتراك على

للحقيقة لأن الإتيان منخير به ملحيه ولما يكره جاز أن يقول هذا أحب من هذا إذا كانت لا يحب أحدهما
جملة وإنما يسوغ ذلك على أحد الوجهين دون الآخر من حيث كان المخير بين الشيئين لا يخير بينهما إلا وهما مما
له أو مما يصح أن يريدهما فوضع التخيير يقتضي ذلك وإن حصل فيما ليس هذه صورته والجواب عن هذا مثل
كذا أحب إلي من كذا كان مبنيا على ما يقتضيه موضوع التخيير وإن لم يكن الأمران مشتهيان في تناول محبته وما
يقارب ذلك قوله تعالى قل أذلك خير أم جنة الخلد ونحن نعلم أنه لا خير في العقاب وإنما حسن ذلك لوقوعه موقع
التوبيخ والتقريع على اختيار المعاصي على الطاعات وأنهم ما ركبوا المعاصي وآثروها على الطاعات
إلا لاعتقادهم أن فيهم خيرا ونفعا فقيل أذلك خير على ما يظنونه ويعتقدونه أم كذا وكذا وقد قال قوم
في قوله تعالى أذلك خير أم جنة الخلد إنما حسن ذلك لاشتراك المنزلة وإن لم يشتركا في الخير والنفع كما قال تعالى
خير مستقرا وأحسن مقيلا ومثل هذا يتأتى في قوله تعالى رب السجن أحب إلي لأن الأمرين يعني المعصية ودخول
السجن مشتركان في أن لكل واحد منهما داعيا وعليه باعثا وإن لم يشتركا في تناول المحبة فجعل اشتراكهما
في دواعي المحبة اشتراكا في المحبة نفسها وأجرى اللفظ على ذلك ومن قوى هذه الآية يعني السجن فائدة أيضا
أية ما ذكرناه لأن السجن المسند فيحتمل أن يريد أن سجنهم نفسي وصبري لهم على حبسهم أحب إلي من مواقعة
المعصية ولا يرجع بالسجن إلى فعلهم بل إلى فعله والوجه الثاني أن يكون معنى أحب إلي أهون عندي وأسهل
علي وهذا كما يقول أحدنا في الأمرين يكرههما معا أن فعلت كذا وإلا فعلت كذا فيقول له كذا أحب إلي بمعنى أسهل
وأخف وإن كان لا يريد واحدا منهما وعلى هذا الجواب لا يمتنع أن يكون أنا أراد ضلالهم به دون فعله لأنه
لم يخبر عن نفسه بالمحبة التي هي الإرادة وإنما وضع أحب موضع أخف والمعصية قد تكون أخف وأهون
من الحبس فأما قوله وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن فليس المعنى على ما ظنه السائل بل المراد
ألا تلطف لي بما يدعوني إلى مجانبة المعصية ويثنيني إلى تركها ومفارقتها أصبو وهذا منه عليه السلام على سبيل
الانقطاع إلى الله تعالى والتسليم لأمره وأنه لولا معونته ولطفه ما نجا من كيدهن ولا شبهة في أن النبي إنما
يكون معصوما من القبائح بعصمة الله تعالى وألطافه وتوفيقه فإن قال فإن الظاهر بخلاف ذلك لأنه
قال وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن فيجب أن يكون المراد ما منعهم من الكيد برصده والتحذير منه من انصرافهم
عن المعصية لا يقتضي ارتفاع الكيد والأنفة منه قلنا معنى الكلام وإلا انصرافي عنه بكيدهن والمعنى
أنه إنما استعين على الصبر ومساعدتهن على المعصية فإذا عصمني منها ولطف لي في الانصراف عنها وإن
الذي قلناه فصرفه لما تعرض له من شيء ولم يقع منه ولا أجرى به إليه ولهذا يقال لمن أراد بظلمه إلى
غيره ولم يقع حاجات شيئا وإن فعل ما لا يأثره ما فعلت شيئا وهذا بين بحمد الله ومنه
ان

إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبة خطبها من يتبع المسمعة
يسمع الله به أنا المسمعة هو الضحك والمزاح واللعب يقال سمع الرجل يسمع تسميعا وامرأة سموع إذا كانت
كثيرة المزاح والضحك قال أبو ذويب يصف الحمر بقرار قيعان سقاها وابل واه فأثجم برهة لا يقلع
فلبثن حينا يعتلجن بروضة .. فيجد حينا في العلاج ويشمع .. أراد أن هذا الحمار الذي وصفه حالا مع
الأتن وأنه ممعن في بعض الأوقات يعارك هذه الأتن ومعنى يعتلجن يعاين بعضها بعضا من النشاط فيجد في الفعل
مرة وأخرى يأخذ معه في اللعب فيشمع وفي جد لغتان يجد ويجد بالمضموم والمفتوح أوله لغة هذيل يقال
فلان جاد ومجد على اللغتين معا وقيل معنى يشمع في الحمار أنه يتشمم ثم يرضى وأشد فيكسعها ساسه فجعل
ذلك بمنزلة الضحك وقال الشماخ .. ولو أني أشاء كننت نفسي .. إلى لباب بهكنة شموع ..
وقال المتنخل الهذلي .. ولا والله نادى الحي ضيفي .. هدوا بالمساءة والعلاط ..
.. سأبدأهم بمشمعة وأثني .. بجهدي من طعام أو بساط ..
أراد بقوله نادى الحي ضيفي أي ينادونه مثل النداء بالسوء والمكروه ولا يتلقونه بالأذى والعلاط
من أعلطه واعتلط به إذا خاصمه وشاتمه بالسبة وأصله من علاط البعير وهو وسم في عنقه وقيل
إن معنى نادى الحي من النادي أي يجالسونه بالمكروه والسوء ومعنى سأبدأهم بمشمعة أي بلعب وضحك لأن
ذلك من علامات الكرم والسرور بالضيف والقصد إلى إيناسه وبسطه ومنه قول الآخر ..
.. ورب ضيف طرق الحي سرى .. صادف زادا وحديثا ما اشتهى ..
إن الحديث جانب من القرى وروى الأصمعي عن خلف الأحمر قال سنة الأعراب إذا حدثوا الرجل
الغريب وهشوا إليه وما زحوه أيقن بالقرى وإذا أعرضوا عنه عرف الحرمان ومعنى أتبع حديث طعام
أو بساطا أي أتبع هذا ومعنى الخبر على هذا أنه من كان من شأنه العبث بالناس والاستهزاء بهم والضحك
ذلك ؛
منهم أصاره الله إلى حالة يعبث به فيها ويستهزأ منه ويقارب هذا الحديث من وجه حديث آخر وهو
ما روي من يسمع الناس بعمله يسمع الله به والمعنى من يرائي بأعماله ويظهرها تقربا إلى الناس واتخاذ
المنازل عندهم يشهره الله تعالى بالرياء ويفضحه ويهتكه ويمكن أيضا في الخبر وجه آخر لم يذكر وهو أن من
عادة العرب أن يسموا الجزاء على الشيء باسمه ولذلك نظائر في القرآن وأشعار العرب كثيرة مشهورة فلا
ينكر أن يكون من يتبع اللهو بالناس والاستهزاء بهم يعاقبه الله على ذلك ويجازيه فسمي الجزاء على الفعل
باسمه وهذا الجواب أيضا مما خطر في المجلس الثاني أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال
أخبرنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال إني لفي سوق ضرية وقد نزلت على رجل من بني كلاب كان متزوجا

بالبدرة وكان الوالق يتنزه اذا اقبلت عجوز على ناقة لها حسنة المرة فيها باقي جمال فاناخت وعقلت ناقتها واقبلت تتوكا على محجن لها فجلست قريبا منا وقالت هل من منشد فقلت للكلابي اجبها بشي قال فانشدها شعر البشر بن عبد الرحمن الانصاري

٭ وقصيرة الايام ود جليسها ٭ لو باع مجلسها بفقد حميم ٭
٭ من محذيات اخي الهوى غصص الجوى ٭ بدلال غانية ومقلة ريم ٭
٭ صفرا من بقر الجواء كانما ٭ خفر الحياء بها رداع سقيم ٭

قال فجثت على ركبتيها واقبلت تخط الارض بمحجنها وانشات تقول

فيا ايم القلب تعهد حبه ٭ ونشكو الهوى ثم افعلي ما بدا لك
٭ فلو قلت طا في النار اعلم انه ٭ هوى لك او مدن لنا من وصالك ٭
لقدمت رجلي نحوها فوطيتها ٭ هدى منك او ضلا من ضلالك
٭ سلي البانة العليا من الجرع الذي ٭ به البان هل حييت اطلال دارك ٭
٭ وهل قمت في اطلالهن عشية ٭ مقام سقيم القلب فاخترت ذلك ٭
ليهنكما ان لا يكف على البكا ٭ ودمعي من مقلة عينه مالك

قال الاصمعي فاملت على الدنيا الحلاوة منطقها وفصاحة لهجتها فدنوت منها فقلت انشدتك الله لما رويتني من هذا فرايت الضحك في عينيها وانشدت ٭

٭ ومستعفيات ليس يخفين زيننا ٭ يسحبن اذيال الصبابة والشكل ٭
جمعن الهوى حتى اذا ما ملكنه ٭ نزعن وقد اكثرن فينا من القتل
٭ مريضات رجع القول خرس عن الخنا ٭ يالفن اهوا القلوب بلا بذل ٭
٭ موارق من حبل الهوى عواطف ٭ بخلة ذي الالباب بالجد والهزل ٭
٭ يحفن الغنا الدهن والهوى ٭ يحذي فيها طبع ذي العذل

اما قول الانصاري وقصيرة الايام فالمراد به انه يتمنى لحسنها وطيب حديثها وقصر ايام جليسها لان ايام السرور موصوفة بالقصر ويمكن ان يريد بقصيرة الايام ايضا حداثة سنها وقرب عهدها بولادتها وان كان الاول اشبه بالمعنى في الابيات ومعنى لو باع مجلسها بفقد حميم اي ابتاعه وهذا اللفظ من الاضداد لانه يستعمل في البائع والمشتري معا قال ابو عبيد سمعت اعرابيا يقول بعت لي سديد جمل اي اشتريته [illegible] وقال الشاعر [illegible] ليت الناس اذ [illegible] ويبتاع الوري

تأجليل ابتاع وقوله من محذيات اخي الهوى اي من معطيات يقال احذيت الرجل من الغنيمة والغنيمة احذيه اذا اعطيته وقوله كانما خفر الحياء بها رداع سقيم فالرداع الوجع في الجسد فاراد انها منقبضة منكسرة من الحياء كالسقيم او يتغير لونها وصفرتها من الحياء كما يتغير لون السقيم ويجري ذلك مجرى قول ليلى الاخيلية

٭ ومخرق عنه القميص تخاله ٭ بين البيوت من الحياء سقيما ٭

٭ اخبرنا المرزباني قال اخبرنا ابو عبيد الله الحكيمي قال حدثني ميمون بن هرون الكاتب قال حدثني ابن اخي الاصمعي عن عمه قال لقيت اعرابيا بالبادية فاسترشدته الى مكان فارشدني وانشدني

٭ ليس العما طول السوال وانما ٭ تمام العما طول السكوت على الجهل ٭

ثم رحلت الى البصرة فلبثت فيها حينا ثم قدمت البادية فاذا انا بالاعرابي جالسا بين ظهراني قوم وهو يقضي بينهم فما رايت قضية اخطات قضية الصالحين من قضيته فجلست اليه فقلت رحمك الله اما من رشوة اما من هدية اما من صلة فقال لا اذ لجا هذا ذهب الوفق فشكوت اليه ما القى من الحيلة في طلب المعيشة فقال لست فيها باوحد وان لي شريكا وقد قلت في ذلك شعرا فقلت انشدنيه فانشدني

٭ باتت تعيرني الاقتار والعدما ٭ لما رات لاخيها المال والخدما ٭
٭ عنف لوالديك ما الاقتار من جلدي ٭ ولا من العجز معسوم قسما ٭
٭ يا امة الله اني لم ادع طلبا ٭ قد تعلمين الشرق والشاما ٭
٭ وكل ذلك بالاجمال في طلب ٭ لم ارد عرضا ولم اسفك لذلك دما ٭
٭ لو كان من جلد المال او ادب ٭ لكنت اكثرهم على القوم نعما ٭
ارضى من العيش ما لم يحوجني معه ٭ ان تفتح لسوال الاغنيا فما
واستشعري الصبر على الله خالقنا ٭ يوما سيكشف عنا الفقر والعدما
٭ لا تحوجيني الى ما لو بذلت له ٭ نفسي لا عقبكا الهم والندما ٭
٭ تالله سرك ان الله خولني ٭ ما كان خوله الاعراب والعجما ٭
٭ ما سرني ان خولت ذلك كله ٭ الا اقول لباغي حاجة نعما ٭
واني اذا فرعلي الا دناة ٭ ولم ارث والدي مجدا ولا كرما
٭ فغرة المرء اخرى في معاشكم ٭ امر بجر عليك الهم والالما ٭

قال فوالله ما انشدها حتى حفظتها لا تعلمني اياها حدثنا علي بن يحيى الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا عبد الرحمن بن اخي الاصمعي عن عمه قال رايت ما رايت بدويا افصح منه ولا اظرف فوالله لكانه شق

نار فاستنشدته فانشدني

فلم انسه يوم اللوى اذ تعرضت ... لنا ام طفل خاذلا قد تحلت
وقالت سانسيك العشية ما مضى ... واصرف نفسا كلما عنها اجنت
فما فعلت لا والذي انا عبده ... على ما بدا من حسنها اذ ادلت
ابت سابقات الحب الا مرها ... اليك وما انثني اذا ما استقرت
هواك الذي في النفس مني دخيلها ... عليه انطوت اضلاعها واستمرت

وانشدنا ايضا

ديار التي طرقتك وهنا ... بريا روضة وذكا رند
يساليني واصحابي هجود ... وتثني عطفها من غير صد
فلما ان شكوت الحب قالت ... فاني فوق وجدك كان وجدي
ولكن حال دونك ذو شذاة ... اسر بفقده ويهن فقدي

وبهذا الاسناد عن الاصمعي قال قصدت الى اعرابي يقال له اسمعيل بن عمار واذا هو يفتل لنا بعيدو يلهف فقلت له يا غلام تلهف فانشا يقول

بناي مشومتان وعيهما ... والقلب حيران مبتلاهما
عرفناه الهوى بظلمهما ... يا ليتني قبل علمتهما
هما الى الحين قادتا وهما ... دلا على ما اخرج معهما
ساعد القلب مولها فما ... سبب هذا البلا غيرهما

وبهذا الاسناد عن الاصمعي قال نزلت ذات ليلة في وادي بني العنبر وهو اذ ذاك معان باهله اهل فاذا فتية يريدون البصرة فاحببت صحبتهم فاقمت ليلتي تلك معهم وان لوصب محموم اخاف ان لا استمسك على راحلتي فلما اقلعوا رحلوا اعقلوني فلما دام حال دخلنا الى وحلوني في ركب لحد بهم ورائي بسكن فلما امعن السير تنادوا الا فتى منا او يغنينا فاذا منشد في سواد الليل بصوت حزين ينشد

لعمرك اني يوم بانوا ولم امت ... خفافا على اثارهم لصبور
غداة المنقى ذرميت بنظرة ... ونحن على متن الطريق نسير
فقالت الفتاة نجيت البين ... وكادت الى ما العين يطير
ثم قالت لقد طال الليل ... فليف اذا دارت عليه شهور

وليس

واصبح اعلام الاجيد دونها ... من الارض غول نازح ومسير
واصبحت بحرب الهوى متيم النوى ... ازيد اشتياقا ان يحن بعير
عسى الله بعد النأي ان يسعف النوى ... ويجمع شمل بعدها وسرور

قال فسكنت والله عني الحمى حتى ما احس بها وقلت لرفيقي انزل رحمك الله الى راحلتي فاني متماسك جزاك الله خيرا عن حسن الصحبة خيرا وذكر ابو الحسن الخياط ان مولد عمرو بن عبيد وواصل عطا في سنة ثمانين اخبرنا المرزباني قال اخبرنا محمد بن يزيد النحوي قال اخبرنا بعض اصحابنا عن الاصمعي قال كان بالبصرة اعرابي من بني تميم يتطفل على الناس فعاتبته على ذلك فقال والله ما بنيت المنازل الا لتدخل ولا وضع الطعام الا ليوكل وما قدمت هدية فاتوقع رسولا وما اكره ان اكون ثقلا ثقيلا على من اراه شحيحا بخيلا اتقحم عليه مستانسا واضحك اليه اذا رايته عابسا فاكل برغمه وادعه بغمه وما اخترق اللهوات طعاما اطيب من طعام لم ينفق فيه درهم ولا يعنى اليه خادم وانشا يقول

كل يوم ادور في عرصة الدار ... اشم القتار شم الذباب
فاذا ما رايت اثار عرس ... او ختان او مجمع لاصحاب
لم اروع دون التقحم لا ... ارهب دفعا او لكزة البواب
ذاك ديني من التطفل والرغم ... وغيظ المقال والعصاب

تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فقال ظاهر قوله تعالى ليس من اهلك يقتضي تكذيب قوله عم انه من اهلي والنبي لا يجوز عليه الكذب فما الوجه في ذلك وكيف يصح ان يخبر عن ابنه انه عمل غير صالح وما المراد به الجواب قلنا في هذه الاية وجوه احدها ان نفيه لان يكون من اهله لم يتناول نفي النسب وانما نفى ان يكون من اهله الذين وعد بنجاتهم لانه عز وجل كان وعد نوحا عليه السلم بان ينجي اهله الا ترى الى قوله تعالى قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول فاستثنى تعالى من اهله من اراد اهلاكه بالغرق ويدل عليه ايضا قول نوح عم ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وعلى هذا الوجه يتطابق الخبران ولا يتنافيان وقد روي هذا التاويل بعينه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين والجواب الثاني ان يكون المراد بقوله تعالى انه ليس من اهلك اي انه ليس من دينك ولا اراد انه كان كافرا مخالفا لابيه فكان كفره اخرجه من ان يكون له احكام اهله ويشهد لهذا التاويل قوله على طريق التعليل انه عمل غير صالح فبين تعالى انه خرج من احكام

اهله للكفر وسوء عمله وقد روي هذا التاويل ايضا عن جماعة من المفسرين وحكي عن ابن جريج انه سئل عن ابن نوح فسبح الله طويلا ثم قال لا اله الا الله يقول الله تعالى ونادى نوح ابنه وتقول ليس منه ولكنه خالفه في العمل فليس منه من لم يؤمن وروي عن عكرمة انه قال كان ابنه ولكنه كان مخالفا له في النية والعمل فمن ثم قيل انه ليس من اهلك والوجه الثالث انه لم يكن ابنه على الحقيقة وانما ولد على فراشه فقال عليه السلام انه ابني على ظاهر الامر فاعلمه الله تعالى ان الامر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امراته وليس في ذلك تكذيب خبره لانه انما اخبر عن ظنه وعما يقتضيه الحكم الشرعي فاخبره الله تعالى بالغيب الذي لا يعلمه غيره وقد روي هذا الوجه عن الحسن وغيره وروى قتادة عن الحسن قال كنت عنده فقال ونادى نوح ابنه فقال لعمر الله ما هو ابنه فقلت يا ابا سعيد يقول الله ونادى نوح ابنه وتقول ليس بابنه قال افرايت قوله ليس من اهلك قال قلت معناه انه ليس من اهلك الذين وعدتك ان انجيهم معك ولا يختلف اهل الكتاب انه ابنه فقال ان اهل الكتاب يكذبون وروي عن مجاهد وابن جريج مثل ذلك وهذا الوجه بعيد اذ فيه منافاة للقران لانه تعالى قال ونادى نوح ابنه فاطلق عليه اسم البنوة ولانه استثناه ايضا من جملة اهله بقوله تعالى واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولان الانبياء عليهم السلام يجب ان ينزهوا عن مثل هذه الحال لانها تعر وتشين وتغض من القدر وقد جنب الله تعالى انبياءه صلى الله عليهم ما هو دون ذلك تعظيما لهم وتوقيرا ونفيا لكل ما ينفر من القبول منهم مع خاص حمل ابن عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة على ان تاويل قوله تعالى في امراة نوح وامراة لوط فخانتاهما ان الخيانة لم تكن منهما بالزنا بل كانت احديهما تخبر انه مجنون والاخرى تدل على الاضياف والمعتمد في تاويل الاية هو الوجهان المتقدمان فاما قوله تعالى انه عمل غير صالح فالقراءة المشهورة بالرفع وقد روي عن جماعة من المتقدمين انهم قرؤوا انه عمل غير صالح بنصب اللام وكسر الميم وكسر عينه ولكل وجه فاما الوجه في الرافع فيكون على التقدير انه ذو عمل غير صالح وكما يستعمل في مثله فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وقد استشهد على ذلك بقول الخنساء

ما ام سقب على بو تطيف به   قد ساعدتها على التحنان اظآر
ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت   فانما هي اقبال وادبار

اراد انما هي ذات اقبال وادبار وقال قوم ان معنى اصل انه هذا الابن ولد على فراشك وليس بابنك على التحقيق فهو غير صالح يعني الزنا من امراته وهذا يليق بمن ذهب الى انه لم يكن ابنه على الحقيقة والذي ذكرناه بخلاف ذلك وقال اخرون ان الهاء في قوله انه عمل غير صالح راجعة الى السؤال والمعنى ان سؤالك اياي ما ليس لك به علم عمل غير صالح لانه وقع منه على ذلك السؤال والرغبة في قوله رب ان ابني من اهلي

وان

وان وعدك الحق ومعنى ذلك نجه كما نجيتهم ومن يجيب بهذا الجواب يقول ان ذلك صغيرة من النبي ع لان الصغيرة جائزة عليهم ومن يمنع ان يقع من الانبياء عليهم السلام شيء من القبائح يدفع هذا الجواب ويجعل الهاء راجعة الى السؤال بل الى الابن ويكون تقدير الكلام ما تقدم فاذا قيل له فلم قال نوح لا تسالن ما ليس لك به علم وكيف قال نوح رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين قال لا يمتنع ان يكون عليه السلام نهي عن سؤال ما ليس له به علم وان لم يقع منه وان يكون عليه السلام تعوذ من ذلك وان لم يواقعه الا ترى ان الله تعالى قد نهى نبيه عن الشرك والكفر وان لم يكن وقع منه فقال تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك كذلك لا يمتنع ان يكون نهاه في هذا الموضع عما لم يقع ويكون عليه السلام انما سال نجاة ابنه باشتراط المصلحة لا على سبيل القطع وهكذا يجب في مثل هذا الدعاء فاما القراءة بنصب اللام فقد ضعفها قوم وقالوا كان يجب ان يقال انه عمل عملا غير صالح لان العرب لا تكاد تقول هو يعمل غير حسن حتى تقول عملا غير حسن وليس وجهها بضعيف في العربية لان من مذهبهم الظاهر اقامة الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس فيقول القائل قد فعلت صوابا وقلت حسنا بمعنى فعلت فعلا صوابا وقلت قولا حسنا وقال عمر بن ابي ربيعة المخزومي

ايها القائل غير الصواب   اخر النصح واقلل عتابي

وقال ايضا

وكم من قتيل لا يباء به دم   ومن غلق رهنا اذا ضمه منا
ومن مالئ عينيه من شيء غيره   اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

اراد وكم انسان قتيل وانشد ابو عبيدة لرجل من بجيلة

كم من ضعيف العقل منتكث القوى   ما ان له نقض ولا ابرام
مالت له الدنيا عليه باسرها   فخطيه من رزقها الاركام
ومشيع جلد امين حازم   مرس له فيما يروم مرام
اعيى عليه سبيله فكانه   فيما يحاوله عليه حرام

رضي الله عنه اراد كم من انسان ضعيف العقل اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني محمد بن العباس قال اخبرنا ميمون بن هرون قال اخبرنا اسحق بن ابرهيم الموصلي قال كان محمد بن منصور بن زياد الملقب بفتى العسكر يميل الى الاصمعي ويفضله ويقوم بامره قال فجئته يوما وعنده محمد عنده عبد كان لهمل سود وقد ترك الناس واقبل عليه وساله وتحفى به وحادثه فلما خرج قلت له علمك وبات لدى من حفاوتي قد افنيت به عمرك يومك فقال هذا غلام منصور وانشدني له

وقالوا يا جميل أتى أخوها   فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب
أحبك والقريب بنا بعيد   لأن نسيبه منه قريب

قال وكنت أفعل هذا كثيرا بما أستتر به وعلمه يا أبا سعيد إذ كان أخوها وهو لا يعلم فقصدتهم قال أنشدنا أبو عمرو وقال غيره

أرى كل دارٍ وطئتها وإن خلت   لفاح بنبت مسك ترابها
حلفت بأني لو رأيت الهوى لها   ذئاب الغضا أحببت لي ذئابها

قال فجعلت أعجب من قرب لسانه من قلبه وإجابة خاطره له متى أراده وبهذا الإسناد عن ابن إسحق الموصلي قال قرأت على الأصمعي شعر امرئ القيس فلما بلغت إلى هذا البيت

أمن أجل أعرابية حل أهلها   بروض السرى عيناك تنهملان

فقال لي تعرف في هذا البيت شيئا باطنا غير ظاهره قلت لا فسكت عني فقلت إن كان فيه شيء فأفدنيه فقال نعم أما بنى لك البيت على أنه لفظ ملك مستهين ذي قدرة على ما يريد قال إسحق وما رأيت أحدا قط أشكل للأصمعي بمعنى امرئ القيس بقوله

ومثلك حبلى قد طرقت ومرضع   فألهيتها عن ذي تمائم محول

فقلت خبرني نعم فقال كان مهيبا يتقول المهيب حولاء على كراهتها للرجال فكيف لنا عند الحبات لهم وروي أن السبب الذي هاج الشنآن بين الأصمعي وبين ابن الأعرابي أن الأصمعي دخل يوما على سعيد بن سلم وابن الأعرابي حينئذ يؤدب ولده فقال لبعضهم أنشد أبا سعيد فأنشده الغلام أبياتا لرجل من بني كلاب رواها إياه ابن الأعرابي وهي

رأت نضو أسفار أميمة قاعدا   على نضو أسفار فجن جنونها
فقالت من أي الناس أنت ومن تكن   فإنك راعي صرمة لا يزينها
فقلت لها ليس الشحوب على الفتى   بعار ولا خير الرجال سمينها
عليك براعي ثلة مسلحبة   يروح عليها محضها وحقينها
سمين الضواحي لم يؤرقه ليلة   وأنعم أبكار الهموم وعونها

فقال له الأصمعي من رواك هذا فقال مؤدبي فأحضره فاستنشده البيت فأنشده ورفع ليلة فأخذ ذلك عليه وقال إنما هو ضال إنما أراد لم يؤرق ليلة أبكار الهموم وعونها وأنعم أن أزيد على ذلك المسنة وقوله سمين الضواحي يعني ما ظهر منه وبدا ثم قال الأصمعي من لم يحسن هذا المقدار فليس موضعا للتأديب ولدك وأخبرنا المرزباني قال أخبرنا أحمد بن محمد المكي قال أخبرنا أبو العيناء قال أخبرنا الأصمعي قال ولد بشار بن برد أكمه لم ينظر إلى الدنيا قط وكان ذا فطنة وذكاء فقلت له يوما إني لك هذا الذكاء من قدم العمى وعدم المناظر ومنع من كثرة الخواطر المذهلة فكسب فراغ الذهن وحدة الذكا وأنشد لنفسه يفخر بالعمى

عميت جنينا والذكاء من العمى   فجئت عجيب الظن للعلم موئلا
وغاض ضياء العين للعقل رافدا   بقلب إذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنور الروض لاءمت بينه   بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلا

وأخبرنا المرزباني قال أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال أخبرنا أبو العيناء قال أخبرنا الأصمعي قال أنشد رجل بشارا وأنا حاضر قول الشاعر

وقد جعل الأعداء ينتقصوننا   وتطمع فينا ألسن وعيون
ألا إنما ليلى عصا خيزرانة   إذا غمزوها بالأكف تلين

فقال بشار والله لو جعلها عصا مخ وزبد لما كان إلا مخطئا مع ذكر العصا إلا قال كما قلت

وحوراء المدامع من معد   كأن حديثها ثمر الجنان
إذا قامت لسبحتها تثنت   كأن عظامها من خيزران
ينسيك المنى نظر إليها   ويصرف وجهها وجه الزمان

وأخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن أبي عبد الله الفارسي قال أخبرني علي بن يحيى عن عمرو بن شبة قال قال لي أبو عبيدة رحل بشار إلى الشام يمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيما بحران فقال له قصيدة طويلة أولها

نأتك على طول التزاور زينب   وما علمت أن النوى سوف يشعب

وكان سليمان بخيلا فأعطاه خمسة آلاف درهم ولم يعجبه عطاؤها بعد أن طال مقامه فقال

إن امرأ شح اليدين عن الندى   وعن العدو ومجلس السلطان
فلقد أروح على اللئام مسلطا   ثلج المقيل منعم الندمان
في ظل عيش عشيرة محمودة   تندى يدي ويخاف فرط لساني
أزمان سربال الشباب مذيل   وإذا الأمير علي من جيراني
ثم باحة العراق إذا بدا   برقت عليه أكلة المرجان
فاكحل بعبدة مقلتيك من القذى   وبوشك رؤيتها من الهملان
ولقد تهيم وأنت متيم   أشغلتنا بك من بني مروان

فلما رجع الى العراق بن هبيرة يقدمه ويوثره للمدحة قيسا وافتخاره بها فلما جاءت دولة اهل
خراسان عظم شانه واخبرنا المرزباني قال حدثني محمد بن احمد الكاتب قال اخبرنا احمد بن يحيى النحوي قال
قال الاصمعي ما وصف احد الثغر الا احتاج الى قول بشر بن ابي خازم

يفلجن الشفاه عن اقحوان ... جلاه غب سارية قطار

ولا وصف [احد] اللون باحسن من قول عمر بن ابي ربيعة المخزومي وهي مكنونة تحير منها في اديم الخدين ماء الشباب
شف عنها محقق جندي فهي كالشمس في خلال السحاب . ولا وصف احد عيني امراة الا احتاج
الى قول عدي بن الرقاع

لولا الحياء وان راسي قد عسا ... فيه المشيب لزرت ام القاسم
وكانها بين النساء اعارها ... عينيه احور من جآذر جاسم
وسنان اقصده النعاس فرنقت ... في عينه سنة وليس بنائم

ولا وصف احد نجيبا الا احتاج الى قول حميد بن ثور

محلى باطواق عتاق يبينها ... على الضر راعي الضان لو يتقوف

ولا وصف احد ظليما الا احتاج الى قول علقمة بن عبدة

هزف كان جناحيه وجؤجؤه ... بيت اطافت به خرقاء مهجوم

ولا نعت احد الليل الا احتاج الى قول النابغة فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى
[illegible] رضي الله عنه اما قول حميد بن ثور محلى باطواق عتاق فانما يريد ان عليه آثار العتق والكرم
فشارف ذلك الخفاء وشبههما بالحلية له من حيث كان موسوما بهما ومعنى يبينها على الضر
يثبتها ويعرفها هذا الراعي فيعرف انه كريم معروف والتقيف من القيافة واما قول علقمة هزف فالهزف ذكر
النعام ومعنى اطافت به خرقاء تعهدته واتته وقيل ان خرقاء ههنا هي الخارقة وان هذه اللفظة
تستعمل على سبيل الاضداد في الحاذقة وغير الحاذقة ومعنى مهجوم اي مهدوم وقال الاصمعي معنى اطافت
به اي عملت وفرقت بين عمده يقول قد ارسل جناحيه كانه خباء امراة خرقاء كلما رفعت ناحية هدمت
اخرى والوجه الثاني اشبه واجود واما قول بشر في وصف الثغر فاحسن منه واشد واشكل استيفاء
للمعنى قول النابغة كالاقحوان غداة غب سمائه جفت اعاليه واسفله ندي فوصف اعاليه بالجفوف
لان ذلك اتم لبريقه ولمعانه واشبه بالاسنان فيه حسنه ثم قال واسفله ندي ليكون اشد خلافا
يابسا لا [illegible] والعشا لانه والسقا فيشبه غروب الاسنان التي تلمع وتبرق ورونق الريق وقال

قال سمعت الاصمعي يقول احسن ما قيل في وصف الثغر قول ذي الرمة

وتجلو بفرع من اراك كانه ... من العنبر الهندي والمسك يصبح
ذرى اقحوان واجه الليل وارتقى ... اليه الندى من رامة المتروح
هجان الثنايا مغربا لو تبسمت ... لاخرس عنه كاد بالقول يفصح

تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما
يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون فقال كيف يعذبهم بالاموال
والاولاد ومعلوم ان لهم فيها سرورا ولذة وما تاويل قوله وهم كافرون وظاهره يقتضي انه تعالى
اراد كفرهم من حيث اراد ان تزهق انفسهم في حال كفرهم لان القائل اذا قال اريد ان يلقاني فلان وهو
لابس كذا او على صفة كذا فالظاهر انه اراد كونه على تلك الصفة الجواب قلنا اما التعذيب بالاموال
والاولاد ففيه وجوه اولها ما روي عن ابن عباس وقتادة وهو ان يكون في الكلام تقديم وتاخير
ويكون التقدير فلا تعجبك يا محمد ولا يعجب المؤمنين اموال هؤلاء الكفار المنافقين واولادهم في الحياة
الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة عقوبة لهم على منعهم حقوقها واستشهد على ذلك بقوله تعالى
اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون والمعنى فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون
ثم تول عنهم وانشد في قول الشاعر عشية ابدت جيد ادماء مغزل وطرفا يريك الاثمد الجون احورا
يريد وطرفا احور يريك الاثمد الجون وقد اعتمد ابو علي قطرب وذكره ابو القاسم البلخي وابو اسحق الزجاج
وثانيها ان يكون معنى التعذيب بالاموال والاولاد في الدنيا هو ما جعله تعالى للمؤمنين من
قتالهم وغنيمة اموالهم وسبي اولادهم واسترقاقهم وفي ذلك لا محالة ايلام لهم واستخفاف بهم
وانما اراد الله تعالى بذلك اعلام نبيه صلى الله عليه والمؤمنين انه لم يرزق الكفار الاموال والاولاد
ولم يبقها في ايديهم كرامة لهم ورضى عنهم بل للمصلحة الداعية الى ذلك وانهم مع هذه الحال يعذبون
بهذه النعم من الوجه الذي ذكرناه فلا وجه لان يغبطوا بها ويحسدوا عليها اذ كانت هذه عاجلتهم وفي
العقاب الاليم في النار آجلتهم وهذا جواب ابي علي الجبائي رحمه الله وقد طعن عليه من لا تامل له
فقال كيف يصح هذا التاويل مع انا نجد كثيرا من الكفار لا تنالهم ايدي المسلمين ولا يقدرون على
غنيمة اموالهم وسبي ونجد اهل الكتاب خارجين عن هذه الجملة لمكان الذمة والعهد وليس هذا الاعتراض بشيء
لانه لا يمتنع ان يختص الآية بالكفار الذين لا ذمة لهم ولا عهد ممن اوجب الله تعالى محاربته فاما الذين
لا تنالهم الايدي او من القوة على حيلة لا يتهيا معه غنيمة اموالهم فلا يقدح الاعتراض بهم في الجواب لانهم

من اراد الله تعالى ان يسبى ويغنم ويجاهد ويغالب وان لم يقع ذلك وليس في ارتفاعه بالتعذر دلالة على
انه غير مراد ووجه آخر وهو ان يكون المراد بتعذيبهم بذلك ما يدخل عليهم في الدنيا من الغموم والمصائب
باموالهم واولادهم التي هي لهؤلاء الكفار المنافقين عقاب وجزاء وللمؤمنين محنة وجالبة للعوض والنفع
ويجوز ايضا ان يراد به ما ينذر به الكافر قبل موته وعند احتضاره وانقطاع التكليف عنه مع انه حي من
العذاب الدائم الذي قد اعد له واعلامه انه صائر اليه ومنتقل الى قراره وهذا الجواب قد روي
معناه عن قوم من متقدمي المفسرين وذكره ابو علي الجبائي رحمه الله ايضا ورابعها جواب عن الحسن البصري
رضي الله عنه واختاره ابو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله او قدمه على غيره وهو ان يكون المراد بذلك ما الزم
هؤلاء الكفار من الفرائض والحقوق في اموالهم لان ذلك يؤخذ منهم على كره وهم اذا انفقوا فيه انفقوا
بغير نية ولا عزيمة فتصير نفقتهم غرامًا وعذابًا من حيث لا يستحقون عليها اجرًا وهذا وجه صحيح لان الوجه
في تكليف الكافر اخراج الحقوق من ماله كالوجه في تكليف المؤمن ذلك ومحال ان يكون انما كلف اخراج
هذه الحقوق على سبيل العذاب والجزاء لان ذلك يقتضي وجوبه عليه والوجه في تكليف الجميع هذه الامور هو المصلحة
واللطف ويجري ذلك مجرى ما قلناه في الجواب الذي قبل هذا من المصائب والغموم تكون للمؤمن
محنة وللمذنب عقوبة لان تلك الامور مما يجوز ان يكون وجه حسنها العقوبة والمحنة معا ولا يجوز في هذه
الفرائض ان يكون وجوبها على المكلف الا لوجه واحد وهو المصلحة في الدين فافترق الامران وليس لهم
ان يقولوا انا نجعل التعذيب في ايجاب الفرائض عليهم وانما هو في اخراجهم اموالهم على وجه التكره والاستثقال
وذلك انا نعلم انه اذا كان الامر على ما ذكروه خرج من ان يكون مرادا لله تعالى لانه جل وعز ما اراد منهم اخراج
الاموال على هذا الوجه بل على الوجه الذي يكون طاعة وقربة فاذا اخرجوها متكرهين مستثقلين لم يرد
ذلك فكيف يقول انما يريد الله ليعذبهم بها ويجب ان يكون ما يعذبون به يجب ان يريده تعالى.

المرتضى رضي الله عنه وجميع هذه الوجوه التي حكيناها في الآية الا الجواب بالتقديم والتاخير مبنية على ان الحيوة
الدنيا ظرف للعذاب فيها وكل منها دافع لما تعلق القوم به من التاويل ومطابق لذلك وما يحتاج عندنا الى جميع ما
تكلفوه من ذلك الا التقديم والتاخير لم نجعل الحيوة الدنيا ظرفا للعذاب بل جعلناها للفعل الواقع بالاموال
والاولاد والمتعلق بهما لانا قد بينا اولا ان قوله تعالى ليعذبهم بها لا بد من الانصراف عن ظاهره لان الاموال
والاولاد والمتعلق بهما لانا قد بينا اولا ان قوله تعالى ليعذبهم بها لا بد من الانصراف لان الاموال والاولاد
انفسها لا تكون عذابا فالمراد لا محالة بالوجه من التاويل الفعل المتعلق بها والمضاف اليها سواء كان
انفاقها او المصيبة بها او الغم عليها او غنيمتها او اخراجها من ايديهم على ما يليها فكان تقدير الكلام انما يريد

يريد الله ليعذبهم بكذا وكذا مما يتعلق باموالهم واولادهم ويتصل بها واذا صح هذا جاز ان تكون الحيوة ظرفا
لافعالهم القبيحة في اموالهم واولادهم التي يسخطها الله تعالى ويبغضها كانفاقهم الاموال في وجوه المعاصي وحملهم
الاولاد على الكفر والزامهم الموافقة لهم في النحلة ويكون تقدير الكلام انما يريد الله ليعذبهم بفعالهم في
اموالهم واولادهم الواقع ذلك منهم في الحيوة الدنيا وهذا وجه واضح يغني عن التقديم والتاخير وسائر
ما ذكروه من الوجوه فاما قوله تعالى وتزهق انفسهم فمعناه تبطل وتخرج اي انهم يموتون على الكفر
ليس يجب ان يكون مريدا للحال نفسها على ما ظنوه لان الواحد منا قد يامر غيره ويريد منه ان يقاتل اهل
البغي وهم محاربون ولا يقاتلهم وهم مستامنون ولا يكون مريدا لحرب اهل البغي للمؤمنين وان اراد قتالهم
على هذه الحال وكذلك قد يقول لغلامه اريد ان تواظب على المصير الى المسجد وانا محبوس وللطبيب صر
الي ولازمني وانا مريض وهو لا يريد المرض ولا الحبس وان كان قد اراد ما هو متعلق بهاتين الحالتين
وقد ذكر ذلك ومطعن على ان لا يكون قوله تعالى وهم كافرون حالا لزهوق انفسهم بل يكون كانه كلام
مستانف والتقدير فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق
انفسهم وهم مع ذلك كلهم كافرون صائرون الى النار وتكون الفائدة انهم مع عذاب الدنيا قد
اجتمع لهم عذاب الآخرة ويكون معنى وتزهق على هذا الجواب غير الموت وخروج النفس على الحقيقة بل
المشقة الشديدة والكلفة الصعبة كما يقال ضربت فلانا حتى مات وماتت نفسه وخرجت روحه
وما اشبه ذلك رضي الله عنه ذاكرت قوما من اهل الادب باشعار المحدثين وطبقاتهم
وانتهوا الى مروان بن ابي حفصة فافرط بعضهم في وصفه وتقريظه وتفضيله والخروج في ذمه
والتجنيد والازراء على شعره وطريقته واستمروا بما اعتقدوه فقلت لهم كان مروان متساوي
الكلام متشابه الالفاظ غير متصرف في المعاني ولا غواص عليها ولا مدقق فيها فلذلك قلت البدائع
في شعره ومدائحه مكررة الالفاظ والمعاني وهو غزير الشعر قليل العيون الا انه مع ذلك شاعر له تجويد
وحذق وهو اشعر من كثير من اهل زمانه وطبقته واشعر شعراء اهله ويجب ان يكون دون مسلم بن الوليد
في تنقيح الالفاظ وتدقيق المعاني وحسن الالفاظ ووقوع التشبيهات ودون بشار بن برد في الابداع
النادر السائر وكانه طبقة بينهما وليس بمقصر عنهما شديدا ولا منحط عنهما بعيدا وكان
ابراهيم الموصلي يقدمه على بشار ومسلم وكذلك ابو عمرو وكان الاصمعي يقول هو مولد لا علم له
بالعربية واختلاف الناس في اختيار الشعر بحسب اختلافهم في التنبه على معانيه وبحسب الشعر دونه
من مذاهبه وطرائقه فسئلت عند ذلك ان اذكر مختارا مما وقع الي من شعره وانبه على سرقاته وان ابين

من ذلك خلال المجالس وانا بقافها اختار من شعره قوله من قصيدة يمدح بها المهدي اولها

اعادك من ذكر الاحبة عايد ۞ بلى واستخفتك الرسوم البوايد
يقول فيها تذكرت من تهوى فابكاك ذكره ۞ فلا الذكر منسي ولا الدمع جامد
تحن وتابى ان يساعدك الهوى ۞ وللموت خير من هوى لا يساعد
الا طالما اهريت دمعك طايعا ۞ وجادت عليك الانسات النواهد
تذكرنا ابصارنا مقل المها ۞ واعناقها ادم الظباء العواقد
تساقط منهن الاحاديث غضة ۞ تساقط در اسلمته المعاقد
اليك امير المومنين تجاذبت ۞ بنا الليل خوص كالقسي سواهم
يمانية ينأى القريب محله ۞ بهن ويدنوا الشاحط المتباعد
تجلى السرى عنها وللعيس اعين ۞ سوام واعناق اليك قواصد
الى ملك تندى اذا يبس الثرى ۞ بنايل كفيه الاكف الجوامد
له فوق مجد الناس مجدان منهما ۞ طريف وعادي الحرامين تالد
وحواض عن حومة الموت دونها ۞ ولحوض عرف ليس عنهن ذايد
ابا بني العباس بيض سيوفهم ۞ على كل قوم باديات عوايد
هم يعدلون السمك من قبة الهدى ۞ كما تعدل البيت الحرام القواعد
سواس عز المسلمين وانما ۞ تنوء بصولات الاكف السواعد
يلون عزا لم يوهد من حبله ۞ على قبة الاسلام والخلق راقد
كان امير المومنين محمدا ۞ لرافته بالناس للناس والد

اما قوله تساقط من الحديث غضة ۞ تساقط درا اسلمته المعاقد فكثير في الشعر واظن ان الاصل فيه ابو حية النميري في قوله اذا هن ساقطن الاحاديث للفتى ۞ سقوط حصى المرجان من كف سلك ناظم وانما عنى بالمرجان صغار اللولو وعلى هذا يتاول قوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان ومثله قول الاخر

هو الدر منثورا اذا ما تكلمت ۞ وكالدر منظوما اذا لم تكلم
ومثله ۞ من ثغرها الدر النظيم ۞ ولفظها الدر النثير

ومثله قول البحتري واحسن نهاية الاحسان ولما التقينا والنقا موعد لنا ۞ تعجب رائي الدر حسنا ولاقطه فمن لولو تجلوه عند ابتسامها ۞ ومن لولو عند الحديث تساقطه ومثل الاخطل

خلوت

خلوت بها وجنح الليل ملقى ۞ وقد اصغت الى الغرب النجوم
كان كلامها در نثير ۞ ورونق ثغرها در نظيم
ولغيره تبسمت فرايت الدر منتظما ۞ وحدثت فرايت الدر منتثرا
ولاخر وتحفظها من ريبة يحذرونها ۞ ولكنها من اعين الناس تحفظ
وتلفظ درا في الحديث اذا جرى ۞ ولم تر درا قبل ذلك يلفظ

ولبعض من تاخر زمانه من الشعراء وقرب من عصرنا هذا

اظهرن وصلا اذ رحمن متيما ۞ واردن هجرا اذ خشين مراقبا
فنظمن در المباسم جامدا ۞ ونثرن در المدامع ذايبا

وليس قول ابي دهبل في صفة الحديث ۞ كتساقط الرطب الجني من الاقناء لا نثرا ولا نزرا من هذا الباب في شيء لان جميع ما تقدم من وصف حسن الحديث والثغر وابو دهبل انما وصف قلة الحديث وانه متوسط في القلة والكثرة لانه لا يخرج للوصل كما تنثار الرطب من الاقناء ويشبه ان يكون اراد انه مع ذلك وصفه بالحلاوة للتشبيه بالرطب ثم انه غض طري غير مكره ولا معاد لقوله الرطب الجني فيجتمع له اغراض الوصف من الفصاحة والاقتصاد في القلة والكثرة ثم وصفه بالحلاوة ثم بالفصاحة ونظير قول ابي دهبل قول ذي الرمة لها بشر مثل الحرير ومنطق ۞ رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر ولما قال مروان الى ملك تندى اذا يبس الثرى ۞ بنايل كفيه الاكف الجوامد مثل قول ابي حسن النميري في يحيى بن خالد البرمكي

لا تراني مصاحبا كف يحيى ۞ انه ان فعلت اتلفت مالي
لو يمس البخيل راحة يحيى ۞ لسخت نفسه ببذل النوال

ومثله قول بن الخياط في المهدي

لمست بكفي كفه ابتغي الغنى ۞ ولم ادر ان الجود من كفه يعدي
فلا انا منه ما افاد ذوو الغنى ۞ افدت واعداني فاتلفت ما عندي

وقد قيل ان هذا الشاعر محتج بالهجاء لانه زعم ان ملك هذا لم يفده شيئا بل اعداه بجوده فاتلف ماله ولم يرد الشاعر الا المدح ولقوله وجه آخر وهو ان ذوي الغنى يستقر الاموال في ايديهم وتلبث حتى ابانهم ومن يرتجي ما عندهم فاراد الشاعر انه لم افد منه ما يبقى في يدي واستقر تحت ملكي وانما قال لم افد منها افاده ذوو الغنى ومن هذا المعنى قول مسلم

كانه

ابا الملك لو سامحت الناس كلهم ۞ لما كان حيٌّ في البرية يبخل

ومثله قول العكوك لو لمس الناس راحتيه ۞ ما بخل الناس بالعطاء ۞ واحسن من هذا الكلام واشبه بالمدح وادخل في طريقته قول البحتري

من شاكرٌ عني الخليفة بالذي ۞ اولاه من طَولٍ ومن احسان
ملأت يداه يدي وشرّد جوده ۞ بخلي فافقرني كما اغناني
حتى لقد افضلت من افضاله ۞ ورأيت نهج الجود حين اراني
ووثقت بالخلف الجزيل معجلا ۞ منه فاعطيت الذي اعطاني
لم تكر عن قاصي الرعية عينه ۞ فتنام عن وتر القريب الداني

ومن هذا المعنى قول الآخر رايت الندى في آل عوف خليقة ۞ اذا ما اتى قوم سواهم تخلقا
ولو جرت في بابهم لتعلمت ۞ يداك الندى منهم فاصبحت مطلقا

ولا نال رومي بحد البخيل اذا ما راك ولسطو الجبان اذا غابك فاما قوله

فلو خاض عرض حومة الموت ورّها ۞ ولو خاض عرفٍ ليس عنه ذايد

فيشبه ان يكون ابراهيم بن العباس اخذه من قوله لنا ابل كوم يضيق بها الفضا وتفترّ عنها ارضها وسماؤها فمن دونها ان تستباح دماؤنا ومن دونها ان تستذم دماؤها ويروي فناؤها وقد احسن ابراهيم في ابياته كل الاحسان فاما قوله

يكون غرارا نومه من حذاره ۞ على قمة الاسلام والخلق راقد

مكيّة متداول ومن حسنه قول محمد بن عبد الملك الزيات

نعم الخليفة للرعية من اذا ۞ رقدت وطاب لها الكرى لم يرقد

ومثله ويظل يغفلنا ونحن بغفلة ۞ ويبات يكلؤنا ونحن نيام

ومثله للبحتري اربعة الفرس الساري بدمنه ۞ وهب الاساءة للمسيء الجاني
ودعهم حاراته فبعثتهم ۞ منه حميّا انف غيران
لم تكر عن قاصي الرعية عينه ۞ فتنام عن وتر القريب الداني

فاما قوله ۞ ابا الملك ميراث المؤمنين محمد الى الراعية بالناس للناس والد ۞ فنظيره بعض الشعرا في يحيى بن خالد البرمكي ناحيا الناجي فقال خالدي ۞ فاصبح اليوم كلهم ابا بيث يحنو بغنم تابعين وتالدي على بعيد غايب وشاهد الناس في احسانه كولد وهو

وبرّهم اجمعهم كالوالدي ۞ ويتجيد قوله هذا من قصيدة اولها

خلت بعدنا من آل ليلى المصانع ۞ وهاجت لنا الشوق الديار البلاقع
ويقول فيها وما لي الى المهدي لو كنت مذنبا ۞ سوى حلمه الضافي على الناس شافع
ولا هو عند السخط منه ولا الرضا ۞ بغير التي يرضى بها الله قانع
تغض له الطرف العيون وطرفه ۞ على غيره من خشية الله خاشع

اما قوله ولا هو عند السخط منها ولا الرضا ۞ البيت فمثله قول اشجع

ولست بخايف لابي علي ۞ ومن خاف الاله فلن يخافا ۞ ومثله ۞ امنني منه ومن خوفه خوفه من خشية الباري ۞ ولابي نواس قد كنت خفتك ثم امنني من ان اخافك خوفك الله

ويشبه هذا المعنى ما روي عن امير المؤمنين علي رضوان الله عليه من انه دعا غلاما له مرارا فلم يجبه فخرج فوجده على باب البيت فقال له ما حملك على ترك اجابتي فقال كسلت عن اجابتك وامنت عقوبتك فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه خلقه فاما قوله تغض له الطرف العيون فيشبه ان يكون اخذه من قول الفرزدق او من ينسب اليه هذه الابيات يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلم الا حين يبتسم

[illegible] ان سال سايل عن قوله تعالى يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون فقال ما معنى الحول بين المرء وقلبه وهل يصح ما تأوله قوم من انه يحول بين الكافر وبين الايمان وما معنى قوله لما يحييكم وكيف يكون للحياة قلنا اما قوله يحول بين المرء وقلبه ففيه وجوه اولها ان يريد بذلك انه تعالى يحول بين المرء وقلبه بين الانتفاع بقلبه بالموت وهذا حث منه جل وعز على الطاعات والمبادرة بها قبل الفوت وانقطاع التكليف وتعذر ما يسوف به المكلف نفسه من التوبة والاقلاع فكانه تعالى قال بادروا الى الاستجابة لله وللرسول من قبل ان يأتيكم الموت فيحول بينكم وبين الانتفاع بنفوسكم من التوبة بقلوبكم ويقوي ذلك قوله تعالى واليه تحشرون وثانيها ان يحول بين المرء وقلبه بازالة عقله وابطال تمييزه وان كان حيا وقد يقال لمن فقد عقله وسلب تمييزه انه بغير قلب قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال الشاعر

ولي الف وجه قد عرفت طريقها ۞ ولكن بلا قلب الى اين اذهب

وهذا الجواب يقرب من الاول لانه تعالى اخرج هذا الكلام مخرج الانذار لهم والحث على الطاعات قبل فوتها لانه لا فرق بين فوت التوبة وانقطاع التكليف بالموت وبين تعذرها بازالة العقل وثالثها ان يكون المعنى المبالغة في الاخبار عن قربه تعالى من عباده وعلمه بما يبطنون ويخفون وان الضماير المكنونة

لظاهر والخفيات المستورة لعلمه بادية ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ونحن نعلم انه لم يرد الله تعالى بذلك قرب المسافة بل المعنى الذي ذكرناه واذا كان جل وعز عالماً بما في قلوبنا وكان يعلمه ايضا يجوز ان ننساه ونسهو عنه ونضل عن علمه وكل ذلك لا يجوز عليه تعالى جاز ان يقول انه يحول بيننا وبين قلوبنا لانه معلوم في الشاهد ان كل شيء يحول بين شيئين فهو اقرب اليهما ولما اراد عز وجل المبالغة في وصف القرب خاطبنا بما نعرف ونألفه وان كان القرب الذي جلت عظمته لم يرد به عن المسافة والعرب تضع كثيراً لفظة القرب على غير معنى المسافة فيقولون فلان اقرب الى قلبي من فلان وزيد مني قريب وعمرو مني بعيد ولا يريدون قرب المسافة ورابعها ما اجاب به بعضهم من ان المؤمنين كانوا يفكرون في كثرة عدوهم وقلة عددهم فيدخل قلوبهم الخوف فاعلمهم الله تعالى انه يحول بين المرء وقلبه بان يبدله بالخوف الامن ويبدل عدوهم بظنهم انهم قادرون عليهم الجبن والجبن [illegible] ويمكن في الآية وجه خامس وهو ان يكون المراد انه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعوه اليه قلبه من القبائح بالامر والنهي والوعد والوعيد لانا نعلم انه تعالى لو لم يكلف العاقل مع ما فيه من الشهوات والنفار لم يكن له عن القبيح مانع ولا عن مواقعته رادع فكان التكليف حائلا بينه وبينه من حيث زجر عن فعله وصرف عن مواقعته وليس يجب في الحائل ان يكون في كل موضع مما يمتنع معه الفعل لانا نعلم ان المشير منا على غيره في امر كان هم به وعزم على فعله ان يجتنبه والمنبه له على ان الحظ في الانصراف عنه يصح ان يقال منعه منه وحال بينه وبين فعله وقال عبيد الله بن قيس الرقيات

حال دون الهوى ودون سرى الليل مصعب
وسياط على اكف رجال تقلب

ونحن نعلم انه لم يحل الا بالتخويف والترهيب دون غيرهما فان قلنا كيف يطابق هذا الوجه صدر الآية قلنا وجه المطابقة ظاهر لانه تعالى امرهم بالاستجابة لله تعالى ولرسوله عليه السلام فيما يدعون له من فعل الطاعات والامتناع من المقبحات واعلمهم انه بهذا الدعاء والانذار [illegible] ما يحول بين المرء وبين ما تدعو اليه نفسه من المعاصي ثم ان المآب بعد هذا اليه والمنقلب الى ما عنده فيجازي كلا باستحقاقه واما قوله تعالى اذا دعاكم لما يحييكم ففيه وجوه اولها ان يريد بذلك لما يحييكم في النعيم والثواب لان تلك هي الحياة الدائمة الطيبة التي يؤمن تغيرها ولا يخاف على انتقالها [illegible] الاجابة الى [illegible] وثانيها ان يختص ذلك بالدعاء الى الجهاد وقتال العدو فكانه تعالى امرهم بالاستجابة للرسول عليه السلام فيما يامرهم به من قتال الاعداء ودفعهم عن حوزتهم واعلمهم ان ذلك يحييهم من حيث كان فيه [illegible] للمشركين وتقليل العدو [illegible] وحسم اطماعهم لانهم [illegible] الاسلام [illegible] المؤمنين واقدموا عليهم بالقتل [illegible]

فلما كانت الاستجابة له عليه السلام الى القتال يقتضي الحياة والبقاء جرى ذلك مجرى قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وثالثها ما قاله قوم من ان كل طاعة حياة ويوصف فاعلها بانه حي كما ان المعاصي يوصف فاعلها بانه ميت والوجه في ذلك ان الطائع اذا كان منتفعا بحياته وكانت تؤديه الى الثواب الدائم قيل ان الطاعة حياة ولما كان العاصي الكافر لا ينتفع بحياته من حيث كانت مؤدية الى العقاب الدائم كان في حكم الميت ولهذا يقال لمن كان مستمرا للحياة غير منتفع بها فلان بلا عيش ولا حياة وما لحق ذلك من حيث لم ينتفع بحياته ويمكن في الآية وجه آخر وهو ان يكون المراد بالحياة الحياة في الحكم لا في الفعل لانا قد علمنا انه تعالى كان مطالباً بجهاد جميع المشركين المخالفين لملته وقتالهم وانه عليه السلام فيما بعد كان ذلك فيمن عدا اهل الذمة على شرطها فكانه تعالى قال استجيبوا للرسول ولا تخالفوه فانكم اذا خالفتم كنتم في الحكم غير احياء من حيث توجه على النبي قتالكم وقتلكم واذا اطعتم كنتم في الحكم احياء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ومن دخله كان امنا وانما اراد تعالى انه يجب ان يكون امنا في حكمه ولم يخبر بان ذلك لا محالة واقع فاما المجبرة فلا شبهة لهم في الآية ولا متعلق بها لانه تعالى لم يقل انه يحول بين المرء والايمان بل ظاهر الآية لا يقتضي انه يحول بينه وبين قلبه وليس للايمان ولا للكفر ذكر ولو كان للآية ظاهر يقتضي ما ظنوه وليس لها ذلك لانصرفنا عنه بادلة العقول الموجبة انه لا يحول بين المرء وبين ما امره به واراده منه ولفعله لان ذلك قبيح والقبيح عنه منفي اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا احمد بن محمد الجوهري قال اخبرني الحسن بن عليل العنزي قال اخبرني احمد بن محمد بن اسماعيل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عوف قال اخبرنا عمر بن خالد بن عبد الله بن الحجاج السلمي قال لما اشتد معن بن حزن بعد وجعه من طعنة كرز بن عامر اياه يوم بني عقيل دعا ولده ثم قال الموت اهون علي مما اجد فايكم يطيعني قالوا كلنا نطيعك فبدا باكبرهم فقال قم فخذ سيفي فاطعن حيث امرك ولا تعجل فقال يا ابتاه ايقتل الرجل اباه فاتى على القوم كلهم فاجابوه بجواب الاكبر حتى انتهى الى عيينة فقال يا ابتاه اليس فيما تامرني به راحة لك ولك فيه هوى وطاعة وهو هواك قال بلى قال فمرني كيف اصنع قال قم فخذ سيفي فضعه حيث امرك ولا تعجل فقام فاخذ سيفه فوضعه على قلبه ثم قال يا ابتاه مرني كيف اصنع فقال الق السيف انما اردت ان اعلم ايكم امضى لما امر به فانت خليفتي ورئيس قومك من بعدي فقال القوم انه سيقول في ذلك شيئاً فاحضروه فلما امسى قال

ولوا عيينة من بعدي اموركم ... واستيقنوا انه بعدي لكم حائب
اما هلكت واني قد بنيت لكم ... عز الحياة بما قدمت [illegible]

واستوسقوا للتي فيها مروتكم   قود الجياد وضرب القوم في الهام
والقرب من قومكم والقرب ينفعكم   والبعد ان باعدوا والرمي للرامي
ولا حذيفة اذ ولّى وخالفني   يوم الهباءة يتيما بين ايتام
لا ارفع الطرف ذلا عند مهلكه   الفي العدو ولو حيي خزي دامي
حتى اعتقدت لواء يوم قمت به   يوم ارتحلت الى الجفني بالشام
لما قضيت ما قضيت من تحية ابن   تخت المطي الى النعمان من عامي
اسموا الما كانت الاباء تلبسه   عند الملوك فطر في نحوهم سامي
والدهر وملته اخر سنه لاوله   قوم كقوم وايام كايام
فابنوا ولا تهدموا فالناس كلهم   من بين بان الى العليا وهدام

قال ثم اصبح وقد عاش بعده ثم قال لولا تنجد ورياسة لعيينة اسمعوا مني ما اوصيكم لا يتكل اخركم على اولكم فانما يدرك الاخير ما ادرك الاول فانجحوا القريب الكفي فانه عز لكم حادث واذا حضركم امران فخذوا بخيرهما صدرا فان كل مورد معروف واصحبوا قومكم باجمل اخلاقكم ولا تخالفوا فيما اجمعوا عليه فان الخلاف يزري بالرئيس المطاع واذا حاربتم فادرعوا الليل فانه اخفى للويل ولا جهر في الكذب وصونوا الخيل فانها حصون الرجال واطيلوا الرماح فانها قرون الخيل واعز الكبير بالكبر فانه بذلك كنت اغلب الناس ولا تغزوا الا بالعيون ولا تسرحوا ليحيه تامنوا الصباح واعدلوا على حسب المال واعملوا بالعرب الضيف فان خير العلم واتقوا معضلات البغي وفلتات المزاح ولا تجيروا على الملوك فان ايديهم اطول من ايديكم واقلوا الركن بن عامر وهات حصين فاخ عيينة الرياسة ثم قال

اطعت ابا عيينة في هواه   ولم يخلج صدري الظنون
سيحيا او يموت فما ولو   وقتل المرء والدنيا جنون
فلم اقتل حمل الله حسنا   ولم في ستره كمد المنون
ولم انحل عليه وكل امر   اذا هونته يوما يهون
فان لي بنوا مثل الامثا   فاخرهم بني بدر سمين

وحذيفة بن بدر الجاهلي [illegible] ان اسم عيينة بن حصن حذيفة وانما اصابته اللقوة فجحظت عيناه ولذلك ذكرت عين الانسان لقوة اعيينة وافا العينا [illegible] وقيس لابي [illegible] ان عيينة بن حصن [illegible] رسول الله [illegible] انه [illegible] يدل [illegible]

لسانه للحسانة وهو صبي فرجا العبي لسانه فنهش له فقال له عيينة الا اراك تصنع هذا بهذا فوالله انه ليكون لي الف رجل فخرج وجهه ما قبلته قط فقال عليه السلام انه من لم يرحم لم يرحم ثم نعود الى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان بن ابي حفصة فمما يختار من شعره قوله من قصيدة اولها

صحا بعد جهل فاستراحت عواذله   واقصر عنه حين اقصر باطله
ومن مدّ في ايامه فتاخرت   منيته فالشيب لا شك شامله

يقول في المدح منها

هو المرء اما دينه فهو مانع   مصون واما ماله فهو باذله
امرّ واحلى ما بلا الناس طعمه   عقابا امير المومنين ونائله
ايصطلابا يحذو والحزم والتقى   وقوله اذا ما جد بالامر فاعله
تزول الجبال الراسيات وحلمه   لدى موطن الحرب على الحق
يرى ان من الحق اعلى معبة   والجي ولو كانت دعاقا مناهله
وان طلق الله من هو مطلق   وان قيل الله من هو قاتله
فانك بعد الله للحكم الذي   تقاب به من كل حق مفاصله

واما قوله ومن مدّ في ايامه فتاخرت   منيته فالشيب لا شك شامله فماخوذ من قول طريح بن اسمعيل الثقفي الشيب غاية من تأخر حينه لا يستطيع دفاعه من جرع والاصل في هذا قول لبيد ان ابى اسات من لم يمت غبطة يمت هرما الموت كاس والمرء ذائقها ويشبه ذلك قول الاخر

قل لمن سرّ ليس بشيء يعجب   من يعش يام عمار يشب

ومنه قول ابي العتاهية من يعش يهرم ومن يهرم يمت   والمنايا لا تبالي من اتت ويشبه قول البحتري

ولا بد ان تركك احدى اثنتين   اما الشباب واما العمر

ويقاربه قوله ايضا والشيب يهرب من جارى منيته   ولا نجاة له من دركه الهرب وقريب منه قول ابن المعتز وقالت كبرت واستبت من الصبي   فقلت لها ما عشت للاكبر

ولبعضهم ولابد من حتى فاما شبيبة   واما مشيب والشبيبة اصلح

معنى قوله والشبيبة اصلح لان الانسان اذا مات شابا كان اكثر للحزن عليه والاسف على مفارقته واذا اسن وهرم تبرم به اهله ودانوا واقتده فاما قوله هو المرء اما دينه فهو مانع مصون واما ماله فهو باذله فمعنا متداول في الشعر كثير جدا واحسن شعر جمع بين وصف الممدوح منع ما يجب منعه وبذل ما يجب بذله قول مسلم بن الوليد

يذكرنيك الجود والبخل والتقى   وقول الخنا والحلم والعلم والجهل

فالفاك عن مذمومها متنزها   والفاك في محمودها ولك الفضل
واحمد من اخلاقك البخل انه   بعرضك لا بالمال حاشا لك البخل

وقد احسن البحتري في قوله

بلونا ضرايب من قد نرى   فما ان راينا لفتح ضريبا
تنقل في خلقي سودد   سماحا مرجا وباسا مهيبا
فكالسيف ان جيته صارخا   وكالبحر ان جيته مستثيبا

واما قوله يردك الهوى لا السخط منه والكرى لديه موطن الاحلام لا الحلم حامله فمعنى متداول مطروق في الشعر وقد كرره في قوله

اذا هز القين الرجال ببابه   حططن به ثقلا وادركن مغنما
الى طاهر الاثواب ما نال في رضا   ولا غضب للاحرار لحما ولا دما

واحسن من هذا قول ابي تمام في محمد بن عبد الملك الزيات

ثبت الخطاب اذا اصطكت بمعضلة   في رحله السن الاقوام والركب
لا المنطق اللغو يزكو في مقاومه   يوما ولا حجة الملهوف تستلب
كانما هو في نادي قبيلته   لا القلب يهفو ولا الاحشاء
وتحت ذاك قضاء حز شفرته   كما يعض بظهر الغارب القتب
لا سورة تتقى منه ولا بله   ولا يخاف رضى منه ولا غضب

ومثله قول البحتري في ابن الزيات ايضا

وجه الحق يتاخذ اعطاه   وقصد في الجمع والتبديد
فاستوى الناس فالقريب قريب   منه والبعيد غير بعيد
لا يميل الهوى به حين يمضي   الامر بين المقلي والمودود
وسواء لديه ابناء ابرهيم   في حكمه وابناء هود
مستريح الاحشاء من كل ضغن   بارد الصدر من غليل الحقود

فاما قوله وابي بخيل الله نحو ما كلما فيشبه ان يكون ماخوذا من قول يزيد بن مفرغ في عبيد الله بن زياد ان الذي عاش ختارا بذمته   وبات عبدا قتيلا لسبا الذنب فاما قوله فان [illegible] بها الله [illegible] شباب [illegible] فيشبه قول

ابي تمام يصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات واجمع العلماء ان هذه الابيات احسن وافخم شي ما قيل في القلم

لك القلم الاعلى الذي بشباته   يصاب من الامر الكلى والمفاصل
له الخلوات اللاي لولا نجيها   لما احتفلت للملك تلك المحافل
لعاب الافاعي القاتلات لعابه   واري الجنا اشتارته ايد عواسل
له ريقة طل ولكن وقعها   باثاره في الشرق والغرب وابل
فصيح اذا استنطقته وهو راكب   واعجم ان خاطبته وهو راجل
اذا ما امتطى الخمس اللطاف وافرغت   عليه شعاب الفكر وهي حوافل
اطاعته اطراف القنا وتقوضت   لنجواه تقويض الخيام الجحافل
اذا استغزر الذهن الذكي واقبلت   اعاليه في القرطاس وهي اسافل
وقد رفدته الخنصران وسددت   ثلاث نواحيه الثلاث الانامل
رايت جليلا شانه وهو مرهف   ضنى وسمينا خطبه وهو ناحل

تاويل اية ان سال سائل عن قوله تعالى فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين فقال ما تاويلها اوليس ظاهرها يقتضي انا لا نشاء شيا الا والله سبحانه شاء له ولم يخص طاعة من معصية الجواب ان الوجه المذكور في هذه الاية ان الكلام متعلق بما تقدمه من ذكر الاستقامة لانه تعالى قال لمن شاء منكم ان يستقيم ثم قال وما تشاؤون الا ان يشاء الله اي ما تشاؤون الاستقامة الا والله تعالى مريد لها ونحن لا ننكر ان يريد الله تعالى الطاعات وانما انكرنا ارادته للمعاصي وليس لهم ان يقولوا تقدم ذكر الاستقامة لا يوجب قصر الكلام عليها ولا يمنع من عمومه كما ان السبب لا يوجب قصر ما يخرج من الكلام عليه على ما يتعداه وذلك ان الذي ذكروه انما يجب فيما يستقل بنفسه من الكلام دون ما لا يستقل وقوله تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله لا ذكر للمراد فيه فهو غير مستقل بنفسه واذا علق بما تقدم من ذكر الاستقامة استقل على انه لو كان للاية ظاهر يقتضي ما ظنوه وليس لها ذلك لوجب الانصراف عنه للادلة الثابتة على انه تعالى لا يريد المعاصي والقبائح على ان مخالفنا في هذه المسالة لا يمكنهم حمل الاية على العموم لان العباد قد يشاؤون عندهم ما لا يشاء الله تعالى بان يريدوا الشيء ويعزموا عليه فلا يقع لمنع او غيره وكذلك فقد يريد النبي صلى الله عليه من الكفار الايمان ويتعبدنا بان نريد ذلك منهم ونحن نعلم انه تعالى ترك وان كان تعالى عندهم لا يريد ذلك اذا كان المعلوم انه لا يقع فلا بد لهم من تخصيص الاية فان

لجاز لهم بالشبهة جاز لنا مثله بالحجة وتجري هذه الآية مجرى قوله تعالى حتى تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا وما تشاؤون إلا أن يشاء الله في تعلق الكلام بما قبله وقوله وما يذكرون إلا أن يشاء الله في تعلق الكلام بما قبله فإن قالوا الآية تدل على مذهبنا وبطلان مذاهبكم من وجه آخر وهو أنه جل وعز قال وما تشاؤون إلا أن يشاء الله وذلك يقتضي أنه يشاء الاستقامة في حال مشيئتنا لها لأن أن الخفيفة إذا دخلت على الفعل المضارع اقتضت الاستقبال وهذا يوجب أنه يشاء أفعال العباد في كل حال ويبطل ما تذهبون إليه من أنه إنما يريد الطاعات في الأحوال قلنا ليس في ظاهر الآية أنه لا يشاء إلا ما يشاء الله تعالى في حال مشيئتنا كما ظننتم وإنما يقتضي حصول مشيئته لما نشاء من الاستقامة من غير ذكر لتقدم ولا تأخر ويجري ذلك مجرى قول القائل ما يدخل زيد هذه الدار إلا أن يدخلها عمرو ونحن نعلم أنه غير واجب بهذا الكلام أن يكون دخولهما في حالة واحدة بل لا يمتنع أن يتقدم دخول عمرو ويتلوه دخول زيد أن الحقيقة وإن كانت للاستقبال على ما ذكروه فلم يبطل علينا ولنا معنى الاستقبال لأن تقدير الكلام وما تشاؤون الطاعات إلا بعد أن يشاءها الله تعالى ومشيئته تعالى لها متقدمة كانت حال الاستقبال وقد ذهب أبو علي الجبائي رحمه الله إلى أنه لا يمتنع أن يريد الطاعات حالا بعد حال وقد أرادها في حال الأمر كما يصح أن يأمر بها أمرا بعد أمر قال لأنه قد يصح أن يتعلق بإرادته ذلك منا بعد الأمر وفي حال الفعل مصالح ويعلم تعالى أنا نكون متى علمنا ذلك كنا إلى فعل الطاعات أقرب وعلى هذا المذهب لا معنى من الاستقبال بما ذكروه والجواب الأول واضح إذا لم نذهب إلى مذهب أبي علي في هذا الباب على أن اعتبار الآية لك منا ونضح دليل على فساد قولهم لأن الكلام إذا اقتضى حدوث المشيئة واستقبالها بطل قول من قال منهم إنه مريد لنفسه أو مريد بإرادة قديمة وصح ما نقوله من أن إرادته تعالى محدثة ويمكن في تأويل الآية وجه آخر مع حملنا إياها على العموم من غير أن نخصها بما تقدم ذكره من الاستقامة ويكون المعنى وما تشاؤون شيئا من فعالكم إلا أن يشاء الله تمكينكم من مشيئته وإقداركم عليها والتخلية بينكم وبينها ويكون الغائب في ذلك الإخبار عن الافتقار إلى الله تعالى وأنه لا قدرة للعبد على ما لم يقدره الله تعالى عليه وليس يجب أن يستبعد هذا الوجه لأن ما يتعلق به المشيئة في الآية محذوف غير مذكور وليس لهم أن يعلقوا ما يتعلق بالإرادة دون أن نعلقه بالقدرة لأن كلا الأمرين لا من يعد مذكورا وكل هذا واضح بحمد الله ونعود إلى ما تأولناه من الكلام على شعر مروان مما يختار له قوله من قصيدة أولها

طرقتك زائرة فحي خيالها   بيضاء تخلط بالجمال دلالها
يقول فيها
مالت بقلبك فاستقاد ومثلها   قاد القلوب إلى الصبي فأمالها

وكأنما طرقت بنفحة روضة   سحت بها ديم الربيع ظلالها
باتت تسائل في المنام معرسا   بالبيد أشعث لا يمل سؤالها
في فتية هجعوا غرارا بعدما   سئموا مراعسة السرى ومطالها

[illegible] المراعسة وهي تحريك الرأس في السير من النوم وكأن جفونهم تسقى بها هندية غلت وأعقلت العيون صقالها أما ما ذكره في أول القصيدة طروق الطيف والخيال فإنه لم يأت فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستعذب وقد قال الناس في الطيف والخيال فأكثروا وقد أسبق في ذلك قيس بن الخطيم إلى معنى كل الناس فيه عيال عليه وهو قوله

إني سريت وكنت غير سروب   وتقرب الأحلام غير قريب
ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه   في النوم غير مصرد محسوب
كان المنى بلقائها فلقيتها   فلهوت من لهو امرئ مكذوب

وقد أحسن جرير في قوله

أتنسى إذ تودعنا سليمى   بفرع بشامة سقي البشام
بنفسي من تجنبه عزيز   علي ومن زيارته لمام
ومن أمسي وأصبح لا أراه   ويطرقني إذا هجع النيام

وهذه الأبيات وإن خلت من معنى في ذكر الطيف غريب فلم تخل من لفظ مستعذب مقبول ولأبي عبادة البحتري في وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتأخر فإنه تغلغل في أوصافه واهتدى من معانيه إلى ما لم يهتد إليه غيره وكأنه مشغوف بتكرار القول فيه لهجا بإبدائه وإعادته وإن كان لأبي تمام في ذلك مواضع لا يجهل فضلها ومحاسن لا يبلغ شأوها فمنها لأبي تمام قوله

زار الخيال لها لا بل أزاركه   فكر إذا نام فكر الخلق لم ينم
ظبي تقنصته لما نصبت له   في آخر الليل أشراكا من الحلم
ثم انثنى وبنا من ذكره سقم   باق وإن كان معسولا من السقم

وقوله
عادك الزور ليلة الرمل من رملة بين الحمى وبين المطالي
ثم ما زارك الخيال ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال

وقوله
الليالي أحفى بقلبي إذا ما   جرحته النوى من الأيام
يا لها لمة تزهت لها الأرواح   فيها سرا من الأجسام
مجلس لم يكن لنا فيه عيب   غير أنه في دعوة الأحلام

فأما البحتري

فقوله في هذا المعنى اكثر من ان يذكر جميعه ههنا وانا اشير الى نادره فمن ذلك قوله

فلا وصل الا ان يطيف خيالها ۞ بنا تحت جوشوش من الليل اسفع
الم بنا بعد الهدو ومنا تحت ۞ بوصل متى نطلبه في الجد تمنع
وما برحت حتى مضى الليل وانقضى ۞ واعجلها داعي الصباح الملمع
تولت كان البين يخلج شخصها ۞ اوان تولت من حشاي واضلع
وهبت لقاء لم يومل فرقه ۞ اساءا لم تحذره ولم تتوقع
اراني لا انفك في كل ليلة ۞ تعاودها الما لكيد مفجعي
اسر بقرب من ملم مسلم ۞ واشجى ببين من حبيب مودع
فكان لنا بعد النوى من تفرق ۞ ترجيه احلام الكرى وتجمع

وقوله
اراني وان منت على بودها ۞ لارتاح منها للخيال المورق
يعز على الواشين لو يعلمونها ۞ ليال لنا نزداد فيها ونلتقي
وكم غلة للشوق اطفات حرها ۞ بطيف متى يطرق دجى الليل يطرق
اضم عليه جفن عيني تعلقا ۞ به عند اجلاء النعاس المرنق

وقوله ايضا

بلى وخيال من اثيلة كلما ۞ تاوهت من وجد تعرض يطمع
اذا زورة منه تقضت مع الكرى ۞ تنبهت في وجد له اتفزع
ترى مقلتي ما لا ترى في لقائه ۞ وتسمع اذني رجع ما ليس تسمع
وحسبك من حق تخيل باطل ۞ يرد به نفس اللهيف فترجع

وقوله ايضا

اذا ما الكرى اهدى الي خياله ۞ شفى قربه التبريح او نقع الصدى
اذا انتزعته من يدي انتباهة ۞ عددت حبيبا راح مني وغتدا
ولم ار مثلينا ولا مثل شاننا ۞ نعذب ايقاظا وننعم هجدا

وقوله ايضا

فلم نلتقي الا بحلم هاجد ۞ يحل لنا جدواك وهو حرام
اذا ما تباذلنا النفايس خلتنا ۞ من الحلم ايقاظا ونحن نيام

وقوله

وقوله ايضا ۞ وليلة هومنا على العيس ارسلت ۞ بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثي ۞ بعطفي غزال بت وهنا اغازله

وقوله
امنك تاوب الطيف الطروب ۞ حبيب لا يفارقه حبيب
تخطى رقبة الواشين كرها ۞ وبعد مسافة الخرق الجديب
يكاد يبين واسديه ودادا ۞ ومن كلف مصادقة الكذوب

وقوله
ما لقيتنا لبانة سندلبني ۞ والمعنى بالغانيات معنى
هجرتنا يقظى وكادت على ۞ مذهبها في الصدود تهجرنا وسنا
بعد لايه وقد تعرض منها ۞ طايف عرجت على الركب وهنا

ووجدت بالقسم الحسن بشر الامدي مع ميله الى البحتري وانحطاطه في تعبد واجتهاده في تاويلها اخذ عليه من خطاه وزعم ان البحتري لحن في قوله هجرتنا يقظى وكادت على مذهبها في الصدود تهجرنا وسنا قال لان خيالها يتمثل له في كل احوالها يقظانا كان او وسنانا قال ولكن الجيد في هذا المعنى قوله أرد دونك يقظانا ويأذن لي عليك سكر الكرى ان جيت وسنانا قال والذي اوقع البحتري في هذا الغلط قول قيس بن الحطيم

ما تمنع يقظى فقد تؤتينه ۞ في النوم غير مصرد محسوب

وكان الاجود ان يقول ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه في حال نومي حتى يكون النوم واليقظة منسوبين اليه لان خيال المحبوب يتمثل في حال نومه ويقظته جميعا قال الا انه يسوغ لقيس ما لا يسوغ للبحتري لان قيسا قال فقد تؤتينه في النوم ولم يقل تؤتينه نايمة وقد يجوز ان يحمل على انه اراد ما تمنعي يقظى وانا يقظان فقد تؤتينه في النوم اي في نومي ولا يسوغ مثل هذا في بيت البحتري لانه قال وسنى ولم يقل في الوسن وما يمكن من التاويل للبحتري ما امكن مثله لقيس لكن الامدي ذهب عن ذلك لان البحتري لما قال وسنى دل على حال الوسن ولحال المعهودة لليقظة حال مشتركة بالعادة فقوله وسنى ينبي عن كونه هو ايضا نايما وانما اراد المقابلة في زنة اللفظين يقظى ووسنى وقوله يقظى متى لم يحمل الا على المعنى لم يصح لانه لا حد ان يرتب بذلك هجرتنا في حال اليقظة ويكون معنى يقظى يتعدى اليه الامر ان الا الامدي حمل قوله يقظى على معنى وانا يقظان وان لم يبين الوجه فيه فكيف ذهب عليه مثل ذلك في قول البحتري وقوله وسنى ويقول مثل قول قيس بن الحطيم يقظى ولم يكن قيسا وزن الشعر من ان يقول وسنى في مقابلة يقظى لعله ما عدل عنه الى النوم لانه لم يكن عليه في وسنى الا ما عليه في يقظى وما يتاول له في احد الامرين

تاول له في الآخر [illegible] رضي الله عنه ولي في الخيال معنى ما علمت انه سُبق اليه لغيري وهو قولي من جملة قصيدة

وزورٍ تخطى جنوب الملا ⁂ فاديتُ اهلاً بذا الزايرِ
اتاني هدوًّا وعين الرقيب ⁂ مطروقة بالكرى الغامرِ
فاعجب به يسعف الحالمين ⁂ ويحرم مقلة الساهرِ
وعهدي بتمويه عين المحب ⁂ ينم على قلبه الطايرِ
فلما التقينا بزعم الرقاد ⁂ موه قلبي على ناظري

ومعنى البيت الاخير ومعناه ان الاحلام انما هي اعتقادات تحصل في القلب لا حقيقة لها لان الانسان يعتقد انه رأى لما يراه في الحقيقة ويدرك ما ليس يدركه على الحقيقة والقلب يخيل للعين في النوم ما لا حقيقة له كما ان العين تخيل في كثير من الاحوال للقلب ما لا حقيقة له فاما قول مروان فكانما طرقت بنفحة روضة البيت فيشبه ان يكون ماخوذا من قول نهشل بن حري

طرقت اسماء الرحال ودونها ⁂ بغيان من رمل الغمام الاسودِ
ومفاوزٌ وصل الفلاة جنوبها ⁂ بجنوب اخرى غير ان لم تعقدِ
رملٌ اذا الريح الركاب قطعنه ⁂ قرعت مناسمها بقفّ قرددِ
فكان ريح لطيمة هندية ⁂ وذكي جادي بنبع مجسدِ
ونداجر خزامى الحزن سوقه ⁂ طرق الخيال بها بعيد المرقدِ

او من قول الآخر

طرقتك زينب والمزار بعيد ⁂ بمنى ونحن معرسون هجودُ
وكانما طرقت بريّا روضة ⁂ أُنُف يسحسح مزنها ويجودُ

وهذا المعنى كثير في الشعر المتقدم والمتاخر جدا فاما قوله بانت تسايل في المنام معرسا البيت والبيتان اللذان بعده فقد قال الناس في وصف قلة النوم ومواصلة السهر والادلاج وسعة المسافة فاكثروا ومن احسن ما قيل في ذلك قول لبيد

ومجودٍ من صبابات الكرى ⁂ عاطف النمرق صدق المبتذل
قال هجدنا فقد طال السرى ⁂ وقدرنا ان خنا الدهر غفل
قلما عرس حتى هجته ⁂ بالتباشير من الصبح الاول
يلمس الاحلاس في منزله ⁂ بيديه كاليهودي المصل
يتمارى في الذي قلت له ⁂ ولقد يسمع قولي حي هل

ومن ذلك قول

ولذي الرمة: وليلٍ كاثناء الرويزي جبته ⁂ باربعةٍ والشخص في العين واحدِ

الرويزي هو الطيلسان وقد روي ايضا كجلباب العروس ادرعته وكل ذلك وصف له بالسواد والطيلسان اسود وجلباب العروس اخضر والعرب تجمع بين الخضرة والسواد

احم علافيٌّ وابيض صارم ⁂ واعيس مهريٌّ واشعث جاحدُ ماجد
اخو شقةٍ جاب الفلاة بنفسه ⁂ على الهول حتى لوحته المطاردُ
واشعثُ مثل السيف قد لاح جسمه ⁂ وجيف المهاري والهموم الاباعدُ
سقاه الكرى كاس النعاس فراسه ⁂ لدين الكرى من آخر الليل ساجدُ
اقمت له صدر المطي وما درى ⁂ اجائرةٌ اعناقها ام قواصدُ
ترى الناشئ الغريد يضحي كانه ⁂ على الرحل مما منه السير عاصدُ

ومن ذلك قول ابي حية النميري

واغيد من طول السرى برحت به ⁂ افانين نعاس على الاين مرزمِ
سريت به حتى اذا ما تمزقت ⁂ توالي الدجى عن وضح الليل مظلمِ
انخنا فلما ان جرت في دماغه ⁂ وعينيه كاس النوم قلت له قمِ
فما قام الا بين ايدٍ يقيمه ⁂ كما عطفت ريح الصبا خوط ناعمِ
خطا الكرى معلولا كان لسانه ⁂ بما رد من رجع لسان المبرسمِ
وود بقطع الخمس منه لو اننا ⁂ رحلنا وحللنا بالمراح لنوم

[illegible] ان سال سائل عن قوله تعالى اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فقال اي معنى لاختصاص الارض بالذكر وهم لا يعجزون الله تعالى ولا يفوتونه ولا يخرجون عن قبضته على كل حال وفي كل مكان ولم نفى الاولياء عنهم وقد نجد اهل الكفر يتولى بعضهم بعضا وينصرونهم ويحمونهم وكيف نفى استطاعتهم للسمع والابصار واكثرهم قد كان يسمع باذنه ويرى بعينه الجواب قلنا اما الحجة في اختصاص الارض بالذكر فلان عادة العرب جارية بقولهم للمتوعد لا مهرب لك مني ولا وزر ولا نفق والوزر الجبل والنفق السرب وكل ذلك مما يلجا اليه الخائف المطلوب فكانه تعالى نفى ان يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه تعالى ومانع من عذابه وان جبال الارض وسهولها لا تحجبهم وبنيانها لا ينفعهم تعالى عليهم كما افاد يحجز عن البشر ولان معاقل الارض هي التي يهرب اليها البشر من المخاوف ويلجؤون اليها والى الاعتصام بها

عند المخاوف فاذا نفى الله تعالى ان يكون لهم في الارض معقل فقد نفى المعقل على كل وجه واما قوله تعالى
وما كان لهم من دون الله من اولياء فمعناه انه لا ولي لهم ولا ناصر من عذاب الله تعالى وعقابه لهم في
الآخرة ولا ما يدافع ايضا ايقاعه لهم في الدنيا وان كان لهم من يحميهم من مكروه البشر وينصرهم ممن
ارادهم بسوء منهم وقد يجوز ان يكون ذلك ايضا بمعنى الامر وان كان مخرجه مخرج الخبر ويكون التقدير
وليس لهم ان يتخذوا اولياء من دون الله بل الواجب ان يرجعوا اليه في معونتهم ونصرتهم ولا
يعولوا على غيره فاما قوله عز وجل ما كانوا يستطيعون وما كانوا يبصرون ففيه وجوه اولها ان
يكون المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون
الابصار فلا يبصرون عنادا للحق وذهابا عن سبيله فاسقطت الباء من الكلام وذلك كما جاز في
قولهم لاجزينك ما عملت ولاجزينك بما عملت ولاحدثنك بما عملت وكما قال الشاعر

نغالي اللحم للاضياف نيا ٭ ونبذله اذا نضج القدور

اراد نغالي باللحم والوجه الثاني انه لاستثقالهم استماع آيات الله وكراهتهم تذكرها وتفهمها جروا مجرى
من لا يستطيع السمع كما يقول القائل ما يستطيع فلان ان ينظر لشدة عداوته الى فلان وما يقدر على
ان يكلمه وكما يقول لمن عهدنا منه العناد والاستثقال لاستماع الحجج والبينات ما تستطيع ان تسمع الحق
وما تطيق ان تذكر له وكما قال الاعشى ودع هريرة ان الركب مرتحل ٭ وهل تطيق وداعا ايها الرجل
ونحن نعلم انه قادر على الوداع وانما نفى قدرته عليه من حيث الكراهية له والاستثقال ومعنى
وما كانوا يبصرون اي ان ابصارهم لم تكن نافعة لهم ولا مجدية عليهم مع الاعراض عن تأمل آيات
الله سبحانه وتدبرها فلما انتفت عنهم منفعة الابصار جاز ان ينفى عنهم الابصار نفسه كما يقال
للمعرض عن الحق العادل عن تأمله ما لك لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل وما اشبه ذلك والوجه الثالث ان
يكون نفي السمع والبصر راجعا الى آلهتهم لا اليهم وتقدير الكلام اولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين في
الارض يضاعف لهم العذاب ثم قال تعالى مخبرا عن الالهة ما كانوا يستطيعون السمع وما
كانوا يبصرون وهذا الوجه وهذا الوجه يروى عن ابن عباس وقتادة بن دعامة وفيه وجه رابع
وهو ان يكون ما في قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع ليست للنفي بل تجري مجرى قولهم لاواصلنك
ما لاح نجم ولاقيمن عليه ودك ما طلعت شمس ويكون المعنى ان العذاب يضاعف لهم في الآخرة ما كانوا
يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اي انهم يعذبون ما كانوا احياء فان قيل كيف يعبر عن كونهم احياء
باستطاعة السمع والابصار وقد يكون حيا من لا يكون كذلك قلنا الله تعالى في مثل هذه العادة لانهم يقولون والله

والله لا كلمت فلانا ما نظرت عيني ومشت قدمي وهم يريدون ما بقيت وحييت لان الاغلب من احوال
الحي ان تنظر عينه وتمشي قدمه فجعلوا الاغلب كالواجب ومن ذلك قول الشاعر

وما انس من شيء تقادم عهده ٭ فلست بناس ما هدت قدمي نعلي
عشية قالت والدموع بعينها ٭ هنيئا لقلب عنك لم يسل مسلي

وانما اراد بالا انسى ذلك ما حييت وكذلك لا يمتنع ان يعلق على هذا المذهب دوام العذاب بكونهم
مستطيعين السمع والابصار ويعود المعنى الى تعلقه والمرجع في ذلك الى التابيد لانا اذا علق
العذاب ببقائهم واحيائهم وعلمنا ان الآخرة لا موت فيها ولا خروج من الحياة علمنا تابيد الحياة
العذاب ونعود الى ما كنا شرعنا فيه من الكلام على شعر مروان فمما يختار له قوله من القصيدة
التي قد مضى اولها وتكلمنا عليه

وسعو الحدود لدى سواهم جرح ٭ تشكو الكلوم صفاحها وكلالها
طلبت امير المؤمنين فواصلت ٭ بعد السرى بغدوها آصالها
نزعت اليك صوادبا فتقاذفت ٭ تطوي الفلاة حزونها ورمالها
يتبعن ناجية يمر مراحها ٭ بعد الثول تليلها وقذالها
هوجاء يدرع الربا ويسقها ٭ مثل الهموس اذا اراح جلا لها
تنجى اذا وقع القطيع كانها ٭ خرقاء بادرت الظلام رئالها
كالقوس ساهمة اتتك وقد برى ٭ كالبرج نلاءم رحلها وحبالها

وهذه ابيات في وصف الرواحل بالسرعة والنحول جيدة الالفاظ مطردة النسج
وقد سبق الناس اليه في هذا المعنى الى ضروب من الاحسان فمن ذلك قول الاخطل

خوص كاعطال القسي تقلقلت ٭ اجنتها مندمة وسهوب
اذا معجل غادرنه عند مبرك ٭ اتيح لجواب الفلاة كسوب

المعجل الملقى من الاجنة لغير تمام وجواب الفلاة الذيب وهن بنا عوج كان عيونها
بقايا قلات فضلت لنضوبه ٭ سنايف رطويها مع القيظ والسرى
تكاليف طلاح النجاد ركوب ٭ قديم ترى الاصوات فيه كانها رجال قيام تغضبوا بسهوب
يمرن بنا عوم السفين اذا انجلت ٭ سحابة وضاح السراب غضوب وقال مسلم بن الوليد

الى الامام تهادانا بارحلنا ٭ خلق من الريح في اشباح ظلمان

كان اقلا الشاة والنجر باطنها   افلاق سادرة عن قوس   وقال البشار واذا المطي جرى في اعطافها
فات المطي بكاهل وتليل   وكانه والناعجات يردنه   قدح تطلع من قداح مجيل
ولبعض المحدثين يبس الهجاير والظهاير لحمها   حتى تخدد لحمها المتظاهر

حرف تناهبها الفلا لا تنثني   مما تحل شدقم او داعر
صبر اذا عطفت سوالفها البرى   سمعت لهن كماكس وجراجر
وبخلن من عز النفوس وصحها   حتى وهن اذا المتبن اباعر
اما اذا ما اقبلت فكانها   ذعر تقادها الفلاة نوافر
اما اذا ما اعرضت فكانها   كدر توردن النطاف صوادر
اما اذا ما ادبرت فكانها   صرح مشيدة وهن ضوامر

واني لاستحسن قول بشامة بن الغدير في وصف الناقة بالسرعة

كان يديها اذا ارقلت   وقد جرن ثم اهتدين السبيلا
يدا سابح خر في غمرة   وقد شارف الموت الا قليلا
اذا اقبلت قلت مشحونة   اطاعت لها قلعا جفولا
وان ادبرت قلت مذعورة   من الربد تتبع هيقا ذمولا

معنى قوله جرن ثم اهتدين السبيلا يقول كن نشيطات يمرحن ولا يلزمن لقم الطريق بل ياخذن يمينا وشمالا فلما اخذ منهم الكلال استقمن على الجدد كانه وصف ناقته ببقاء النشاط مع كلال المطي وعنى عن الكلال بلزوم جادة الطريق بعد تنكبها وهذه كناية مليحة فصيحة ومثل ذلك قول الاخر

كان يديها حين جد نجادها   يدا سابح في غمرة يتذرع

ومما يشاكل هذا المعنى ويقاربه قول الشماخ

كان ذراعيها ذراعا مدلة   بعيد السباب حاولت ان تعذرا
مجلة الاعراق قال ابن ضرة   عليها كلاما جار فيه واهجرا

فشبه ذراعي ناقة تتذرع في سيرها بذراعي امراة مدلة على اهلها [illegible] وقد خلت بينها وبين نساء الحي ابن ضرتها فهي ترفع يديها وتضعهما تعتذر وتحلف وتنفض عن نفسها وقد قيل ان معنى قوله انها تمد ذراعيها من نشاطها التي حسنتهما وقوله بعيد السباب اي بعيد المسابة قامت تعتذر الى الناس [illegible] بعيد السباب ومعنى هذه الرواية انها تصدق

في النساء فما اقوم بحقها من الحشمة العزة ويشهد لهذه الرواية الاخيرة قول الاخر

كان يديها حين تفلق ضفرها   يدا نصف غيري تعذر من جرم

وقوله حين تفلق ضفرها فيه سهو فاحش لان الضفر هو الانساع وانما تفلق اذا اجهدها السير فضمرت فكانه وصفها بالتذرع والنشاط مع الجهاد والكلال ومثله كان ذراعيها ذراعا بذية مفجعة لاقت ضرايرعن عقر   سمعن لها واستعجلت في حديثها فلا تني يفري باليدين كما تفري ويقاربه قول الاخر   الا هل تبلغنيهم على اللاواء والنوى واهلي المغراء من لحفها رنه اذا ما اعصفت قلت حمامة فاتحت كنه   ومن شبه سرعة يدي الابل بايدي النوايح كعب بن زهير

كان اوب ذراعيها اذا عرقت   وقد تلفع بالقور العساقيل   وقال
للقوم حاديهم وقد جعلت   ارق الجنادب يركضن الحايل
شد النهار ذراعا عيطل نصف   قامت تجاوبها نكد مثاكيل
نواحة رخوة الضبعين ليس لها   لما نعى بكرها الناعون معقول

العساقيل اوايل السراب ولا واحد لها من لفظها واخرى باقية في شن الرواية الظهر تمرح في سيرها وتتذرع بيديها فشبه ذراعيها بذراعي امراة نصف تنوح على ابنها وقد نعي اليها فهي تشير بيديها وتوالي تحريكها والعيطل الطويلة العنق وجعلها نصفا لانها قد كادت تياس من الولد فهو اشد لحزنها على ابنها وتفجعها عليه والقور جمع قارة وهو ما ارتفع واستدار من الارض واراد ان يقول كان تلفعت القور بالعساقيل فلم يمكنه فقلب ومثله

وكانما رضت يدي نواحة   شمطا قامت عن ذات خمار

فانما خص الشمطا لما ذكرنا في الياس من الولد كما قال عمرو بن كلثوم ولا شمطا لم يترك شقاها لها من تسعة الا جنينا وقد قيل في بيت عمرو بل شبه الناقة بشمطاء اعلى رابها من اللغام ومثل ما تقدم من المعاني قول الشاعر ياليت شعري والمنى لا تنفع   هل اغدون يوما وامري مجمع

وتحت رحلي زفيان ميلع   كانها نائحة تفجع

تبكي لميت وسواها الموجع   الزفيان الناقة الخفيفة والميلع السريعة وشبه رجع يديها في السير لنشاطها بيدي نائحة تنوح على ميتها باجرة فهي تزيد في الاشارة بيديها لذلك كانها ومثله بعينه قول ذي الرمة   عيانق تنحي وهي عوج كانها   بجوب الفلا مستاجرات نوايح والمآتم اللواتي يمرن بعد ميت وخص المستاجرات من النوايح للمعنى الذي ذكرناه وقال الشماخ

فيما يقارب هذا المعنى من وصف السرعة كان اواب يديها حين اعملها اوب المراح وقد نادوا برحال مقط الكرين على مكنوسة زلق في ظهر حنانة النبرين مغول معنى اواب يديها رجعها واوب المراح اذا راح اذا راح القوم عازب اموالهم ليرحلوا وقد روي اوب المراح بالكسر ومعناه رجع المرح والنشاط والمقط اللعب بالكرة والكرين جمع كرة والمكنوسة الارض التي لا شي فيها والزلق المستوي من الارض والحنانة الريح والنبرين جانبا هذه الارض ومغول قيل انه من صفات الريح وقيل من صفات الارض فان كان للريح فمعناه ان الريح تغول الارض باستيعابها اي تملكها واذا كانت للارض فالمعنى انها تغول من سلكها اي تهلكه وتلحد من معنى البيت انه شبه يدي ناقته بيدي ضارب بكرة في ارض واسعة ثوبه عاصف وهذا من دقيق الكلام العاري وحسن التشبيه والمبالغة ومثل بيت الشماخ قول المسيب بن علس مرحت يداها للنجاء كانما تكرو بكفي لاعب في قاع فعل السريعة بادرت جدادها قبل المسا تهم معنى تكرو اي كانها تلعب بكرة والسريعة يعني ناسجة والجداد الغزل الضعيف واراد انها تسرع الضرب بالخف والنسج قبل المسا ما دامت تبصر فشبه يدي ناقته في سرعتها بيدي هذه النساجة الاصمعي الجداد هدب الثوب يعني ان هذه الناسجة قد قاربت الفراغ من الثوب وهي تبادر لتفرغ منه قبل المسا وقريب منه قول الاخر كان ايديهن بالقاع القرق ايدي جوار يتعاطين الورق

والقرق الخشن الذي فيه حصا وشبه حذف مناسمهن للحصا بجوار يلعبن بدراهم وخص الجواري لانهن اخف يدا من النساء وقال اخرون القرق هاهنا المستوي من الارض الواسع وانما خص بالوصف انه يريد الابل اذا اسرعت في المستوي من الارض فهو احمد لها واذا بطات في غيره كان اعذر لها ومن مستحسن ما قيل في الاسراع قول المرار بن سعيد

فناولوا شعب الرحال فقلبت سود البطون بفضله المتشمس

ذكر قوما سفرا جهوا ممن قد قدم الى رحالهم ليسيروا ويعني بسود البطون الابل والمتشمس العائد الذي قد نحن ناموا وهو ما يستر به ليحتمل السير فشبه الابل في سرعتها بقطا قد ارتاد الماء بعينها واقلت بعينها متن بطن الجرا ناسيا ومثل هذا وان كان في وصف الخيل قول النابغة

طلحه جول من الشوبوب ذي البرد وكما قول مروان

يتبعن ناجية تهز مراحها بعد النحول تليلها وقذالها

فقد مضى من وصف المطايا بالنشاط بعد السامة والجهد ما معنى واحسن من قول مروان واشد احتجاجا بالمعنى ولطايفه قول الهذلي ومن سيرها العنق المسبطر والعجرفية بعد الكلال وانما كان هذا احسن لانه صرح بنشاطها بعد كلالها وقول مروان بعد النحول لا يجري هذا المجرى لان النحول قد يكون عن جهد السفر والتعب وقد يكون عن غيره فاما قوله كالقوس ساهمة اتتك فقد بالغت العرب في وصف المطايا بالنحول وتشبيهها بالقسي وغيرها وقد احسن كثير في قوله

نفى السير عنها كل داء اقامة فهن رذايا بالطريق تراتك
وحملت الحاجات نوضا كانها وقد ضمرت صفر القسي العواتك

وقال مسلم بن عمرو بن الحابس وكانهن من الكلال اهلة او مثلهن عطايف الاقواس

قد طولها ما طوتهن مهمهة ناي الصوى ومناهج ادراس

وقال ابو تمام يصف ناقة اتينا القادسية وهي نوء الى بعين شيتان رحيم

فما بلغت بنا عسفان حتى رنت بلحاظ لقمان الحكيم
وبدلها السري بالجهل حلما وقد اديمها قد الاديم
اذاب سنامها قطع الفيافي ومزق جلدها نفح العسيم
بدت كالبدر وافى ليل سعد وابت مثل عرجون قديم

وقال البحتري وخدان القلاص حولا اذا قابلن حولا من انجم الاسحار

يترقرقن كالسراب وقد خضن غمارا من السراب الجاري
كالقسي المعطفات بل الاسهم مبرية بل الاوتار

ولنا ايضا وعلى العيس دهرها في انحلال من نحول او فرقة من نجيج

رب حرف مرت تجاذب قطريها سرايا كالمنصل المسروع
ومرت يخبه بالوخد حتى يصدع الليل عن بياض الصديع
كالبرى في البرى وتحسب احيانا نسوعا مجدولة في نسوع

تاويل آية ان سال سايل عن قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي الاية جاريا مجرى قوله لما خلقت انا وذلك مشهور في لغة العرب يقول احدهم هذا ما كسبت يداك وما جرت عليك يداك فاذا ارادوا نفي الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هذا الضرب من الكلام فيقولون فلان لا تمشي قدمه ولا ينطق لسانه ولا تكتب يده وكذلك في الاثبات فلا يكون للفعل رجوع الى الجوارح في الحقيقة بل الفايدة فيه النفي عن الفاعل وثانيها ان يكون معنى اليد ههنا النعمة ولا اشكال في ان احد محتملات لفظة اليد النعمة فاما الوجه في تثنيتها فقد قيل فيه ان المراد نعمة الدنيا ونعمة الاخرة فكانه تعالى قال ما منعك ان تسجد لما خلقت لنعمتي واراد

بالبناء اللازم وما لفهالان يكون معنى ليلحمنا القدرة وذلك بينا معروف ومن محتملات هذه اللفظة ان يقول القائل ما لي بهذا الامر يد ولا يدان وما جرى مجرى ذلك والمعنى انني لا اقدر عليه ولا اطيقه وليس المراد بذلك اثبات قدرة على الحقيقة بل اثبات كون القادر قادرا او نفي كونه قادرا فكانه قال ما منعك ان تسجد لما خلقت وانا قادر على خلقه فعبر عن كونه قادرا بلفظ اليدين وعبارة عن القدرة وكل ذلك واضح في تاويل الاية ونعود الى ما كنا ابتدانا به من الكلام على شعر مروان من قصيدته التي تقدم بعضها ووقع الكلام عليه فمما يختار له قوله

احيا امير المومنين محمد ... سنن النبي حرامها وحلالها
ملك تفرع نبعة من هاشم ... مد الاله على الانام ظلالها
جبل لامته تلوذ بركنه ... رادي جبال عدوها فازالها
لم يغشها مما تخاف عظيمة ... الا اجال لها الامور مجالها
حتى يفرجها اغر مهذب ... الفى اباه مفرجا امثالها
ثبت على زلل الحوادث راكب ... من صرفهن لكل حال حالها
كلتا يديك جعلت فضل نوالها ... للمسلمين وللعدو وبالها
وقعت مواقعها بعفوك انفس ... اذهبت بعد مخافة اوجالها
امنت غير معاقب طرادها ... وفككت عن اسرائها اغلالها
ونصبت نفسك خير نفس دونها ... وجعلت نفسك واقيا اموالها

اما قوله احيا امير المومنين محمد سنن النبي حرامها وحلالها فقد طعن عليه وعابه من لا معرفة عنده بنقد الشعر فقال كيف يكون في سنن النبي صلى الله عليه وآله حرام وما ذلك بعيب وانما اراد بقوله حرامها وحلالها التحريم والتحليل من سنن النبي صلى الله عليه وآله تحريم الحرام وتحليل الحلال وانما المعيب من هذا المعنى قول عدي بن الرقاع العاملي ولقد اراد الله اذ ولاكها من امة اصلاحها وفسادها ومثل قول مروان قول مسلم الخاسر ولما وليت ذكر النبي بتحريمه وتحليله فاما قوله حتى يفرجها اغر مهذب البيت فكذلك هذا للمتقدمين والمحدثين والاصل فيه قول زهير

وما كان من خير اتوه فانما ... توارثه اباء ابائهم قبل
وهل ينبت الخطي الا وشيجه ... وتغرس الا في منابتها النخل

ومثله وجدت والعباب نمت قومهم عقيل وما العود الا من نبيته ومثله للربيع بن ابي الحقيق اليهودي اذا مات منا سيد قام بعده لنا خلف يكفي السيادة بارع

منا نباته والعرنين فرعه ... على اصله والعرق للعرق نازع

ومثله لابن ميادة تبعن الغلام وقد اعناك والده وفي ارومته ما ينبت العود واخذ هذا المعنى وبعض اللفظ الكميت فقال

تجري اصاغرهم مجرى اكابرهم ... وفي ارومتها ما ينبت الشجر

وفي هذا المعنى قول عبد الله بن قيس الرقيات

يخلفك البيض من بنيك كما ... يخلف عود النضار في شعبه

ومثله قول نهشل بن حري ارى كل عود نابتا في ارومه ابا منبت العيدان ان يتغيرا

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن ... لاباء سوء يلقهم حيث سيرا

ومثله لمسلم بن الوليد الانصاري اخ لي على الايام يغري خطوبها على منهج الفا اباه به قبل ولبشار على اعراقها تجري الجياد ومثله وما في من خير وشر فانما بسجية ابائي وفعل جدودي هم القوم فرعهم مفرع وعودهم عند الحوادث عودي وللبحتري

واذا ابو الفضل استعار سجية ... للمكرمات فمن ابي يعقوب
شرف تتابع كابرا عن كابر ... كالرمح انبوبا على انبوب
وارى النجابة لا يكون تمامها ... لنجيب قوم ليس بابن نجيب

وله ما سعوا يخلفون غرا بنيهم ... كل ماء منابر ينتضا به
وله وما بايع في المجد نهج عروقه ... كمتبع في المجد نهج ابيه

وفي هذه القصيدة يقول مروان

هل تعلمون خليفة من قبله ... اجرى لغايته التي اجرى لها
طلع الدروب مشمرا عن ساقه ... بالخيل مشعلة يجيل نعالها
قودا يزيغ الى الاغر لوجهه ... نور يضيء امامها وخلالها
فنهت ما يليه عليه فقطعت ... ولقد تحفظ قبيها فاطالها
حتى اذا وردت اوائل خيله ... جيحان بث على العدو رعالها
احمى بلاد المسلمين عليهم ... واباح سهل بلادهم وجبالها
ادمت دوابر خيله وسكيمها ... غاراتهن ولحقنا اطالها

لم يبق فقادها وطرادها الا بنيها والا آلها
دفع الخليفة ناظري وراثة بيد مبارك شكرت نوالها
وحسدت حتى قيل اصبح باغيا في المشي منه فتيمة يختالها
ولقد حذوت لمن اطاع ومن عصى نعلا ورثت على النبي مثالها

اما قوله قصرت حمايله البيت فالاصل فيه قول عنترة

بطل كان ثيابه في سرحة يحذى نعال السبت ليس بتوأم

وقول الاعشى

الى ماجد كهلال السماء ازكا وفاء ومجدا وحزم
طويل النجاد رفيع العماد يحمي المضاف ويغني الثقل

ومثله

طويل نجاد السيف غار جبينه كنصل اليماني اخلصته صياقله
اذا هم بالمعروف لم يجر دونه عوينا ولم تسبق نداه عواذله

ومثله قول طريح بن اسماعيل الثقفي واشعث طلاع الثنايا مبارك بطول نجاد السيف وهو طويل ولابي الجويرية العبدي يمد نجاد السيف حتى كانه باعلى سنامي فالج يتطوح

اذا اشتهر في البرد اليماني خلته هلالا بدا في جانب الافق يلمح

ولابي عطا السندي وان بني عمرو بن عمرو حمايله وان طالت قصار

ولبعضهم في آل المهلب رايتكم اعز الناس جارا وامنعهم اذا عدوا ذمارا
حمايلكم وان كانت طوالا تراها عن مناكبكم قصارا

ولبعض بني العنبر في معنى الطول

نجاد بحبل العظام كانما عمامته بين الرجال لواء

وآخر

انتم طوال الساعدين كانما يناط الى جذع طويل حمايله

ولابن هرمة

يناط حمايل الهندي منه بعاتق لا الف ولا ضئيل
ولكن تستقل به قواه على ماض بقايمه نبيل ع ولستام الخاسر
يقوم مع الرمح الرديني قايما ويقصر عنه طول كل نجاد

وللمتنبي

يباري الرديني في طوله ويقصر عنه نجاد الحسام

وللوالبي

طويل وطول قرى كفه ينفل بالطول فضل التمام
بطوله يغتال يوم الوغا وغيره فضل نجاد الحسام

واما قوله ولقد حذوت لمن اطاع ومن عصى نعلا ورثت على النبي مثالها فقد ردد معناه مروان في مواضع من شعره فقال شبه ابيه منظرا وخليقة كما حذيت يوما على احذيتها النعل وقال في موضع اخر احيا لنا سنن النبي سميه قد الشراك به قرنت شراكا وقال ايضا

صحيح الضمير سره مثل جهره قياس الشراك يقابله

وقال ايضا

تشابهتما حلما وجودا ونايلا وحزما اذا امر قام واقعدا
تنازعتما نفسين حتى كانما على اصل عرق كان الفرع مسندا
كما قاس نعلا حاضر في قطعها على احفها لم يال ان يتحددا

ولحظ ابو نواس هذا المعنى فقال تنازع

تنازع الاحمدان الشبه بينهما خلقا وخلقا كما قد الشراكان

والاصل في هذا المعنى قول ابن ابي ربيعة

فلما توافقنا عرفت الذي بها كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل

ومثله للسيد بن احمد الحميري

يتلون اخلاق النبي فعله كالنعل يشبه في المثال طرافها

وقد تقدم الى هذا المعنى يزيد بن المكسر ثعلبة بن سيار العجلي بقوله في يوم ذي قار يحرض قومه على القتال في يوم ذي قار يحرض قومه من فر منكم فر عن حريمه وجاره وفر عن نديمه انا ابن سيار على شكيمه مثل الشراك قد من اديمه وكلهم يجري على قديمه

فاما قوله وحسدت حتى قيل اصبح باغيا البيت ففي معناه قول البحتري

الثت لي الايام من بعد قسوة وعاتبني دهري المسيء فاعتبا
والبستني النعمى التي غيرت اخي علي فامسى نازح الود اجنبا

ومما يختار لمروان قوله

موفق لسبيل الرشد متبع كلما ياتي ويجتنب
تسمو العيون اليه كلما انفرجت للناس عن وجهه الابواب والحجب
له خلائق بيض لا يغيرها صرف الزمان كما لا يصدا الذهب

ووجدت بعض من ينقد الشعر يقول ليس في شعر مروان بيت يتمثل به غير هذا البيت الاخير من الثلثة وكان ابن مناذر اياه اراد وقد سئل وهو مجاور بمكة عمن بقي من الشعراء فقال العباس بن الاحنف

فقال انشدوني له فانشدوه

لو كنت عاتبة لسكّن عبرتي ... املي رضاك وزرت غير مراقب
لكن مللت فلم يكن لي حيلة ... صدّ الملول خلاف صدّ العاتب

فقال ابن مناذر اخلق بن ادام تحت التراب ان يصيبه [illegible] ولا شك في قلة الامثال في شعر مروان ولكن لم يسبق الى هذا الحد وهذا المعنى الذي تضمنه البيت فقد سبق اليه قال طريح بن اسمعيل

جواد اذا جئته راغبا ... كفاك السؤال وان عدت عادا
خلائقه كسبيك النضار ... لا يبلي الدهر فيها فسادا

ومثله قول الخزيمي رايتك يا زيد زين المني ... وزين الفخار وزين الكرم
تزيد على نائبات الخطوب ... بذلا وفي سابغات النعم
كذا الخمر والذهب المعدني ... يجوّدهنّ وذاك القدم

وفي قوله الذهب المعدني فايده لانه اذا خلص الذهب وصفا لم يفسد واذا امتزج بغيره لم يكن هذا حكمه وللاحوص يا ويح للخلق لم يسلم طبع كان جوهره من جوهر الذهب ولبعضهم

ملك له خلق جليل العلى ... كسبيكة الذهب التي لا تكلف

وقد لحظ الخبزرزي هذا المعنى في قوله

ولا تغر بتخديد تكلفه ... لصورة حسنها الاصلي يكفيها
ان الدنانير لا تجلى وان عتقت ... ولا تزاد على الحسن الذي فيها

ولجحظة مثله صديق لي له ادب ... صداقة مثله نسب
رعى لي فوق ما يرعى ... واوجب فوق ما يجب
ولو نقدت خلائقه ... لبهرج عندها الذهب

[illegible]

ان سال سائل عن قوله تعالى نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا فقال لم وصفهم بنجوى وهو خبر عن جمع وما معنى مسحور وبأي شيء تدفع عادة مسحور ليس يوصف رسول الله بذلك بل انما دعتهم بادرة فقذفوه بانه ساحر الجواب قلنا اما قوله تعالى واذ هم نجوى فان النجوى مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وهو في هذا الموضع بمنزلة قولهم الرجال صوم والنساء اهل عدل بمعنى صوم وصائمين قيل

وقد قال قوم ان معناه واذ هم اصحاب نجوى فحذف المضاف اليه مقامه ويقال القوم نجي والجميع فمن وحد بين على مذهب المصدر ومن جمع جعله منقولا عن المصادر ملحقا برغيف وارغفة وما اشبه ذلك وقال الشاعر في التوحيد

اتاني نجيّ بعد هدء ورقدة ... ولم يك فيما قد بلوت بكاذب

وانشد الفراء في الجمع ظلت نساؤهم والقوم انجية ... يعدى عليها كما يعدى على الغنم فاما قوله تعالى ان تتبعون الا رجلا مسحورا ففيه وجوه اولها ان يكون المراد ان تتبعون الا رجلا متغير العقل لان المشركين كان من بغيهم عيب النبي صلى الله عليه وسلم وتضعيف رايه وتوهين امره وكانوا في وقت ينسبونه الى انه ساحر وفي اخرى يرمونه بالجنون وانه مسحور متغير العقل وربما قذفوه بانه شاعر حوشي من ذلك كله صلى الله عليه وسلم وقد جرت عادة الناس بان ينسبوا من يستخفونه الى البله والغفلة وقلة التحصيل بانه كانه مسحور وثانيها ان يريدوا بالمسحور المخدوع المعلل لان ذلك مما يستعمل فيه هذه اللفظة قال امرؤ القيس

ارانا موضعين لحتم غيب ... ونسحر بالطعام وبالشراب

وقال امية بن ابي الصلت فان تسالينا فيم نحن فاننا ... عصافير من هذا الانام المسحر

وثالثها ان السحر في اللغة العربية الرية وما تعلق بها وفيها ثلاث لغات سحر وسحر وسحر وقيل ان السحر ما لصق بالحلقوم والمريء من اعلى الجوف وقيل انه الكبد فكان المعنى على هذا ان تتبعون الا رجلا ذا سحر خلقه الله بشرا كخلقكم ورابعها ان يكون مسحورا بمعنى ساحر وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعل قال الله تعالى واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا اي ساترا والعرب تقول للمعسر ملفج ومعناه ملفج لان ناصيته الفقر فاما بلفظ المفعول وهو الفاعل ومن ذلك قولهم فلان مشؤوم على فلان وميمون وهم يريدون شائم ويامن لانه من شامهم ويمنهم قال ورايت بعض العلماء يطعن على هذا الاستشهاد الاخير ويقول العرب لا تعرف فلانا مشؤوم على فلان وانما هذا من كلام اهل الامصار وانما تسمي العرب من لحقه الشؤم مشؤوما قال علقمة بن عبدة

ومن تعرض للغربان يزجرها ... على سلامته لا بد مشؤوم

وللوجه الثالث الاول اوضح واشبه ومما يختار لمروان قوله من قصيدة يمدح بها معن بن زائدة الشيباني اولها ارى القلب امسى بالاوانس مولعا ... وان كان من عهد الصبي قد تمنعا يقول فيها

ولما سرى الهم الغريب قريته ... قرى من ازال الشك عنه واوضحا
عزمت فعجلت الرحيل فلم اكن

كذي لونه لا يطلع الهم مطلعا فامت وكأني ارض معن ولم تزل   الى ارض معن حيث ما كان نزعا

عجايب لولا انها سخرت لنا   ابت عزمة من جهلها ان تورعا
كونا دجا في الليس منها موليا   تدارك منا التي سنيفا ومربعا
فما بلغت صنعاء حتى تواضعت   ذراها وزال الجهل عنها واقلعا   يقول فيها
وما العيش ذعم البلاد بسوية   على الناس معروف معن باوسعا
تداركت معن بحة الدين بعدما   خشينا عليها وتادها ان تزعزعا
اقام على الثغر المخوف وهاشم   تساقيهما ما بالاسنة منقعا
مقام امرئ ابى سوى الخلة التي   تكون لذي غث الاحاديث انفعا
وما اجشم الاعداء عنك بقية   عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
رأوا ماهن افد حزن وقايتوا   لذي غيلة منهم محيا ومصرعا
وليس بثانيه اذا شد انبري   لذي نحره زرقا الاسنة شرعا
له راحتان الحتف والغيث فيهما   ابى الله الا ان يضر وينفعا
لقد زحف الاعداء معن فاصبحوا   وامنعهم لا يدفع الذل مدفعا
نجيب مناسب وسيف سادة   ذرى المجد من فرعى نزار تفرعا
اقامت حصار الحرب فيها كانت   وما كملت خمسا سنين واربعا
لقد اصبحت في كل شرق ومغرب   لربيك عتاق المرسلين خضعا
وليت خدود الحضرميين وطالما   لها هند ركنا عرنجم
فاقعوا على الاذناب قعا معشر   يرون لزوم السلم ابقى واودعا
فلو مدت الايدي الى الحرب كلها   لكفوا وما مدوا الى الحرب اصبعا

اما قوله فما بلغت صنعاء البيت فقد ردده في مواضع

فما بلغت حتى نماها كلالها   اذا عريت اصلابها ان تقيدا

معنا لفيه الشعر القديم والمحدث فمنه قول جرير

اذا بلغوا المنازل لم تقيد   وفي طول الكلال لها قيود

وردّ بانه فيه المنسب للمحدث بان عكس جرير ابا نواس اشعر فقال وما هو لي يقولك

انخت بها النهجير كانها   نيقا باسلال لم يدعها سلالها   وانشد بيت

غب

بيت جرير الذي تقدم فقال قاتل الله ابن الخطفي فقيل له قد فضلته عليك فهو ذاك واخذ هذا المعنى بعينه المؤمل بن اميل المحاربي فقال

كانت تقيد حين تنزل منزلا   فاليوم صار لها الكلال قيودا

ولابي نخيلة

قيدها الجهد ولم تقيد   فهي سوام كالقنا المسند
ومالها معقل من مرود   منها وكل من شاحط مستبعد

ومعنى قوله سوام اي رافعة روسها وشبهها بالقنا لان القنا اذا ركز مائلا فلامه الريح فيقوله في اعنا فقاميل من الضعف كما قال الشماخ كانها رماح نحاها وجهة الريح راكز وكما قال جميل بن ثور الهلالي

بنوي حرام والمطي كانها   قنا مسند هبت عليه لهن خريق

الخريق ريح شديدة تنخرق من كل جهة ومعنى قول ابي نخيلة من مرود اي من يمثله يجر هامل الجبه واراد انه لا شي في الجوانبها فيعقل به والمستبعد ما بعد من المرعى وانشد ابو العباس ثعلب

اذا بلغوا المنازل لم تقيد   ولم تشدد ركابهم بعقل
فهن مقيدات مطلقات   تقعمهم ما انشذبت في الحل

والاصل في هذا قول امرئ القيس

مطوت بهم حتى تكل حيادهم   وحتى الجياد ما يقدن بارسان

ولعباد بن انف الكلب الصيداوي

فمشى له اقيدها بحبل   بها طول الغزاة والكلال

ومن جيد هذا المعنى قول الفرزدق يصف الابل

بدانا بها من سيف رمل كهيلة   وفيها نشاط من مراح وعجرف
فما بلغت حتى تقارب خطوها   وما دت دراها والمناسم رعف
وحتى ابا الجهل منها وعذرت   اذا ما انيخت والمدامع ذرف
وحتى مشى الحادي البطي يسوقها   بها خص دام ودابر مخلف

الخص لحم الخف الذي يطأ عليه والدابر فقار الظهر والمخلف المقشور وحتى تعشاها وما في يدلها انا حل عنها زمة وهي رشف الرمة الحبل واراد انها ترسف كما يرسف المقيد وان لم يكن في يدها قيد

اذا ما نزلنا قالت عن ظهورها   جراجر امثال الاهلة شسف

الجراجر الطوال من الابل والشسف اليابسة من الجهد والكلال ومعنى قالت الغربان انها اذا

عريت ظهورها يقع الغربان عليها للناكل دبرها فالابل تمنع الغربان بافواهها عن ظهورها فذلك
قال انها ∴ اذا ما ارينا ها الازمة اقبلت ∴ وروي ارقلت اليعابجات الجنعد تعدف
∴ فا في مراح الذلعة حوضها ∴ بنا الليل اذا نام الدبور الملهف
ومن حسن ما قيل في وصف الابل بالتحول من الطلال والجهد بعد السمن قول الشاعر
∴ وذات ماين قد عضت جهها ∴ بحيث يستمسك الادولح بالجحر
∴ ردت عواري غيطان الفلا ونجت ∴ مثل ابالة من حايل العشر
قوله وذات ماين بمعني بها ناقة سمن وقيل بل عنى انها رحت كالاناس وقوله وقد عضت جهها
يعني انه اتبعها بالسير حتى ردها هزلى بعد سمن فكانه عض بذلك ما وجها ومعنى بحيث تستمسك الارواح
بالجحر يعني الفلاة حيث لا يكون الماء فيقتسم الركب الماء الذي معهم بالحجارة التي يقال له المقلة فيمسك
ارماقهم وقوله ردت عواري غيطان الفلا اي ما دعت من كل هذه الاماكن وسمنت منه كان كعارية
عندها فردتها حيث جهدها السير وامزلها ولاابالة الحزمة من الحطب اليابس ولخذ هذا المعنى
بعينه ابو تمام فقال ∴ رعته الفيافي بعد ما كان حقبة ∴ رعاها وما المزن ينهل ساكبه
∴ فكم جزع واد جب ذروة غارب ∴ ومن قبل كانت امكنة مذانبه ∴ فاما قوله
∴ فما احجم الاعداء عنك بقية ∴ عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا ∴
فماخوذ من قول الاول ∴ فما بقيا علي تركتماني ∴ ولكن خفتما صرد النبال ∴
وقريب منه قول الاخر ∴ لعمرك ما الناس اثنوا عليك ∴ ولا قدموك ولا عظموا
∴ فانت بفضلك الجاتهم ∴ الى ان يجلوا وان يعظموا ∴
∴ ولو انهم وجدوا مطعنا ∴ الى ان يعيبوك ما احجموا
ومثله ∴ اما لو راي فيك العدو نقيصة ∴ لجد بتعريف العيوب واوسعا
∴ ولكنه لما رآك مبرأ ∴ من العيب غطا راسه وتقنعا ∴
ومثله ∴ قد طلب العاذل عيبا فما ∴ اصاب عيبا فانثنى راجعا
وللبحتري في معنى قول مروان فما احجم الاعداء عنك بقية من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان
ويصف لقاءه الاسد ∴ غداة لقيت الليث والليث خادر ∴ يحدد نابا للقاء ومخلبا
∴ شهدت لقد انصفته يوم تنبري ∴ له مصلتا عضبا من البيض مقضبا ∴
∴ فلم ار ضرغامين اصدق منكما ∴ عراكا اذا الهيابة النكس كذبا ∴ هزبر

∴ هزبر مشي يبغي هزبرا واغلب ∴ من القوم يغشى باسل الوجه اغلبا ∴
∴ ادل بشغب ثم هالته صولة ∴ رآك لها امضى جنانا واشغبا ∴
∴ فاحجم لما لم يجد فيك مطمعا ∴ لما لم يجد عنك مهربا ∴
∴ فلم يغنه ان كر نحوك مقبلا ∴ ولم ينجه ان حاد عنك منكبا ∴
∴ حملت عليه السيف لا عزمك انثنى ∴ ولا يدك ارتدت ولا حده نبا ∴
∴ وكنت متى تجمع يمينك تهتك ∴ الضريبة او لا تبق للسيف مضربا ∴
ومن صافي كلام مروان ورايقه وما اجتمع له فيه جودة المعنى واللفظ واطراد النسج قوله
∴ بنو مطر يوم اللقاء كانهم ∴ اسود لها في غيل خفان اشبل
∴ هم يمنعون الجار حتى كانما ∴ لجارهم بين السماكين منزل
∴ لهاميم في الاسلام سادوا ولم يكن ∴ كاولهم في الجاهلية اول
∴ هم القوم ان قالوا اصابوا وان دعوا ∴ اجابوا وان اعطوا اطابوا واجزلوا ∴
∴ وما يستطيع الفاعلون فعالهم ∴ وان احسنوا في النائبات واجملوا ∴
∴ ثلاث بامثال الجبال حباهم ∴ واحلامهم منها لدى الوزن اثقل
ومن جيد قوله من قصيدة يمدح بها معنا ∴
∴ ما من عدو يرى معنا بساحته ∴ الا يظن المنايا تسبق القدرا ∴
∴ يلقى اذا الخيل لم تقدم فوارسها ∴ كالليث يزداد اقداما اذا زجرا ∴
∴ اغر يحسب يوم الروع ذا لبد ∴ وهو ذا يحسب فوق المنبر القمرا ∴
ولمن قصيدة يصف يوما حارا ∴
∴ ويوم عبوس الال حام كانما ∴ لظى شمسه مشبوب نار تلهب ∴
∴ نصبنا له منا الوجوه وكلها ∴ عصايب اسمارها تتعصب ∴
ويشبه ان يكون اخذ ذلك من قول الشنفري ∴
∴ ويوم من الشعرى يذوب لعابه ∴ افاعيه في رمضائه تتململ ∴
∴ نصبت له وجهي ولا كن دونه ∴ ولا ستر الا الاتحمي المرعبل ∴
ولمروان ابيات يصف فيها حديقة وهبها له المهدي ويذكر نخلها وشجرها ابادفيها
∴ نواضر عليا قد تدلت روسها ∴ من النبت حتى ما يطير غرابها ∴

ترى الباسقات النخل فيها كانها ،، طعاين مضروب عليها قبابها ،،
ترى بابها سهلا لكل مدفع ،، اذا اينعت نخل واغلق بابها ،،
يكون لنا ما نجتني من ثمارها ،، ربيعا اذا الافاق محل سحابها ،،
خطاير لم تخلط باثمارها الربا ،، ولم يك من اخذ الديات اكتسابها
ولكن عطاء الله من كل حرة ،، جزيل من المستحلمين ثوابها ،،
ومن كسبنا الخيل في كل غارة ،، حلالا بارض المشركين خصابها ،،
حوت عنها اباونا وجدودنا ،، بضم العوالي والدماء خضابها

اما قوله خطاير لم تخلط باثمارها الربا البيت فكان ابن المعتز نظر اليه في قوله ،،

لنا ابل ثما وفرتها دماونا ،، ولا ذعرتها في الصباح الصوايح ،،

وفي ضد هذا قول ابي تمام

،، ،، ،،
كثرت فيهم المسارح الا ،، انها من منايح وديات ،،

ومثل قول الاول قول حسان يهجو قوما من قريش

وما لكم الا من طراد فوارس ،، ولكن من الترقيح يا آل مالك

ان سال سايل عن معنى قوله تعـ كل شيء هالك الا وجهه وقوله تعـ انما نطعمكم لوجه الله وقوله ويبقى وجه ربك وما شاكل ذلك من اي القران المتضمنة لذكر الوجه فالجواب قلت الوجه ينقسم في اللغة العربية الى اقسام فالوجه المعروف المركب فيه العينان من كل حيوان والوجه ايضا اول الشي وصدره ومن ذلك قوله جل ثناوه وقالت طايفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره اي اول النهار ومنه قول الربيع بن زياد

من كان مسرورا بمقتل مالك ،، فليات نسوتنا بوجه نهار

ان غداة كل يوم وقال غيره وجه نهار اسم بها موضع والوجه القصد بالفعل من ذلك قوله تعـ ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن معناه من قصد بامره وفعله الى الله تعـ واراده بهما وكذلك قوله تعـ ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن وقال الفرزدق واسلمت وجهي حين شدت ركايبي الى آل مروان بناة المكارم انخت قلوصي وادنيتهم وانشد الفراء استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل اي القصد ومنه قولهم في التلبية وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض اي قصدت قصدي بعملي ونحو ذلك قوله تعالى فاقم وجهك للدين والوجه الاختيار للامر ومنه قولهم كيف الوجه لهذا

لهذا الامر وما الوجه اي ما الحيلة والوجه المذهب والجهة والناحية قال حمزة بن بيض الحنفي اي الوجوه انتجعت قلت لها لاي وجه الا الى الحكم متى يقل حاجبا سرادقه هذا ابن بيض بالباب يبتسم والوجه المنزلة والقدر ومنه قولهم لفلان وجه عريض وفلان اوجه من فلان اي اعظم قدرا وجاها ويقال اوجهه السلطان اذا جعل له جاها قال امرؤ القيس

،، ونادمت قيصر في ملكه ،، فاوجهني وركبت البريدا ،،

والوجه الرئيس المنظور اليه يقال فلان وجه القوم وهو وجه عشيرته ووجه الشيء ايضا نفسه وذاته وقال الحمير بن جندل السعدي ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة فافلت منها وجهه عتد نهد اراد افلته فنجاه ومنه قولهم انما فعلت ذاك لوجهك ومن ذلك ايضا دليل على ان الوجه يعبر به عن الذات قوله تعـ وجوه يوميذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يوميذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة وقوله تعالى وجوه يوميذ ناعمة لسعيها راضية لان جميع ما اضيف الى الوجوه في ظاهر الاي من النظر والظن والرضا لا يصح اضافته على الحقيقة اليها وانما يضاف الى الجملة بمعنى قوله تعـ كل شيء هالك الا اياه وكذلك قوله تعـ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ومما يدل على ان المراد بوجهه نفسه قوله تعـ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام لما كان المراد بالوجه نفسه ولم يقل ذي كما قال تعـ تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام لما كان اسمه غيره ويمكن في قوله تعـ كل شيء هالك الا وجهه وجه اخر وقد روي عن بعض المتقدمين وهو ان يكون المراد بالوجه ما يقصد به الى الله تعالى ويوجه نحو القربة اليه خاصة فيقول المشرك بالله ولا تدع الها اخر فانه كل فعل يتقرب به الى غيره ويقصد به سواه فهو هالك باطل وكيف يسوغ للمشبهة ان تحمل هذه الاية والتي قبلها على الظاهر اوليس ذلك يوجب انه تعالى يفنى ويبقى وجهه وهذا كفر وجهل من قايله فاما قوله تعـ عز وجل انما نطعمكم لوجه الله وقوله الا ابتغاء وجه ربه الاعلى وقوله تعـ وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله فمحمول على ان هذه الافعال مفعولة له ومقصود بها ثوابه والقربة اليه والزلفة عنده فاما قوله تعـ فاينما تولوا فثم وجه الله فيحتمل ان يراد فثم الله لا على معنى الحلول لكن على معنى التدبير والعلم ويحتمل ايضا ان يراد فثم رضى الله تعالى وثوابه والقربة اليه ويحتمل ان يكون المراد بالوجه الجهة ويكون الاضافة بمعنى الملك والخلق والانشاء والاحداث لانه جل وعز قال ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله اي ان الجهات كلها لله تعـ وتحت ملكه وكل هذا واضح بين بحمد الله اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال كنت انادم المكتفي بالله في اخر سفرة سافرها للصيد في الموضع المعروف

الى بكرت في حراقة فكانت تجنح كثيرا فيشتد فزع من معه من الجلساء لذلك وكنت اشدهم فزعا وكان في
الحراقة سوى من الجلساء يحيى بن علي المنجم ومتوج بن محمود بن مروان والقسم المعروف بابن جابه
فكان يضحك لفزعنا ويقول المعتضد الله لكم حظا من الشجاعة جزيلا فقلت له ان البحتري يقول شعرا
يصف فيه مثل حالنا ويمدح به احمد بن دينار بن عبد الله وقد غزا الروم في مراكب ولم

الم تر تغليس الربيع المبكر ∴ وما حاك من وشي الرياض المنشر

فقال انشدني للموضع الذي قال هذا فيه وكان جيد العلم بالاشعار حافظا للاخبار فانشدته

غدوت على الميمون تحت المظفر صبحا ∴ وانما غدا المركب الميمون تحت المظفر
اذا زمجر النوتي فوق علاته ∴ سمعت خطيبا في ذوابه منبر
يغضون دون الاشتيام عيونهم ∴ وقوف السماط للعظيم المومر
اذا ما علت فيه الجنوب اعتلا له ∴ جناحا عقاب في السماء مهجري
اذا ما انكفى في هبوة النار خلته ∴ تلفع في اثناء برد محبري
وحولك ركابون للهول عاقروا ∴ كووس الردى من دارعين وحسري
تميل المنايا حيث مالت اكفهم ∴ اذا اصلتوا حد الحديد المذكري
اذا رشقوا بالنار لم يك رشقهم ∴ ليقلع الا عن شواء مقتر
يسوقون اسطولا كان سفينه ∴ سحائب صيف من جهام وممطري
كان ضجيج البحر بين رماحهم ∴ اذا اختلفت ترجيع عود مجرجري
يقارب من زحفيهم فكانما ∴ يولف من اعناق وحش منفري
على حين لا نقع تطوحه الصبا ∴ ولا ارض تلقى للصريع المقطري
فما رمت حتى اجلت الحرب عن طلى ∴ مقصصة فيهم وهام مطيري
وكنت ابن كسرى قبل ذاك وبعده ∴ مليا بان توهي صفاة ابن قيصري
جدحت له الموت الذعاف فعافه ∴ وطار على الواح شطب مسمري
مضى وهو مولى الريح يشكر فضلها ∴ عليه ومن يول الصنيعة يشكري

قال فاستجاد المعتضد قوله على حين لا نقع تطوحه الصبا فقال له يحيى بن علي انشدني ابن الرومي شعرا
له في هذا المعنى شعرا ولم اتعلم قط من ذي سباحة ∴ سوى الغوص والمضعوف غير مغالب

ولم لا ولو القيت فيها وصخرة ∴ لوافيت فيها القعر اول راسب ∴ وايسر

وايسر اشفاقي من الماء انني ∴ امر به في الكوز مر المجانب
واخشى الردى منه على كل شارب ∴ فكيف بامنيه على نفس راكب

فقلت له انما اخذ ابن الرومي بيته الثالث من قول ابي نواس فقال المكتفي وما قال فقلت حدثني
علي بن سولج المصري قال حدثنا ابو وائلة اللخمي قال وحدثنا ابرهيم بن الخصيب قال وفد ابو نواس
بمصر على النيل فرأى رجلا قد اخذه التمساح فقال

اضمرت للنيل هجرانا ومقلية ∴ مذ قيل لي انما التمساح بالنيل
فمن راى النيل راي العين من كثب ∴ فما ارى النيل الا في البواقيل

قال الصولي والبواقيل هي جرار صغار ثم اجرى المكتفي بعد ذلك ذكر الشيب فقال العرب تقول اظلم من
شيب وقد شبت وظلمني الشيب يا صولي فقلت جواب عبدك في هذا جواب معن بن زائدة
للمنصور وقد قال له كبرت يا معن فقال في طاعتك يا امير المومنين فقال وانك لجلد قال على
اعدائك قال وفيك بحمد الله بقية قال لحزمك فنزع المكتفي عمامته فاذا شيبتان في مقدم راسه
فقال لقد همني طلوع هاتين الشيبتين فقلت له انما يعيش الناس في الشيب فاما السواد فلا يصحب
الناس طويلا اكثر ما بين عشرين سنة الى الخمسين وقد يعاش في البياض الذي لا سواد فيه ثمانون سنة
فانشده يحيى بن علي في معنى طول العمر مع الشيب قول امرئ القيس

الا ان بعد العدم للمرء قنوة ∴ وبعد المشيب طول عمر وملبسا

وانشدته انا ابياتا انشدها اسحق بن ابرهيم الموصلي لبعض القيسين

لم ينقص مني المشيب قلامة ∴ الان حين بدا الب واكيس
والشيب ان يظهر فان وراءه ∴ عمرا يكون خلاله متنفس [illegible]

اما قول البحتري مضى وهو مولى الريح فقد كرر معناه في قوله من قصيدة يمدح بها ابا سعيد الثغري

اتكى على متون اطراف القنا ∴ فنجا عتيق عتيقة جرداء
فلو انه ابطا لهن هنيهة ∴ لصدرن عنه وهن غير ظماء
فلئن سماه العصا لوقيه ∴ فلقد عمت جوده بغناء

ولعله اخذ هذا المعنى من قول ابي تمام من قصيدة يمدح المعتصم ويذكر فتح الخرميه

لولا الظلام وقلة علقوا بها ∴ باتت رقابهم بغير قلال
فليشكروا جنح الظلام ودروذا ∴ فهم لدروذ والظلام موال

وقد اخطا الصولي في تفسير بيت ابي نواس ان البواقيل سفن صغار لان البواقيل جمع بوقال وهو آنية على هيئة الكوز معروف قد تعمل من الزجاج وغيره وهذا مثل قول ابن الرومي امر به في الكوز من الجانب وانما اراد انه لا امر بماء النيل الا اذا اردت شربه في كوز او بوقال او ما اشبه ذلك واظن انه استمر الوهم من جهة قوله فما ارى النيل وصرف ذلك الى انه اراد النيل على الحقيقة وانما اراد ماء النيل وما علمت ان السفن الصغار يقال لها بواقيل الا من قول الصولي هذا ولو كان ما ذكره صحيحًا من ذلك وانه اسم لصغار السفن لكان بيت ابي نواس بما ذكرناه اشبه والى ادخل في معنى الشعر فكيف تدخل شبهه في ذلك مع قوله فمن راى النيل راي العين من كثب ومن راى النيل في السفن الصغار فقد راه من كثب ومن راى ماءه في الآنية على بعدها يكون رائيا له من كثب فاما مدح الشيب وتفضيله على الشباب فقد قال فيه الناس فاكثروا فمما تقدم من ذلك قول رؤبة بن العجاج ويقال ان رؤبة لم يقل من القصيد الا هذين البيتين

ايها الشامت المعير بالشيب ٭ اقلن بالشباب افتخارا
قد لبست الشباب غضًّا جديدا ٭ فوجدت الشباب ثوبا معارا

ولعلي بن جبلة
جاطرت الفتيان وهو طروب ٭ واعقبه قرب الشباب مشيب
تجافت عيون البيض عنه وربما ٭ سعدنا اليه الوصل وهو حبيب
لعمري لنعم الصاحب الشيب واعظا ٭ وان كان فيه للعيون نكوب
خلطتني منه ثياب حلم وانه ٭ على ذاك مكروه الخلاط مريب

ولآخر
وتنكرت شيبي فقلت لها ٭ ليس المشيب بناقص عمري
سيان شيبي والشباب اذا ٭ ما كنت من عمري على قدري

ولآخر
ان اكن قد تبدلت سودا كالقار ٭ واعقبت مثل لون الثغامه
فلقد اسعد الكريم واحبو ٭ اهلها بالندى وابي الظلامه

ولآخر
ان المشيب رداء الحلم والادب ٭ كما الشباب رداء الجهل واللعب
تعجبت ان رات شيبي فقلت لها ٭ لا تعجبي من يطل عمر به يشب

ولابن الجهم
حسرت عني القناع ظلوم ٭ وتولت ودمعها مسجوم
انكرت ما رات براسي فقالت ٭ امشيب ام لؤلؤ منظوم
قلت شيب وليس عيبا فانت ٭ انت تستثيرها الهموم

شد

شدها انكرت تصرم عهدي ٭ لم يتم لي واي حال تدوم

ولابي هفان
تعجبت درّ من شيبي فقلت لها ٭ لا تعجبي فطلوع الشمس في السدف
وزادها عجبا ان رحت في سمل ٭ وما درت درّ ان الدر في الصدف

وقد احسن ابو تمام غاية الاحسان في قوله
ابدت اسا ان راتني مخلس القصب ٭ وال ما كان من عجب الى عجب
ست وعشرون تدعوني فاتبعها ٭ الى المشيب ولم تظلم ولم تحب
فلا يؤرقك ايماض القتير به ٭ فان ذاك ابتسام الراي والادب

وللبحتري
عيرتني المشيب وهي بدته ٭ في عذاري بالصد والاجتناب
لا تريه عارا فما هو بالشيب ٭ ولكنه جلاء الشباب
وبياض البازي اصدق حسنا ٭ ان تاملت من سواد الغراب

وله
هاهو الشيب لائما فافيقي ٭ واتركيه ان كان غير مفيق
فلقد كف من غناء المعنى ٭ وتلافى من اشتياق المشوق
عذلتنا في عشقها ام عمرو ٭ هل سمعتم بالعاذل المعشوق
ورات لمة الم بها الشيب ٭ فريعت من ظلمة في شروق
ولعمري لولا الاقاحي لابصرت ٭ انيق الرياض غير انيق
وسواد العيون لو لم يكمل ٭ ببياض ما كان بالموموق
ومزاج الصهباء بالماء امل ٭ بصبوح مستحسن وغبوق
اي ليل يبهى بغير نجوم ٭ او سماء تندى بغير بروق

ويشبه ان يكون اخذ قوله اي ليل يبهى بغير نجوم من قول الشاعر
اشيب ولم اقض الشباب حقوقه ٭ ولم يمض من عهد الشباب قديم
رات وضحا في مفرق الراس راعها ٭ وشتان مبيض به وبهيم
تفاريق شيب في الشباب لوائح ٭ وما حسن ليل ليس فيه نجوم

ولمحمود الوراق مثل هذا المعنى بعينه
ما الدر منظوما باحسن من ٭ شيب يحل ذؤابة الكهل
فكان فيها النجم اذا ٭ جن المسير بها على مهل
لا تبكين على الشباب اذا ٭ بكى الجهول عليه للجهل

واشكر لشيبك حسن صحبته   فلقد كساك جلالة الفضل

ولاخر في مدح الشيب

لا يرعك المشيب يا ابنة عبد الله   فالشيب حلية ووقار
انما تحسن الرياض اذا ما   ضحكت في خلالها الانوار

الله عنه ولي في هذا المعنى من قصيدة

جزعت لوخطات المشيب وانما   بلغ الشباب مدى الكمال فنورا
والشيب ان فكرت فيه مورد   لا بد يورده الفتى ان عمرا
يبيض بعد سواده الشعر الذي   ان لم يزره الشيب واراه الثرا

ومن عدل بين الشباب والشيب ومدح كل واحد منهما طريح بن اسمعيل الثقفي

والشيب للحكماء من سفه الصبا   بدل تكون له الفضيلة مقنع
والشيب غاية من تاخر حينه   لا يستطيع دفاعه من يجزع
ان الشباب له لذاذة جدة   والشيب منه في المغبة انفع
لا يبعد الله الشباب ومرحبا   بالشيب حين ارى اليه المرجع

ومثله لاخر

وكان الشباب الغض لي فيه لذة   فزحزحني عنها المشيب وادبا
فسقيا ورعيا للشباب الذي مضى   واهلا وسهلا بالمشيب ومرحبا

تاويل اية ان سال سايل عن قوله تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعاني فليستجيبوا لي وليومنوا بي لعلهم يرشدون فقال كيف تضمن الاجابة وتكفل بها وقد نرى من يدعو فلا يجاب والجواب قلنا في ذلك وجوه اولها ان يكون المراد بقوله تعالى اجيب دعوة الداع اي اسمع دعوته ولهذا يقال للرجل دعوت من لا يجيب اي من لا يسمع وقد يكون ايضا يسمع بمعنى يجيب كما كان يجيب بمعنى يسمع يقال سمع الله لمن حمده يراد اجاب الله من حمده وانشد ابن الاعرابي

دعوت الله حتى خفت ان لا   يكون الله يسمع ما اقول

اراد يجيب ما اقول وثانيها انه تعالى اراد بقوله قريب انه قريب المسافة لكن من حيث يعرف احواله ولا يخفى عليه ويكون قوله تعالى اجيب على هذا تاكيدا للقرب فكانه تعالى اراد انني قريب قربا شديدا وانني مجيب ولا يخفى علي احوال العباد كما يقول القايل اذا وصف نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله انا بحيث اسمع كلامك واجيب ندالك وما جرى هذا المجرى وقد روي في نحو ما سال الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا له

له اربنا قريب فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله تعالى هذه الاية وثالثها ان يكون معنى اجيب دعوة الداع اذا دعان على الوجه الصحيح وبالشرط الذي يجب ان يقارن الدعا وهو ان يدعو باشتراط المصلحة ولا يطلب وقوع ما يدعو به على كل حال لانه ان كان مصلحة حاصل ما دعا به وان لم يكن صلاحا لم يفعل لفقد شرط دعايه فهو ايضا مجاب الى دعايه ورابعها ان يكون معنى دعاني اي عبدني وتكون الاجابة هي الثواب والجزاء على ذلك فكانه تعالى قال اني اثيب العباد على دعايهم لي وهذا مما لا اختصاص فيه وخامسها ما قاله قوم من ان معنى الاية ان العبد اذا سال الله تعالى شيئا في اعطايه صلاح فعله به واجابه اليه وان لم يكن في اعطايه اياه في الدنيا صلاح وخير لم يعطه ذلك في الدنيا واعطاه اياه في الاخرة فهو مجيب لدعايه على كل حال وسادسها انه تعالى اذا دعاه المسلم لم يخل من احدى الحالتين اما ان يجاب دعاوه واما ان يجار له بصرفه عما سال ودعا لحسن اختيار الله تعالى له يقوم مقام الاجابة فكانه اجابه على كل حال وهذا الجواب يضعف لان العبد اذا سال ما فيه صلاح ومنفعة له في الدنيا وان كان فيه فساد في الدين لغيره فلا يعطى ذلك لا لامر يرجع اليه لكن لما فيه من فساد غيره فكيف يكون مجابا مع المنع الذي لا يرجع اليه منه شي من الصلاح اللهم الا ان يقال انه دعا مشروط بان يكون صلاحا ولا يكون فسادا وهذا مما قد تقدم ومعنى قوله تعالى فليستجيبوا لي اي فليجيبوني وليصدقوا رسلي قال الشاعر

وداع دعا يا من يجيب الى الندا   فلم يستجبه عند ذاك مجيب

اي لم يجبه قال رحمه الله عليه واذ كنا قد ذكرنا في المجالس المتقدمة لهذا الاملا طرفا من الشعر في تفضيل الشيب وتقديمه والمتعزي عنه والتسلي عن نزوله فنحن نتبعه بطرف مما قيل في ذمه والتالم منه والجزع منه فمن ذلك قول ابي حية النميري

ترحل بالشباب الشيب عنا   فليت الشيب كان به الرحيل
وقد كان الشباب لنا خليلا   فقد قضى ماربه الخليل
لعمر ابي الشباب لقد تولى   حميدا ما يراد به بديل
اذا الايام مقبلة علينا   وظل اراكة الدنيا ظليل

وقال الفرزدق

ارى الدهر ايام المشيب   علينا وايام الشباب الطايبه
وفي الشيب لذات تقر عيني   ومن قبله عيش يعلل جاديه

لذا نازل الشيب الشباب فاصلتا   بسيفيهما فالشيب لا شك غالبه
فيا خير مرزوء ويا شر حاضر   اذا الشيب وافى للشباب كتائبه
وليس شباب بعد شيب براجع   مدى الدهر حتى يرجع الدر حالبه
فما المرء منتفعا بتجريب واعظ   اذا لم تعظه نفسه وتجاربه

وانشد اسحاق الموصلي

لعمري لئن حليت عن منهل الصبا   لقد كنت وراداً لمشربه العذب
ليالي امسي بين بردي لاهيا   كميشا كغصن البانة الناعم الرطب
سلام على سير القلاص مع الركب   ووصل الغواني والمدامة والشرب
سلام امرئ لم يبق منه بقية   سوى نظر العينين او شهوة القلب

ولمنصور النمري

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع   اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
بان الشباب وفاتتني بشرته   صروف دهر وايام لها خدع
ما كنت اوفي شبابي كنه غرته   حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

ولمحمد بن ابي حازم

عهد الشباب لقد ابقيت لي حزنا   ما جد ذكرك الا جد لي ثكل
سقيا ورعيا لايام الشباب وان   لم يبق منك له رسم ولا طلل
جر الزمان ذيولا في مفارقه   وللزمان على احسانه علل
وربما جر اذيال الصبا مرحا   وبين برديه غصن ناعم خضل
لا تكذبن فما الدنيا باجمعها   من الشباب بيوم واحد بدل
كفاك بالشيب عارا عند غانية   وبالشباب شفيعا ايها الرجل

ولابي نواس

كان الشباب مطية الجهل   ومحسن الضحكات والهزل
كان الجميل اذا ارتديت به   ومشيت اخطر صيت النعل
كان البليغ اذا نطقت به   واصاخت الآذان للمملي
كان المشفع في مآربه   عند الحسان ومدرك التبل
والباعثي والناس قد هجعوا   حتى اتيت حليلة البعل

والامر

والامر حتى اذا عزمت   نفسي اعان يدي بالفعل
فالآن صرت الى مقاربة   وحططت عن ظهر الصبى رحلي

رضي الله عنه وعلى هذا الكلام طلاوة ومسحة من اعرابية لبستا العزم ولبشاد

الشيب كره وكره ان يفارقني   اعجب بشيء على البغضاء مودود
يمضي السواد ويأتي بعد خلف   والشيب يذهب مفقودا بمفقود

وهذا البيت الاخير يروى لمنصور بن الوليد الانصاري ومما احسن فيه مسلم في هذا المعنى قوله

طرفت عيون الغانيات وربما   امكن الى الطرف كل مميل
وما شبت الاشيبة غير انه   قليل قذاة العين غير قليل

وله

أفلا توافق للشيب واحد   وان تراءت لشخص غير مودود
لا اجمع الحلم والصهباء قد سكنت   نفسي الى الماء عن ماء العناقيد
لم ينهني كبر عنها ولا فند   لكن صحوت وغصني غير مخضود
اوفى بي الحلم واقتادني طلقا   شاو وعفت الصبى من غير تفنيد

ولقد احسن دعبل بعيب الشباب والشيب

كان كحلا لمآقيها فعين   صار بالشيب لعينيها قذى

ولغيره

رات طالعا للشيب اغفلته امه   فلم يتعهده اكف الخوانب
فقالت اشيب ما ارى قلت شامة   فقالت لقد شانتك عند الحبائب

ولمحمود الوراق ويروى لمحمد بن ابي حازم

اليس عجيبا بان الفتى   يصاب ببعض الذي في يديه
فمن بين باك له موجع   وبين معز مغذ اليه
ويسلبه الشيب شرخ الشباب   فليس يعزيه خلق عليه

ولابي دلف

في كل يوم ارى بيضاء قد طلعت   كانما طلعت في سود البصر
لئن قصصتك بالمقراض عن بصري   لما قصصتك من همي ومن فكري

وليحيى بن خالد بن برمك ويروى لغيره

الليل شيب والنهار كلاهما   راسي بكثرة ما تدور رحاهما
يتناهبان نفوسنا ودماءنا   ولحى منا عمرا ومن نراهما

الشيب احدي الميتتين تقدمت ،، اولاهما وتاخرت اخراهما ،،

وقد اتيا الخلان المبرزان ابو تمام وابو عبادة في هذا المعني بكل غريب عجيب فمن ذلك قول ابي
تمام

غدا الهم مختطا بفودي خطه ،، طريق الردي منها الي الموت مهيع
هو الزور يجفي والمعاشر يجتوي ،، وذو الالف يقلي والجديد يرقع
له منظر في العين ابيض ناصع ،، ولكنه في القلب اسود اسفع
ونكتا نرجيه علي الكره والرضا ،، وانف الفتي من وجهه وهو اجدع

وله

شعلة في المفارق استودعتني ،، في صميم الفؤاد ثكلا صميما
تستثير الهموم ما اكتن منها ،، صعدا وهي تستثير الهموما
دقة في الحياة تدعي جلالا ،، مثل ما سمي اللديغ سليما
حلمتني زعمتن واراني ،، قبل هذا التحلم كنت حليما

وله

لعب الشيب بالمفارق بل جد ،، فابكي تماضرا ولعوبا
خضبت خدها الي لولو العقد ،، دما ان رات شواتي خضيبا
كل داء يرجي الدواء له الا ،، الفظيعين ميتة ومشيبا
يا نسيب الثغام ذنبك ابقي ،، حسناتي عند الحسان ذنوبا
ولئن عبن ما راين لقد انكرن ،، مستنكرا وعبن معيبا
او تصدعن عن قلي لكفي ،، بالشيب بيني وبينهن حسيبا
لو راي الله ان للشيب فضلا ،، جاورته الابرار في الخلد شيبا

المرتضي رضي الله عنه وحدث الامدي بذكران قوما ادعوا المناقضة علي ابي تمام في
هذه الابيات بقوله فابكي تماضرا ولعوبا وقوله خضبت خدها الي لولو العقد البيت وقوله يا نسيب
الثغام وقوله ولئن عبن ما راين قالوا كيف يكون دما علي شيبه ثم يعيبه قال الامدي وليس ههنا تناقض
ان الشيب انما ابكي تماضرا ولعوبا اسفا علي شبابه والحسان اللواتي عبنه عند ما راينه فيكون من اشفق
عليه من الشيب منهن واسف بكا كما قال الاخطل ،،

ولما رات بك الشباب بكت له ،، ان الشباب لاردك الابدا

ولم يكن هذه حالهن كلهن قال وهذا كلام مستقيم صحيح قال المرتضي رضي الله عنه وليس يحتاج الا الاعتذار لـ
ابي تمام الي ما تكلفه الامدي بل المناقضة زايلة عنه علي كل حال وان كان من بكي شبابه وتلهف عليه من النسا

النساء من اللواتي انكرن شيبه وعبنه به وما المانع من ذلك وكيف يتناقض ان يبكين علي شبابه ويزول
شيبه منهن من راي الشيب ذنبا وعيبا منكرا وفي هذا غاية المطابقة لانه لا يبكي الشيب ويخرج من حلوله
وفقد الشباب الا من راه منكرا معيبا وقال ابو تمام

راحت غواني الحي عنك غوانيا ،، يلبسن نايا تارة وصدودا
من كل سابغة الجمال اذا بدت ،، تركت عميد القريتين عميدا
اربين بالمرد الغطارف بدنا ،، غيدا الفتهم لدانا غيدا
احلي الرجال من النساء مواقعا ،، من كان اشبههم بهن خدودا

قوله اربين بالمرد من ارب بالشي اذا الزمه فاقام عليه ويقال ارب بالمكان والب اذا اقام فيه
ولزمه يريد انهن لم يزلن يهوين المرد واقمن عليه ورواه قوم اربين بالمرد من الربا الذي معناه الزيادة
يقال قد اربي الرجل اذا ازداد فيقول اربين بالمرد اي زدن علينا وجعلن المرد زيادة اخرى بها
علينا ويقال انه اخذ قوله احلي الرجال من النساء البيت من قول الاعشي

وارى الغواني لا يواصلن امرا ،، فقد الشباب وقد يصلن الامردا

ونحو قول الاخر

اري شيب الرجال من الغواني ،، كموقع شيبهن من الرجال

وقال ابو تمام

شاب راسي وما رايت مشيب الراس ،، الا من فضل شيب الفؤاد
وكذاك القلوب في كل بؤس ،، ونعيم طلايع الاجساد
طال انكاري البياض وان ،، عمرت شيئا انكرت لون السواد
راني شخصه بطلعة ضيم ،، عمرت مجلسي من العواد
نال راسي من ثغرة الهم لما ،، لم ينله من ثغرة الميلاد

ومعني البيت الاخير ان الثغرة هي الفرجة والثلمة تكون في الشي ولذلك سمي كل بلد يجاور عدوا ثغرا كان
معناه انه مكشوف للعدو ويجوز ان يكون اصله من ثغر الانسان لانه اول ما يقابلك منه اسنانه و
اول ما يظهر عند الكلام واول ما يسقط فيري مثلوما فشبه الثغر الذي هو ليلة به ويقال اثغر الصبي
واثغر وتسمي تلك الفرجة في موضع السن ثغرة وفي كل موضع منفرج منه ثغرة النحر فاراد بقوله نال
راسي من ثغرة الهم اي وجد الشيب الهم فدخل علي راسي منها لان الهم يشيب ولا محالة وقوله لم ينله

من ثغر الميلاد اراد بثغر الميلاد الوقت الذي هجم عليه فيه الشيب من عمره لانه جعل السن في
ذلك الوقت الى الحلول براسه فجعله ثغرا من هذا الوجه فاراد ان الشيب حل براسه من جهة عمره واحداثه
لما لم يبلغ السن التي توجب حلوله به من حيث كبر [illegible] رضي الله عنه ورايت الآمدي يطعن على قوله
عمرت مجلسي من العواد ويقول لا حقيقة لهذا ولا معنى لانا ما راينا ولا سمعنا احدا جاءه عواد يعودونه
من المشيب ولا ان احدا امرضه الشيب ولا عزاه المعزون عن الشباب وهذا من الآمدي قلة نقد للشعر
وضعف بصيرة بدقيق معانيه التي يغوص عليها حذاق الشعراء ولم يرد ابو تمام بقوله عمرت مجلسي من
العواد العيادة الحقيقية التي يغشى عليها العواد مجالس المرضى وذوي الاوجاع وانما هذا استعارة
وتشبيه واشارة الى الغرض خفيف وكانه اراد ان شخص الشيب لما لم بي كثر الموجعون لي والمتاسفون
على شبابي والمتفجعون لي مفارقته فكانهم في مجلسي عوادي لان من شان العايد المريض ان يتوجع ويتفجع
وكني بقوله عمرت مجلسي من العواد عن كثرة من تفجع له وتوجع من شيبته وهذا من ابي تمام كلام في نهاية
البلاغة والحسن وما المعيب الا من عابه وطعن عليه ونحن نذكر في المجلس الاتي ذكرنا ما للبحتري في هذا المعنى
لمشية الله وعونه ان شاء الله تعالى [illegible] تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى
هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون فقال اذا كان الشجر ليس بعض الماء
كان الشراب بعضا له فكيف جاز ان يقول تعالى ومنه شجر بعد قوله منه شراب وما معنى تسيمون وهل
الفائدة في هذه اللفظة هي الفائدة في قوله تعالى والخيل المسومة وقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل
منضود مسومة عند ربك الجواب قلنا في قوله تعالى ومنه شجر فيه وجهان احدهما ان يكون المراد ومنه
سقي شجر وشرب شجر فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وذلك كثير في لغة العرب ومثل
قوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل والوجه الاخر ان يكون المراد ومن جهة الماء شجر ومن
سقيه وانباته شجر فحذف الاول وخلفه الثاني كما قال [illegible] عوف بن الخرع

امن آل ليلى عرفت الديارا ۔۔ بجنب الشقيق خلاء قفارا

اي من ناحية ليلى وقال زهير امن ام اوفى دمنة لم تكلم ۔۔ بحومانة الدراج فالمتثلم
اراد من ناحية ام اوفى وقال ابو ذويب

امنك البرق ارقبه فهاجا ۔ فبت اخاله دهما خلاجا ۔ وقال بعض
امنك برق ابيت الليل ارقبه ۔ كانه في عراض الشام مصباح

وقال الجعدي [illegible] بالهلاك ۔ بقيت على حجج خلون طوال ۔ اراد بقيت على مر حجج

حجج وكر حجج فاما قوله تعالى فيه تسيمون فمعناه ترعون وترسلون انعامكم يقال اسام الابل يسيمها
اسامة اذا رعاها واطلقها فرعت متصرفة حيث شاءت وسومها ايضا يسومها من ذلك وسامت
هي اذا رعت فهي تسوم وهي ابل سايمة ويقال سمتها على مرعى بعينه وسمتها الخسف اذا تركتها على
غير مرعى ومنه قيل للمذل واهتضم سيم فلان الخسف وسيم خطة الضيم قال الكميت بن زيد في
الاسامة التي هي الاطلاق في الرعي ۔ راعيا كان مسجحا ففقدناه ۔ وفقد المسيم هلك السوام ۔
وقال الآخر ۔ واسكن ما سكنت ببطن واد ۔ واظعن ما ظعنت فلا اسيم ۔ وذهب قوم الى ان
السوم في البيع من هذا لان كل واحد من المتبايعين يذهب فيما يبتغيه من زيادة ثمن ونقصانه
الى ما يهواه كما تذهب سوايم الابل والمواشي حيث شاءت وقد جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع
الشمس فحمله قوم على ان الابل وغيرها لا تسام قبل طلوع الشمس لئلا تنتشر وتفوت الراعي ويخفى
عليه مقاصدها وحمله آخرون على ان السوم قبل طلوع الشمس في البيوع مكروه لان البايع ربما
يسترعون بها او يغبنا فيدخل ذلك في بيوع الغرر المنهي عنها فاما الخيل المسومة فقد قيل انها
المعلمة بعلامات ماخوذة من السيما وهي العلامة وروي عن الحسن البصري في قوله تعالى والخيل
المسومة قال سومت نواصيها واذنابها وقيل غيره ان المسومة الحسان وروي عن مجاهد في
قوله تعالى والخيل المسومة قال هي المطهمة الحسان وقال اخرون بل هي الراعية وروي ذلك
عن سعيد بن جبير وكل يرجع الى اصل واحد وهو معنى العلامة بان تحسين الخيل يجري مجرى العلامة
فيها التي تعرف بها وتتميز بمكانها وقد قيل ان السوم من الرعي يرجع الى هذا المعنى ايضا لان المرعى
يحصل في المواضع التي يرعاها علامات او كالعلامات بما يزيله من نباتها ويمحو من اثارها فكانه
في الكل متفق غير مختلف وقال لبيد في السوم الذي هو التعلم وغداة قاع القريتين اتيتهم
رهوا يلوح خلالها التسويم اراد التعليم واما قوله تعالى حجارة من سجيل منضود مسومة اي معلمة
وقيل انها كان عليها امثال الخواتيم وقال في الملائكة مسومين فالمراد معلمين [illegible]
رضي الله عنه ونعود الى ما كنا وعدنا به من ذكر ما للبحتري في ذم الشيب والتالم من فقد الشباب فمن
قوله

وكنت ارجي في الشباب شفاعة ۔ فكيف لباغي حاجة بشفيعه
مشيب كبث السر عي بحمله ۔ محدثه او ضاق صدر مذيعه
تلاحق حتى كاد ياتي ابطاؤه ۔ لحث الليالي قبل اني سريعه

وما احسن هذا من كلام وابلغه وقال ايضا ۔ رددت الى الصبا ان كنت فاعله ۔

جاوزت حد الشباب النضر ملتفتا ٭ الى بنات الصبا يركضن في طلبي
والشيب يهرب من جاري منيته ٭ ولا نجاة له من ذلك الهرب
والمرء لو كانت الشعرى له وطنا ٭ صبت عليه صروف الدهر من صبب

ويروى حطت وقال البحتري يعنا لابس من شيبة او ناض ومليح من شيبة ام راض
واذا ما امتعضت من ولع الشيب ٭ براسي لم يغن ذاك امتعاضي
ليس يرضى عن الزمان مرؤ فيـ ٭ ـه الا عن غفلة او تغاضي
والبواقي من الليالي وان خا ٭ لفن شيئا شبيهة بالمواضي
ما انكرت لمتي وما انكرت منها ٭ سوى هذي الابدال والاعراض
شعرات اقصهن ويرجعـ ٭ ـن رجوع السهام في الاغراض
وابت تركي الغديات والآصال ٭ حتى خضبت بالمقراض
غير نفع الا التعلل من شخص ٭ عدو لم يعد سيفا بماض
ودواء المشيب كالبخص في عيـ ٭ ـني فقل فيه في العيون المراض
طيب نفس عن الشباب وما سو ٭ د من برده صبغ بياض
فهل الحادثات يا ابن عويف ٭ تاركاتي ولبس هذا البياض

وقال ايضا
يعيب الغانيات علي شيبي ٭ ومن لي ان امتع بالمعيب
ووجدي بالشباب وان تقضى ٭ حميدا دون وجدي بالمشيب

وقال ايضا
ارايته من بعد خبل فاحم ٭ حول المفارق بالنهار خضيبا
عجبت من حالين خالف بينها ٭ صرف الزمان وما رايت عجيبا
ان الزمان اذا تتابع خطوه ٭ سبق الطلوب وادرك المطلوبا

وله
رات فلتات الشيب فابتسمت لها ٭ وقالت نجوم لو طلعن باسعدي
اعاتك ما كان الشباب مقربي ٭ اليك فالحى الشيب اذ كان مبعدي

وله
عيرتني كبري وشوم منك ما ٭ تزال تجدد هذه ونيا
وجنت عليك ذنب المشيب ٭ حتى كاني ابتدعت المشيبا
ومن يطلع شرف الاربعين ٭ يحيى من الشيب زورا غريبا

وله
خليلي واحرق اللهو ما دام ٭ رداء الشباب غضا جديدا
ان ايامه من البيض بيض ٭ ما راين المفارق السود سودا

وله
ترك السواد للابسيه وبيضا ٭ ونضا من السنين عددا نضاها
وشباه اغيد في تضاهيه خطه ٭ مرض اعل من القلوب ومرضا
وكانه وجد الصبا وحديثه ٭ دنيا دنا ميقاته ان يقبضا
اسيان

اسيان اثرى من جوى وصبابة ٭ واسا في من وصل الحسان وانفضا
ويروى اسوان

وله
هل انت عارف شيبة ان ظلست ٭ في الوقت او عجلت عن الميعاد
جاءت مقدمة امام طوالع ٭ هذي تراوحني وتلك تغادي
واخو الغبينة تاجر في لمة ٭ يشري جديد بياضها بسواد
لا تكذبن فما الصبا بمخلف ٭ لهوا ولا ابن الصبا بمعادي
وارى الشباب على غضارة حسنه ٭ وجماله عددا من الاعداد

وله
اسى الشباب ام ما تولى منه ٭ في الدهر ولمة ما تعود
لا ارى العيش والمفارق بيض ٭ اسوغ العيش والمفارق سود
واعد الشقي جدا ولو اعطى ٭ غنما حتى يقال سعيد
من عدته العيون وانحرفت عنه ٭ التفاتا الى سواه الخدود

وله
قد كفاني فما جوى السقم الحـ ٭ ـق في طلوع على جوى الحب حتما
لو رات حادث الخضاب لآنت ٭ وارهت من احمراره اليرنا
كلف البيض بالمعمر قدرا ٭ حين يكلفن والمصغر سنا
يتشاغفن بالعزيز المسمى ٭ من شباب دون الجليل المكنى

وله
اخي ان الصبا استمرت به ٭ سير الليالي فانحرده تعد عني الحسان مبعده
اذا انا لا اقربه ولا اصده ٭ شيب على المفرقين عارضه يكثرني ان ابينه عدده
تطلب عندي الشباب ظالمة ٭ بعيد خمسين حين لا تجده لا عجب ان ملت خلتنا
فافقد الوصل منك مفتقدا ٭ من يتطاول على تطاوله العيش يقعقع من خلفه عمده

رضي الله عنه ورايت لا امرئ قد اخطا في معنى هذا البيت الاخير لانه قال المعنى يقعقع من خلفه عمد اي عظامه يجي لها صوت اذا قام وقعد من كبره وضعفه قال وقوله من خلفه اي من قبل العيش يريد طوله ودولته ومنه ملت جيبك ولا امر بخلاف ما توهمه ومعنى يقعقع من خلفه عمده اي من تطاول عمره يعجل رحله وانتقاله من الدنيا وكنى عن ذلك بتقعقع العمد وهذا مثل معروف للعرب يقولون من يجمع يتقعقع عمده يريدون ان التجمع داعي التفرق وان الاجتماع يعقب ويورث الى ما يدعو الى الانتقال الذي يتقعقع منه العمد قال المرتضى رضي الله عنه والامر مع كثرة ما يلاعن من الشيب

والتقعر في علوم العرب ان كان لم يعرف هذا المثل ومعناه فهو طريف وان كان سمعه وجهل ان بيت البحتري يطابقه فهو اطرف فاما قوله من مليه فانما اراد من ملل وملة فعلة من الملال وكيف يكون من ملي العيش ولم يسمع بي تمليت ملة وهذا خطا الى خطا وقال البحتري

ما كان شوقي ببدع يوم ذاك ولا   دمعي باول دمع في الهوى سفحا
ولم تكن مشوقا بحب بها   فما عفا الشيب لي عنها ولا صفحا

وقال ايضا

وما انس لا انس عهد الشباب   وعلوة اذ عيرتني الكبر
كواكب شيب علقن الفتى   فقللن من حسنه ما كثر
واني وجدت فلا تكذبن   سواد الهوى في بياض الشعر
ولا بد من ترك احدى اثنتين   اما الشباب واما العمر

قال الامدي وعليه في قوله ولا بد من ترك احدى اثنتين معارضة وهو ان يقال ان من مات شابا فقد فارق الشباب وفاته العمر فهو تارك لهما معا ومن شاب فقد فارق الشباب وهو مفارق للعمر ايضا لا محالة فهو ايضا تارك لهما جميعا وقوله اما واما لا يوجب الا احدهما قال والعذر للبحتري ان يقال ان من مات شابا فقد فارق شبابه وحده لانه لم يعمر فيكون مفارقا للعمر الا ترى انهم يقولون عمر فلان اذا اسن وفلان لم يعمر اذا مات شابا ومن شاب وعمر ثم مات لم يكن مفارقا للشباب في حال موته لانه قد قطع ايام الشباب وتقدمت مفارقته له وانما يكون في حال موته مفارقا للعمر وحده والذي ذهب البحتري هو صحيح ولم يرد بالعمر المدة القصيرة التي يعمرها الانسان وانما اراد بالعمر هنا الكبر كما قال زهير رايت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطي يعمر فيهرم ربنا الله عنه وما اراد انه تخافه المنايا فانه يهرم ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين ومعنى البيت غير ما توهمه وهو اظهر من ان يخفى حتى يحتاج فيه الى هذا التغلغل والتعسف وانما اراد البحتري ان الانسان بين حالين اما ان يفارق الشباب الى الشيب او يفارق العمر بالموت فمن مات شابا وان كان قد خرج عن العمر وخرج من سائر احوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما فانه لم يفارق الشباب حتى وانما فارق العمر الذي مفارقته فارق الشباب وعمره وفيه الرجل تناولت احد الامرين اما مفارقة الشباب وحاصل بلا واسطة ولن يحى بذلك الا بالشيب ومفارقة العمر بالموت وتلخيص كلامه انه لا بد للحي من شيب او موت فكان الشيب والموت يتعاقبان والبحتري انما جعل قوله العمر مقام قوله الحياة والبقاء وانما قال العمر لاجل القافية مع انه مبين عن مراده ولو قال ولا بد من ترك الشباب او ترك الحياة لقام مقام العمر اخبرنا ابو عبد الله قال حدثني علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا احمد بن عبد الله قال من معاني ابن الرومي التي ضمنها قوله يذم من جعل مصيبة غيره منسية له مصيبته وعاب من تعلل بالتاسي بما قال غيره وهو يرثي شبابه ولحسن

يا شبابي واين مني شبابي   آذنتني ايامه بانقضاب
لهف نفسي على نعيمي ولهوي   تحت افنانه اللدان الرطاب
ومعز على الشباب مؤس   بمشيب اللدات والاصحاب
قلت لما انتحى يعد اساه   من مصاب شبابه كمصابي
ليس تاسو كلوم غيري كلومي   ما به ما به وما بي ما بي

ولابن الرومي

لهف نفسي على الدنيا وهل لهف   تنصف منها ان تلهفتها
فحبها فحظي انها   اقبح شي حين كشفتها
وقد يعزيني شباب مضى   ولذة للعيش سلفتها
فكرت في خمسين عاما مضت   كانت امامي ثم خلفتها
احلقها الدهر موجوة   ثم مضت عني فخرقتها
وفرحتي لو هي ما علمتها   وترحة المسلوب اعلمتها
لو ان عمري مائة هدني   تذكري اني تنصفتها

وله في هذا المعنى وقد تقدمت هذه الابيات في الامالي السالفة

كفى بسراج الشيب في الراس هاديا   الى من اضلته المنايا لياليا
امن بعدما بدا المشيب مقاتلي   لرامي المنايا تحسبيني ناجيا
غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه   لشخصي اخلق ان يصبن سواديا
وكان كرامي الليل يرمي ولا يرى   فلما اضاء الشيب شخصي رمانيا

تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون فقال كيف جاز ان نصبه ولا يجوز ان يعطف عليه وما الناصب لقوله او يتوب عليهم وليس في ظاهر الكلام ما يقتضي نصبه الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه اولها ان يكون قوله تعالى او يتوب عليهم معطوفا على قوله ليقطع طرفا من الذين كفروا اي قطعة منهم وطائفة من جمعهم او يكبتهم اي يغلبهم ويهزمهم بكم فيخيب سعيهم ويكذب فيكم ظنونهم

او يغلبهم ما يرون من تظاهر ايات الله تعـ الموجبة لتصديق نبيه صـ فيتوبوا او يومنوا فيقبل الله
تعـ ذلك منهم ويتوب عليهم او يكفروا بعد قيام الحجج وتاكيد البينات والدلايل فيموتوا او يقتلوا كافرين
ويعذبهم الله تعـ باستحقاقهم في النار ويكون على هذا الجواب قوله تعـ ليس لك من الامر شي معطوفا
على قوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم اي ليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شي وانما هو من
عند الله عز وجل والجواب الثاني ان يكون او بمعنى حتى والا ان والتقدير ليس لك من الامر شي حتى يتوب
عليهم والا ان يتوب عليهم كما قال امرو القيس

بكى صاحبي لما راى الدرب دونه ... وايقن انا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك انما ... نحاول ملكا او نموت فنعذرا

اراد الا ان نموت فنعذرا وهذا الجواب يضعف من طريق المعنى لان للقايل ان يقول ان امر الخلق ليس الى
احد سوى الله تعالى قبل توبة العباد وعقابهم وبعد ذلك فكيف يصح ان يقول تعـ ليس لك من الامر
شي حتى يتوب عليهم او يعذبهم حتى كانه اذا كان احد الامرين كان له من الامر شي ويمكن ان ينصر
ذلك بان يقال قد يصح الكلام اذا حمل على المعنى وذلك لان قوله تعـ ليس لك من الامر شي معناه ليس
يقع ما تريد وتوثره من ايمانهم وتوبتهم او ما تريد من استيصالهم وعذابهم على اختلاف
الروايات في معنى الاية وسبب نزولها الا ان يلطف لهم في التوبة فيتوب عليهم او يعذبهم وتقدير
الاية ليس تريد من توبتهم او عذابهم بك وانما يكون ما تريد من توبتهم بك وانما يكون ذلك بالله
تعالى والجواب الثالث انما يكون لك من الامر شي او من ان يتوب عليهم فاضمر من اكتفا بالاولى [illegible]
ان بعدها لدلالة الكلام عليها واقتضايه لها واوقع الفعل الذي بعدها بمنزلة المصدر وتقدير الكلام
ليس لك من الامرين من توبتهم وعذابهم [illegible] وجدنا ابا بكر محمد بن القسم
الانباري يطعن على هذا الجواب ويستبعده قال لان الفعل لا يكون محمولا على اعراب الاسم الجامد الذي
[illegible] لذلك انكار ان الفعل لانه ليس من كلام العرب عجبت من اخيك ويقوم على معنى عجبت من
من ان يقوم لان اخاك اسم جامد محض لا يعطف عليه الا ما كان مثله قال وهذا انما يستقيم
ويصلح في رد الفعل على المصدر كقولهم كرهت غضبك ويغضب ابوك على معنى المصادر لانها
تتاول بان يفعل النحويون يعني قياما تاويله ان تقوم قال والاسم الجامد لا يمكن
هذا فيه [illegible] رضي الله عنه وليس ما ذكره ابن الانباري مستبعدا وان لم يضعف هذا الجواب
لان [illegible] ذكر فليس بضعيف وذلك لانه انما امتنع منه مثل الذي اجازه لانه قد اجاز ذلك في

في المصادر وان لم يجز في غيرها وقوله تعالى ليس لك من الامر شي فيه دلالة الفعل لان الامر مصدر
امرت امرا فكانه تعالى ليس لك ان امرتهم او تامرهم شي ولا من ان يتوبوا وجرى ذلك مجرى قولهم ان صح
كرهت غضبك ويغضب ابوك في رد الفعل على المصدر والوجه الاول اقوى الوجوه والله اعلم

[illegible] ان سال سايل عن معنى الحديث الذي يرويه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه انه قال لا
تناجشوا ولا تدابروا وكل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه الجواب قيل له اما النجش فهو المدح
والاطراء قال نابغة بني شيبان يذكر الخمر وترى الدال من لينها ويغلي كرمها عند النجش
اي عند مدحها ومنه النجش في البيع وهو مدح السلعة والزيادة في ثمنها من غير ارادة لشرايها ليقتدي
بالزايد غيره واصل النجش استخراج الشي والتنقير عنه قال بعض الفقعسين

اجرس لها يا ابن ابي كباش ... فما لها الليلة من انفاش ... غير السرى وسايق نجاش ... اسمر مثل الحية الخشخاش

ويروى الحشحاش فالنجاش هو المستثير لسيرها الماشي فيها ومعنى اجرس لها اي احد لها لتسمع الحدا فتسير
وهو ماخوذ من الجرس وهو الصوت ومعنى الانفاش اراد انها لا ترعى ليلا والنفش ان ترعى الابل ليلا
وقد انفشتها وقد نفشت اذا ارسلتها ليلا ترعى والخشخاش في الخفيف الحركة السريع التقلب
في البيوع معناه على هذا ايضا لان الناجش يستثير بزيادته في الثمن ومدحه السلعة الزيادة في ثمنها فيكون
الخبر على هذا لا تناجشوا اي لا يمدح احدكم السلعة ويزيد في ثمنها وهو لا يريد شراها ليسمعه غيره فيزيد وقد
يجوز ايضا ان يريد بذلك لا يمدح احدكم صاحبه من غير استحقاق فيفسد ويستثير فايل يزهو وهذا
المعنى اشبه ان يكون مراده عليه السلم لقوله ولا تدابروا واشبه مطابقة له ومعنى لا تدابروا اي لا تقاطعوا
ويولي كل واحد منكم صاحبه دبر وجهه قال الشاعر

واوصى ابو قيس بان تتواصلوا ... واوصى ابوكم ويحكم ان تدابروا

فكانه عليه السلم قال لا تمادحوا وتواصلوا بالمدح الذي ليس بمستحق ولا تهاجروا وتقاطعوا
فاما قوله عليه السلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه فقد ذهب قوم الى ان عرض الرجل
انما هو سلفه من ابايه وامهاته ومن جرى مجراهم وذهب ابن قتيبة الى ان عرض الرجل نفسه واحتج
بحديث النبي صـ حين ذكر اهل الجنة فقال لا يبولون ولا يتغوطون انما هو عرق يجري من اعراضهم
مثل المسك اي من ابدانهم قال ومنه قول ابي الدرداء رح اقرض من عرضك ليوم فقرك اراد من شتمك
فلا تشتمه ومن ذكرك بسوء فلا تذكره به ودع ذلك قرضا لك عليه ليوم الجزا والقصاص واحتج ايضا
بحديث الحسن عن رسول الله صـ انه قال ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من منزله قال اللهم

ابي وقد تصدقت بعرضي على عبادك قال فمعناه قد تصدقت بنفسي واحللت من يغتابني فلو كان العرض
الاسلاف فلجاز ان يحل من سب الموتى لان ذلك اليهم لا اليه قال ويدل على ذلك ايضا حديث سفين بن
عيينة لو ان رجلا اصاب من عرض رجل شيئا ثم تورع بعد ذلك فجاء الى ورثته بعد موته فاحلوه لم يكن
ذلك كفارة له ولو اصاب من ماله شيئا ثم دفعه الى ورثته لكنا نرى ان ذلك كفارة له قال ويدل
على ان عرض الرجل نفسه قول حسان هجوت محمدا فاجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
فان ابي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء اراد اني وجدي ونفسي وقاء لنفس محمد عليه السلام
وقال المخالفون وهو الصحيح العرض موضع المدح والذم من الانسان فاذا قيل ذكر عرض فلان فمعناه
ذكر ما يرتفع به او يسقط بذكره ويمدح او يذم به وقد يدخل في ذلك ذكر الرجل نفسه وذكر ابائه واسلافه
لان كل ذلك مما يمدح به ويذم والذي يدل على صحة ذلك ان اهل اللغة لا يفرقون في قولهم شتم فلان عرض فلان بين
ان يكون ذكره في نفسه بقبيح الافعال او شتم سلفه واباءه ويدل عليه قول مسكين الدارمي

رب مهزول سمين عرضه وسمين العرض مهزول الحسب

فلو كان العرض نفس الانسان لكان الكلام متناقضا لان السمن والهزال يرجعان الى شيء
واحد وانما اراد انه مهزول كريم افعاله او كرام اباءه واسلافه وقال ابو عبدل الاسدي

واني لاستغني فما ابطر الغنى وابذل ميسوري لمن يبتغي قرضي
واعسر احيانا فتشتد عسرتي وادرك ميسور الغنى ومعي عرضي

ولا يليق ذلك الا بما ذكرناه المرتضى رحمه الله وجدت ابا بكر الانباري قد رد على ابن قتيبة
قوله هذا وطعن عليه بما احتج به فقال في الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله في وصف اهل الجنة ان المراد
بالاعراض مغابن الجنة وحكي عن الاموي انه قال الاعراض المغابن التي تعرق من الجسد نحو الاباط وغيرها
وقال في حديث ابي الدرداء معناه من نالك وذكر اسلافك فلا تجازه لتكون لله تعالى او المثيب على ذلك
وقال في قول ابي ضمضم انه احل من وصل اليه اذى بذكره وذكر ابائه فلم يحل الامن اليه وقال في قول
حسان المراد به مدح اسلافه فكانه قال فان ابي ووالده وجميع اسلافي الذين مدح ولادهم من
جهتهم وقال لا عليه شيئا فاتى بالعموم بعد الخصوص كما قال تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم
فاتى بالقران بالعموم بعد الخصوص ولم يحك في خبر سفيان بن عيينة شيئا وتاويله يقرب من تاويل
خبر ابي ضمضم لان من اذى رجلا بعيبه في نفسه او سب سلفه وادخل عليه بذلك وضعا ونقصا لم يكن له
ان يستبيح الاسلاف من ذلك لان الاذى لم يدخل عليهم ولو كان داخلا عليهم ايضا مع دخوله على المسبوب

المسبوب لكان احلالهم مما يرجع اليهم لا يصح على ان في الاحلال ممن اضر وسقوط العوض
المستحق عليه وهل يسقط باسقاط المستحق ام لا كلاما ليس هذا موضعه وقد ذكرناه في موضع
وبعد فلو سلم لابن قتيبة ان المراد بالعرض في كل المواضع التي ذكرها النفس دون السلف وسلم
له ذلك في بيت حسان خاصة وان كان اقرب الى ان يكون المراد ما ذكره لم يقدح في ما ذكرناه لانا لم
نقل ان العرض مقصور على سلف الانسان بل ذكرنا انه موضع المدح والذم من الانسان ولا فرق
فيه بين نفسه وسلفه فكيف يكون الاحتجاج بان المراد بالعرض فيه النفس طعنا علينا وانما ينفع
ابن قتيبة ان ياتي بما يدل على ان العرض مما لا يستعمل الا في النفس دون السلف وكل شيء ورد مما الله
العرض فيه النفس فالمراد به السلف مؤكد لقولنا في ان هذه اللفظة مستعملة في موضع الذم والمدح
من الانسان وانما يكون ما استشهدنا به وما جرى مجراه مما يدل على استعمال لفظة العرض في السلف
حجة على ابن قتيبة لانه قصر معناها على النفس والذات دون السلف وهذا واضح بحمد الله ومنه
اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال كان لابي عبيدة
معمر بن المثنى صفرية وكان يكتم ذلك فانشد لعمران بن حطان

انكرت بعدك من قد كنت اعرفه ما الناس بعدك يا مرداس بالناس
اما سقيت كاسا دار اولها على القرون فذاقوا جرعة الكاس
فكنت ابكيك حيا ثم قد لبثت نفسي فما ردعني عبرتي يا سي

كنت

واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا الاشنانداني قال قال التوزي اذا
اردت ان انشط ابا عبيدة ذاكرته باخبار الخوارج فاتيته يوما وهو مطرق ينكت في
الارض في صحن المسجد وقد قربت منه الشمس فسلمت فلم يرد علي فتمثلت

وما للمرء خير من حياة اذا ما عد من سقط المتاع

والبيت لقطري بن الفجاءة فنظر الي ثم قال ويحك اتدري من يقوله قلت قطري فقال اسكت فض
الله فاك فلا قلت امير المؤمنين ابو نعامة ثم انتبه فقال اكتمها علي يا توزي فقلت حتى ابيد الارض
فانشد

اقول لها وقد جاشت حياء من الابطال ويحك لا تراعي
فانك لو طلبت بقاء يوم على الاجل الذي لك لم تطاعي
فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع
وما طول الحياة بثوب عز فيطوى عن اخي الخنع اليراع

سبيل الموت منهج كل حي ... وداعيه لاهل الارض داعي
ومن لا يعتبط يسام ويهرم ... ويفض به القضاء الى انقطاع
وما للمرء خير في حياة ... اذا ما عد من سقط المتاع

فكتبتها وقمت لانصرف فقال اقعد وانشدني

الى كم تغاديني السيوف ولا ارى ... مفارقتي تدعو الي حماميا
اقارع عن دار الخلود ولا ارى ... بقاء على حال لمن ليس باقيا
فلو قرب الموت القراع لقد اتى ... لموتي ان يدنو لطول قراعيا
اغادي جلاد المعلمين كانني ... على العسل الماذي اصبح غاديا
وادعو الكماة للنزال اذا القنا ... تحطم فيما بيننا للطعانيا
ولست ارى نفسا تموت وان دنت ... من الموت حتى يبعث الله داعيا

قال ابن دريد وهذا الشعر ايضا لقطري ٠ اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال جئت ابا عبيدة يوما ومعي شعر عروة بن الورد فقال فارغ حملت شعر فقير ليقراه على فقير فقلت ما معي غيره فانشدني انت ما شئت فانشدني

يا رب ظل عقاب قد وقيت به ... مهري من الشمس والابطال تجتلد
ورب يوم حمى ارعيت عقوته ... خيلي اقتسارا واطراف القنا قصد
ويوم لهو لاهل الخفض ظل به ... لهوي اصطلاء الوغا وناري تتقد
مشهرا موقفي والحرب كاشفة ... عنها القناع وبحر الموت يطرد
ورب هاجرة تغلي مراجلها ... جربها المطايا غارة تخد
تجتاب اودية الافزاع امنة ... كانها اسد يقتادها اسد
فان امت حتف انفي لا امت اسفا ... على الطعان وقصر العاجز الكمد
ولم اقل لم اساقي الموت شاربه ... في كاسه والمنايا شرع ورد

ثم قال هذا الشعر لا ما تعللون به انفسكم من اشعار المخانيث والشعر لقطري بن الفجاءة ولمن انا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال كان ابو عبيدة يانس بي في اول ما الفته ويسالني عن خوارج سجستان لانه كان يظنني على رايهم وكنت اوهمه اني منهم فنالني منه لذلك عناية تامة به ومن انه لينشدنا اشعارهم ثم تمثل اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنا ٠ وان

وان عاهدوا وفوا وان عقدوا شدوا ٠ قال وانشدني يوما لرجل من طي من الخوارج

لكابن لحان من شار اخي ثقة ... او كابن علقمة المستشهد الشاري
من صادق كنت اصفيه مخالصتي ... فباع داري باعلى صفقة الداري
اخوان صدق اوليهم واحسبهم ... اشكو الى الله اخواني لحذاري
فصرت صاحب دنيا لست عارفها ... وصار صاحب جنات وانهار

[illegible] تاويل آية ان سال سايل عن قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء فقال ما اليد التي اضافوها الى الله تعالى وادعوا انها مغلولة وما نرى عاقلا من اليهود ولا غيرهم يزعم ان لربه يدا مغلولة واليهود تبرا من ان يكون فيها قايل بذلك وما معنى الدعا عليهم بغلت ايديهم وهو تعالى ممن لا يجوز ان يدعو على غيره لانه تعالى قادر على ان يفعل ما يشاء وانما يدعو الداعي بما لا يتمكن من فعله طلبا له من غيره قلنا يحتمل ان يكون قوم من اليهود وصفوا الله تعالى بما يقتضي تناهي مقدوره فجرى ذلك مجرى ان يقولوا ان يده مغلولة لان عادة الناس جارية بان يعبروا بهذه العبارة عن هذا المعنى فيقولون يد فلان منقبضة عن كذا ويده لا تنبسط اذا ارادوا وصفه بالفقر والقصور ويشهد لذلك قوله تعالى في موضع آخر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء فقال تعالى مكذبا لهم بل يداه مبسوطتان اي انه ممن لا يعجزه شي وثنى اليدين تاكيدا للامر وتفخيما ولانه ذلك ابلغ في المعنى المقصود من ان يقول بل يده مبسوطة وقد قيل ان اليهود وصفوا الله تعالى بالبخل واستبطاوا فضله ورزقه وقيل انهم قالوا على سبيل الاستهزاء ان اله محمد الذي ارسله يداه الى عنقه اذ ليس يوسع عليه وعلى اصحابه فرد الله تعالى قولهم واكذبهم بقوله بل يداه مبسوطتان واليد هاهنا النعمة والفضل وذلك معروف في اللغة وقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والمعنى لذلك الامر بترك امساك اليد عن النفقة في الحقوق وترك الاسراف الى القصد والتوسط ويمكن ان يكون الوجه في تثنية النعمة من حيث اريد بها نعم الدنيا ونعم الاخرة لان الكل وان كانت نعما لله تعالى فمن حيث اختص كل واحد من الامرين بصفة تخالف صفة الآخر صارا كانهما جنسان وقبيلان ويمكن ان يكون تثنية النعمة لانه اريد بها النعم الظاهرة والباطنة فاما قوله تعالى غلت ايديهم ففيه وجوه اولها ان يكون ذلك على غير سبيل الدعاء بل على وجه الاخبار منه جل وعز عن نزول ذلك بهم وفي الكلام ضمير فقد قيل قوله غلت ايديهم وموضع غلت نصب على الحال كانه تعالى قال

وقالت اليهود كذا وكذا في حال ما غل الله ايديهم ولعنهم او حكم بذلك فيهم ويسوغ انما رد ههنا
كما ساغ في قوله عز وجل ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وان كان قميصه قد من دبر فكذبت
والمعنى فقد صدقت وقد كذبت وثانيها ان يكون معنى الكلام وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت
ايديهم او وغلت ايديهم فاضمر تعالى الفا او الواو لان كلامهم تم واستونف بعده كلام آخر ومن عادة
العرب ان تحذف فيما يجري مجرى هذا الموضع من ذلك قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم
ان تذبحوا بقرة قالوا تتخذنا هزوا اراد فقالوا اتتخذنا هزوا فاضمر تعالى الفا لتمام كلام موسى
عليه السلم ومنه قول الشاعر لما رايت نبطا انصارا . شمرت عن ركبتي الازارا
كنت لها من النصارى جارا . اراد وكنت لها فاضمر الواو وثالثها ان يكون القول خرج مخرج
الدعا الا ان معناه التعليم من الله تعالى لنا والتاديب وكانه تعالى وقفنا على الدعا عليهم وعلمنا ما
ينبغي ان نقوله فيهم كما علمنا الاستثنا في غير هذا الموضع بقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين
وكل ذلك جلي واضح والمنة لله تعالى [illegible] ان سال سايل عن الخبر الذي روي عن النبي صلعم انه قال لعن
الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده الجواب قلنا قد تعلق بهذا الخبر قوم
من الناس فالخوارج متعلقون به ويدعون ان القطع يجب في القليل والكثير ويستشهدون به على ذلك وبظاهر قوله
تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما ويتعلق بهذا الخبر ايضا الملحدة والشكاك ويدعون انه مناقض
للرواية المتضمنة انه لا قطع الا في ربع دينار ونحن نذكر ما فيه فاول ما نقول ان الخبر مطعون على صحة
الحديث على سنده وقد حكى ابن قتيبة في تاويله وجها عن يحيى بن اكثم طعن عليه وضعفه وذكر عن نفسه وجها
آخر نحن نذكرهما وما فيهما ونتبعهما بما نختاره قال ابن قتيبة كنت حضرت يوما مجلس يحيى بن اكثم بمكة فرايته
يذهب الى ان البيضة في هذا الحديث بيضة الحديد التي تغفر الراس في الحرب وان الحبل من حبال السفن
قال وكل واحد من هذين يبلغ دنانير كثيرة قال وهو يعجب بهذا التاويل ويبدي فيه ويعيد ويرى انه قطع
به حجة الخصم قال ابن قتيبة وهذا انما يجوز على من لا معرفة له باللغة ومخارج الكلام وليس هذا موضع
تكثير لما اخذ السارق فيصرفه الى بيضة تساوي دنانير وحبل السفن لا يقدر السارق على حمله ولا من عادة
العرب والعجم ان يقولوا قبح الله فلانا عرض نفسه للضرب في عقد جوهر وتعرض لعقوبة الغلول في جراب مسك
وانما العادة في مثل هذا ان يقال لعنه الله تعرض لقطع اليد في حبل رث واداوة خلق او كبة شعر
وكلما كان من ذلك احقر كان ابلغ قال والوجه في الحديث ان الله تعم لما انزل على رسوله صلعم والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا قال رسول الله صلعم لعن الله السارق يسرق البيضة فيقطع يده على

ظاهر ما انزل عليه في ذلك الوقت ثم اعلمه الله تعالى بعد ان القطع لا يكون الا في ربع دينار فما فوقه ولم يكن
يعلم عليه السلم من حكم الله الا ما اعلمه تعالى ولا كان الله يعرفه ذلك جملة بل بين له شيا بعد شي [illegible]
الله عنه وجدت ابا بكر بن الانباري يقول ليس الذي ذكره ابن قتيبة على تاويل الخبر بشي قال لان البيضة
من السلاح ليست علما في كثرة الثمن ونهاية في علو القيمة فتجري مجرى العقد الجوهر والجراب من المسك
اللذين ربما ساويا الالوف من الدنانير والبيضة من السلاح ربما اشتريت باقل مما يجب فيه القطع وانما
اراد عم يكسب قطع يده بما لا غنى له به لان البيضة من السلاح لا يستغني عنها احد والعقد الجوهر والمسك
في اليسير مستغنى [illegible] رضي الله عنه والذي نقوله ان الذي طعن به ابن الانباري على
كلام ابن قتيبة متوجه وليس في ذكر الحبل والبيضة تكثير كما ظن وفيه العقد والجراب من المسك غير انه يبقى
في ذلك ان يقال اي وجه لتخصيص البيضة والحبل بالذكر وليس هما النهاية في التقليل وان كان لما ذكره ابن
الانباري من ان المعنى انه يسرق ما لا يستغنى به فليس ذلك باولى من ذكر غيرهما فلا بد من ذكر وجه في ذلك
واما تاويل ابن قتيبة فباطل لان النبي صلعم لا يجوز ان يقول ما حكاه عند سماع قوله تعالى والسارق والسارقة
لان الاية مجملة مفتقرة الى بيان ولا يجوز ان يحملها ويصرفها الى بعض الوجوه محتملاته دون بعض بلا دلالة
على ان اكثر من قال ان الاية غير مجملة وان ظاهر القول يقتضي العموم يذهب الى انا اقتضينا تخصيصها بسارق
دون سارق لم يتاخر عن حال الخطاب بها فكيف يصح ما قاله من ان الاية تقدمت ثم تاخر تخصيص
السارق ولو كان ذلك كما ظنه لكان المتاخر ناسخا للاية وعلى تاويله هذا يقتضي ان يكون كل الخبر منسوخا
واذا امكن تاويل اخباره صلعم على ما لا يقتضي رفع احكامها ونسخها كان اولى والاشبه ان يكون المراد
بهذا الخبر ان السارق يسرق الجليل الكثير فيقطع يده ويسرق الحقير القليل فيقطع يده وكانه تعجيز له وتضعيف
لاختياره من حيث يبيع يده بقليل الثمن كما باعها بكثيره وقد حكى اهل اللغة ان بيضة القوم وسطهم
وبيضة الدار وسطها وبيضة السنام شحمه وبيضة الصيف معظمه وبيضة البلد الذي لا نظير له وان كان
قد يستعمل ذلك في المدح والذم على سبيل الاضداد فاذا استعمل في الذم فمعناه ان الموصوف بذلك حقير
مهين كالبيضة التي تفسدها النعامة فتتركها ملقاة لا تلتفت اليها فمما جا من ذلك في المدح قول اخت عمرو
بن عبد ود ترثيه وتذكر قتل امير المومنين علي عليه السلم له وقيل ان الابيات لامراة من العرب غير اخته

لو كان قاتل عمرو غير قاتله . لكنت ابكي عليه آخر الابد
لكن قاتله من لا يعاب به . من كان يدعى قديما بيضة البلد

وقال آخر في المدح كانت قريش بيضة فتفلقت . فالمح خالصه لعبد مناف . وقال آخر في الذم

تأبى قضاعة أن تعرف لكم نسبا ۔ وابنا نزارٍ فأنتم بيضة البلدِ ۔

أراد أن تعرف فأسكن وقال آخر في مثل ذلك ۔

لكنه حوض من أودى بإخوته ۔ ريب الزمان فأمسى بيضة البلدِ

فصار معنى بيضة لما كان يعود إلى التفخيم والتعظيم وأما المثل فذكره على سبيل المثل والمراد المبالغة في التحقير والتقليل كما يقول القائل ما أعطاني فلان عقالا ولا يساوي كذا نقيرا كل ذلك على سبيل المثل والمبالغة في القليل وأين العرب من ذكر الحبل الواحد من الحبال على الحقيقة وإذا كان هذا تأويل المثل زالت المناقضة التي ظنت وبطلت شبهة الخارج في أن العظم يجب في القليل والكثير أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أبو عبد الله الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثنا أبو وهب علي بن ثابت قال الأصمعي تصرفت بي الأسباب على باب الرشيد مؤملا للظفر به والوصول إليه حتى إني صرت لبعض حرسه خدينا فإني في بعض ليلة قد نثرت السعادة والتوفيق فيها الأرق بين أجفان الرشيد إذ خرج خادم فقال أما بالحضرة أحد يحسن الشعر فقلت الله أكبر رب قيد مضيقة قد حله التيسير فقال لي الخادم ادخل فلعلها أن تكون ليلة يعرس في صباحها الغنى إن فزت بالحظوة عند أمير المؤمنين فدخلت فواجهت الرشيد في بهوه والفضل بن يحيى إلى جانبه فوقف بي الخادم بحيث يسمع التسليم فسلمت فرد علي السلام ثم قال يا غلام أرحه قليلا ليفرخ روعه إن كان وجد للروعة حسا فدنوت قليلا فقلت يا إمام الهدى إضاءة مجدك وبهاء كرمك مجيران لمن نظر إليك من اعتراض أذية قال ادن فدنوت فقال أشاعر أم راوية قلت راوية لكل ذي جد وهزل بعد أن يكون محسنا فقال تالله ما رأيت ادعاء أعظم من هذا فقلت أنا على الميدان فأطلق من عناني يا أمير المؤمنين فقال قد أنصف القارة من راماها ثم قال ما المعنى في هذه الكلمة بديا قال قلت فيها قولان القارة هي الحرة من الأرض وزعمت الرواة أن القارة كانت رماة للتبابعة والملك إذ ذاك أبو حسان فوافق عسكره السغد فخرج فارس من السغد قد وضع سهمه في كبد قوسه فقال أين رماة العرب فقالت العرب قد أنصف القارة من راماها فقال الرشيد أصبت ثم قال أتروي لرؤبة بن العجاج شيئا فقلت هما شاهدان لك بالقوافي وإن غيبا عن بصرك بالأشخاص فأخرج من ثني فرشه رقعة ثم قال أنشدني ۔

أرقني طارق هم أرقا ۔ فمضيت فيها مضي الجواد في ميدانه تهدر بها أشداقي فلما صرت إلى مديحه لبني أمية ثنيت لساني إلى امتداحه للمنصور في قوله قلت لزير لم تصله مريمه فلما رآني قد عدلت من أرجوزة إلى غيرها قال أعن حيرة أم عن عمد قلت عن عمد تركت كذبه إلى صدقه فيما

خ
شاهان

فيما وصف به المنصور من مجده فقال الفضل بن يحيى أحسنت بارك الله عليك مثلك يؤهل لهذا المجلس فلما أتيت على آخرها قال لي الرشيد أتروي كلمة عدي بن الرقاع عرف الديار توهما فاعتادها قلت نعم قال هات فمضيت حتى إذا جزت إلى وصف الجمل قال لي الفضل ناشدتك الله أن تقطع علينا ما أمتعتنا به من السهر في ليلتنا هذه بصفة جمل أجرب فقال له الرشيد اسكت فالإبل هي التي أخرجتك من دارك واستلبت تاج ملكك ثم ماتت وعملت جلودها سياطا ضربت بها أنت وقومك فقال الفضل لقد عوقبت على غير ذنب والحمد لله فقال الرشيد أخطأت الحمد لله على النعم ولو قلت أستغفر الله كنت مصيبا ثم قال امض في أمرك فأنشدته حتى إذا بلغت إلى قوله تزجي أغن كأن إبرة روقه استوى جالسا ثم قال لي أتحفظ في هذا ذكرا قلت نعم ذكرت الرواة أن الفرزدق قال كنت في المجلس وجرير إلى جانبي فلما ابتدأ عدي في قصيدته قلت لجرير مسرا إليه هلم نسخر من هذا الشامي فلما ذقنا كلامه يئسنا منه فلما قال تزجي أغن كأن إبرة روقه وعدي كالمستريح قال جرير أما تراه يستلبها مثلا فقال الفرزدق يا لكع إنه يقول قلم أصاب من الدواة مدادها فقال عدي قلم أصاب من الدواة مدادها فقال جرير أكان سمعك مخبوءا في صدره فقال لي اسكت شغلني سبك عن جيد الكلام فلما بلغ إلى قوله ولقد أراد الله إذ ولاكها من أمة إصلاحها ورشادها ۔ قال الأصمعي فقال لي الرشيد ما تراه قال حين أنشد الشاعر هذا البيت قلت كذلك أراد الله فقال الرشيد ما كان في جلالته ليقول هذا أحسبه قال ما شاء الله قال وكذا جاءت الرواية فلما أتيت على آخرها قال لي أتروي لذي الرمة شيئا قلت الأكثر قال فما أراد بقوله

ممر أمرت فتله أسدية ۔ ذراعية حلالة بالمصانع

قلت وصف حمار وحش أسمنه بقل روضة تواشجت أصوله وتشابكت فروعه من مطر سحابة كانت في نوء الأسد ثم في الذراع فقال الرشيد ارح فقد وجدناك ممتعا وعرفناك محسنا ثم قال أجد ملالة ونهض فأخذ الخادم يصلح عقب النعل في رجله وكانت عربية فقال الرشيد عقرتني يا غلام فقال الفضل قاتل الله الأعاجم أما إنها لو كانت سندية لما احتجت إلى هذه الكلفة فقال الرشيد هذه نعل نبي ونعل آبائكم تعارض فلا تترك من جواب ممكن ثم قال يا غلام يؤمر صالح الخادم بتعجيل ثلاثين ألف درهم على هذا الرجل في ليلته هذه ولا يحجب في المستأنف فقال الفضل لولا أنه مجلس أمير المؤمنين ولا يأمر فيه غيره لأمرت لك بمثل ما أمر لك به وقد أمرت لك بألف درهم فلق الخادم صباحا قال الأصمعي فما صليت من غد الأولى إلا وفي منزلي تسعة وخمسون ألف درهم [illegible]

ان سال سايل عن قوله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فقال اليس ظاهر هذه
الاية يقتضي انه تعالى هو الفاعل للايمان فيهم لان النور ههنا كناية عن الايمان والظلمات
كناية عن الكفر والمعاصي ولا معنى لذلك غير ما ذكرناه واذا كان يضيف الاخراج اليه فهو الفاعل لما
كانوا خارجين وهذا خلاف مذهبكم الجواب قلنا اما النور والظلمة المذكوران في الاية فجايز ان
يكون المراد بهما الايمان والكفر وجايز ان يراد بهما الجنة والنار والثواب والعقاب فقد تصح الكناية عن
الثواب والنعيم في الجنة بانه نور وعن العذاب في النار بانه ظلمة واذا كان المراد بهما الجنة والنار
ساغت اضافة اخراجهم من الظلمات الى النور اليه تعالى لانه لا شبهة في انه عز وجل هو المدخل لهم
الجنة والعادل بهم عن طريق النار والظاهر بما ذكرناه اشبه لانه يقتضي ان المؤمن الذي ثبت كونه
مؤمنا يخرج من الظلمة الى النور فلو حمل على الايمان والكفر لتناقض ولصار تقدير الكلام انه يخرج
المؤمن الذي قد تقدم كونه مؤمنا من الكفر الى الايمان وذلك لا يصح واذا كان الكلام يقتضي
الاستقبال في اخراج من ثبت كونه مؤمنا كان حمله على دخول الجنة والعدول بهم عن طريق النار
بالظاهر اشبه على انا لو حملنا الكلام على الايمان والكفر لصح ولم يكن مقتضيا لما ظنوه ويكون
وجه اضافة الاخراج اليه تعالى وان لم يكن الايمان من فعله من حيث بين ودل وارشد ولطف وسهل
وقد علمنا انه لولا هذه الامور لم يخرج المكلف من الكفر الى الايمان فصحت اضافة الاخراج اليه تعالى
لكون ما عددناه من جهته وفي هذا يجري من احدنا اذا اشار على غيره بدخول بلد من البلدان او غير
ذلك وعرفه ما فيه من الصلاح او مجانبة فعل من الافعال ان يقول انا ادخلت فلانا البلد الفلاني
وانا اخرجته من كذا وانقذته منه ويكون وجه الاضافة ما ذكرناه من الترغيب وتقوية الدواعي الا ترى
انه تعالى قد اضاف اخراجهم من النور الى الظلمات الى الطاغوت وان لم يدل ذلك على ان الطاغوت هو الفاعل للكفر
في الكفار بل وجه الاضافة ما تقدم لان الشياطين يغوون ويدعون الى الكفر ويزينون فعله فصحت اضافته
اليهم من هذا الوجه والطاغوت هو الشيطان وحزبه وكل ضد لله تعالى صد عن طاعته واغرى بمعصيته
يجري اجرى هذه التسمية عليه فكيف اقتضت اضافة الاولى ان الايمان من فعل الله تعالى في المؤمنين ولم تقتض
الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشياطين في الكفار لولا بله المخالفين وغفلتهم وبعد فلو كان الامر
ما ظنوه لما كان تعالى وليا للمؤمنين وناصرا لهم على ما اقتضته الاية والايمان من فعله تعالى لا من
فعالهم ولما كان خاذلا للكافرين ومضيفا لاوليائهم الى الطاغوت والكفر من فعله تعالى ولوجب ان يكون
الكافر والمؤمن في باب الولاية سواء لان الفعل الذي فيهما ومثل هذا لا يذهب عن احد ولا يعترض

الا معاند معك الشبهة اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال قال ابو بكر محمد بن القسم الانباري اخبرنا احمد بن
حيان قال اخبرنا ابو عبد الله بن الطماح قال اخبرنا ابو عبيدة قال قال عبد الملك بن مسلم كتب عبد
الملك بن مروان الى الحجاج انه لم يبق شي من لذة الدنيا الا وقد اصبت منه ولم يبق لي من لذة
الدنيا الا مناقلة الاخوان الحديث وقبلك عامر الشعبي فابعث به الي يحدثني فدعا الحجاج الشعبي
وبعث به اليه وقرظه واطراه في كتابه فخرج الشعبي حتى اذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب
استاذن لي قال ومن انت قال عامر الشعبي قال حياك الله ثم نهض واجلسه على كرسيه فلم يلبث ان
خرج الحاجب اليه فقال ادخل قال فدخلت فاذا عبد الملك جالس على كرسي فسلمت فرد علي السلام ثم
اومى الي بقضيبه فقعدت عن يساره ثم اقبل على الذي بين يديه فقال ويحك من اشعر الناس قال
انا يا امير المؤمنين قال الشعبي فاظلم ما بيني وبين عبد الملك ولم اصبر ان قلت ومن هذا يا امير
المؤمنين الذي يزعم انه اشعر الناس فعجب عبد الملك من عجلتي قبل ان يسالني عن حالي ثم قال هذا
الاخطل فقلت يا اخطل اشعر منك الذي يقول : هذا غلام حسن وجهه ، مستقبل الخير سريع التمام :
للحرث الاكبر والحرث الاصغر والحرث خير الانام خمسة ابائهم ما هم هم خير من يشرب صوب الغمام
فقال عبد الملك ردها علي فرددتها حتى حفظها فقال الاخطل من هذا يا امير المؤمنين قال هذا الشعبي
قال صدق والله النابغة اشعر مني قال الشعبي ثم اقبل علي عبد الملك فقال كيف انت يا شعبي قلت
بخير لا زلت به ثم ذهبت لاصنع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث
فقال مه فانا لا نحتاج الى هذا المنطق ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى تفارقنا ثم اقبل علي فقال
ما تقول في النابغة قلت يا امير المؤمنين قد فضله عمر بن الخطاب في غير موضع على جميع الشعرا
وذلك انه خرج يوما وببابه وفد غطفان فقال يا معشر غطفان اي شعرائكم الذي يقول

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة ٭ وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة ٭ لمبلغك الواشي اغش واكذب
ولست بمستبق اخا لا تلمه ٭ على شعث اي الرجال المهذب

قالوا النابغة قال فايكم الذي يقول

فانك كالليل الذي هو مدركي ٭ وان خلت ان المنتاى عنك واسع
خطاطيف حجن في حبال متينة ٭ تمد بها ايد اليك نوازع

قالوا النابغة قال فايكم الذي يقول ، الى ابن محرق اعملت نفسي وراحلتي وقد هدت العيون

ايلك ساريا خلقا ثيابي   على خوف تظن بي الظنون
فالفيت الامانة لم تخنها   كذلك كان نوح لا يخون

قال الوليد النابغة قال هذا اشعر شعرائكم ثم اقبل عبد الملك على الاخطل فقال اتحب ان لك قيادا بشعرك شعر احد من العرب ام تحب انك قلته فقال لا والله الا اني وددت اني كنت قلت ابياتا كان قالها رجل منا كان والله مغدف القناع قليل السماع قصير الذراع قال وما قال فانشده

انا محيوك فاسلم ايها الطلل   وان بليت وان طالت بك الطيل
ليس الجديد به تبقى بشاشته   الا قليلا ولا ذو خلة يصل
والعيش لا عيش الا ما تقر به   عين ولا حال الا سوف ينتقل
ان ترجعي من ابي عثمان منجحة   فقد يهون على المستنجح العمل
والناس من يلق خيرا قائلون له   ما يشتهي ولام المخطئ الهبل
قد يدرك المتاني بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل

قال الشعبي قد قال القطامي افضل من هذا قال وما قال قال

طرقت جنوب رحالنا من مطرق   ما كنت احسبها قريب المعنق

حتى اتيت على اخرها فقال عبد الملك ثكلت القطامي امه هذا والله الشعر قال فالتفت الي الاخطل فقال يا شعبي ان لك فنونا في الاحاديث وانما لنا فن واحد فان رايت ان لا تحملني على اكتاف قومك فادعهم جوزنا فقلت لا اعرض لك في شي من الشعر ابدا فاقلني هذه المرة فقال من يكفل بك قلت امير المومنين فقال عبد الملك هو علي انه لا يعرض لك ابدا ثم قال يا شعبي اي شعراء الجاهلية كان اشعر من النساء قلت خنساء قال ولم فضلتها على غيرها قلت لقولها

وقائلة والنعش قد فات خطوها   لتدركه يا لهف نفسي على صخر
الا ثكلت ام الذين غدوا به   الى القبر ماذا يحملون الى القبر

فقال عبد الملك اشعر منها والله ليلى الاخيلية حيث تقول

مهفهف الكشح والسربال منخرق   عنه القميص لسير الليل محتقر
لا يامن الناس ممساه ومصبحه   في كل حي وان لم يغز ينتظر

الملك

ثم قال يا شعبي انما حملك هذا لان العراقيين يتطاولون على اهل الشام ويقولون انكم غلبتمونا على الدولة فانا نغلبكم على العلم والرواية واهل الشام اعلم بعلم اهل العراق من اهل العراق ثم ردوا على ابيات

ابيات ليلى حتى حفظتها وادناني فما تعرفت فكنت اول داخل واخر خارج [illegible]
والصحيح في الرواية ان البيتين اللذين رواهما عبد الملك ونسبهما الى ليلى الاخيلية لاعشى باهلة يرثي بها المنتشر بن وهب الباهلي وهذه القصيدة من المراثي المفضلة المشهورة بالبلاغة والبراعة وهي

اني اتتني لسان لا اسر بها   من علو لا عجب منها ولا سخر
فظلت مكتئبا حران اندبه   وكنت احذره لو ينفع الحذر
يجاشت النفس لما جاء جمعهم   وراكب جاء من تثليث معتمر
ياتي على الناس لا يلوي على احد   حتى التقينا وكانت دوننا مضر
ان الذي جئت من تثليث تندبه   منه السماح ومنه النهي والخبر
تنعى امرا لا تغب الحي جفنته   اذا الكواكب اخطا نوءها المطر
وراحت الشول مغبرا مناكبها   شعثا تغير منها النى والوبر
والجا الكلب موضوع الصقيع به   والجا الحي من تنفاخها الحجر
عليه اول زاد القوم قد علموا   ثم المطي اذا ما ارملوا جزر
قد تكظم البزل منه حين تبصره   حتى تقطع في اعناقها الجرر
اخو رغائب يعطيها ويسالها   يابى الظلامة منه النوفل الزفر
لم يرا ارضا ولم يسمع بساكنها   الا بها من نوادي وقعه اثر
وليس فيه اذا استنظرته عجل   وليس فيه اذا ياسرته عسر
فان يصبك عدو في مناواة   يوما فقد كنت تستعلي وتنتصر
من ليس في خيره من يكدره   على الصديق ولا في صفوه كدر
اخو حروب ومكساب اذا عدموا   وفي المخافة منه الجد والحذر
مردي حروب ونور يستضاء به   كما اضاء سواد الظلمة القمر
مهفهف اهضم الكشحين منخرق   عنه القميص لسير الليل محتقر
لا يصعب الامر الا ريث يركبه   وكل امر سوى الفحشاء ياتمر
معنى لا يصعب الامر
اي لا يجده صعبا
لا يتارى لما في القدر يرقبه   ولا يعض على شرسوفه الصفر
لا يغمز الساق من اين ولا وصب   ولا يزال امام القوم يقتفر
لا يامن الناس ممساه ومصبحه   في كل حي وان لم يغز ينتظر

يكفيه حزة فلذ ان الم بها ۞ من الشواء ويروي شربه الغمر
لا تامن البازل الكوماء غدوتها ۞ ولا الامون اذا ما اخروط السفر
كانه بعد صدق القوم انفسهم ۞ باليأس تلمع من قدامه البشر

قال المبرد لا نعلم بيتا في من المغيبه وبركة الطلعة ابرع من هذا البيت

لا يعجل القوم ان تغلي مراجلهم ۞ ويدلج الليل حتى يفسح البصر
عشنا به حقبة حيا ففارقنا ۞ كذلك الرمح ذو النصلين منكسر
اصبت في حرم منا اخا ثقة ۞ هند بن اسماء لا يهنيك الظفر
لو لم يخنه نفيل وهي خائنة ۞ لصبح القوم وردا ما له صدر
واقبل الخيل من تثليث مصغية ۞ وضم اعينها رعوان او حضر
اما سلكت سبيلا كنت سالكها ۞ فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر

[illegible] وقد رويت هذه القصيدة لدعجاء اخت المنتشر وقيل لليلى اخته ولعل الشبهة الواقعة في نسبها الى ليلى الاخيلية من ههنا والصحيح ما ذكرناه اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم عن ابي عبيد قال وفد الاخطل على معاوية فقال اني امتدحتك بابيات فاسمعها فقال ان كنت شبهتني بالحية او الاسد والصقر فلا حاجة لي فيها وان كنت قلت كما قالت الخنساء

وما بلغت كف امرئ متناولا ۞ بها المجد الا حيث ما نلت اطول
وما بلغ المهدون في القول مدحة ۞ وان صدقوا الا الذي فيك افضل

فهات فقال الاخطل والله لقد احسنت وقد قلت فيك بيتين ما هما بدون ما سمعته وانشد

اذا مت مات العرف وانقطع الغنى ۞ فلم يبق الا من قليل مصرد
وردت اكف الراغبين وامسكوا ۞ عن الدين والدنيا بخلف مجدد

فاحسنت. واخبرنا المرزباني قال اخبرنا ابو عبد الله ابراهيم بن محمد النحوي قال اخبرنا احمد بن يحيى انا ابن الاعرابي انشدهم

مررنا عليه وهو يعلم كلبه ۞ دع الكلب ينبح انما الكلب نابح

وللكلب كهم اهله يستفاه خيفة ان ينبه ضيفه عليه ۞ وقال اخر

ونعم كلب الحي من خشية القرى ۞ ونارك كالعذراء من دونها سترها ۞ وقال الاخطل

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم ۞ قالوا لامهم بولي على النار ۞ قال ابو عبيدة

الله وسمعت محمد بن يزيد الازدي يقول هذا من اهجى ما هجي به حي لانه جعل نارهم تطفئها البول وجعلهم يامرون امهم بالبول استخفافا بها. اول المجلدة الرابعة من الاصل

[illegible] ان سال سائل فقال ما تاويل قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب اوليس ظاهر هذه الاية يقتضي انه تعالى يجوز ان يزيغ القلوب عن الايمان حتى يصح مسالته ان لا يزيغها ويكون هذا الدعا مفيدا قلنا في هذه الاية وجوه اولها ان يكون المراد بالاية ربنا لا تشدد علينا المحنة في التكليف ولا تشق علينا فيفضي بنا ذلك الى زيغ القلوب منا بعد الهداية وليس يمتنع ان يضيفوا ما يقع من زيغ قلوبهم عند تشديده تعالى عليهم المحنة اليه كما قال عز في السورة انها زادتهم رجسا الى رجسهم وكما قال تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام فلم يزدهم دعائي الا فرارا فان قيل كيف تشدد المحنة عليهم قلنا بان يقوي شهواتهم لما قبح في عقولهم وينفر بهم عن الواجب عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك شاقا والثواب المستحق عليه عظيما متضاعفا وانما يحسن ان يجعله شاقا تعريضا لهذه المنزلة وثانيها ان يكون ذلك دعاء بالتثبيت لهم على الهداية وامدادهم بالالطاف التي يبعثهما يستمرون على الايمان فان قيل كيف يكون مزيغا القلوب بان لا يفعل اللطف قلنا من حيث كان المعلوم انه متى قطع امدادهم بالالطاف وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا عن الايمان ويجري هذا المجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا معناه لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا فيتسلط علينا ومثله قول الشاعر

اباني ورحلي بالمدينة وقعة ۞ لال تميم اقعدت كل قائم

اراد قعد لها كل قائم فكانهم قالوا لا تخل بيننا وبين نفوسنا وتمنعنا اللطف فنزيغ وتفعل ما لغيرها اجاب ابو علي الجبائي رحمه الله لانه قال المراد بالاية ربنا لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك ومعنى هذا السوال انهم سالوا الله تعالى ان يلطف لهم في فعل الايمان حتى يقيموا عليه ولا يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك الايمان الا ان يزيغ قلوبهم عن الثواب وان يفعل تعالى بهم بدلا منه العقاب قال فان قال قائل فما هذا الثواب الذي هو قلوب المومنين حتى يجعلهم سالوا الله تعالى الا يزيغ قلوبهم عنه واجاب بان من الثواب الذي في قلوب المومنين ما ذكره الله تعالى من الشرح والسعة بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وقوله تعالى للرسول عليه السلام الم نشرح لك صدرك وذكر ان ضد هذا الشرح هو الضيق والحرج اللذان يفعلان بالكفار عقوبة قال ومن ذلك ايضا التطهير الذي يفعله الله في قلوب المومنين وهو الذي منعه الكافرين وقال تعالى اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم قال ومن ذلك كتابته تعالى الايمان في قلوب المومنين كما قال تعالى اولئك الذين كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه وضد هذه الكتابة هي سمات

الكفر الذي في قلوب الكافرين فكأنهم سألوا الله تعالى أن لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب إلى ضده من العقاب

ورابعها أن تكون الآية محمولة على أن لا يزيغ القلوب عن اليقين والإيمان ولا يقتضي ذلك أنه تعالى سئل ما

كان يجب أن لا يفعله وما لولا المسألة لجاز فعله لأنه غير ممتنع أن يتعبدوا على سبيل الانقطاع إليه

والافتقار إلى ما عنده بأن يفعل تعالى ما اعلم أنه لا بد من أن يفعله وأن لا يفعل ما اعلم أنه واجب أن لا يفعله إذا

تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكيا عن إبراهيم عم ولا تخزني يوم يبعثون وكما قال تعالى

معلما لنا أن ندعو بقل رب احكم بالحق وكقوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به على أحد الأجوبة وكلما

ذكرناه واضح بين بحمد الله ومنه [illegible] إني لأستحسن قول الراعي في وصف

الأثافي والرماد فلقد طبق وصف المفصل مع جزالة الكلام وقوته واستوائه واطراده وهو قوله

وأورق من تحت عفان حوله • حواضن الافي على خير مشرب

وسود الأعالي أقبلت بنحورها • على أسحم ذي شامة متقوب

كأن بقايا الوشي في متونها • بقايا هناء في قلائص جرب

الأورق الرماد والأثافي لذلك كالحواضن لاجتماعها بها تقرب إلى الحمرة وخص الأعالي بالسواد لأنها موقع القدر فلا تكاد

تسود والأشمخ هو الرابية وإنما شبه الرماد بينهن تفصيل بين أطراد والمتقوب الذي قد انحسر الأعلاه

وشبه ما سودت النار منهن بآثار الهناء على قلائص جرب والجرب الذي قد جربت إبله ونظيره

المعنى بعينه أعني تشبيه تسويد النار بالهناء قول ذي الرمة

عفا الزرق من أطلال مية فالدحل • فأجماد حوضى حيث زاحمها الحبل

سوى أن ترى سوداء من غير خلقة • تخال لها أو ثبت جاراتها الثقل

من الزاهمات البيض غير لونها • بنات فراش المرخ والبائس الجزل

لها بادنت بالحناء فأصبحت • بأرض خلاء أن تقاربها الأهل

قوله سوداء من غير خلقة يعني أنه لم يرد أن السواد ليس بخلقة لها وإنما سودتها النار وقوله تخال لها إنما

الثقال التي تجاورها فلم تحمل عن حالها لمكان بل بقيت منفردة وأرتث جاراتها يعني جاراتها الأثافي

اللواتي معها والمرتث هو المحمول من مكان إلى مكان وأصل ذلك في الجريح والعليل يقال ارتث الرجل

ارتثاثا إذا حمل من المعركة وبه رمق قال النمر بن تولب يعني ارتث صريع وقال أبو زيد يقال

ارتث القوم إذا حملوا من المعركة بعد أن يحملوا من وسعهم ولا المعنيان يليق

بذلك البيت لأنه يعني أنه بعد أن حملت جاراتها عنها وهي باقية ثابتة

بأنه قائمة والرضمات حجارة بعضها على بعض والقرائن جمع قرين وهو الحرف في الزند وهي بنات

قرائن المرخ شبه النار الخارجة من ذلك القرض والمرخ شجر يتخذ منه الزند ومن أمثالهم في كل شجر

نار واستمجد المرخ والعفار وهذا المثل يضرب للرجل الكريم يفضل القوم وبين فضلهم فكأن

المعنى كل القوم كرام وأكرمهم فلان أنه شبه الأثفية المفردة بناقة جرباء قد أفردت وأبعدت

عن الإبل حتى تجربها وتعديها ومعنى دست بالحناء طليت به وفي قول الراعي وسود الأعالي

شبه من قول الشماخ بن ضرار أقامت على ربعيهما جارتا صفا كميت الأعالي جونتا مصطلاهما

يعني بربعيهما منزلي المرأتين اللتين ذكرهما ويعني بجارتا صفا الأثفيتين لأنهما تقطعان من الصفا الذي

هو الصخر ويمكن في قوله جارتا صفا وجه آخر وهو أحسن من هذا وهو أن الأثفيتين يوضعان قريبا من

الجبل لتكون حجارة الجبل ثالثة لهما وممسكة للقدر معهما ولهذا يقال تقول العرب رماه بثالثة

الأثافي يعني بالصخرة أو الجبل وشبه أعلاهما بلون الكميت وهو لون الحمرة نفسه لأن النار لم تصل

إليه فتسوده ومصطلاهما جون أي أسود لأن النار قد سفعته وسودته وقال الراعي في وصف

الأثافي أيضا • أذاع بأعلاه وأبقى شريده • ذرى مجنحات بينهن فروج

كأن بجرع الدار الملحو • سلائب ورقا بينهن خديج

أذاع بأعلاه يعني الرماد لأن السافي يطيره ذرى ما علاه وأبقى شريده أي أبقى ما شرد على الثنايا في

فلم يطيره وذرى كل شيء جانبه وما استذريت به منه والمجنحات المسيلات والسلائب جمع سلوب

وهي الناقة التي قد سلبت ولدها بموت أو نحر فقد عطفت على حوار آخر والخديج الذي سقط لغير تمام

والورق للأثافي لكون الورقاء التي سلبت الرماد وفي معنى قول الراعي وأبقى شريده ذرى مجنحات

قول الجبل السعدي • ولم يك لها دار إلا باعره السيدان لم يبن لها رسم

إلا رمادا هامدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم •

إلا ههنا بمعنى الواو وكأنه قال ولم يك لها دار رمادا هامدا ولولا أن إلا ههنا بمعنى الواو لفسد

الكلام ونقض آخره أوله لأنه يقول في آخر البيت إن الخوالد السحم دفعت عنه الرياح فكيف يجوز أنه قد

درس وإنما أراد أنه باق ثابت لأن الأثافي دفعت عنه الرياح فلم يستثنه إذا من جملة ما درس بل

دخل في جملته والأثافي في الأثافي أخذ وهذا اعتماد عليها فقد ذكر العلاء بن نار

شبه الأثافي بنوق [illegible] أغفار لست [illegible] أحداثا وقود [illegible] السمة والثالثة

تقول العرب [illegible] أي [illegible] وفي أمثالهم مجارها نارها أي سمتها تدل على كرمها يضرب ذلك

للرجليري له ظاهرا احسنا بيد لنحلي باطن خير وقال عدي بن الرقاع العاملي

الا رواكد كلهن قد اصطلى   حمراء اشعل اهلها ايقادها
كانت رواحل للقدور فعريت   منهن واستلب الزمان رمادها

وقال الاسعر الجعفي   الا رواكد بينهن خصاصة   سفع المناكب كلهن قد اصطلا

وقال حميد بن ثور   فغيرنا الا ملاعبها ومغرسها من حوله ظهر
عرش الثقاب لها بدا اقامة   للحي بين نظاير ووتر

لحيته للقدر ويقال قدر ثلاثة وقدر نطوه اذا كانت قدامة وعرش ايضا جعل مثل العريش يعني الوقود والثقاب ما اثقبت به النار من الوقود والنظاير هي الاثافي والوتر الفرد واراد انها ثلث وقال الكميت بن زيد

ولن تجتنك الطائر معطفة   بالقاع لا ثمك فيها ولا ميل
ليست بعود ولم تعطف على بعر   ولا يعيب بها ذو لبنة الابل

يعني الاثافي وشبه بعوطفها على الرماد بنوق اظآر قد عطفن على فصيل والنوك انتصاب السنام والميل من صفة السنام ايضا والعايد من النوق التي يتبعها ولدها والربع الذي ينتج في اول الربيع والاهابة الدعا بالابل اذا دعاها وذو اللبنة الذي قد نوى الرحيل والابل وقال ذو الرمة

فلم يبق الا ناويا في مكانه   ورماد امحت عنه السيول جنادله
كان الحمام الورق في الدار وقعت   على حرق بين الظلوع جوازله

شبه الاثافي بحمام ورق وجعلها ظلوعا لتعطفها على الرماد وشبه الرماد بفرخ حرق قد سقط ريشه والجوازل الفراخ واحدها جوزل وقد قال البعيث

الا حييا الربع القواء وسلما   ورسما كجثمان الحمامة ادهما

قال ان الحمامة ههنا القطاة وانه شبه الوان الرسوم من الرماد وموقد نار ودمنة ونحو ذلك وما اشبه هذه الاشيا بالوان ريش القطاة ومثله لجرير

كان رسوم الدار ريش حمامة   محاها البلى واستعجمت ان تكلما

ولقد احسن كل الاحسان كثير في قوله

امن آل قيلة بالدخول رسوم   وبحومل طلل يلوح قديم
لعب الرياح برسمه فابانه   جون عواكف في الرماد جثوم
سفع كان وقودها من قدم   وشبت عليه بينهن سقيم   يقول في قوله فابانه جون

جون عواكف يعني الاثافي لان الريح لما كشفت عنها فظهرت صارت كانها في لبدت الرسم وقيل وجها اخر وهو ان يكون معنى اجدت انها حفت الرماد ومنعت الريح ويجري ذلك مجرى قول الجبل الا رمادا هامدا البيت وقول المرار الفقعسي في الاثافي

اثر الخدود على جوانبها   بخدودهن كانه لطم

ويقال ان ابا تمام اخذ هذا الطائي اخذ ذلك في قوله   فقوا نعط المنازل من عيون
لها في الشوق احشا غزار   عفت اياتهن واي ربع   يكون له على الزمن الخيار
اثاف كالخدود لطمن حزنا   ونؤي مثلما انفصم السوار

وقد عاب عليه قوله لطمن حزنا بعض من لا معرفة له وقال لا فائدة في قوله حزنا ولذلك فائدة لان لطم الحزن يكون اوجع وابلغ واطهر وابين وقد يكون اللطم لغير الحزن فاما قوله ونؤي مثل ما انفصم السوار فماخوذ من قول الشاعر

ونؤي كما انفصل الخلخال عاقر   او مثل ما انقصم السوار المعصم

وقد شبه الناس النؤي بالسوار والخلخال كثيرا وبغير ذلك قال كثير

عرفت لسعدى بعد عشرين حجة   بها درسا نؤيا في المحلة منحنى
قديم كوقف العاج ثبت حوله   مغارس اوتاد بردم موتن

الوقف السوار من الذبل ومن العاج والردم صخور عظام والموتن الذي بعضه فوق بعض قال بشار   ونؤي كخلخال الفتاة وثابت   اشج على ريب الزمان رقوب

الثابت الاشج يعني الوتد وانما وصفه بانه ثابت لقيامه وثباته وجعله رقوبا لانفراده والمراة الرقوب والشيخ الرقوب الذي لا يعيش له ولد ومن مستحسن ما وصف به النؤي قول ابي تمام

والنؤي اهمد شطره فكانه   تحت الحوادث حاجب مقرون   وقال المتنبي في ذلك

قف على الدمنتين بالدو من   ريا كالخال في وجنة جنب خال
بطلول كانهن نجوم   في عراص كانهن ليال
ونؤي كانهن عليهن   خدام خرس بسوق خدال

الخدام جمع خدمة وهي الخلخال وجعلها خرسا لانها غير قلقة وشبه ما احدق به النؤي من الارض امثالها مثال الخلخال من الساق الخدلة وهي الممتلية [illegible] ان سال سائل عن قوله تعالى ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين

بلغ [illegible]
الذي [illegible]
السابع [illegible] الشيخ
المجلس [illegible]
وحمد الله

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول
انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما
كادوا يفعلون فقالوا ما تاويل هذه الآيات وهل البقرة التي نعتت بهذه النعوت هي البقرة المرادة
باللفظ وهل البقرة التي نعتت بهذه النعوت هي المرادة باللفظ الاول والتكليف واحدا والمراد
مختلف والتكليف متغاير الجواب قلنا اهل العلم في تاويل هذه الآيات مختلفون بحسب اختلافهم في
اصولهم فمن جوز تاخير البيان عن وقت الخطاب يذهب الى ان التكليف واحد وان الاوصاف المتاخرة
هي البقرة المتقدمة وانما تاخر البيان فلما سال القوم عن الصفات ورد البيان شيئا بعد شيء ومن لم يجوز
تاخير البيان يقول ان التكليف متغاير وانهم لما قيل لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم الا ذبح اي بقرة شاءوا
من غير تعيين بصفة ولو انهم ذبحوا اي بقرة اتفقت لهم كانوا قد امتثلوا الامر فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح
بقرة لا فارض ولا بكر فلو ذبحوا ما اختص بهذه الصفة من اي لون كان لاجزاهم فلما لم يفعلوا
كلفوا ذبح بقرة صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح ما اختص بالصفات الاخيرة ثم اختلف هؤلاء من وجه
اخر فمنهم من قال في التكليف الاخير انه يجب ان يكون مستوفيا لكل صفة تقدمت حتى تكون البقرة مع انها
غير ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها صفراء فاقعا لونها ولا فارضا ولا بكرا ومنهم
من قال انما يجب ان يكون مستوفيا لكل صفة تقدمت حتى تكون البقرة مع انها غير ذلول تثير الارض
ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها صفراء فاقعا لونها ولا فارضا ولا بكرا ومنهم من قال انما يجب ان يكون
بالصفة الاخيرة فقط دون ما تقدم وظاهر الكتاب بالقول الاول اشبه وهو المبني على جواز تاخير البيان
وذلك انه تعالى لما امرهم بذبح بقرة قالوا للرسول عليه السلام ادع لنا ربك يبين لنا ما هي وقولهم ما هي
من ان يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها او عن غيرها التي امروا بها فاتوا على قول من يدعي ذلك وليس يجوز
ان يكون سالوا عن صفة غير التي تقدم ذكرها لان الظاهر من قولهم ما هي بعد قوله اذبحوا بقرة يقتضي
ان يكون السؤال عن صفة البقرة المامور بذبحها وانه لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة اخرى فيستفهموا
عنها والجواب ان يكون السؤال انما هو عن صفة البقرة المتلوة التي امروا في الابتداء بذبحها وليس في
قوله انها بقرة لا فارض ولا بكر ما يمنع من ان يكون كناية عن البقرة الاولى او عن غيرها وليس يجوز ان يكون ذلك
كناية عن بقرة ثانية لانه لا [illegible] تعالى انها بقرة من صفتها كذا وكذا بعد قولهم ما هي يقتضي ان يكون كناية

متعلقة بما تضمنه سؤالهم وان الامر لو لم يكن على ما ذكرناه لجاز ان يكون جوابا لهم بل كان يجب ان يكونوا سالوا
عن شيء فاجابهم عن غيره وهذا لا يليق بالنبي عليه السلام على انه لما اراد تعالى ان يكلفهم تكليفا ثابتا
عند تفريطهم في الاول على ما يدعيه من يذهب الى هذا المذهب فقد كان يجب انه يجيبهم عن سؤالهم
وينكر عليهم الاستفهام عنه فيقول في جواب قوله ما هي انما كلفتم اي بقرة شئتم وما يسمى
بقرة وقد فرطتم في ترك الامتثال والتمادي في الاستفهام مع وضوح الكلام الا انكم قد كلفتم الان كذا وكذا
لان هذا مما يجب عليه بيانه لازالة الشك والابهام واللبس فلما لم يفعل ذلك واجاب بالجواب الذي ظاهره
يقتضي التعلق بالسؤال علم ان الامر على ما ذكرناه وحسب انه لم يفعل ذلك في اول السؤال كيف لم يفعله
ذلك مع تكرر الاسولة والاستفهامات التي تقع على هذا المذهب موقعها ومع تكرر المعصية
والتفريط ويستحيل ان تكون اجوبته غير متعلقة باسولتهم لانهم يسالونه عن صفة ثم يجيبهم بصفة غيرها
من غير بيان بل هي اقوى الوجوه الموجبة لتعلق الجواب بالسؤال لان قول القائل في جواب من ساله ما
كذا وكذا انه بالصفة الفلانية صريح في ان الهاء كناية عما وقع السؤال عنه هذا مع قولهم ان البقر تشابه
علينا لانهم لم يقولوا ذلك الا وقد اعتقدوا ان خطابهم مجمل غير مبين فلما لم يقل لهم ما تشابه عليكم
وانما امرتم في الابتداء باي بقرة كانت وفي الثانية ما اختص باللون المخصوص من اي البقر كان فان
قيل كيف يجوز ان يامرهم بذبح بقرة لها جميع الصفات المذكورة الى اخر الكلام ولا يبين لهم وهل هذا
الا تكليف ما لا يطاق قلنا لم يرد منهم ان يذبحوا البقرة في الثاني من حال الخطاب ولو كانت حالة
الفعل حاضرة لما جاز ان يتاخر البيان لان تاخيره عن وقت الحاجة هو القبيح الذي لا شبهة في
قبحه فانما اراد ان يذبحوها في المستقبل فلو لم يستفهموا ويطلبوا البيان لكان قد ورد عليهم عند الحاجة
اليه فان قيل اذا كان الخطاب غير متضمن لصفة ما امروا بذبحه وجوده كعدمه وهذا يخرجه من باب
الفائدة ويوجب كونه عبثا قلنا ليس يجب ما ظننتم لان القول وان لم يفد صفة البقرة بعينها
فقد افاد تكليف ذبح بقرة على سبيل الجملة ولم يكن ذلك معلوما قبل هذا الخطاب فصار مفيدا من حيث
ما ذكرناه وخرج من ان يكون وجوده كعدمه وفوائد الكلام لا يجب ان يدخلها الاقتراح وليس يخرج الخطاب
من تعلقه ببعض الفوائد وكونه غير متعلق بها بغيرها وزيادة عليها فان قيل ظاهر قوله تعالى
فذبحوها وما كادوا يفعلون يدل على استبطائهم وذمهم على التقصير في امتثال الامر قلنا ليس
صريح ذم لان كادوا للمقاربة وقد يجوز ان يكون التكليف صعب عليهم لغلاء ثمن البقرة التي تكاملت لها
تلك الصفات فقد روي انهم ابتاعوها بملء جلدها ذهبا على ان الذم يقتضي ظاهره ان يرجع الى

تعتير حمار او لخيرهم امتثال الامر بعد البيان التام لان قوله نعم وما كادوا يفعلون انما ورد بعد تقدم البيان المتكرر ولا يقتضي ذمهم على ترك المبادرة في الاول الى ذبح بقرة فليس في دلالة على ما يخالف ما ذكرناه فان قيل لو ثبت تقديرًا ان يكون التكليف متغايرًا اي القولين اللذين حكيتموهما عن اهل هذا المذهب اصح واشبه قلنا قول من ذهب الى ان البقرة انما يجب ان تكون بالصفة الاخيرة فقط لان الظاهر به اشبه من حيث اذا ثبت تغاير التكليف وليس في قوله انها بقرة لا ذلول تثير الارض الى اخر الاوصاف ذكر لما تقدم من الصفات وهذا غير الاول فالواجب اعتبار ما تضمنه لفظه والاقتصار عليه واما الفارض فهي المسنة وقيل هي العظيمة الضخمة يقال غرب فارض اي ضخم والغرب الدلو ويقال ايضا لحية فارضة اذا كانت عظيمة والاشبه بالكلام ان يكون المراد المسنة فاما البكر فهي الصغيرة التي لم تلد وكانه تعالى قال لا تكون مسنة ولا صغيرة والعوان دون المسنة وفوق الصغيرة وهي البقرة التي قد ولدت بطنًا او بطنين ويقال حرب عوان اذا لم تكن اول حرب وكانت ثانية وانما جاز ان يقول بين ذلك وبين لا تكون الا مع اثنين او اكثر لان لفظة ذلك تنوب عن الجمل تقول ظننت زيدًا قائمًا فيقول القائل قد ظننت ذلك ومعنى فاقع لونها اي خالصة الصفرة وقيل انه كل ناصع اللون بياضا كان او صفرة فهو فاقع وقيل انه اراد بصفراء ههنا سوداء ومعنى قوله تعالى لا ذلول تثير الارض انها تكون صعبة لم يذللها العمل في اثارة الارض وسقي الزرع ومعنى مسلمة مفعلة من السلامة من العيوب وقد قال قوم مسلمة من الشية اي لا شية فيها تخالف لونها وقوله لا شية فيها اي لا عيب فيها وقيل لا وضح بها وقيل اللون يخالف لون جلدها والله تعالى اعلم بما اراد وإياه نسأل حسن التوفيق [illegible] كنت اظن ان المتنبي سبق الى قوله ومن

في اخت سيف الدولة طوى الجزيرة حتى جاءني خبر   فزعت فيه بآمالي الى الكذب
حتى اذا لم يدع لي صدقه املًا   شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

حتى رايت هذا المعنى لمسلم بن الوليد الانصاري وللبحتري اما الذي لمسلم فقوله من قصيدة يرثي بها سهل بن الصباح

وقف العفاة عليك متحير   وله الرجاء وذي غنى يسترجع
وعدا السمع النعي ودونه   خلف المصادق لا يخدع

وقال البحتري يرثي وصيفا التركي   اذا حدثنا عنه توهمت انه يكرر من اخباره قول مازح

ولست اظن المتنبي سبق اليه قوله   تحل القنا يوم الطعان بعقوتي   فاحرمه عرضي واطعمه جلده

حتى رايت هذا المعنى واللفظ بعينه لجهم بن شبل الطائي من اهل اليمامة في قوله

ثني

ثني قومه عن صحبه جبان وقد حثا   الى الموت وافي الصفحتين كليم
اخو الحرب اما جلده فمخرج   كليم واما عرضه فسليم

وكنت اظن البحتري سبق الى معنى قوله في الفتح بن خاقان

حملت عليه السيف لا عزمك انثنى   ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

حتى وجدت لشاعر متقدم   طعنت ابن دهمان بنجران طعنة   شققت بها عنه مضاعفة السرد
فلا الكف واهت بي ولا الرمح خانني   ولا الادهم المنعوت جار عن القصد

[illegible] قال محمد بن يحيى الصولي وصف الناس صفرة اللون وكل حكى ذلك وقال بالافضلية قال البحتري قال اعرابي من ابيات   جعلت وما غاينت خطرا لما بنا   جرى بين جاراتي والمطام خلوف
وقال ابو تمام   لم تشن وجهه المليح وكانت   جعلت ورده جنيه بهارا   وقال غيره

ولم تشن شيئا ولكنها   بدلت التفاح بالياسمين

وقال بكر بن عليه الدلف علة   زعفرت مورد خد كاد من ماء ورد يفيض
ولاحمد بن زياد المهلبي وقال الحارث عن اماسنين   فوجنتا منها شديد اصفرارها

فقلت لهم هيهات هاتيك رونق   معنى وردها عنها وجاء بهارها

ولابي العتاهية   وكانني مما تطاول بي   مسك السقام طليت بالورس   وقال ابن المعتز

وصفرت علته وجنة   فصار كالدينار من حق

وقال البحتري   بدت صفرة في لونها ان حمدهم   من الدر ما اصفرت نواحيه في العقد
وجدت على الايام محنة كفه   كذلك موج البحر ملتهب الوقد
وما الكلب محموما وان طال عمره   الا انما الحمى على الاسد الورد

[illegible] اما تشبيه صفرة اللون بصفرة الدر فهو تشبيه مليح موافق لغرضه الا انه اخطأ في قوله ان حمدهم من الدر ما اصفرت نواحيه في العقد لان ذلك ليس بمحمود بل هو مذموم ولو شبه وترك التعليل لكان اجود وروى ابو العباس احمد بن فارس المنبجي قال حدثنا ابو احمد عبيد الله بن يحيى بن البحتري قال حدثني ابي قال حدثني عمي البحتري قال كنت عند ابي العباس المبرد يوما فتذاكرنا شعر عمارة بن عقيل فقال ابي العباس عمارة في قوله لخالد بن يزيد لما وجه اليه بعد بيتين

لم استطع سير المدح خالد   فجئت مد حسد اليه رسوله
فليرحلن الى نايل خالد   وليكفين رواحل الرحيلا   قال البحتري فقلت

لمروان بن ابي حفصة في عبيد الله بن طاهر وقد وفد عليه من الجزيرة ما هو احسن من هذا وانشده

لعمري لنعم الغيث غيث اصابنا ... ببغداد من ارض الجزيرة وابله
فكنا كحي صبح الغيث اهله ... ولم يرتحل اظعانه ورواحله

فقال نعم هذا الحسن فقلت له ان لي في بني السمط وقد اتاني برهم من حمص ما لا يتضع عن الجميع وانشده

جزى الله خيرا والجزاء بكفه ... بني السمط اخدان السماحة والمجد
هم وصلوني والمهامه بيننا ... كما ارفض غيث من تهامة في نجد

فقال هذا والله ارق مما قالا واحسن وروى احمد بن فارس المنبجي عن عبيد الله بن يحيى بن البحتري قال حدثني ابي عن جماعة من اهل العلم والادب منهم يموت بن المزرع قال قلت لابي عثمان الجاحظ من اشعر العرب فقال الذي يقول ، علا لي افضل النقاب فارخت عذباته بمواضع التقبيل وهذا البحتري في القصيدة التي اولها ، حتى يخاطب معجمات طلول وفي تشبيب هذه القصيدة بيت ليس يقصر في الملاحة والرشاقة واخذه بمجامع القلوب عن البيت الذي فضله الجاحظ وهو ، الحب عندك والصبى لي شافع ، وله دونك والشباب رسولي وفي مدح هذه القصيدة بيت معروف بفرط الحسن وهو

لا تطلبن له الشبيه فانه ... قمر التامل منه التاميل

وبهذا الاسناد عن يحيى بن البحتري قال انصرفت يوما من مجلس ابي العباس محمد بن يزيد المبرد فقال لي ابي البحتري ما الذي افدت يومك هذا من ابي العباس فقلت املى علي اخبارا حسنة وانشدني ابياتا للحسين بن الضحاك فقال لي انشدني الابيات فانشدته

كاني اذا فارقت شخصك ساعة ... لفقدك بين العالمين غريب
وقد هبت اسباب السلو فخانني ... ضمير عليه من هواك رقيب
اغرك صفحي عن ذنوب كثيرة ... وغضي عن اشيا منك تريب
كان لم يكن في الناس مثلي متيم ... ولم يك في الدنيا سواك حبيب
الى الله اشكو ان شكوت فلم يكن ... لشكواي من عطف الحبيب نصيب

فقال ما احسن هذا ثم انشدني لنفسه

حبيبي حبيب يكتم الناس انه ... لنا حين نلقانا العيون حبيب
يباعدني في الملتقى وفؤاده ... وان هو ابدى لي البعاد قريب

ويرى

ويعرض عني والهوى منه مقبل ... اذا خاف عينا او اشار رقيب
وتنطق منا اعين حين نلتقي ... وتخرس منا الالسن وقلوب

ثم قال ارويا بني هاذين فانهما من حسن الشعر وظريفه وروى احمد بن فارس المنبجي عن ابي بكر محمد بن يحيى النحوي قال سمعت بعض اهل الادب يقول للزجاج قد كنت تعرف ابا العباس وكبره وانه ما كان يقوم لاحد ولا يتطاول له ويشتد اذا اشرف عليه الرجل ثقلا له وانقباضا بل تخلقا ولقد رايته يوما وقد دخل عليه رجل متدرع فقام اليه ابو العباس فاعتنقه ونحى من موضعه واجلسه فجعل الرجل يكفه ويستعفيه من ذلك فلما اكثر من ذلك عليه انشد ابو العباس

ايكبر ان اقوم وقد بدا لي ... لاكرمه واعظمه هشام
فلا تنكر مبادرتي اليه ... فان لمثله خلق القيام

قال فلما انصرف الرجل سالت عنه فقيل هذا البحتري [illegible]

ان سال سائل عن قوله تعالى في قصة قابيل وهابيل حاكيا عن هابيل لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فقال كيف يجوز ان يخبر تعالى عن هابيل وقد وصفه بالتقوى والطاعة بانه يريد ان يبوء اخوه بالاثم وذلك ارادة القبيح وارادة القبيح قبيحة عندكم على كل حال ووجه قبحها كونها ارادة لقبيح وليس قبحها لما يتعلق به وكيف يصح ان يبوء القاتل باثمه واثم غيره وهل هذا الا ما نابوه من اخذ البريء بجرم السقيم للحوب قلنا اهل الحق من هذه الآية معروفة وهو ان لم يرد من اخيه قبيحا وانما اراد ان قتله ولا اراد ما نهاه الله تعالى عنه من قوله اني اريد ان تبوء باثمي واثمك انما اراد ان تبوء بجزاء ما اقدمت عليه من القبيح وعقابه وليس بقبيح ان يريد نزول العقاب المستحق بمستحقه ونظير قوله تعالى اثمي مع ان المراد به عقوبة الذنب هو قول القائل لمن يعاتب على ذنب جناه هذا ما كسبت يداك والمعنى هذا جزاء ما كسبت يداك وكذلك هو لمن يقول عليه لعنة الله عليك يوم القيمة فان قيل كيف يجوز ان يحسن ارادة عقاب من يستحق لم يقع سببه لان القتل على هذا التاويل لم يكن واقعا قلنا ذلك جائز بشرط وقوع الامر الذي يستحق به العقاب فهابيل لما راى من اخيه التصميم على قتله والعزم على امضاء القبيح فيه وغلب على ظنه وقوع ذلك جاز ان يريد عقابه بشرط ان يفعل ما هم به وعزم عليه فاما قوله اثمي واثمك فالمعنى فيه واضح لانه اراد باثمي عقاب قتلك لي وباثمك عقاب المعصية التي اقدمت عليها من قبل فلم يتقبل قربانك بسببها لان الله تعالى انما

بانهما قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر وان العلم بان قربان احدهما لم يتقبل انه
غير متق فليس يمتنع ان يريد باثمي ما ذكرناه لان الاثم مصدر والمصادر قد تضاف الى الفاعل والمفعول
جميعا وذلك مستعمل مطرد في القرآن والشعر والكلام فمثال ما اضيف الى الفاعل قوله تعالى ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض ومن اضافته الى المفعول قوله تعالى لا يسأم الانسان من دعاء الخير وقوله لقد ظلمك
بسؤال نعجتك الى نعاجه ومما جاء من الشعر من اضافته الى المفعول ومعه الفاعل قول الشاعر

امن رسم دار مربع ومصيف ،، لعينيك من ماء الشؤون وكيف ،،

وفي الكلام قول القائل يعجبني ضرب عمرو خالدا اذا كان عمرو مضروبا وقد ذكر هو في الآية وجها
آخر وهو ان يكون المراد اني اريد زوال ان تبوء باثمي واثمك لانه لم يرد له الرشد والخير فحذف الارادة
واقام ما هو متصل بها مقامه كما قال تعالى واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم اراد تعالى حب العجل
فحذف الحب واقام العجل مقامه وكما قال تعالى واسأل القرية وهذا قول بعيد لانه لا دلالة في الكلام
على محذوف وانما استحسن العرب الحذف في بعض المواضع لاقتضاء الكلام المحذوف ودلالته عليه
وذكر فيه وجه آخر وهو ان يكون المعنى اني اريد الا تبوء باثمي واثمك بان لا تقتلني ولا اقتلك
فحذف لا ولما اكتفى بما في الكلام كما قال تعالى يبين الله لكم ان تضلوا معناه لان لا تضلوا وكقوله تعالى والقى
في الارض رواسي ان تميد بكم معناه لان لا تميد بكم وكقول الخنساء

فاقسمت آسي على هالك ،، واسال نائحة ما لها

اراد لا آسي وقال امرؤ القيس

فقلت يمين الله ابرح قاعدا ،، ولو قطعوا راسي لديك واوصالي

اراد لا ابرح وقول عمرو بن كلثوم

نزلتم منزل الاضياف منا ،، فعجلنا القرى ان تشتمونا

اراد ان لا تشتمونا والسؤال في
هذه الآية ثابت وهذا الجواب يضعفه كثير من اهل العربية لانهم لا يستحسنون اضمار لا في مثل هذا الموضع
فاما قوله تعالى حاكيا عنه لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك فقد ذكر قوم من
المفسرين ان القتل على سبيل الانتصار والمدافعة لم يكن مباحا في ذلك الوقت وان الله تعالى امر
بالصبر عليه ليكون هو المتولي للانتصاف وقال الحسن بل المعنى انك ان بسطت الي يدك مبتديا
ظالما لتقتلني ما انا بباسط يدي على وجه الظلم والابتداء فكانه نفى عن نفسه القتل القبيح وهو
الواقع على سبيل الظلم والظاهر من الكلام يشهد بما ذكرناه لانه تعالى خبر هنا انه وان بسط اليه
اليد ليقتله لا يبسط يده لقتله وهو مريد مثله ومن اليد ان معنى الكلام يقتضي كونه مبتديا بالبسط
والقتل والسيد في خلاف ذلك وقيل ان المدافعة انما تحسن من المدافع للظالم طلبا للتخلص من

غير ان يقصد الى قتله والاضرار به ومتى قصد ذلك كان في حكم المبتدئ بالقتل في انه فاعل لقبيح
والعقل شاهد بوجوب التخلص من المضرة باي جهة يمكن منه بعد ان يكون غير قبيح فان قيل وكانكم منعتم
من حسن امتحان الله تعالى بالصبر على ترك الانتصار والمدافعة وتوجبونها على ايجاب قلنا لا يمتنع ذلك
وانما بينا ان الآية غير مقتضية لتحريم المدافعة والانتصار على ما ذهب اليه قوم لان قوله لا اقتلك يقتضي
ان يكون البسط لهذا الغرض والمدافعة لا يقتضي ذلك لانه يحسن من المدافع ان يجري بها الى الصحة ولا دلالة
في الآية على تحريم المدافعة ووجب ان يكون ما ذكرناه اولى لشهادة الظاهر [illegible] ان سأل
سائل عن الخبر الذي رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه انه قال لا يموت لمؤمن ثلثة من الاولاد فتمسه
النار الا تحلة القسم الجواب قيل له اما ابو عبيد القسم بن سلام فانه قال يعني بتحلة القسم قوله تعالى وان
منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فكانه عليه السلم قال لا يرد النار الا بقدر ما يبر الله تعالى به القسم
قسمه فاما ابن قتيبة فانه قال في تاويل ابي عبيد هذا مذهب حسن من الاستخراج ان كان هذا قسما
قال وفيه مذهب آخر اشبه بكلام العرب ومعانيهم وهو ان العرب اذا ارادوا تقليل مكث الشيء وتقصير
مدته شبهوه بتحليل القسم وذلك ان يقول الرجل بعد ان نطقه ان شاء الله فيقولون ما يقيم فلان عندنا
الا تحلة القسم وما ينام العليل الا كتحليل الالية وهو كثير مشهور قال العرامى بن احمر وذكر الريح

اذا عصفت رسما فليس بدائم ،، به وتد الا تحلة مقسم

يقول لا يثبت الوتد الا قليلا
كتحلة القسم لان هبوب الريح تقلعه وقال آخر يذكر ثورا

يخفي التراب باظلاف ثمانية ،، في اربع مسهن الارض تحليل

وقد ذكر باخفاف يقول هو خفيف سريع بقوائمه لا تثبت في الارض الا كتحليل اليمين وقال ذو
الرمة

طوى طيه فوق الكرى جفن عينه ،، على رهبات من جنان المحاذر
قليلا كتحليل الالى ثم قلصت ،، به شيمة روعاء تقليص طائر

والالى جمع الالوة وهي اليمين فاله معنى الخبر على هذا التاويل ان النار لا تمسه الا قليلا ثم ينجيه الله تعالى
منها وقال ابو بكر محمد بن القسم الانباري الصواب قول ابي عبيد لحجج نكت منها ان جماعة من اهل
العلم فسروه على تفسير ابي عبيد ومنها انه ادعى ان النار تمس الذي وقعت منزلته عند الله جليلة
لكن مسا قليلا ولا كثيرا ومنها ان ابا عبيد لم يحكم على هذا المصاب بولوج مس النار وانما حكم عليه
بالورود والورود لا يوجب ان لا يكون من الابرار لان الا معناه الاستثناء المنقطع كانه قال فتمسه النار
لكن تحلة اليمين لكن ورود النار لا بد منه فجرى مجرى قول العرب سار الناس الا الاثقال وارتحل العسكر

الا الجنام وانشد الفراء

وسير المثنى شملال قطعت بها … ارضا يحار بها الهادون ديموما

مهامها وحزونا لا انيس بها … الا الضوابح والاصداء والبوما

وايضا انشد الفراء ليس عليك عطش ولا جوع … الا الرقاد والرقاد ممنوع … فمعنى الحديث لا يموت لمسلم ثلثة من الولد فتمسه النار البتة لكن تحلة اليمين لا بد منها وتحلة اليمين الورود والورود لا يقع فيه مس قال ابو بكر وقد سنح لي فيه قول اخر وهو ان تكون الا زايدة دخلت للتوكيد وتحلة اليمين منصوب على الوقت والزمان ومعنى الخبر فتمسه النار وقت تحلة القسم والا زايدة وقال الفرزدق في مثل هذا

هم القوم الا حيث سلوا سيوفهم … وضحوا بلحم من محل ومحرم

معناه هم القوم حيث سلوا سيوفهم والا مؤكدة وقال الاخطل

تقطع الا من فروع يردنها … بمدحه حتى بناه ونايله

معناه يقطعن الا بلا من فروع يردنها والفروع الواسعة من الارض [illegible]

تاويل خبر

والوجه المذكورة في الخبر متقاربة الا ان الوجه الذي اختاره ابن الانباري فيه ادنى تعسف وبعد من حيث جعل الا زايدة وذلك كالمستضعف عند جماعة اهل العربية وقد بقي في الخبر مسالة السائل بها احق منها واولى مما تكلفه القوم وهي متوجهة على كل الوجوه التي ذكروها في تاويله وهي ان يقال كيف يجوز ان يخبر عليه السلم بان من مات له ثلثة من الاولاد لا تمسه النار اما جملة او بمقدار تحلة القسم وهي النهاية في القلة اوليس ذلك يوجب ان يكون اغراء بالذنوب لمن هذه حاله واذا كان من يموت له هذا العدد من الاولاد غير خارج عن التكليف فكيف يصح ان يومن من العقاب والجواب عن ذلك انا قد علمنا اولا خروج هذا الخبر مخرج المدحة لمن كانت هذه صفته والتخصيص له والتمييز ولا مدح في مجرد موت الاولاد لان ذلك لا يرجع الى فعل فلا بد من ان يكون تقدير الكلام ان النار لا تمس المسلم الذي يموت له ثلثة من الاولاد واحسن صبره واحتسابه وعزاه ورضاه بما جرى به القضاء عليه لانه بذلك يستحق الثواب والمدح واذا اضفنا الصبر والاحتساب لا بد منه لم يكن في القول اغراء لان كيفية وقوع الصبر والوجه الذي اذا وقع عليه تفضل الله تع بغفران ما لعله ان يستحقه من العقاب في المستقبل اذا لم يكن معلوما متميزا فلا وجه للاغراء والذي يليق بهذا ان يكون القول محمولا على حسن الصبر وحاملا عليه رغبة في الثواب وجالبا للعفو عن ما لعله ان يستحق في المستقبل وهذا واضح لمن تامله [illegible] ان سال سائل عن قوله تع ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة فقال ما معنى او هاهنا وظاهرها ان يفيد الشك الذي

الذي لا يجوز تعلقه عليه تع الجواب قلنا في هذه الاية وجوه اولها ان يكون او هاهنا للاباحة كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين والق الفقهاء او المحدثين ولم يريدوا الشك بل كانهم قالوا هذان الرجلان اهل للمجالسة وهذان القبيلان من العلماء اهل اللقاء فان جالست الحسن فانت مصيب وان جالست ابن سيرين فانت مصيب وان جمعت بينهما فكذلك فيكون معنى الاية على هذا ان قلوب هولاء قاسية متجافية عن الرشد والخير فان شبهتم قسوتها بالحجارة اصبتم وان شبهتموها بما هو اشد اصبتم وان شبهتموها بالجميع فكذلك وعلى هذا تاول قوله تعالى او كصيب من السماء لان او لم يرد بها الشك بل على نحو الذي ذكرنا من انكم ان شبهتموهم بالذي استوقد نارا فجايز وان شبهتموهم باصحاب الصيب فكذلك فان شبهتموهم بالجميع فكذلك وثانيها ان تكون او دخلت للتفصيل والتمييز ويكون معنى الاية ان قلوبهم قست فبعضها ما هو كالحجارة في القسوة وبعضها ما هو اشد منها ويجري ذلك مجرى قوله تع وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا معناه وقال بعضهم كونوا يهودا وهم اليهود وقال بعضهم كونوا نصارى وهم النصارى فدخلت او للتفصيل وكذلك قوله تع وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قايلون معناه وجاء بعض اهلها باسنا بياتا وجاء بعضهم في وقت القيلولة وقد يحمل قوله تع او كصيب من السماء هذا الوجه ايضا ويكون المعنى ان بعضهم يشبه الذي استوقد نارا وبعضهم يشبه اصحاب الصيب وثالثها ان تكون او دخلت على سبيل الابهام فيما يرجع الى المخاطب وان كان الله تع عالما بذلك غير شاك فيه لانه تعالى لم يقصد في اخبارهم عن ذلك التفصيل علم جل وعز ان خطابهم بالابهام اصلح لهم فاخبر تع ان قسوة قلوب هولاء الذين ذمهم كالحجارة او اشد قسوة والمعنى انها كاحد هذين لا يخرج عنهما ويجري ذلك مجرى قولهم ما اطعمتك الا حلوا او حامضا فيبهمون على المخاطب ما يعلمون انه لا فايدة في تفصيله والمعنى ما اطعمتك الا احد هذين الضربين وكذلك يقول احدهم اكلت بسرة او تمرة وهو قد علم ما اكل على التفصيل الا انه ابهم على المخاطب قال لبيد

تمنى ابنتاي ان يعيش ابوهما … وهل انا الا من ربيعة او مضر

اراد هل انا الا احد هذين الجيلين فسبيلي ان افنى كما فنيا وانما حسن ذلك لان قصده الى ان يثبت ما يه وعرفه النبي بناه وهو انه يجب ان يكون ممن يموت ويفنى ولا يخل به اجماله ما اجمل من كلامه فاجمل وعدل عن التفصيل لانه لا فايدة فيه ولانه سواء كان من ربيعة او مضر فموته واجب وكذلك الاية لان الغرض فيها ان يخبر عن شدة قسوة قلوبهم وانها مما لا تنثني بوعظ ولا تصغي لحق فسواء كانت في القسوة كالحجارة او اشد منها فقد تم ما اجرى اليه من الغرض في وصفها وذمها وصار تفصيل تشبيهها بالحجارة او بما هو اشد قسوة منها كتفصيل كونه من ربيعة او مضر في انه غير محتاج اليه ولا يقتضيه الغرض في الكلام ورابعها ان يكون

بمعنى بل كما قال تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ومعناه بل يزيدون وروي عن ابن عباس في قوله
تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون قال كانوا مائة ألف وبضعة وثلاثين ألفا وأنشد الفراء

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى ... وصورتها أو أنت في العين أملح

قال والواو قد تكون في الاستفهام أيضا بمعنى بل كقول القائل أضربت عبد الله أم أنت رجل متعنت معناه
بل أنت وقال الشاعر فوالله ما أدري أسلمى تغولت ... أم النوم أم كل إلي حبيب معناه بل وقد
طعن بعضهم على هذا الجواب فقال كيف يجوز أن يخاطبنا تعالى بلفظة بل وهي تقتضي الاستدراك
والنقض للكلام الماضي والإضراب عنه وليس ذلك بشيء لأن الاستدراك فإنما يراد به الاستفادة أو
التذكر لما لم يكن معلوما فليس بصحيح لأن أحدنا يقول أعطيته ألفا بل ألفين وقصدته دفعة بل دفعتين
وهو عالم في ابتداء كلامه بما أخبر به في الثاني ولم يتجدد له به علم وإنما أراد به الأخذ في كلام غير الماضي
واستئناف زيادة عليه فهو صحيح ومثله جائز عليه تعالى وأما النقض للكلام الماضي فليس بواجب في كل موضع
يستعمل فيه لفظة بل لأن القائل إذا قال أعطيته ألفا بل ألفين لم ينقض الأول وكيف ينقضه والأول
داخل في الثاني وإنما زاد عليه وإنما يكون ناقضا للماضي إذا قال لقيت رجلا بل حمارا وأعطيته درهما
بل ثوبا لأن الأول لم يدخل في الثاني على وجه وقوله تعالى أو أشد قسوة غير ناقض للأول لأنها لا تزيد
في القسوة على الحجارة إلا بعد أن تساويها وإنما تزيد عليها بعد المساواة وخامسها أن تكون أو بمعنى
الواو كقوله تعالى أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم معناه وبيوت آبائكم وقال جرير

نال الخلافة أو كانت له قدرا ... كما أتى ربه موسى على قدر

وقال توبة بن الحمير

وقد زعمت ليلى بأني فاجر ... لنفسي تقاها أو عليها فجورها

وقال جرير أيضا

أثعلبة الفوارس أم رياحا ... عدلت بهم طهية والخشابا

اراد ورياحا وقال آخر

فلو أن البكاء يرد شيئا ... بكيت على بجير أو عفاق

على المرأين إذ هلكا جميعا ... لشأنهما بشجو واشتياق

اراد وعفاق

وحكي عن المفضل بن سلمة هذا الوجه عن قطرب وطعن عليه بأن قال ليس يعلم أشد قسوة من الحجارة وفسق
علينا وإنما يريد ذلك فيعمهم الحملتين أو أحدهما لأن أعلى منه معانيهم وإنكار المفضل الوجه الذي
يتقدم عليها أن أو بمعنى بل وهذا الذي طعن به المفضل ليس بشيء لأنهم وإن لم يشاهدوا ويعرفوا ما هو أقسى
قسوة من الحجارة معلوم يجوز أن يشهدوا وأما ما هو أشد قسوة منها وما له الزيادة عليها لأن قد
إذا ... يعرف ما هو ... أو يعرف أن الزيادة والنقصان إنما يضافان إلى معلوم

معروف على أن الآية خرجت مخرج المثل والمراد تعالى وصف قلوبهم بالزيادة في القسوة على الحجارة
إنها قد انتهت إلى حد لا تلين معه للخير على وجه من الوجوه وإن كانت الحجارة ربما لانت وانتفع بها
فصارت من هذا الوجه كأنها أشد قسوة منها تمثيلا وتشبيها فقول المفضل ليس يعرفون ما هو أقسى
من الحجارة لا معنى له إذا كان القول على طريق المثل وبعض الذي طعن به على هذا الجواب يعترض على
الوجه الذي اختاره لأنه إذا اختار أن أو في الآية بمعنى بل فكيف جاز أن يخبرهم بأن قلوبهم أشد قسوة
من الحجارة وهم لا يعرفون ما هو أقسى من الحجارة وإذا جاز أن يقول لهم بل قلوبهم أقسى مما يعرفون من
الحجارة جاز أن يخبر عن مثل ذلك بالواو فيقول قلوبهم كالحجارة التي يعرفون في القسوة وهي مع ذلك
تزيد عليها فإن قيل كيف يكون أو في الآية بمعنى الواو والواو للجمع وليس يجوز أن تكون قلوبهم كالحجارة
وأشد من الحجارة في حال واحد لأن الشيء إذا كان على صفة لم يجب أن يكون على خلافها قلنا قد أجاب
بعضهم عن هذا الاعتراض بأن قال ليس يمتنع أن تكون قلوبهم كالحجارة في حال وأشد من الحجارة في
حال أخرى فلا يتنافى وهذا قريب ويكون فائدة هذا الجواب أن قلوبهم في بعض الأحوال مع القسوة
والعدول عن تصور الحق والفكرة فيه ربما لانت بعض اللين وهمت بالانعطاف وكادت تصغي إلى
الحق فتكون في هذه الحال كالحجارة التي ربما لانت وفي حال أخرى تكون في نهاية البعد عن الحق والنفور
منه فتكون في هذه الحال أشد قسوة من الحجارة على أنه يمكن في الجواب عن هذا الاعتراض وجه آخر
وقد تقدم معناه في بعض كلامنا وهو أن قلوبهم لا تكون أشد من الحجارة إلا بعد أن تكون فيها قسوة الحجارة
لأن القائل إذا قال فلان أعلم من فلان فقد أخبر أنه زائد عليه في العلم الذي اشتركا فيه فلا بد من
الاشتراك ثم الزيادة فليس ههنا تناف على ما ظنه لأن الإثبات لصفة ونفيها وكل هذا بين واضح

عبد الله [illegible] إني لأستحسن قول الأحوص بن محمد الأنصاري وهو في سخيف
الرأي يخبر عن أناته وغفري جهله عنه ذما ... دملت ولولا غيره لأصبته
بشنعاء باق عارها تقر العظما — معنى تقر العظم أي تصدعه

طوى حسدا ضغنا علي كأنما ... أداوي به في كل مجمع كلما

ويجهل أحيانا فلا يستخفني ... ولا أجهل العتبى إذا ألجم الحلما

يصد وينأى في الرخاء بوده ... ويدنو ويدعوني إذا الجشم العظما

فيفرج عنه ريب الخصم مشهدي ... وأدفع عنه عند عثرته الظلما

الأرب الدهاء والأرب العقل وكلا المعنيين يحتمل لفظ البيت

وكنت امرأ اعود الفعال تقربت   مآثر جد تالد لم يكن رثما
وكنت وشيمي في ارومة مالك   نسي به كالكلب اذ ينبح النجما
ولست بلاق سيدا ساد مالك   فتنسبه الا ابا لي او عما
ستعلم ان عاديتني فقع قرقر   املا افعدت لا ابا لك او غما
لقد لقت الايام مني وحوشها   لاعدائنا ثكلا وحسادنا رغما
وكانت عروق السوء ازرت وقصرت   به ان ينال الحمد فالتمس الذما

ومن مختار شعره اني ومن ضيعي الايام رايتني   كالشمس لا تخفى بكل مكان
ما من مصيبة نكبة امنى بها   الا تشرفني وتعظم شاني
وتزول حين تزول عن متخمط   تخشى بوادره على الاقران

ومن جيد قوله خليلان بلينا بالهوى فتشابها   اقاربنا في وصله واقاربه
الا ان اهوى الناس قربا ومرة   ونسيا اذا ما الليل غارت كواكبه
حبيب دنا مني جدلت بقربه   فبات يمنيني وبت اعاتبه
وللحزم في السر بيني وبينه   بان ليس شيء عند نفسي يقاربه

وقد نبه في وجه كل من وصف لمشاهد امرء القيس بقوله
تقول وقد جردتها من ثيابها   كما رعت مكحول اخر العين اتلعا
وجدك لو شيء اتانا رسوله   سواك ولكن لم نجد لك مدفعا
فبتنا تذود الوحش عنا كاننا   قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعا
اذا اخذتها هزة الروع امسكت   بمنكب مقدام على الهول اروعا

وقال علي بن الجهم في صفة شدة الالتزام
سقى الله ليلا ضمنا بعد هجعة   وادنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة   من الراح فيما بيننا لم تسرب

ولعبد الصمد بن المعذل في هذا المعنى
كانني عانقت ريحانة   تنفست في ليلها البارد
فلو ترانا في قميص الدجى   حسبتنا في جسد واحد

ولبشار ان شئت ان تلقاك [illegible] فاطلبك من لقاني فتلقانا او يلج [illegible] من البان الى ثمله فيلتقيان

ومثل هذا للبحتري فلم ار مثلينا في العناق   لف الصبا بقضيب قضيبا
كما افتنت الريح في غصنها   فطورا اخفق وطورا اهبوبا

ولاخر في مثل هذا بعينه ولسنا ندري هل سبق البحتري او تاخر عنه
وضم لا ينهنه واعتناق   كما التف القضيب على القضيب

ولعلي بن الجهم   وبتنا على رغم الحسود كاننا   خليطان من ماء الغمامة والخمر

وهذا وان جعله في العناق فهو ماخوذ من قول بشار
واذا التقى حلف العيون كاننا   سلاف عقار بالقراح مشوب

والاصل في هذا قول الاخطل والناس يرتعون على اثره
من الجازيات الحور مطلب سرها   كبيض الانوق المستكنة في الوكر
واني واياها اذا ما لقيتها   لكالماء من صوب الغمامة والخمر

وقد اخذه ايضا ابن عيينة فقال
انا ذاك ذا روحي وروحك روحان   كما صفي خمر بعذب ماء

واخذه العباس بن الاحنف فقال
ما انس لا انس منها ما معطفة   على فؤادي ويسراها على راسي
وقولها ليتها ليس ثوبك على جسدي   اوليتني كنت سربالا لعباسي
اوليته كان لي خمرا وكنت له   من ماء ورد وكنا الدهر في كاس

ومثل هذا للبحتري وجدت نفسك من نفسي بمنزلة   هي المصافاة بين الماء والراح

ولقد احسن بشار في قوله
لقد كان ما بيني زمانا وبينها   كما بين ريح المسك والعنبر الورد

اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا احمد بن محمد المكي قال اخبرنا ابو العيناء قال اخبرنا العتبي عن ابيه
قال سير الوليد بن عبد الملك الى دهلك الاحوص فكتب الاحوص الى عمر بن عبد العزيز حين استخلف
وكيف ترى للنوم طعما ولذة   وخالك امسى موثقا بالحبائل   فمن يك امسى سائلا عن شماتة
ليشمت بي او شامتا غير سائل   فقد عجمت مني الحوادث ماجدا   صبورا على عضات تلك التلاتل
اذا نال لم يفرح وليس لنكبة   الم به بالخاشع المتضائل   فبعث عمر بن عبد العزيز الى عراك
بن مالك الذي كان شهد عليه فقال ما ترى في هذا الباس فقال عراك مكانه خير له فتركه في موضعه فلما

ولي يزيد بن عبد الملك حبس الأحوص وسيّره [illegible] ولما كان الأحوص خال عمر بن عبد العزيز من جهة أن أم عمر أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وأمها أنصارية فأما قوله إذا أسرّ لم يفرح فمأخوذ من قول لقيط

لا مترفا إن رخاء العيش ساعده ... ولا إذا عضّ مكروه به خشعا

وللأحوص

ومبطن بكرا لا أبوح به ... قرشية غلبت على قلبي
ولو انها ذمّ موكبها ... يوم الكديد لما ثنى صحبي
قلنا لها حييت من نجد ... ولركبها حييت من ركبي
والشوق قاتله برؤيتها ... قتل الظماء بالبارد العذب
والناس إن حلّوا بأجمعهم ... شعبا يلام وأنت في شعب
لحللت شعبك دون شعبهم ... ولكان قربك منهم حسبي

وقوله والشوق قاتله برؤيتها نظير قول جرير

فلما التقى الحيان ألقيت العصا ... ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

[illegible]

إن سأل سائل عن قوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين فقال كيف يأمرهم تعالى أن يخبروا بما لا يعلمون أوليس ذلك أقبح من تكليف ما لا يطاق الذي تأبونه والذي جوّز تكليفه تعالى مع القدرة لا يجوزه الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجهان أحدهما أن ظاهر الآية وإن كان أمرا يقتضي التعلق بشرط وهو كونهم صادقين عالمين بأنهم إذا أخبروا عن ذلك صدقوا فكأنه قال تعالى لهم خبروا بذلك إن علمتموه ومتى رجعوا إلى نفوسهم فلم يعلموا فلا تكليف عليهم وهذا بمنزلة أن يقول القائل لغيره خبرني بكذا وكذا إن كنت تعلمه أو كنت تعلم أنك صادق فيما تخبر به فإن قيل أوليس قد قال المفسرون في قوله تعالى إن كنتم صادقين أن المراد به إن كنتم تعلمون بالعلة التي من أجلها جعلت في الأرض خليفة أو إن كنتم صادقين في اعتقادكم أنكم تقومون بما نصب له الخليفة وتضطلعون وتصلحون له قلنا قد قيل كل ذلك وفي الآية ما ذكرناه وإذا كان القول يحتمل الأمرين جاز أن يبنى الكلام على كل واحد منهما وهذا الجواب لا يتم إلا لمن ذهب إلى أن الله تعالى لا يجوز أن يأمر العبد بشرط قد علم أنه لا يحصل ولا يحسن أن يريد منه الفعل على هذا الوجه ومن ذهب إلى خلاف ذلك في المذهب لا يمكنه أن يعتمد على هذا الجواب فإن قيل فأي فائدة في أن يأمرهم بأن يخبروا عن ذلك بشرط أن يكونوا صادقين وهم لا يتمكنون من ذلك لفقد علمهم قلنا الذاهب إلى الأصل الذي ذكرناه أن يقول لا يمتنع أن يكون الغرض في ذلك أن ينكشف بإقرارهم واستثنائهم من الإخبار

الإخبار بالأسماء ما أراد تعالى بيانه من استئثاره بعلم الغيب وانفراده بالاطلاع على وجوه المصالح في الدين فإن قيل فهذا يرجع إلى الجواب الذي تذكرونه من بعد قلنا هو وإن رجع في هذا المعنى إليه فبينهما فرق من حيث كان هذا الجواب على تقدير تسليم أن الآية تضمنت الأمر والتكليف الحقيقيين والجواب الثاني لا يسلم فيه أن القول أمر على الحقيقة فمن هنا افترقا والجواب الثاني أن يكون القول وإن كان ظاهره الأمر غير أمر على الحقيقة بل المراد به التقرير والتنبيه على مكان الحجة وقد ترد صورة الأمر بما ليس بأمر في القرآن والشعر وكلام العرب مملوء بذلك وتلخيص هذا الجواب أن الله تعالى لما قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون أي أطلع من مصالحكم وما هو أنفع لكم في دينكم على ما لا تطلعون عليه ثم أراد التنبيه على أنه لا يمتنع أن يكون المليكة مع أنها تسبح وتقدس وتطيع ولا تعصي أولى بالاستخلاف في الأرض وإن كان في ذريته من يفسد ويسفك الدماء فعلم الله تعالى آدم عليه السلام أسماء جميع الأجناس أو أكثرها ثم قال للملائكة أنبئوني بأسماء هؤلاء مقررا لهم ومنبها على ما ذكرناه ودالا على اختصاصه بما لم يحط به علمهم فلما أجابوا بالاعتراف والتسليم إلى عالم الغيب الذي لا يعلمونه قال الله تعالى ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون منبها على أنه تعالى المنفرد بعلم المصالح في الدين وأن الواجب على كل مكلف أن يسلم لأمره تعالى ويعلم أنه لا يختار لعباده إلا ما هو أصلح لهم في دينهم علموا وجه ذلك أو جهلوه وعلى هذا الجواب يكون قوله تعالى إن كنتم صادقين محمولا على كونهم صادقين في العلم بوجه المصلحة في نصب الخليفة أو في ظنهم أنهم يقومون مقامه بما يقوم به هذا الخليفة ويكملون له ولولا أن الأمر على ما ذكرناه وأن القول لا يقتضي التكليف لم يكن لقوله تعالى بعد اعترافهم وإقرارهم ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون معنى لأن التكليف الأول لا يتعلق بأن يعلم آدم عليه السلام بالأسماء ولا يكون قوله تعالى إني أعلم غيب السموات والأرض إلى آخر الآية مطابقا لما ذكرناه من المعنى دون معنى التكليف فكأنه تعالى قال إذا كنتم لا تعلمون هذه الأسماء فأنتم من علم الغيب أعجز وبأن تسلموا الأمر لمن يعلمه ويدبركم أحسن وأولى فإن قيل وكيف علمت الملائكة بأن في ذرية آدم عليه السلام من يفسد في الأرض ويسفك الدماء وما طريق علمهم بذلك وإن كانت عالمة فكيف يجوز أن تخبر عنه بغير علم قلنا قد قيل إنها لم تخبر وإنما استفهمت فكأنها قالت معترفة أتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وقيل أيضا إن الله تعالى أخبرها أنه سيكون من ذرية هذا المستخلف من يعصي ويفسد في الأرض فقالت على وجه التعرف لما في هذا التدبير من المصلحة والاستفادة لوجه الحكمة فيه أتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وهذا الجواب

يقتضي ان يكون في اول الكلام حذف ويكون النقل واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة واني
عالم بانه سيكون من ذريته من يفسد فيها ويسفك الدماء فاكتفى من ايراد هذا المحذوف بقوله تعالى قالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها لان في ذلك دلالة على الاول وانما حذف اختصارا وفي جملة جميع الكلام اختصار
شديد لانه تعالى لما حكى عنهم قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك كان في ضمن هذا الكلام فخر على ما ذكرناه وما يظهر لنا من الامر اولى بذلك لانا نطيع وغيرنا يعصي وقوله
تعالى اني اعلم ما لا تعلمون يتضمن ايضا اني اعلم من مصالح المكلفين ما لا تعلمونه وما يكون مخالفا لما تظنونه على
نظائره الموجودة في القران من الحذوف العجيبة والاختصارات الفصيحة ما لا يوجد في شيء من الكلام فمن ذلك
قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلم والناجي من صاحبيه في السجن عند رؤية الملك البقرات السمان و
العجاف انا انبئكم بتاويله فارسلون يوسف ايها الصديق افتنا ولو بسط الكلام فاوفى حدوده
لقال انا انبئكم بتاويله فارسلون فارسلوه فاتى يوسف فقال له يا ايها الصديق ومثله قوله تعالى في
الانعام قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين وكذلك قوله عز وجل في قصة سليمان
عم ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه
باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الى
قوله اعملوا آل داود شكرا وقال جرير ؞ وردتم على قيس بخور مجاشع ؞ فبؤتم على ساق بطيء جبورها
اراد فبؤتم على ساق مكسورة بطيء جبورها لكنه لما كان قوله بطيء جبورها دليل على الكسر اقتصر عليه
وقال عنترة ؞ هل تبلغني دارها شدنية ؞ لعنت بمحروم الشراب مصرم ؞
يعني ناقة ومعنى لعنت دعاء عليها بانقطاع لبنها وجفاف ضرعها فصارت كذلك فهذه الناقة
اذا اتت لا تنتج كان اقوى لها على السير وقال تابط شرا ويروى للشنفرى ؞

؞ فلا تدفنوني ان دفني محرم ؞ عليكم ولكن خامري ام عامر ؞

والمراد لا تدفنوني بل دعوني للتي يقال لها خامري ام عامر يريد الضبع وقال اوس
بن حجر ؞ حتى اذا الكلاب قال لها ؞ كاليوم مطلوبا ولا طلبا ؞ اراد لم ار كاليوم
في يوم وقال ابو دواد الايادي ؞ ان من شيمتي لبذل تلادي ؞ دون عرضي فان رضيت فكوني
اراد فكوني معي على ما انت عليه وان سخطت فبيني فحذف كله وللاخر ؞

؞ اذا قيل سيروا ان ليلى لعلها ؞ جرى دون ليلى مائل القرن اعضب ؞

اراد لعلها قريب وهذا باب يتسع والزمن ان يحد به ولكن غير الاختصار وقوم يظنون

يظنون انهما واحد وليس كذلك لان الحذف يتعلق بالالفاظ وهو ان ياتي بالفاظ يقتضي غيره
ويتعلق به ولا يستقل بنفسه ويكون في الموجود دلالة على المحذوف فيقتصر عليه طلبا للاختصار
والاختصار يرجع الى المعاني وهو ان ياتي بلفظ مفيد لمعان كثيرة لو عبر عنها بغيره لاحتاج الى
اكثر من ذلك اللفظ فلا حذف الا وهو اختصار وليس كل اختصار حذفا فمثال الحذف قوله
ولكن خامري ام عامر ونظائره مما انشدناه لان القول غير مستقل بنفسه بل يقتضي كلاما اخر
غير انه لما كان فيه دلالة على ما حذف حسن استعماله ومثال الاختصار الذي ليس بحذف
قول الشاعر ؞ اولاد جفنة حول قبر ابيهم ؞ قبر ابن مارية الكريم المفضل ؞
اراد انهم اعزاء مقيمون بدار مملكتهم لا ينتجعون كالاعراب فاختصر هذا المبسوط كله في قوله
حول قبر ابيهم ومثله قوله [illegible] ؞ علاه بالذي يريد تقي الصدر عنه الى حنياه نحور ؞
وفي معنى اختصار قول اوس بن حجر وفتيان صدق لا تخم لحامهم اذا شبه النجم الصوار النوافرا
فقوله لا تخم لحامهم لفظ مختصر لو بسطه لقال انهم لا يدخرون اللحم ولا يستبقونه فيخم بل يطعمونه
للاضياف والطراق ومعنى قوله اذا شبه النجم الصوار النوافرا يعني في شدة البرد وكلب الشتاء لان
الثريا تطلع في هذا الزمان عشاء كالصوار متفرقة وهذا ايضا الزمن تحصى وانما فضل الكلام
الفصيح بعضه على بعض لتحقيق حفظ ما فادة المعاني الكثيرة بالالفاظ المختصرة فاما قوله تعالى ثم
عرضهم على الملائكة بعد ذكر الاسماء التي لا يليق بها هذه الكناية فالمراد انه عرض المسميات لان
الكناية لا تليق بالاسماء ولا بد ان تكون تلك المسميات او فيها من يجوز ان يكنى عنه بهذه الكناية لانها
لا تستعمل الا في العقلاء او من جرى مجراهم وقيل ان في قراءة ابي ثم عرضها وفي قراءة عبد الله بن مسعود
ثم عرضهن وعلى هاتين القراءتين يصلح ان تكون عبارة عن الاسماء وقد بقي في هذه الاية سؤال لم نجد
احدا ممن تكلم في تفسير القران ولا متشابهه ومشكله تعرض له وهو من مهم ما يسال عنه وذلك ان يقال
من اين علمت الملائكة لما انباها ادم عم بتلك الاسماء صحة قوله ومطابقة الاسماء للمسميات وهي لم
تكن عالمة بذلك من قبل اذ لو كانت عالمة لاخبرت بالاسماء ولم تعترف بفقد العلم والكلام يقتضي
انه لما انباهم ادم بالاسماء علموا صحتها ومطابقتها للمسميات ولولا ذلك لم يكن لقوله تعالى الم اقل لكم اني
اعلم غيب السموات والارض معنى ولا كانوا مستفيدين بذلك نبوته واختصاصه بما ليس لهم لان كل ذلك
انما يتم مع العلم دون غيره والجواب انه غير ممتنع ان تكون الملائكة في الاول غير عارفين بتلك الاسماء فلما انباهم
ادم عم بها فعل الله تعالى لهم في الحال العلم بصحتها ومطابقتها للمسميات اما عن طريق او ابتدا

بان لا يعلموا ذلك تمييز واختصاص وليس لهم حيلة ان يقولوا ان ذلك يودي الى انهم لم ينبغ لهم اذا
وفي هذا منافاة لطريقة التكليف وذلك انه ليس في علمهم بصدق ما اخبر به ضرورة ما يقتضي العلم
بالنبوة ضرورة بل بعده درجات ومراتب لا بد من الاستدلال عليها وبعد هذا يجري ان يخبرهم انه نبي
بان يفعل على سبيل التفصيل على وجه يخرق العادة فهو وان كان عالما بصدق خبره اذا خبره فلا بد من
الاستدلال فيما بعد على نبوته وان علمه بصدق خبره ليس هو العلم بنبوته لكنه طريق يوصل اليها على ترتيب
ووجه آخر وهو انه لا يمتنع ان تكون الملائكة لغات مختلفة وكل قبيل منهم يعرف اسماء الاجناس في
لغته دون لغة غيره وان يكون احاطة عالم واحد باسماء الاجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة
فلما اراد الله سبحانه وتع التنبيه على نبوة ادم علمه جميع تلك الاسماء فلما اخبرهم بها علم كل فريق مطابقة
ما اخبر به من الاسماء للغته وهذا لا يحتاج فيه الى الرجوع الى غيره وعلم مطابقة ذلك لباقي اللغات بخبر كل
قبيل ولا شك ان كل قبيل اذا كانوا كثرة وخبروا بشيء يجري هذا المجرى علم بخبرهم واذا اخبر كل صاحب لغة
ذلك في لغة الغير عين ما علمه في لغته وهذا الجواب يقتضي ان يكون قوله تع انبئوني باسماء هؤلاء
ليخبر كل قبيل منكم بجميع الاسماء وهذان الجوابان جميعا مبنيان على ان ادم عم لم يتقدم لهم العلم بنبوته
وان اخباره بالاسماء كان اول معجزاته لانه لو كان نبيا قبل ذلك وكانوا قد علموا تقدم ظهور معجزاته
على يديه لم يحتج الى هذين الجوابين معا لانهم قد يعلمون اذا كانت الحال هذه مطابقة الاسماء للمسميات بعد
ان يعلموا ذلك بقوله الذي قد امنوا فيه غير الصدق وهذا بين لمن تامله [illegible]
رايت قوما ممن تكلم على معاني الشعر يذكرون في بيت حسان بن ثابت

لم تفتها شمس النهار بشيء ... غير ان الشباب ليس يدوم

انا المراد به الاعتذار من كبرها
وعلو سنها وانه لم تفتها شمس النهار بشيء غير انها كبيرة طاعنة في السن وعذرها في ذلك ان الشباب
ليس يدوم لاحد وهذا الذي ذكروه ليس بشيء والاشبه والاولى ان يكون مراد حسان ان شمس النهار
لم تفتها بشيء غير ان شبابها لما لم يدم ولا بد ان يلحقها الهرم الذي لا يلحق الشمس ولم يرد انها في الحال
كذلك وكيف يريد ما توهموه مع قوله

يا لقومي هل يقتل المرء مثلي ... واهن البطش والعظام سؤوم
شأنها العطر والفراش ويعلو ... ها لجين ولؤلؤ منظوم
لو يدب الحولي من ولد الذر ... عليها لاندبتها الكلوم

وهذه الاوصاف لا يليق بمن طعن في السن من النساء ولا يوصف بمثلها الا الصبايا والاحداث من

ومن العجائب ان هذا الاستخراج على ركاكته مسند الى الاصمعي وما اولى من يكون بتمييزه وتغلغله وفهمه
توصل مثل هذه الثمرة بالاضراب عن استخراج المعاني التي شيتها وما فسرها اصحاب المعاني على وجه
هو بعيد ما اشبه واقل الاحوال ان يكون محتملا للامرين فلا يقتصر على احدهما ومثله قول الخنساء

يا صخر وراد ماء قد تناذره ... اهل الموارد ما في ورده عار

لانهم يقولون مرادها بالبيت ما في ترك ورده عار ويظنون انه متى لم يحمل على ذلك لم يكن له فائدة
ولا فيه ملح ويجرونه مجرى قول المرقش ليس على طول الحياة ندم ومن وراء المرء ما يعلم
وليس الامر كما ظنوا لانه يحتمل ان يريد انه لا عار في وروده على ظاهر الكلام والفائدة فيه ظاهرة
لان البيت وان تضمن ذكر ورود الماء فهو كناية عن ركوب الامور الصعاب التي من جملتها ايراد الماء
غلبة وقهرا فكانها قالت انك تورد ماء قد تناذره الناس وتركب امرا صعبا قد نكل عنه الخلق ولك
بذلك حظ الشجاعة والبسالة ومع ذلك فلا عار عليك في ركوبه لانه ربما فعل الانسان فعلا يحوز به الكبر
للنازلين الشجاعة وان لحقه بعض العار من قطيعة رحم ونكث بعهد او ما جرى هذا المجرى فكانها
نفت عن فعله وجوه العار وليس يجري هذا مجرى قول المرقش ليس على طول الحياة ندم لان البيت
متى لم يحمل على ان المراد به ليس على فوت طول الحياة ندم لم يفد شيئا وقريبا فاين بيت الخنساء
اذا كان المراد ما ذكرناه [illegible] ان سال سائل عن قوله تع وسل
من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون الجواب قلنا قد ذكر في
هذه الاية وجوه اولها ان يكون المعنى وسل اتباع من ارسلنا من قبلك من رسلنا ويجري ذلك مجرى
قولهم السخاء حاتم والشعر زهير وهم يريدون السخاء سخاء حاتم والشعر شعر زهير فاقاموا حاتما مقام السخاء
المضاف اليه ومثله قوله تع ولكن البر من امن بالله ومثله قول الشاعر

لهم مجلس صهب السبال اذلة ... سواسية احرارها وعبيدها

والمامور بالسوال في ظاهر الكلام النبي ص وهو في المعنى لامته لانه ص لا يحتاج الى السوال لكنه خوطب
بخطاب امته وقال تع اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وفي موضع اخر يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين
فخاطبه ص والمعنى لامته لانه بين ذلك بقوله تع ان الله كان بما تعملون خبيرا وقال تع يا ايها النبي اذا
طلقتم النساء فوحد وجمع في موضع واحد للمعنى الذي ذكرناه وقال الكميت
الى السراج المنير احمد لا تعدلني رغبة ولا رهب عنه الى غيره ولو رفع الناس الي العيون وارتقبوا
وقيل افرطت بل قصدت ولو عنفني القائلون او ثلبوا لج بتفضيلك اللسان ولو اكثر فيك الضجاج واللجب

انت المصفى المحض المهذب في النسبة ان نص قومك النسبا

فظاهر الخطاب للنبي صلى الله عليه والمقصود به اهل بيته عليهم السلام لانا احدا من المسلمين لا يمنع
من تفضيله صلى الله عليه والاطناب في وصف فضايله ومناقبه ولا يعنف في ذلك احدا وانما اراد
الكميت وان اكثرت في مدح اهل بيته فذوو النصاب والاعدا التقريع والتعنيف فوجه القول اليه والمراد
به غيره ولذلك وجه صحيح وهو ان المراد موالاتهم والانحياز اليهم والانقطاع الى جهتهم لما كان
الرسول صلى الله عليه هو المقصود بجميع ذلك جاز ان يخرج الكميت الكلام هذا المخرج ويضعه هذا الموضع
وقيل ان المراد باتباع الانبياء الذين امر بمسئلتهم هم مومنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
ونظرائه وليس يمتنع على هذا الجواب ان يكون هو صلى الله عليه المامور بالمسئلة على الحقيقة كما يقتضيه ظاهر الخطاب
وان لم يكن شاكا في ذلك ولا مرتابا ويكون الوجه فيه تقرير اهل الكتاب به واقامة الحجة عليهم باخبارهم
او ان يعرف مشركي العرب المنكرين ان يكون كتب الله تعالى المتقدمة وانبياوه الاولون يدعون الى
التوحيد فامره بتقرير اهل الكتب بذلك لتزول الشبهة عمن اعترضته والجواب الثاني ان يكون السوال
متوجها اليه خاصة دون امته والمعنى اذا لقيت النبيين في السماء فاسلهم عن ذلك لان الرواية
قد وردت بانه لقي النبيين في السماء فسلم عليهم وامهم ولا يكون امره تعالى بالسوال لانه كان شاكا
لان مثل ذلك لا يجوز عليه الشك فيه ولكن لبعض المصالح الراجعة الى الدين اما التي تخصه صلى الله عليه و
تتعلق ببعض الملائكة الذين يسمعون ما يجري بينه وبين النبيين عليهم السلام من سوال وجواب والجواب
الثالث ما اجاب به ابن قتيبة وهو ان يكون المعنى واسل من ارسلنا اليه قبلك رسلا من رسلنا يعني اهل
الكتاب وهذا الجواب وان كان يوافق في المعنى الاول ففيهما خلاف في تقدير الكلام وكيفيته ولهذا
صارا متغايرين وقد رد على ابن قتيبة هذا الجواب وقيل انه اخطا في الاعراب لان لفظة اليه لا يصح
اضمارها في مثل هذا الموضع لانهم لا يجيزون الذي جلست عبد الله بمعنى الذي جلست اليه لان اليه
حرف جر منفصل عن الفعل والمنفصل لا يضمر فلما كان القائل اذا قال الذي اكرمت اباه عبد الله
لم يجز ان يضمر اباه لانه منفصل عن الفعل كانت لفظة اليه بمنزلته وكذلك لا يجوز الذي رغبت محمد يعني
الذي رغبت فيه محمد لان الاضمار انما يحسن في الهاء المتعلقة بالفعل كقولهم الذي اكلت طعامك
والذي لقيت سيدك يعنون الذي اكلته ولقيته وقال الفراء انما حذفت الهاء لدلالة الذي عليها
وقال غيره تحذف تخفيفا وكل هذا ليس مما تقدم في شي وضرب ان وابن قتيبة مستبعد والمعتمد
على ما تقدم [illegible] ان سال سايل عن معنى ما رواه ابو هريرة عن النبي من قوله كل مولود يولد

على الفطرة حتى يكون ابواه يهودانه وينصرانه الجواب قلنا اما ابو عبيد القسم بن سلام فانه
قال في تاويل هذا الخبر سالت محمد بن الحسن عن تفسيره فقال كان هذا في اول الاسلام قبل ان تنزل
الفرايض ويومر المسلمون بالجهاد قال ابو عبيد كانه يذهب الى انه لو كان يولد على الفطرة ثم مات
قبل ان يهوده ابواه او ينصرانه ما ورثاه وكذلك لو مات قبله ما ورثهما لانه مسلم وهما كافران ولما كان
ايضا يجوز ان يسباه فلما نزلت الفرايض وجرت السنن بخلاف ذلك علم انه يولد على دينهما قال ابو عبيد
يريد بذلك التحاير والسبب وغير ذلك مما العلم لله تعالى فحملوا حولها واما ابن قتيبة فانه قال
وقد حكى ما ذكرناه عن ابن عبيد عن ابن المبارك فانه قال يفسره الحديث الاخر الذي يتضمن انه سئل
عن اطفال المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين يذهب الى انهم مولودون على ما يصيرون اليه من اسلام
او كفر فمن كان في علم الله تعالى انه يصير مسلما فانه يولد على الفطرة ومن كان في علمه انه يموت كافرا ولد على ذلك
ومما يشبه هذا الحديث حديثه الاخر انه قال يقول الله تعالى اني خلقت عبيدي جميعا حنفاء فاجتالتهم
الشياطين عن دينهم وجعلت ما احللته لهم حراما قال ابو عبيد واما عبد الله فلست ارى ما حكاه
ابو عبيد عن عبد الله بن المبارك ومحمد بن الحسن مقنعا لمن اراد ان يعرف معنى الحديث لانهما لم يزيدا على ان
ردا على من قال به من اهل القدر وتفسير محمد بن الحسن يدل على ان الحديث عنده منسوخ والنسخ لا يكون في
الاخبار وانما يكون في الامر والنهي قال ولا يجوز ان يراد به على تاويل ابن المبارك بعض المولودين دون
بعض لان مخرجه مخرج العموم ولا ارى معنى الحديث الا ما ذهب اليه حماد بن سلمة فانه قال فيه هذا عند
حيث اخذ العهد عليهم في اصلاب ابائهم يريد حين مسح الله تعالى ظهر ادم فاخرج منه ذريته الى يوم القيمة
امثال الذر واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فاراد عليه السلام ان كل مولود يولد في العالم
على ذلك العهد وعلى ذلك الاقرار الاول وهو الفطرة [illegible] وهذا
كله تخليط وبعد عن الجواب الصحيح والصحيح في تاويله ان قوله يولد على الفطرة يحتمل امرين احدهما
ان تكون الفطرة الدين وتكون على بمعنى اللام فكانه قال كل مولود يولد للدين ومن اجل الدين لان الله تعالى
لم يخلق من بلغه مبلغ المكلفين الا ليعبده فينتفع بعبادته يشهد بذلك قوله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون والدليل على ان على يقوم مقام اللام ما حكاه يعقوب بن السكيت عن ابي يزيد عن العرب
انهم يقولون صف علي كذا وكذا حتى اعرفه بمعنى صف لي ويقولون ما اغبطك علي يريدون ما اغبطك لي
وما اغمه علي يريدون لي والعرب تقيم بعض الصفات مقام بعض ويقولون سقط الرجل لوجهه يريدون
على وجهه وقال الطرماح: كان مخواها على ثفناتها ... معرس خمس وقعت للجناجن ... اراد على

للجانبين وقال عنترة شربت بماء الدحرضين فاصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم
معناه شربت الناقة من ماء الدحرضين وانما هما ماءان يقال لاحدهما وسيع وللاخر دحرض فغلب الاشهر
وهو الدحرض وانما ساغ ان يريد بالفطرة التي هي الخلقة في اللغة من حيث كان هو المقصود بها وقد
يجري على الشيء اسم ماله به هذا الضرب من التعلق والاختصاص على هذا قوله تعالى فاقم وجهك للدين
حنيفا فطرة التي فطر الناس عليها اراد تعالى دين الله الذي خلق الخلق له وقوله تعالى لا تبديل الله
لخلق الله المراد به ان ما خلق العباد له من العبادة والطاعة ليس مما يتغير ويختلف حتى يخلق قوما للطاعة
واخرين للمعصية ويجوز ان يريد بذلك الامر وان كان ظاهره ظاهر الخبر فكانه تعالى قال لا تبدلوا ما خلق
الله له من الدين والطاعة بان تعصوا وتخالفوا والوجه الآخر في تاويل قوله الفطرة ان يكون المراد به الخلقة
ويكون الفطرة على ظاهرها المراد بها الخلقة ويكون المعنى كل مولود يولد على الخلقة الدالة على وحدانيته
تعالى وعبادته والايمان به لانه جل وعز قد صور الخلق وخلقهم على وجه يقتضي النظر فيه معرفته والايمان
به فان لم ينظروا ولم يعرفوه فكانه تعالى قال كل مخلوق ومولود فهو يدل بخلقته وحسن تركيبه على عبادة الله تعالى
وان عدل بعضهم فصار يهوديا او نصرانيا وهذا الوجه يحتمله ايضا قوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها
واذا ثبت ما ذكرناه في معنى الفطرة فقوله حتى يكون ابواه يهودانه وينصرانه يحتمل وجهين احدهما ان من
كان يهوديا او نصرانيا ممن خلقته لعبادتي وديني فانما جعله ابواه كذلك ومن جرى مجراهما ممن اوقع له
الشبهة ويولد له الضلال عن الدين وانما خص عليه السلام الابوين لان الاولاد في الاكثر ينشؤون على مذاهب
ابائهم ويالفون اديانهم ونحلهم ويكون الغرض بالكلام تنزيه الله تعالى عن الضلال للعباد وكونهم
وانما خلقتهم للايمان فصدهم عنه اباؤهم او من جرى مجراهم والوجه الآخر وهو ان يكون معنى يهودانه
وينصرانه اي يلحقانه باحكامهما لان اطفال اهل الذمة قد الحق الشرع احكامهم باحكامهم فكانه عليه السلام قال لا تتوهموا باحكامهما
من حيث لحقت احكام اليهود والنصارى اطفالهم انهم خلقوا لدينهم بل لم يخلقوا الا للايمان والدين
الصحيح لكن اباءهم هم الذين ادخلوهم في احكامهم بقوله يهودانه وينصرانه وهذا واضح واما الجواب
المحكي عن ابي عبيد الذي حكاه عن محمد بن الحسن فانا اذا تمكنا من حمل الخبر على وجه يسلم معه من النسخ
لم نحمله على النسخ وما الذي يوجب النسخ لاعتقاده ان خلقه على الفطرة تمنع من الحاقهم بحكم ابائهم وذلك غير مسلم
واما الجواب الذي حكاه عن ابن المبارك ففاسد لان الله تعالى لا يجوز ان يخلق احدا للكفر وكيف يخلقه
للكفر وهو يامره بالايمان ويريده منه ويعاقبه ويذمه على خلافه فاما ما روي عنه عليه السلام وقد سئل
عن اطفال المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين فانه يحتمل ان يكون عليه السلام انما سئل عن ابناء من الاطفال

اطفال المؤمنين المشركين كيف تكون صورتهم والى اي شيء تنتهي عاقبتهم فقال عليه السلام الله اعلم بما كانوا
عاملين فيه اذ انه لكم مستور عني ولو كانت المسألة عن احكام اطفالكم لم يجز ان يكون الجواب ذلك واما
ابن قتيبة فانه رد على ابي عبيد بغير وجه يقتضي الرد واعترض جواب ابن المبارك باعتبار العموم والخصوص
وترك ان يفسده من الوجه الذي يفسده وهو الذي ذكرناه وكيف ينبه على فساده من هذه الجهة
وقد اختار في تاويل الخبر ما يجري في الفساد والاختلال مجرى تاويل ابن المبارك فاما النسخ في
الاخبار فجائز اذا تضمنت معنى الامر والنهي ويكون ما دل على جواز النسخ في الاوامر دالا على جواز
ذلك فيها وهذا مثل ان يقول عليه السلام الصلوة واجبة عليكم ثم يقول بعد زمان ليست بواجبة
فيستدل بالثاني على نسخ حكم الاول كما لو قال صلوا ثم قال لا تصلوا لكان النهي الثاني ناسخا للاول
فاما الجواب الذي ذكره ابن قتيبة فقد بينا فساده فيما تقدم من الامالي عند تاويلنا لقوله تعالى واذ اخذ
ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم وافسدنا قول من اعتقد انه مسح ظهر ادم عليه السلام واستخرج منه
الذرية واشهدها على نفوسها واخذ اقرارها بمعرفته بوجوه من الكلام ولا فائدة في اعادة ذلك
[illegible] ان سال سائل عن قوله تعالى فاما الذين شقوا ففي النار
لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما
يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء
غير مجذوذ فقال ما معنى الاستثناء هاهنا والمراد الدوام والتابيد ثم ما معنى التمثيل بمدة السما وات
والارض التي تفنى الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه اولها ان يكون الا وان كان ظاهرها الاستثناء
فالمراد بها الزيادة فكانه تعالى قال خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك من الزيادة
لهم على هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لي عليك الف دينار الا الالفين اللذين اقرضتكها وقت كذا وكذا
والالفان زيادة على الالف بغير شك لان الكثير لا يستثنى من القليل وهذا الجواب يختاره الفراء
من المفسرين والوجه الثاني ان يكون المعنى الا ما شاء ربك من كونهم قبل دخول الجنة والنار في الدنيا
وفي البرزخ الذي هو ما بين الحياة والموت وفي وقت المحاسبة والعرض وغير ذلك لانه تعالى لو قال
خالدين فيها ابدا ولم يستثن لتوهم متوهم انهم يكونون في الجنة او النار من لدن نزول الآية او من بعد
انقطاع التكليف فصار للاستثناء وجه وفائدة معقولة والوجه الثالث ان يكون الا بمعنى الواو
والتاويل خالدين فيها ما دامت السموات والارض وما شاء ربك من الزيادة واستشهد بقول الشاعر
وكل اخ مفارقه اخوه ... لعمر ابيك الا الفرقدان ... معناه والفرقدان ويقول الاخر

وارى لها دارا باغدرة السيدان لم يدرس لها رسم
الا رمادا هامدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم

والمراد بالا ههنا ولا لان الكلام متناقضا والوجه الرابع ان يكون الاستثناء الاول متصلا بقوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق وتقدير الكلام لهم في النار زفير وشهيق الا ما شاء ربك من اجناس العذاب الخارجة عن هذين الضربين ولا يتعلق الاستثناء بالخلود فان قيل فهب ان هذا امكن في الاستثناء الاول كيف يمكن في الثاني قلنا نحمل على استثنائه للمكث في المحاسبة والموقف وغير ذلك مما تقدم ذكره والوجه الخامس ان يكون الاستثناء غير مؤثر في النقصان من الخلود وانما الغرض فيه انه لو شاء ان يخرجهم وان لا يخلدهم لفعل وان التخليد انما يكون بمشيته وارادته كما يقول القائل لغيره والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وهو لا ينوي الا ضربه ومعنى الاستثناء ههنا لو شئت ان لا اضربك لفعلت ومكنت غير انى مجمع على ضربك والوجه السادس ان يكون تعليق ذلك بالمشية على سبيل التاكيد للخلود والتبعيد للخروج لان الله تعالى لا يشاء الا تخليدهم على ما حكم به ودل عليه ويجرى ذلك مجرى قول العرب والله لا هجرتك الا ان يشيب الغراب ويبيض القار ومعنى ذلك اني لا اهجرك ابدا من حيث علقته بشرط معلوم انه لا يحصل وكذلك معنى الاستثناء والمراد بها انهم خالدون ابدا لان الله تعالى لا يشاء ان يقطع خلودهم والوجه السابع ان يكون المراد بالذين شقوا من ادخل النار من اهل الايمان الذين ضموا الى ايمانهم وطاعتهم المعاصي فقال تعالى انهم يعاقبون في النار الا ما شاء ربك من اخراجهم الى الجنة وايصال الثواب اليهم ويجوز ايضا ان يريد باهل الشقاء ههنا جميع الداخلين الى جهنم ثم استثنى تعالى بقوله الا ما شاء ربك اهل الطاعات منهم ومن يستحق ثوابا بالايمان يوصله اليه فقال الا ما شاء ربك من اخراج بعضهم وهم اهل الثواب واما الذين سعدوا فانما استثنى من خلودهم ايضا لما ذكرناه لان من نقل من النار الى الجنة وخلد فيها لا بد من الاخبار عنه بتابيد خلوده من استثناء ما تقدم فكانه تعالى قال انهم خالدون في الجنة ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك من الوقت الذي ادخلهم فيه النار قبل ان ينقلهم الى الجنة والذين شقوا على هذا الجواب هم الذين سعدوا وانما اجرى عليهم كل لفظ في الحال التي تليق بهم فاذا ادخلوا النار وعوقبوا بها فهم من اهل الشقاء واذا نقلوا الى الجنة فهم من اهل السعادة وقد ذهب الى هذا الوجه جماعة من المفسرين كابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم وروى بشر بن عمارة عن ابي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وانما هم قوم من اهل التوحيد يدخلون النار بذنوبهم ثم يتفضل الله عز وجل عليهم فيخرجهم من النار الى الجنة فيكونون اشقياء في حال سعداء في حال اخرى فاما تعلق الخلود بدوام السموات والارض فقيل فيه ان ذلك لم يجعل شرطا في الدوام وانما علق به على طريق التبعيد وتاكيد الدوام لان للعرب في مثل هذا عادة معروفة خاطبهم الله تعالى عليها لانهم يقولون لا افعل كذا ما لاح كوكب وما اضاء الفجر وما اختلف الليل والنهار وما بل بحر صوفة وما تغنت حمامة ونحو ذلك ومرادهم التابيد والدوام ويجري ذلك كلما ذكرناه مجرى قولهم لا افعل ذلك ابدا لانهم يعتقدون في جميع ما ذكرناه انه لا يزول ولا يتغير وعباراتهم انما تخرج بحسب اعتقادهم لا بحسب ما عليه الشيء في نفسه الا ترى ان بعضهم لما اعتقد في الاصنام ان العبادة تحق لها سماها آلهة بحسب اعتقاده وان لم تكن في الحقيقة كذلك ومما يشهد لمذهبهم الذي حكيناه قول ابي الجويرية

ذهب الجود والجنيد جميعا ... فعلى الجود والجنيد السلام
اصبحا ثاويين في قعر مرو ... ما تغنى على الغصون الحمام

وقال الآخر
الست منتهيا عن نحت اثلتنا ... ولست ضائرها ما اطت الابل

وقال الآخر
لا افتا الدهر ابكيهم باربعة ... ما اجترت النيب او حنت الابل

وقال زهير منبئا عن اعتقاده دوام الجبال وانها لا تفنى ولا تتغير
الا لا ارى على الحوادث باقيا ... ولا خالدا الا الجبال الرواسيا

وهذا وجه وقيل ايضا في ذلك انه اراد بالشرط وعني بالابد دوام السموات والارض المبدلتين لانه تعالى قال يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فاعلمنا انهما يبدلان وقد يجوز ان يديمهما بعد التغيير ابدا فلا انقطاع وانما المنقطع هو دوام السموات والارض قبل التبديل والفناء ويمكن ان يكون المراد انهم خالدون مقدار دوام السموات والارض التي يعلم الله انقطاعهما ثم يزيدهم الله تعالى على ذلك ويخلدهم ويؤبد مقامهم وهذا الوجه يليق بالاجوبة التي يتضمن ان الاستثناء اريد به الزيادة على المدة المتقدمة لا النقصان

[illegible] وجدت ابا القسم الآمدي قد ظلم البحتري في تفسير بيت له مضافا الى ظلمه له في اشياء كثيرة تاولها على خلاف مراد البحتري وهو قوله

كالبدر الا انها لا تجتلى ... والشمس الا انها لا تغرب

ثم قال الآمدي وهذا فيه سؤال لانه لما قال كالبدر الا انها لا تجتلى فالمعنى ان عيون الناس كلهم ترى البدر وتجتليه وهي لا تراها العيون ولا تجتلى ثم قال والشمس الا انها لا تغرب لانها محجوبة واذا كانت في حجاب فهي في غروب لان الشمس اذا غربت فانما تدخل تحت حجاب وظاهر المعنى كالبدر الا ان العيون

لا تعقدها تراها والشمس لا ان العيون لا تعقلها قال وهذا القول مناقض كما ترى قال وأظنه اراد انها وان كانت في حجاب فانه لا يقال لها غربت تغرب كما يقال للشمس وانما يقال لها اذا سافرت بعدت واغربت وغربت اذا توجهت نحو الغرب وقد يقال للرجل اغرب عنا اي ابعد ولو استعار لها اسم الغروب عن الارض التي تكون فيها اذا ظعنت عنها الى ارض اخرى كان ذلك حسنا جميلا اسيما وقد جعلها شمسا كما قال ابرهيم بن العباس الصولي لئن زالت الشمس عن مستقرها ؛ فمن مخبري في اي ارض غروبها ؛ قال ويجوز ان يقول قائل انه اراد لا تغرب تحت الارض كما تغرب الشمس وهذه معاذير ضيقة لابي عبادة فان لم يكن اخطا فقد اساء

وما الخطا الا غير الآمدي ومراد البحتري بقوله اوضح من ان يذهب على مثله لانه اراد بقوله والشمس لا تغرب انها لا تصير بحيث يتعذر وجودها ويمتنع كما يتعذر رؤية الشمس على من غربت عنه فوق الارض والمراة وان احتجبت باختيارها فان ذلك ليس بغروب كغروب الشمس لان الشمس اذا ظهرت ورؤيت للعيون والشمس اذا غربت فرؤيتها غير ممكنة ولهذا لا يصح ان يقال للمراة استترت بدارها او حجاب على الشمس اذا فقدت غربت عنه وان كانت غير راية لها لان رؤيتها ممكنة بزوال ذلك المانع وكذلك القول في احتجاب المراة فلانا قصد في بيت البحتري على ما ظنه الآمدي ولبعضهم في هذا المعنى

قد قلت للبدر واستعبرت حين بدا ؛ ما فيك يا بدر لي من وجهها خلف

تبدي لنا كلما شئنا محاسنها ؛ وانت تغرب احيانا وتنكسف

يعني قوله وانت تغرب وتنكسف جار مجرى غروب الشمس لانه فضلها على البدر من حيث كان يرى المبصر لها متى طلب اختيارها والبدر يغرب وينكسف ويغيب على وجه لا يمكن رؤيته كما فضلها البحتري فانها لا تغرب بحيث تصير رؤيتها مستحيلة والشمس كذلك وقد ظلم الآمدي البحتري في قوله لا العذل يردعه ولا التعنيف منكره يعني قال الآمدي هذا عندي من اهجى ما مدح به خليفة واقبح من ذا يعنف الخليفة على الكرم او يعني انه هنا بالهجو اولى منه بالمدح

وللبيت في هذا معنى وجهين احدهما ان يكون الكلام خرج مخرج التقدير فكانه قال لو عنف على ما به ذلك على الكرم وان كان من حق العذل والتعنيف ان يسلي ويحزن عن الشيء وهذا له نظائر من القرآن وكلام العرب اكثر من ان نحصى وقد مضى فيما املينا شيء من ذلك والوجه الآخر ان العذل والتعنيف وان لم يتوجها اليه فيعنف فانما مع جوده انه في قبلته الاسراف في البذل والجود فيه ابلغ الموعظة لم يقل الا ان هذا يرده ولا تعنيفه يصده وانما قال لا العذل يرده ولا التعنيف يصده وكانه خبر بان هذا يسمعه من عذل مثل العذال على الكرام وتعنيفهم على الجود وان كان متوجها اليه من غير ضعف عادة لقوة عزيمته وشدة بصيرته ومما خطا الآمدي فيه البحتري وان كان له فيه عذر صحيح لم يهتد اليه قوله

ذنب كما سحب الرداء يذب عن ؛ عرف وعرف كالقناع المسبل

قال الآمدي وهذا خطا من الوصف لان ذنب الفرس اذا مس الارض كان عيبا فكيف اذا سحبه وانما الممدوح ما قرب من الارض ولم يمسها كما قال امرؤ القيس ؛ ضاف فويق الارض ليس باعزل ؛ قال وقد عيب امرؤ القيس بقوله لها ذنب مثل ذيل العروس ؛ تسد به فرجها من دبر ؛ قال وما ادري ما العيب يلحق امرا القيس لان العروس وان كانت تسحب ذيلها وكان ذنب الفرس اذا مس الارض فليس بمنكر ان يشبه به الذنب وان لم يبلغ الى ان يمس الارض لان الشيء انما يشبه الشيء اذا قاربه او دنا من معناه فاذا اشبهه في اكثر احواله فقد صح التشبيه ولاق به وامرؤ القيس لم يقصد ان يشبه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط وانما اراد السبوغ والكثرة والكثافة الا ترى انه قال تسد به فرجها من دبر وقد يكون الذنب طويلا يكاد يمس الارض ولا يكون كثيفا فلا يسد مخرج الفرس فلما قال تسد بها فرجها علمنا انه اراد الكثافة والسبوغ مع الطول فاذا اشبه الذنب الذيل من هذه الجهة وكان في الطول قريبا منه والتشبيه صحيح وليس ذلك بموجب للعيب وانما العيب في قول البحتري

ذنب كما سحب الرداء فافصح بان الفرس يسحب ذنبها ومثل قول امرئ القيس قول خداش بن زهير ؛ لها ذنب مثل ذيل الهدي ؛ الى جؤجؤ ايد الزافر ؛ والهدي العروس لانها تهدى الى زوجها والايد الشديد يريد ان الزافر الصوت لانه يزفر منه قال فشبه الذنب الطويل السابغ بذيل الهدي وان لم يبلغ في الطول الى ان يمس الارض قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وللبحتري وجه في العذر يقرب من عذر امرئ القيس في قوله مثل ذيل العروس غير ان الآمدي لم يفطن له فاول ما نقوله ان الشاعر لا يؤخذ عليه في كلامه التحقيق والتحديد فان ذلك متى اعتبر في الشعر بطل جميعه وكلام العرب مبني على التوسع والتجوز والاشارة الخفيفة والايماء الى المعاني تارة من بعد واخرى من قرب لانهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة واصحاب المنطق وانما خاطبوا من يعرف اوضاعهم ويفهم اغراضهم وانما اراد البحتري بقوله ذنب كما سحب الرداء المبالغة في وصفه بالطول والسبوغ وانه قد قارب ان يسحب وكاد ان يسحب ومن شان العرب ان تجري على الشيء الوصف الذي قد كان يستحقه وقرب منه القرب الشديد فيقولون فلان هوى فلانه وله عقل زال تمييزه والمخرج نفسه وكل ذلك لم يقع وانما ارادوا المبالغة وافادة المقاربة والمشارفة ونظائر ذلك اكثر من ان نحصى ومن شانهم اذا ارادوا

المبالغة التامة ان يستعملوا مثل هذا فيشبهون الكفل بالكثيب والدعص والتل ويشبهون الخصر بوسط
الزنبور وبمدار حلقة الخاتم ويعدون هذا غاية المدح واحسن الوصف ونحن نعلم انا لو راينا من خصرها
مثل وسط الزنبور وكفلها كالكثيب العظيم لاستبشعناه واستهجنا صورته لتفاوتها وقبحها وانما
اتوا بالفاظ المبالغة لا ليحمل على ظاهرها بل تحقيقا ليفهم منها الغاية المحمودة والنهاية المستحسنة
وترك ما وراء ذلك فكانا نفهم من قولهم ان خصرها كخصر الزنبور انه بغاية الدقة المستحسنة في النساء
ومن قولهم كفلها كالكثيب انه في نهاية الوثارة المطلوبة المحمودة لا انه كالتل على التحقيق فهذا انكر
ان يريد البحتري بقوله كانما يسحب الرداء انه في غاية الطول الممدوح المحمود لا انه يجر على الارض في الحقيقة
ودللنا على تخصيص معناه وتفصيله الى العادة الجارية لنظرائه من الشعراء في استعمال مثل اللفظ الذي
استعمله وقد قال بعضهم في نبل العجيزة
تمشي فتثقلها روادفها * فكانما تمشي الى خلف
وقال المؤمل
من راى مثل حبتي * تشبه البدر اذ بدا * تدخل اليوم ثم تدخل ارادفها غدا
وقال ذو الرمة
ورمل كاوراك العذارى قطعته * وقد جللته المظلمات الحنادس
وكل هذا الكلام لو حمل على ظاهره وحقيقته لكان الموصوف في نهاية القبح لان من تمشي الى خلفه ومن يدخل
كفلها بعده لا يكون مستحسنا وقال بكر بن النطاح
فرعاء تسحب من قيام شعرها
وتغيب فيه وهو جثل اسحم * فكانها فيه نهار مشرق * وكانه ليل عليها مظلم
فوصفها بانها تسحب مع قيامها ونحن نعلم ان الطول من الشعر وان كان مستحسنا فليس الى هذا
الحد وانما اراد بقوله تسحب شعرها ما اراد البحتري بقوله كانما يسحب الرداء من المبالغة في الوصف بالطول
المحمود دون المذموم [illegible] ان سال سائل عن قوله تعالى اسمع بهم
وابصر يوم ياتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين فقال ما تاويل هذه الآية وان كان المراد بها
التعجب من قوة سماعهم ونفاذ ابصارهم فكيف يليق بما اخبر عنهم في مواضع كثيرة من الكتاب بانهم
لا يبصرون ولا يسمعون وان على اسماعهم وابصارهم غشاوة وما معنى قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال
مبين واي يوم هو المشار اليه والمراد بالضلال المذكور الجواب قلنا اما قوله اسمع بهم وابصر فمعناه على
مذهب العرب في التعجب يجري مجرى قولهم ما اسمعه وما ابصره والمراد بذلك الاخبار عن قوة علومهم
بالله تعالى في تلك الحال وانهم عارفون به على وجه لا تعترضه الشبهة عليه وهذا من قوله على ان اهل الآخرة
عارفون بالله تعالى ضرورة ولا تنافي بين هذه الآية وبين الآيات التي اخبر فيها بانهم لا يسمعون ولا
يبصرون وبان على ابصارهم غشاوة لان تلك الآيات تناولت احوال التكليف في الدار الاولى التي كانوا

فيها

فيها ضلالا عن الدين جاهلين بالله تعالى وصفاته وهذه الآية تناول يوم القيمة وهو المعني بقوله تعالى يوم
ياتوننا والحال القيمة لا بد فيها من المعرفة الضرورية وتجري هذه مجرى قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا
فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فاما قوله تعالى لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين فيحتمل
ان يريد بقوله الدنيا وحال التكليف ويكون الضلال المذكور انما هو الذهاب عن الدين والعدول
عن الحق والمراد تعالى انهم في الدنيا جاهلون وفي الآخرة عارفون بحيث لا ينفعهم المعرفة ويحتمل ان يريد
باليوم يوم القيمة ويعني بالضلال العدول عن طريق الجنة ودار الثواب الى دار العقاب فكانه تعالى
قال اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا غير انهم مع معرفتهم هذه وعلمهم يصيرون في هذا اليوم الى
العقاب ويعدل بهم عن طريق الثواب وقد روي هذا التاويل عن جماعة منهم من المفسرين
روي عن الحسن في قوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا قال يقول لهم يوم القيمة سمعا وبصرا لكن
الظالمون اليوم في الدنيا ليسوا سمعا ولا بصرا ولكنهم في ضلال عن الدين وقال قتادة وابن زيد
ذلك والله يوم القيمة سمعوا حين لم ينفع وابصروا حين لا ينفعهم البصر وقال ابو مسلم بن بحر في تاويل
هذه الآية كلاما حسنا قال يعني اسمع بهم وابصر ما اسمعهم وما ابصرهم وهذا طريق المبالغة في
الوصف يقول فهم ياتوننا اي يوم القيمة بصراء سمعاء اي عالمون وهم اليوم في دار الدنيا في
ضلال مبين اي جهل واضح قال وهذه الآية ترد على قوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون ليس معناه الآفة
في العين والاذن والجوارح بل هو انهم لا يسمعون عن قدرة ولا يتدبرون ما يسمعون ولا يعتبرون بما يرون
بل هم عن ذلك غافلون فقد ترى انه جعل قوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين مقابلا لقوله اسمع
بهم وابصر يوم ياتوننا اي ما اسمعهم وابصرهم فاقام السمع والبصر مقام الهدى اذ جعله بازاء
الضلال المبين واما ابو علي محمد بن عبد الوهاب فانه اختار في تاويل هذه الآية غير هذا الوجه ونحن
نحكي كلامه على وجهه قال وعنى بقوله اسمع بهم وابصر اي اسمعهم وبصرهم وبين لهم انهم اذا اتوا
مع الناس الى موضع الجزاء سيكونون في ضلال عن الجنة وعن الثواب الذي يناله المؤمنون والظالمون
الذين ذكرهم الله هم هؤلاء الذين يوعدهم الله بالعذاب في ذلك اليوم ويجوز ايضا ان يكون يعني بقوله
اسمع بهم وابصر اي اسمع الناس هؤلاء الانبياء وابصرهم ليعرفوهم ويعرفوا خبرهم فيوقنوا بهم
ويقيسوا باعمالهم وقد اراد بقوله لكن الظالمون لكن من كفر منهم من الظالمين اليوم وهو يعني يوم القيمة في
ضلال عن الجنة وعن نيل الثواب مبين وهذا الموضع من جملة المواضع التي استدركت على ابي علي ونسبت
الى الزلل لان الكلام وان كان محتملا لما ذكره بعض الاحتمال من يعرف ان الاولى والاظهر في معناه ما

تقدم ذكره من المبالغة في وصفهم وقوله لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين بعد ما تقدم لا يليق
الا بالمعنى الذي ذكرناه لا سيما اذا لم يحمل اليوم على ان المراد به يوم القيمة على ان ابا علي جعل قوله لكن
الظالمون اليوم في ضلال مبين من قوله اسمعهم وابصرهم وتاوله على ان المعنى ما اعلمهم وبصرهم
بانهم يوم القيمة في ضلال عن الجنة والكلام يشهد بان ذلك لا يكون من صلة الاول وان قوله لكن
استئناف والكلام باق وما كان يحتاج ابو علي الى هذا بل لو قال ان ما احتاج من التاويل انه اراد
اسمعهم وابصرهم يوم ياتوننا اي ذكرهم باهواله واعلمهم بما فيه ثم قال مستانفا لكن الظالمون اليوم
في ضلال مبين لم يحتج الى ما ذكره وكان هذا اشبه بالصواب فاما الوجه الثاني الذي ذكره فالاولى ان
قوله اسمع بهم وابصر اذا تعلق بالانبياء الذين ذكرهم الله تعالى بقي قوله يوم القيمة بلا ناصب لانه لا
يكون ظرفا لا عامل له بذلك فالاقرب والاولى ان يكون نصب في الوجه الاول مفعولا ووجدت بعض من
اعترض على ابي علي يقول رادا عليه لو كان الامر على ما ذهب اليه ابو علي لوجب ان يقول اسمعهم وابصرهم
بغيرباء وهذا الرد غير صحيح لان الباء في مثل هذا الموضع غير منكر زيادتها وذلك موجود كثير في الشعر
والقران قال الله تعالى اقرا باسم ربك الذي خلق وعينا يشرب بها عباد الله وهزي اليك بجذع النخلة
ويلقون اليهم بالمودة وقال الاعشى ضمنت برزق عيالنا ارماحنا وقال امرؤ القيس
هصرت بغصن ذي شماريخ ميال واظن ابا علي انما استبد بهذا الجواب انه وجد تالي الاية لغيرها
وهو قوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة فحمل الاول على الثاني والكلام لا تشتبه معانيه
رضي الله عنه وجدت جماعة من اهل الادب يستبعدون ان يرتج على الانسان اللسان في خطبة
او كلام قصد له ويتعسف منه في تلك الحال كلام هو احسن مما قصد اليه وابلغ مما ارتج عليه دونه ويقولون
ان اللسان لا يكون الا عن حيرة وكلال فكيف يجتمع معهما البراعة الثاقبة والبلاغة المانوسة مع حاجتها
الى اجتماع الفكر وحضور الذكر وينسبون جميع ما يحكى من كلام مستحسن ولفظ مستغرب عن من حصر في خطبة
او منطق الى انه موضوع مصنوع وليس الذي استبعدوه ببعيد ولا منكر لان الانسان قد يحصر شيئا
بعينه ويتعلق بجهة دون اخرى وهذا امر متعالم متعارف فلا ينكر ان يعيي انسان شيئا قصده وعزم
على الكلام فيه ويكون مع ذلك ذاكرا لغيره متمكنا فيه بابلغ الكلام واحسنه بل ربما كان الحصر والذهاب
عن المقصود حسان القريحة وبيان فيبعثان على احسان الكلام وابلغه ليكون ذلك جبرا من الله
وانتفاء من اللذعة ومن احسن ما روي في ارتجال الكلام في حال الحصر والانقطاع عن المقصود من الكلام
ما اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم قال المرزباني واخبرني احمد بن

ابن دريد عن السكري عن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي قال صعد خالد بن عبد الله القسري يوما المنبر
بالبصرة فارتج عليه فقال ايها الناس ان الكلام وقال ابو حاتم ان هذا القول يجي احيانا ويذهب
احيانا فيتسبب عند مجيئه سببه ويعز عند عزوبه طلبه وربما كوبر فابي وعولج فابطا وقال ابن
الكلبي ربما طلب فابي وعولج فقسا والتاني لمجيئه اصوب من التعاطي لابيه ثم نزل فما رئي حصر ابلغ
منه وقال ابو حاتم والترك لابيه افضل من التعاطي لمجيئه وتجاوزه عند تعذره اولى من طلبه عند
تنكره وقد يختلج من الجري جنانه ويرتج على البليغ لسانه ثم نزل واخبرنا بهذا الخبر ابو عبيد الله المرزباني
على وجه اخر قال انا ابن عرفة الواسطي قال كان خالد بن عبد الله القسري حين ولاه هشام بن عبد
الملك يكثر الخطب ليتباله فقدم واسط وصعد المنبر فحاول الخطبة فارتج عليه فقال يا ايها الناس
ان هذا الكلام يجي احيانا ويعز عند عزوبه طلبه ويتسبب عند مجيئه سببه وربما كوبر فابي وعولج
فقسا والتاني لمجيئه اسهل من التعاطي لابيه وتركه عند تعذره احمد من طلبه عند تنكره وقد يرتج
على البسيط لسانه فلا ينطلق القول اذا اتسع لا يتيسر اذا امتنع ومن لم يمكن له الخطو فخليق ان يتوله
النوع واخبرنا المرزباني قال اخبرنا ابو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة قال اخبرنا ابو العباس المنصوري
قال صعد ابو العباس السفاح المنبر فارتج عليه فقال ايها الناس ان اللسان بضعة من الانسان
يكل اذا كل وينفسح بانفساحه اذا انفسح ونحن امراء الكلام منا تفرعت فروعه وعلينا تهدلت غصونه الا
انا لا نتكلم هذرا ولا نسكت الا معتبرين ثم نزل فبلغ ذلك ابا جعفر فقال لله هو لو خطب بمثل
ما اعتذر به كان من اخطب الناس وهذا الكلام يروى لداود بن علي وبهذا الاسناد عن محمد بن الصلح
عن تمام بن جعفر بن سليمان عن ابيه قال اراد ابو العباس السفاح ان يتكلم في امر من الامور بعد
بعدما افضت الخلافة اليه فداخل فيه سبا منها فارتج عليه فقال داود بن علي يعيان حماه الله وليه
عليه ايها الناس ان امير المؤمنين الذي قلده سياسته رعيته عقل عن لسانه عندما يعهد من سائر
ولكل موقف يقتصر حتى تنفسه العادات فابشروا بنعمة الله في صلاح دينكم ورغد معيشتكم واخبرنا ابو عبيد
الله المرزباني قال اخبرنا ابراهيم بن محمد بن عرفة قال حدثني عبد الله بن اسحق بن سلام قال صعد عثمان
بن عفان المنبر فارتج عليه فقال ايها الناس سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عي نطقا وانكم الى
امام فعال احوج منكم الى امام قوال وروى محمد بن يزيد النحوي هذا الكلام بعينه عن يزيد
بن ابي سفيان وقد خطب على بعض منابر الشام وان عمرو بن العاص لما بلغه كلامه قال هن مخرجاتي
من الشام استحسانا لكلامه وروى محمد بن النحوي قال بلغني انه لما صعد المنبر ايام يزيد وكان في البنا

على حقوه فقال الحجاج ايها الناس انى لا اكون فارسا طبا بهذا القران فانى من اشعار العرب ما ارجوا
ان يكون خلفا منه وما انشد لسوى البرجمي حيث يقول

وما عاجلات الطير يدنين للفتى ... رشادا ولا عن ريثهن يخيب
فرب امور لا يضيرك ضيرها ... وللقلب من مخشاتهن وجيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ... على نائبات الدهر حين تنوب
وفي الشك تفريط وفي الحزم قوة ... ويخطي الفتى في حدسه ويصيب

فقال له رجل من بكر ان هذا المنبر لم ينصب للشعر بل لحمد الله تعالى عليه والصلاة على النبي صلى الله عليه
والقران فقال اما انى لو انشدتكم شعر رجل من كلب لسركم وكتب الى يزيد بذلك فعزله وقال كنت ارى انك
جاهل ولم احسب ان الحمق يبلغ بك هذا كله فقال له الحمد لله منى من ولانى وكان يزيد بن المهلب ولى ثابت
بن قطنة بعض قرى خراسان فلما صعد المنبر حصر فنزل وهو يقول

فان لا اكن فيكم خطيبا فانني ... بسيفي اذا جد الوغى لخطيب

فقيل له لو قلت هذا على المنبر لكنت اخطب الناس فبلغ ذلك حاجب الفيل فقال ابا العلاء
لقد لقيت

ابا العلاء لقد لاقيت معضلة ... يوم العروبة من كرب وتخنيق
اما القران فما تهدي لمحكمه ... ولم تسدد من الدنيا بتوفيق
لما رمتك عيون الناس هبتهم ... وكدت تشرق لما قمت بالريق
تلوي اللسان اذا رمت الكلام ... كما هوى زلق جانب النيق

ويروى ان بعض خلفاء بنى العباس وانه الرشيد صعد المنبر ليخطب فسقطت ذبابة على وجهه
فطردها فعادت فحصر فارتج عليه فقال اعوذ بالله السميع العليم يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا
له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا
يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب فاستحسن ذلك منه ومما يناسب هذه الحكاية ما حكاه
عمرو بن الجاحظ قال كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبد الله بن سوار لم ير الناس حاكما قط ولا زميتا
ولا ركينا ولا وقورا حلم من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك كان يصلي الغداة في منزله
وهو قريب الدار من مسجده فياتي مجلسه فيحتبي ولا يتكئ ولا يزال منتصبا لا يتحرك له عضو ولا يلتفت
ولا يحل حبوته ولا يحول رجلا عن رجل ولا يعتمد على احد شقيه حتى كانه بناء مبني او صخرة منصوبة فلا
يزال كذلك حتى يقوم الى العصر ثم يرجع الى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب

ثم ربما عاد الى مجلسه بل كثيرا ما يكون ذلك اذا بقي عليه من قراءة العهود والشروط والوثائق ثم يصلي
العشاء وينصرف لم يقم في طول الولاية مرة واحدة الى الوضوء ولا احتاج اليه ولا شرب ماء ولا غيره من
الشراب وكذلك كان شانه في طول الايام وفي قصارها وفي صيفها وشتائها وكان مع ذلك لا يحرك
يدا ولا يشير براسه وليس الا ان يتكلم ثم يوجز ويبلغ بالكلام اليسير المعاني الكثيرة فبينا هو كذلك ذات
يوم واصحابه حواليه وفي السماطين بين يديه اذ سقط على انفه ذباب فاطال السقوط والمكث ثم تحول
الى موق عينيه فرام الصبر في سقوطه على الموق وعلى عضته ونفاذ خرطومه كما رام الصبر على سقوطه على
انفه من غير ان يحرك ارنبته ويغضن وجهه او يذب باصبعه فلما طال ذلك من الذباب واوجعه واحرقه
وقصد الى مكان لا يحتمل التغافل عنه اطبق جفنه الاعلى على جفنه الاسفل فلم ينهض فدعاه ذلك الى
ان والى بين الاطباق والفتح فتنحى ريث ما سكن جفنه ثم عاد الى موقه ثانيا اشد من مرته الاولى
فغمس خرطومه في مكان قد اوهاه قبل ذلك وكان احتماله له اضعف وعجزه عن الصبر في الثانية اقوى
فحرك اجفانه وزاد في شدة الحركة وفي تتابع الفتح والاطباق فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد
الى موضعه فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده فلم يجد بدا من ان يذب عن عينيه بيده
ففعل وعيون القوم يرمقونه كانهم لا يرونه فتنحى عنه بقدر ما رد يده وسكنت حركته ثم عاد الى
موضعه فالجاه الى ان ذب عن وجهه بطرف كمه ثم الجاه الى ان تابع بين ذلك وعلم ان ذلك كله بعين من
حضره من امنائه وجلسائه فلما نظروا اليه قال اشهد ان الذباب الج من الخنفساء وازهى من الغراب
واستغفر الله فما اكثر من اعجبته نفسه فاراد الله ان يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستورا وقد علمت
اني عند الناس من ازمت الناس وقد غلبني وفضحني اضعف خلق الله ثم تلا قوله تعالى ضعف الطالب
والمطلوب [illegible] ان سال سائل عن قوله تعالى واذ نجيناكم من ال فرعون
يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فقال ما
تنكرون ان يكون في هذه الاية دلالة على ان الافعال التي تظهر من العباد اليه تعالى من وجهين احدهما
انه قال بعد ذكر ما تقدم من افعالهم ومعاصيهم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فاضافها الى نفسه
والثاني انه اضاف نجاتهم من ال فرعون اليه فقال تعالى واذ نجيناكم من ال فرعون ومعلوم انهم
الذين ساروا حتى نجوا فيجب ان يكون ذلك السير فهو على الحقيقة تصح الاضافة الى الله قلنا اما
قوله تعالى وفي ذلكم فهو اشارة الى ما تقدم ذكره من انجائه لهم من المكروه والعذاب وقد قال قوم انه
معطوف على ما تقدم من قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين

والبلاء هاهنا الاحسان والنعمة ولا شك في ان تخليصه لهم من ضروب المكروه التي عددها نعمة عليهم
واحسان اليهم والبلاء عند العرب قد يكون حسنا قال الله تعالى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ويقول
الناس في الرجل اذا احسن القتال والثبات قد ابلى فلان ولفلان بلاء والبلوى ايضا قد يستعمل في الخير
والشر الا ان اكثر ما يستعملون البلاء الممدود في الجميل والخير والبلوى المقصورة في السوء والشر وقد قيل
اصل البلاء في كلام العرب الاختبار والامتحان ثم يستعمل في الخير والشر لان الامتحان والاختبار قد يكون
في الخير والشر كما قال تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات يعني اختبرناهم وكما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة
فالخير يسمى بلاء والشر يسمى بلاء غير ان الاكثر في الشر ان يقال بلوته ابلوه بلاء وفي الخير ابليته ابليه ابلاء
وبلاء وقال زهير في البلاء الذي هو الخير جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم

فابلاهما خير البلاء الذي يبلو فجمع بين اللغتين لانه اراد فانعم الله عليهما خير النعمة التي يختبر الله بها
عباده وكيف يجوز ان يضيف تعالى ما ذكره عن آل فرعون من ذبح الابناء وغير ذلك الى نفسه وقد ذمهم
عليه وذمهم وكيف يكون من فعله وهو تعالى قد عدد تخليصهم منه نعمة عليهم وكان يجب على هذا ان يكون
انما خلصهم من فعله تعالى بفعله وهذا مستحيل لا يعقل ولا يحصل على انه يمكن ان يرد قوله تعالى ذلكم الى ما
حكاه عن آل فرعون من الافعال القبيحة ويكون المعنى ان في تخليته بينكم وبينهم وترك منعهم عن
ارتفاع منع الافعال القبيحة بلاء من ربكم عظيم يعني محنة واختبار لكم والوجه الاول اقوى وعليه جماعة
من المفسرين وقد روي عن ابي بكر الهذلي عن الحسن في قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قال نعمة عظيمة اذ
انجاكم من ذلك وقد روي مثل ذلك عن ابن عباس والسدي ومجاهد وغيرهم فاما اضافة النجاة اليه
وان كانت واقعة بسيرهم وفعلهم فلو دل على ما ظنوه لوجب اذا قلنا ان الرسول انقذنا من الشرك
واخرجنا من الضلال الى الهدى ونجانا من الكفر ان يكون فاعلا لافعالنا وكذلك قد يقول احدنا
لغيره اذ نجيتك من كذا وكذا وانقذتك وخلصتك ولا يريد انه فعل فعله والمعنى في ذلك ظاهر لانه
وقع بتقويته ودلالته وهدايته ومعونته والطافه فقد يصح اضافته اليه فعلى هذا يصح ايضا
النجاة اليه تعالى ويمكن ايضا ان يكون مضيفا لها اليه من حيث تبع اعينهم الاعداء وشغلهم عن اتباعهم وكل
وهذا يرجع الى المعونة فانه يكون بامر يرجع اليهم الى اعدائهم فان قيل كيف يصح ان يقول انجيناكم
نجيناكم فيخاطب بذلك من لم يدرك فرعون ولا نجا منه قلنا ذلك معروف مشهور في
كلام العرب وله نظائر لان العربي قد يقول مفتخرا على غيره قتلناكم يوم عكاظ وهزمناكم وانما يريد
ان قومي فعلوا ذلك بقومك قال الاخطل يهجو جرير بن عطية ولقد سما لكم الهذيل فنالكم باراب

اراب حيث تقسم الانفال في فيلق يدعو الاراقم لم تكن فرسانه عزلا ولا اكفالا ولم يلحق جرير
الهذيل ولا ادرك اليوم الذي ذكره غير انه لما كان يوما من ايام قومه قد ظفر الاخطل على قوم جرير اضاف الخطاب
اليه والى قومه وكذلك خطابه تعالى لمن كان في زمن النبي صلى الله عليه انما توجه الى ابناء من نجي من آل فرعون واخلافهم الله تع ه
والمعنى واذ نجينا اسلافكم واباءكم والنعمة على السلف نعمة على الخلف
ومن حسن الشعر في نعت الضيافة والانس بها والاستسهال عليها قول حاتم بن عبد الله الطائي

اذا ما بخيل الناس هرت كلابه ... وشق على الضيف الغريب عقورها
فاني جبان الكلب بيتي موطأ ... جواد اذا ما النفس شح ضميرها
وان كلابي قد اقرت وعودت ... قليل على من يعتريها هريرها

اراد بقوله على من يعتريها هريرها انها لا تهر جملة وكذلك نظاير كثيرة ومثله قوله تعالى فقليلا
ما يؤمنون ومثل قوله فاني جبان الكلب معنى ولفظا قول الشاعر

وما يك في من عيب فاني ... جبان الكلب مهزول الفصيل

وانما اراد انه ينحر النوق بالالبان ففصالها مهازيل ومثل اللفظ والمعنى ايضا قول ابي وجزة

وآل الزبير بنو حرة ... مروا بالسيوف الصدور الحنافا
يموتون والقتل داء لهم ... ويغشون يوم السباق السياقا
ولجبن من صادق كلبهم ... وان قذفته حصاة اضافا

يقول اذا ركزوا اسيافهم بانهم فكانهم شفوا وغرقوا بهم وازالوا ما كان فيها من الاحقاد
وازالوا ما كان فيها من الاحقاد ومعنى مروا اي استخرجوا كما تمري اذا اردت ان تحلبها اللبن والحانف
المائل ثم قال وان مات بعضهم على فراشه فان اكثرهم يموت مقتولا لشجاعتهم واقدامهم
فلذلك قال والقتل منهم داء لهم وجعل كلبهم جبانا لكثرة غشيانهم ويطرقهم من الناس الاضياف
فقد الفهم كلابهم واستانس بهم فهي لا تنبحهم وقيل ايضا انها لا تهر عليهم لانها تصيب من نحرهم و
تشاركهم فيه ومعنى وان قذفته حصاة اضاف اي اشفق وهذا تاكيد لجبنه يقال اضاف الرجل
من الامر اذا اشفق منه ومعنى جبن من صادق قد تقدم ذكره من الامالي ومثله في المعنى يغشون حتى
ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل وقال مروان بن حفصة العدوي

اعرف الحق ولا انكره ... وكلابي انس غير عقر
لا ترى كلبي الا ايسا ... ان اتى خابط ليل لم يهر

كثر الناس فما ينكرهم من اسيفٍ يبتغي الخير وحُرّ

والاسيف ههنا العبد وقال آخر

اي ماجد لم ينبح الكلب ضيفه ولا يتأداه احتمال المغارم

وقال ابن دريد معناه يتأداه يثقله واراد ان يقول يتاوده فقلب وقال ابن هرمة

واذا اتانا طارق متنوّرٌ نبحت فدلته على كلابي

وفرحن اذ ابصرنه فلقينه يضربنه بشراشر الاذناب

وانما اراد بفرحه لانها قد تعودت اذا نزلت الضيوف ان ينحر لهم فتصيب من قراهم ومثله

ومستنبح تستكشط الريح ثوبه ليسقط عنه وهو بالثوب معصم

عوى في سواد الليل بعد اعتسافه لينبح كلبٌ او ليفزع نُوَّمُ

فجاوبه مستسمع الصوت للقرى له مع اتيان المهبين مطعم

يكاد اذا ما ابصر الضيف مقبلا يكلمه من حبه وهو اعجم

اراد بقوله فجاوبه مستسمع الصوت اي جاوبه كلب والمهبون الموقفون له والاهله وهم الاضياف في فاذا كان لهم معهم مطعم لانه ينحر لهم ما يصيب منه فلهذا قوله يكلمه من حبه وهو اعجم بصبصته وحتى يكد منه واما قوله ليفزع نوم وانما اراد ليعين نوم يقال فزعت بفلان اذا اعنته ومعنى عوى في سواد الليل اراد ان العرب تزعم ان ساري الليل اذا اظلم عليه وادلهم فلم يستبين مجيء ولم يدر اين يلجأ وضع وجهه مع الارض وعوى عواء الكلاب لتسمع ذلك الصوت الكلاب ان كان الحي قريبا منه فتجيبه فيقصد الابيات وهذا معنى قوله مستنبح اي نبح نباح الكلاب وقال الفرزدق في مثله

وداعٍ بلحن الكلب يدعو ودونه من الليل سجفا ظلمة وغيومها

دعا وهو يرجو ان ينبه اذ دعا فتى كابن ليلى حين غارت نجومها

بعثت له دهماء ليست بلقحة تدر اذا ما هبّ نحسا عقيمها

معنى ابن ليلى اباه غالبا بعثت له دهماء اي قدرا يعني انها سوداء ويعني بالدهماء قدرا واللقحة الناقة ذات اللبن تدر اذا هبت الريح عقيما لا مطر فيها لا تستتر بالبيت كما تستتر الذياب التي ليست حميمة فيظهر ... ضفوا بالحيزوم المقابلة احتبست باجواز حيث زال عنها شحيمها الاجوار والاوساط اوسط الحب اصله وابي نارا

مخافة ان لا تجمل الستر دونها اذا المرتع العوجاء جال بريمها البرم للقامر وانما

وانما يقول منا لهزال والجهد والطوى والعوجاء التي قد اعوجت من الطوى وقال الاخطل في الضيف

دعاني بصوتيه واحد فاجبته مناد بلا صوت ولي خبيث

ذكر ضيفا عوى بالليل والصدى من الجبل يجيبه فذلك معنى قوله بصوتيه واحد وقوله فاجابه مناد بلا صوت يعني نارا ارفعها فرأى سناها فقصدها والاخر صوت الكلب لانه اجاب علي ومثله وساري

وساري ظلام منفعل هبوة دعوت بصوت ساطع فاهتدى ليا

يعني نارا رفعها ليقصده طراق الليل والمنفعل المتقبض من شدة البرد وانشد محمد بن يزيد

ومستنبح يهوي مساقط راسه الى كل شخص فهو للصوت اصور

حبيب الى كلب الكرام مناخه بغيض الى الكوماء والكلب اعذر

دعته بغير اسم هلم الى القرى فاسرى يبوع الارض والنار تزهر

معنى اصور اي مائل اراد انه يميل راسه الى كل شخص يتخيل له يظنه انسانا ومعنى حبيب الى الكلب المعنى الذي تقدم ومعنى بغيض الى الكوماء اي الناقة انها تنحر له وقوله دعته بغير اسم يعني نارا اي ضوءها وقصدها فكانه دعته وقال ابن هرمة وقد نزل به ضيف

فقمت لقيني رفعاها وحركا لعل سنا ناري باخر هتف

ومعنى قوله بغيض الى الكوماء قول بعض الشعراء يمدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وابيك خير ان ابل محمد عزل تناوح ان تهب شمال

واذا رأين لدى الفناء غريبة ذرفت لهن من الدموع سجال

وترى لها زمن الشتاء على الثرى رخما وما يحيى لهن فصال

اراد وابيك الخير فلما طرح الالف واللام نصب والعزل التي لا سلاح لها معها وسلاح الابل سمنها واولادها وانما جعلوا ذلك كالسلاح لها من حيث كان صاحبها اذا رأى سمنها وحسن اجسامها واولادها تبعها نفس بها على الاضياف فامتنع من نحرها فلما كان ذلك صار اللبن وما يعامله يجري مجرى السلاح لها وكانه يقول هذه الابل وان كانت ذوات السلاح من حيث كانت شحم سمينة فهي كالعزل اذ كان سلاحها لا يغني عنها شيئا ولا يمنع من نحرها ومعنى تناوح تقابل بعضها بعضا اي من صفات باستمتها واوبارها لا تبالي هبوب الشمال ولا يخل عنها في بعض من البرد فقوله واذا رأين لدى الفناء غريبة اي اذا نزل ضيف فعقل ناقة لي جاء عليها وهي الغريبة علمن انه سينحر له بعضهن لا محالة فلذلك تذرف دموعهن وقوله وترى لها زمن الشتاء على الثرى

رنّمًا فقيل فيه انه اراد انه يهب فضالهن فيبقي البانها على الرحض كيسه الرخم وحكي عن ابي العباس ثعلب انه قال الرخم قطع العلق من الدم وعندي ان المعنى غير هذين جميعا وانه انما اراد انها تنحر وتعقر فيسقط الرخم على موضع عقرها وبقايا دمها واسلابها وهذا معنى قوله لاما تقدم وقال اخر في معنى سلاح الابل ويمدح بني عوذ بن غالب من عبس

جزى الله عني غالبا خير ما جزى ۞ اذا حان ان الدهر نابت نوائبه
اذا اخذت بزل المخاض سلاحها ۞ تجرد فيها متلف المال كاسبه

اراد ان سمنها وحسنها وتمامها لا يمنعني من عقرها للاضياف ومثله

اذا البقل في اصلاب شول ابن مسهر ۞ نمى لم يرده البقل الا تكرما
اذا اخذت شول البخيل رماحها ۞ دحى برماح الشول حتى تحطما

فقوله اخذت رماحها من المعنى المتقدم وقال مسكين الدارمي

فعمت ولم تاخذ الي رماحها ۞ عشاري ولم ارجب عراقيبها عقرا

لم ارجب لم اكرم ذلك ولم يعظم علي وسمي رجب رجبا من ذلك لانه شهر يعظم وقالت ليلى الاخيلية

ولا تاخذ الكوم الجلاد سلاحها ۞ لتوبة في قر الشتاء الضنابر

ومثله

ولا اخون الصديق يوما احفظ العهد ۞ ولا تاخذ السلاح لقاحي

وقال النمر بن تولب

ازمان لم تاخذ الي سلاحها ۞ ابلي بجلتها ولا ابكارها
ابتز عنها البانها ولحومها ۞ فاهين ذاك لضيفها ولجارها

وقال مضرس بن ربعي الاسدي

وما تلعن الاضياف ان نزلوا بنا ۞ ولا يمنع الكوماء منا نصيرها

ومعنى لا تلعن اي لا تبعد واللعين البعيد والنصير ههنا يمنع من عقرها من حسن وتمام وولد

[illegible] ان سال سائل عن قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فقال انما تنكرون ان يكون ظاهر هذه الاية ان يكون جميع ما يفعله وينافي ويريده لم يخص شيئا من شيء وهذا بخلاف مذهبكم وليس لكم ان تقولوا انه خطاب للرسول خاصة وهو لا يفعل الا ما يشاء الله لانه قد يفعل المباح بلا خلاف ويفعل الصغائر عند اكثركم فلا بد ان يكون في افعاله ما لا يشاء الله عندكم الا انه تاديب لنا ثم انه تعليم له عليه السلام والله ولذلك حسن

ويحسن منا ان نقول ذلك فيما نفعله وللجواب قلنا تاويل هذه الاية مبني على وجهين احدهما ان يجعل حرف الشرط الذي هو ان متعلقا بما يليه وبما هو متعلق به في الظاهر من غير تقدير محذوف ويكون التقدير ولا تقولن انك تفعل الا ما يريد الله وهذا الجواب ذكره الفراء وما رايته الا له ومن العجب تغلغله الى مثل هذا مع انه لم يكن متظاهرا بالقول بالعدل وعلى هذا الجواب لا شبهة في الاية ولا سؤال للقوم علينا وفي هذا الوجه ترجيح على غيره من حيث اتبعنا فيه الظاهر ولم نقدر محذوفا وكل جواب طابق الظاهر ولم يبن على محذوف كان اولى والجواب الاخر ان يجعل ان متعلقة بمحذوف ويكون التقدير ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان تقول ان شاء الله لان من عادتهم اضمار القول في مثل هذا الموضع واختصار الكلام اذا طال وكان في الموجود منه دلالة على المفقود وعلى هذا الوجه يحتاج الى الجواب عما سالنا عنه فنقول هذا تاديب من الله تعالى لعباده وتعليم لهم ان يعلقوا ما يخبرون به بهذه اللفظة حتى يخرج من حد القطع ولا شبهة في ان ذلك مختص بالطاعات وان الافعال القبيحة خارجة منه لان احدا من المسلمين لا يستجيز ان يقول اني ازني غدا ان شاء الله وكلهم يمنع من ذلك فسقط السؤال بل شبهة من ظن ان الاية عامة في جميع الافعال واما ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي فانه ذكر في تاويل هذه الاية ما نحن ذاكروه بعينه قال انما عنى تعالى بذلك ان من كان لا يعلم انه يبقى الى غد حيا فلا يجوز ان يقول اني سافعل غدا كذا وكذا فيطلق الخبر بذلك وهو لا يدري لعله سيموت فلا يفعل ما خبر به لان هذا الخبر اذا لم يوجد مخبره على ما اخبر به المخبر فهو كذب واذا كان المخبر لا يامن ان يوجد مخبره لحدوث امر من فعل الله تعالى نحو الموت او العجز او بعض الامراض او لا يوجد ذلك بان يبدو له هو في ذلك فهو فلا يامن ان يكون خبره كذبا في معلوم الله تعالى فاذا لم يامن ذلك لم يجز ان يخبر به ولا يسلم خبره من هذا الكذب الا بالاستثناء الذي ذكره الله تعالى فاذا قال اني صائر غدا الى المسجد ان شاء الله فاستثنى في مصيره مشيئة الله امن ان يكون خبره هذا كذبا لان الله تعالى ان شاء ان يلجئه الى المصير الى المسجد غدا الجاه الى ذلك وكان المصير منه لا محالة فاذا كان ذلك على ما وصفنا لم يكن خبره هذا كذبا وان لم يوجد منه المصير الى المسجد لانه لم يوجد ما استثناه في ذلك من مشيئة الله تعالى قال وينبغي ان لا يستثني بمشيئته دون مشيئته لانه ان استثنى في ذلك مشيئة الله تعالى بمصيره الى المسجد على وجه التعبد فلو فعل لا يامن ان يكون خبره كذبا لان الانسان قد يترك كثيرا مما يشاء الله تعالى منه ويتعبده به ولو كان استثنى مشيئة الله تعالى لان يبقيه ولان يقدره ويرفع عنه الموانع كان ايضا لا يامن ان يكون خبره كذبا لانه قد يجوز ان لا يصير الى المسجد مع تبقية الله تعالى له قادرا مخلى فلا يامن الكذب في هذا الخبر دون ان يستثني المشيئة

العادة التي ذكرناها فاذا دخلت هذه المشية في الاستثناء فقد أمن ان يكون خبره كذبا اذا كانت هذه
المشية متى وجدت وجب ان يدخل المسجد لا محالة قال ومثل هذا الاستثناء يزول الحنث عمن حلف فقال
والله لادخلن غدا الى المسجد ان شاء الله لانه اذا استثنى على سبيل ما بينا لم يجز ان يحنث في يمينه
ولو نوى استثناء مشية الله تع بعينها ثم كانت ولم يدخل المسجد لحنث في يمينه وقال قوم
ان المشية المستثناة ههنا هي مشية المنع والحيلولة فكانه قال ان شاء الله يخليني ولا يمنعني ومن
الناس من قال المقصد بذلك ان يوقف الكلام عن جهة القطع وان لم يلزم به الحنث الا ان الحنث يلزم لولا
الاستثنا ولا ينوي في ذلك الحنث ولا غيره وهذا الوجه يحكى عن الحسن البصري واعلم ان الاستثنا
الداخل على الكلام وجوه مختلفة فقد يدخل في الايمان والطلاق والعتاق وسائر العقود وما يجري
مجراها من الاخبار فاذا دخل ذلك اقتضى التوقف عن امضاء الكلام والمنع من لزوم ما يلزم به وازالته
عن الوجه الذي وضع له ولذلك يصير ما تكلم به كانه لا حكم له ولذلك يصير ما تكلم يصح على هذا الوجه ان يستثني
في الماضي فيقول قد دخلت الدار ان شا الله ليخرج بهذا الاستثنا من ان يكون كلامه خبرا قاطعا او يلزم
به حكم وانما لم يصح دخوله في المعاصي على هذا الوجه لان فيه اظهارا للانقطاع الى الله تع والمعاصي لا يصح
ذلك فيها وهذا الوجه احد ما يحتمله تاويل الآية فقد يدخل الاستثنا في الكلام ويراد به اللطف والتسهيل
وهذا الوجه يختص بالطاعات ولهذا يجري قول القائل لاقضين غدا ما علي من الدين ولاصلين غدا ان
شا الله مجرى ان يقول اني افعل ذلك ان لطف الله تع فيه وسهله فعلم ان المقصد واحد ومتى قصد
الحالف فيه هذا الوجه لم يجب اذا لم يقع منه الفعل ان يكون حانثا او كاذبا لانه بان لم يقع علمنا
انه لم يلطف فيه لانه لا لطف له وليس لاحد ان يعترض هذا بان يقول الطاعات لا بد فيها من لطف وذلك
لان فيها ما لا لطف فيه جملة فارتفاع ما هذه سبيله قد يكشف عن انه لا لطف فيه وهذا الوجه لا يصح ان
يقال في الآية لانه يختص الطاعات والآية تتناول كل ما لم يكن قبيحا بدلالة اجماع المسلمين على حسن استثنا
ما تضمنته الآية في كل فعل لم يكن قبيحا وقد يدخل الاستثنا في الكلام ويراد به التسهيل والاقدار
والتخلية والبقاء على ما هو عليه من الاحوال وهذا هو المراد منه اذا دخل في المباحات وهذا الوجه يمكن
في الآية الا انه يعترض على ما ذكره ابو علي فيما حكيناه من كلامه وقد يذكر استثنا المشية ايضا في الكلام
وان لم يرد به شي مما تقدم بل يكون الغرض اظهار الانقطاع الى الله تع من غير ان يقصد به الى شي
من الوجوه المتقدمة ويكون هذا الاستثنا غير معتد به في كونه كاذبا او صادقا لانه في الحكم كانه قال ١
لافعلن كذا ان وصلت الى مرادي مع انقطاعي الى الله تع واظهاري الحاجة اليه وهذا الوجه ايضا مما يمكن

يمكن في تاويل الآية ومن جملة ما ذكرناه من الكلام عرف به الجواب عن المسلة التي اوردها بعض
المخالفين من قولهم لو كان الله تع انما يريد العبادات من الافعال دون المعاصي لوجب اذا قال من
لغريمه عليه دين طالبه به والله لاعطينك حقك غدا ان شا الله ان يكون كاذبا او حانثا اذا لم يفعل لان
الله تع قد شا منه ذلك عندكم وان كان لم يقع وكان يجب ان تلزمه الكفارة وان لا يؤثر هذا
الاستثنا في يمينه ولا يخرجه من كونه حانثا كما انه لو قال والله لاعطينك غدا ان قدم زيد فقدم
ولم يعطه لم يكن حانثا وفي الزامه هذا الحنث خروج عن اجماع المسلمين فصار ما اوردناه جامعا
لبيان تاويل الآية والجواب عن هذه المسلة ونظائرها من المسائل والحمد لله رب العالمين
[illegible] رضي الله عنه تاملت ما اشتملت عليه تشبيهات الشعرا فوجدت اكثرها تشبيه
الشي بالشي الواحد والشيين بالشيين وقد يتجاوز ذلك الى تشبيه ثلاثة بثلاثة واربعة باربعة
وهو قليل ولم اجد من تجاوز هذا المقدار الا قطعة مروية لابن المعتز فانها تضمنت تشبيه ستة اشيا
بستة اشيا فاما تشبيه الواحد بالواحد فمثل قول عنترة في وصف الذباب

هزجا يحك ذراعه بذراعه ٭ قدح المكب على الزناد الاجذم

ومثل قول عدي بن الرقاع

تزجي اغن كان ابرة روقه ٭ قلم اصاب من الدواة مدادها

ومثل قول امرء القيس

كان الوحش حول خبائنا ٭ وارحلنا الجزع الذي لم يثقب

وقوله ٭ اذا ما الثريا في السما تعرضت ٭ تعرض اثنا الوشاح المفصل

وقول ذي الرمة ٭ وردت اعتسافا والثريا كانها ٭ على قمة الراس ابن ما محلق

وهذا الباب اكثر من ان يحصى فاما تشبيه شيين بشيين فمثل قول امرء القيس

كان قلوب الطير رطبا ويابسا ٭ لدى وكرها العناب والحشف البالي

وقوله ٭ وكشح لطيف كالجديل مخصر ٭ وساق كانبوب السقي المذلل

وكقول بشار ٭ كان مثار النقع فوق رؤسهم ٭ واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقول الاخر ٭ كان سمو النقع والبيض حوله ٭ سماوة ليل اسفرت عن كواكب

وقول ابي نواس ٭ كان صغرى وكبرى من فواقعها ٭ حصبا در على ارض من الذهب

ولاحزان الشمول بي التي جمعت لها الوجد سلوة ٭ شبهتها حبابا باتساق يحمل طلا

وللآخر ابصرتها والكاس بين فم منه وبين انامل خمس
فكانها وكان شاربها قمر يقبل عارض الشمس
وللآخر حتى اذا جليت في الكاس خلت بها عقيقة خلعت في قشر بلور
تعلا اذا مزجت في كاسها حببا كانه عرق في خد مجدور
وقال البحتري شقايق يحملن الندى فكانه دموع التصابي في خدود الخرايد
وقال الآخر وكان الربيع يجلو عروسا وكانا من قطره في نثار
ولابي العباس الناشي
كان الدموع على خدها بقية طل على جلنار
وقال ابن الرومي وقد احسن
لو كنت يوم الفراق حاضرنا وهن يطفين غلة الوجد
لم تر الا الدموع سافحة تسفح من مقلة على خد
كان تلك الدموع قطر ندى تقطر من نرجس على ورد
وقال جران العود
ابيت كان الليل افنان سدرة سقيط عليها من ندى الطل ينطف
ولابن المعتز سقتني في ليل شبيه بشعرها شبيهة خديها بغير رقيب
فامسيت في ليلين بالشعر والدجى وشمسين من خمر ووجه حبيب
وقال المتنبي
نشرت ثلاث ذوايب من شعرها في ليلة فارت ليالي اربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها فارتني القمرين في وقت معا
فاما التشبيه ثلاثة بثلاثة فمثل قول ماني الموسوس
نشرت علي شعرها لتظلني خوف العيون من الوشاة الرمق
فكانه وكانها وكانني صبحان باتا تحت ليل مطبق
ولبعضهم روضة دخلا النرجس عنها بجفان الحوان تنتيرا
ذا يحاكي خدودا وذا يحكي عيونا وذا يحاكي ثغورا
وللآخر في النرجس مداهن تبر بين اوراق فضة لها عمد مخروطة من زبرجد

وللبحتري

وللبحتري يصف ضمر المطايا ونحوها كالقسي المعطفات بل الاسهم مبرية بل الاوتار
ولبعض الطالبيين وانا ابن معتلج البطاح اذا غدا غيري وراح على متون ظواهر
يفترعني ركنها وحطيمها كالجفن يفتح عن سواد الناظر
كجبالها شرفي ومثل سهولها خلقي ومثل ظبايهن مجاوري
فاما التشبيه اربعة باربعة فمثل قول امرء القيس
له ايطلا ظبي وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تتفل
وللآخر كف تناول راحها بزجاجة خضراء تقذف بالحباب وتزبد
فالكف عاج والحباب لآلي والراح تبر والاناء زبرجد
ولبعضهم وقد اهدى اليه نرجس واقحوان وشقايق وآس وكتب الى المهدي
لله ما اظرف اخلاقك يا ابن الكرم اهديت لنا شبها حسنا وظرفا وشيم
وما راينا مهديا قبلك في كل الامم اهدى العيون والثغور واللمم
وللآخر اوفى حبيبا له بدايع اوصاف تعالت عن كل ما اصف
كالبدر يعلو والشمس تشرق والغزال يعطو والغصن ينعطف
وللمتنبي بدت قمرا وماست خوط بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا
ومثله لآخر سفرن بدورا وانتقبن اهلة وامّا التشبيه خمسة بخمسة فقول الواوا
واسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد
واما التشبيه ستة بستة فلم اجده الا لابن المعتز بدر وليل وغصن وجه وشعر وقد
خمر ودر وورد ريق وثغر وخد [illegible] ان سال سايل عن قوله تع ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا فقال كيف يجوز ان يامرنا على سبيل العبادة لنا بالدعاء بذلك وعندكم ان النسيان من فعله تع ولا تكليف على الناسي في حال نسيانه وهذا يقتضي احد امرين اما ان يكون النسيان من فعل العباد على ما يقوله كثير من الناس او يكون متعبدين بمسالة تع ما نعلم انه واقع حاصل لانه لا يواخذ الناسي ما هو منه تعالى والقول في الخطا اذا اريد به ما وقع سهوا وعن غير عمد يجري هذا المجرى الجواب قلنا قد قيل في هذه الآية ان المراد بنسينا تركنا قال ابو علي قطرب بن المستنير معنى النسيان ها هنا الترك كما قال تع ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي اي ترك ولولا ذلك لم يكن فعله تع معصية وكقوله تع نسوا الله فنسيهم اي تركوا

طاعتهم فتركهم من ثوابه ورحمته وقد يقول الرجل لصاحبه لا تنسني من عطيتك اي لا تتركني منها وانشد ابن عرفة ولم اك عند الجود للجود قاليا ولا كنت يوم الروع للطعن ناسيا اي تاركا ومما يمكن ان يكون شاهدا على ذلك قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم اي وتتركون انفسكم ويمكن في الآية وجه آخر وهو ان يحمل النسيان على السهو وفقد العلم ويكون وجه الدعاء بذلك ما قدمناه فيما تقدم من الامالي على سبيل الانقطاع الى الله تعالى واظهار الفقر الى مسئلته والاستعانة به وان كان مامونا منه المواخذة بمثله ويجري مجرى قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ويجري مجرى قوله تعالى رب احكم بالحق وقوله ولا تخزني يوم يبعثون وقوله تعالى حاكيا عن الملائكة فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم هذا الوجه يمكن ايضا في قوله تعالى او اخطانا اذا كان الخطا ما وقع سهوا من غير عمد فاما على ما يطابق الوجه الاول فقد يجوز ان يريد بالخطا ما يفعل من المعاصي بالتاويل السيء وعن الجهل بانها معاصي لان من قصد شيئا على اعتقاد انه بصفة فوقع ما هو بخلاف معتقده يقال قد اخطا فكانه امرهم بان يستغفروا مما تركوه متعمدين من غير سهو ولا تاويل ومما اقدموا عليه مخطئين متاولين ويمكن ايضا ان يريد باخطانا هاهنا اذنبنا اي فعلنا قبيحا وان كانوا لم يعتمدوه وعلى هذا الوجه لان جميع معاصينا لله تعالى قد توصف بانها خطا من حيث فارقت الصواب وان كان فاعلها متعمدا فكانه امرهم بان يستغفروا مما تركوه من الواجبات ومما فعلوه من القبيحات ليشتمل الكلام على جميع الذنوب والله تعالى اعلم بمراده اخبرنا المرزباني قال اخبرنا محمد بن العباس قال قال رجل يوما لابي العباس محمد بن يزيد النحوي ما اعرف قصيدة احسن من قصيدة ابي الشيص فقال قصيدة حسنة لا تعرفها ثم انشد لبشار

غمض الجديد بصاحبيك فغمضا ... وبقيت تطلب في الحبالة منهضا
وكان قلبي عند كل مصيبة ... عظم تكرر صدعه فتهيضا
واخ سلوت له فاذكر اخي ... فمني وتذكرك الحوادث ما مضى
فاشرب على تلف الاحبة اننا ... جزر المنية ظاعنين وخفضا
ولقد جريت مع الصبا طلق الصبا ... ثم ارعويت فلم اجد لي مركضا
وعلمت ما علم امرئ في غرة ... واطعت عذالي واعطيت الرضا
وصحوت من سكر وكنت موكلا ... ارعى الحمامة والغراب الابيضا

الحمامة

الحمامة المراة والغراب الابيض الشعر الشايب فيقول كنت كثيرا اتعهد نفسي في النظر في المراة وترجيل الشعر وقوله الغراب الابيض لان الشعر كان غرابيا اسود من حيث كان شابا ثم ابيض بالشيب

ما كل بارقة تجود بمائها ... وكذاك لو صدق الربيع لروضا

هكذا انشد المبرد ويحيى بن علي وانشد ابن الاعرابي

ما كل بارقة تجود بمائها ... ولربما صدق الربيع لروضا
قد ذقت الفته وذقت فراقه ... فوجدت ذا عسلا وذا جمر الغضا
يا ليت شعري فيما كان صدوده ... اساءت ام رعد السحاب واومضا

وغيرها ذكرنا يروى ام اجم الخلال فاحمضا

ويلي عليه وويلتا من بينه ... كان الذي قد كان حلما فانقضى
سحر كتب الشفاء لذي الهوى ... ما كان الا كالخضاب فقد نضا

قال المبرد في طويله وذكر يوسف بن يحيى بن علي عن ابيه ان ابا نواس اخذ قوله جريت مع الصبى طلق الجموح من قول بشار ولقد جريت مع الصبا طلق الصبا ولابي تمام والبحتري على هذا الوزن والقافية وحركة القافية قصيدتان ان لم يزيدا على قصيدة بشار التي استحسنها المبرد لم تقصرا عنها واول قصيدة ابي تمام

اهلوك اضحوا راحلين مقوضا ... ومزمما يصف النوى ومعرضا
ان يخل عيشك من هم امنوا اللوى ... فيما مضى وهم على ذات الاضا
بدلت من برق الثغور وبردها ... برقا اذا ظعن الاحبة اومضا

يقول فيها

ما انصف الشرع الذي بعث الهوى ... فقضى عليك بلوعة ثم انقضى
عذني من الايام ما لو انه ... اضحى بشارب مرقد ما غمضا
لا تطلبن الرزق بعد شماسه ... فترومه سبعا اذا ما غيضا
ما عوض الصبر امرؤ الا راى ... ما فاته دون الذي قد عوضا
يا احمد بن ابي دواد دعوة ... ذلت بذكرك لي وكانت ريضا
لما انتضيتك للخطوب كفيتها ... والسيف لا يرضيك حتى ينتضى

يقول فيها

قد كان صوح نبت كل قرارة ... حتى تروح في نداك فروضا
اوردتني العد الخسيف وقد ارى ... انتزف الثمد البكي تبرضا

واما قصيدة البحتري فاولها

ترك السواد للابسيه وبيضا   ونضا من الستين عنه ما نضا
وشاه اغيد في تصرف لحظه   مرض اعل به القلوب وامرضا
وكانه وجد الصبا وجديده   دينا دنى ميقاته ان يقبضا
اسيان اثرى من جوى وصبابة   واساف من وصل الحسان وانفضا
كلف يكفكف عبرة مهراقة   اسفا على عهد الشباب وما انقضا
عدد تكامل للشباب تمامه   واذا مضى الشيء حان فقد مضا
قعقعت للبخلاء اذعر جاشهم   وتريد من قاصل ان ينتضا
وكفاك من جيش العرمرم تهددا   ان مد فضل لسانه او نضنضا

وفيها

لا تنكرن من جار بيتك ان طوى   اطناب بيته جانب بيتا وقوضا
فالارض واسعة لنقله راغب   عمن تنقل وده وتنقضا
لا تقبل اغضائي ما كنت قد   اغضيت مشتملا على جمر الغضا
لست الذي ان عارضته ملمة   اصغى الى حكم الزمان وفوضا
لا يستفزني اللطيف ولا ارى   تبعا لبارق خلب ان او مضا
انا من احب تحريا وكانني   فيما اعاين منك ممن ابغضا
اعنبت شيبك كي يجم وانما   عمد الحسام المشرفي لينتضا
وسكت الا ان اعرض قايلا   نزرا وصرح جهده من عرضا

المرزباني قال حدثني يوسف بن يحيى عن ابيه قال من مختار شعر بشار قوله في وصف الزمان

عتبت على الزمان واي حي   من الاحياء اعتبه الزمان
وامنت من الحدثان تزري   على وليس من حدث امان
وليس بزايل يرمي ويرمى   معاينة او مستعان
متى يابى الكرامة من كريم   فما لك عنده الا الهوان
يا خليلي اصبحا [illegible]   البس كل البرق [illegible]
لا تلوما كاس [illegible]   يترك العين [illegible]
ذهب المرهف الاذكر [illegible]   [illegible]

وبقينا

وبقينا في زمان معضل   نشرب الصفو ونبقي الكدرا
وقال وله   قد ادرك الحاجة ممنوعة   وتولع النفس بما لا تنال
والهم ما اسكنته في الحشا   داء وبعض الداء لا يستقال
فاحمل الهم على عاتق   ان لم يساعفك لعلندي الجلال
قال يحيى قوله عاتق يعني الخمر وهذا مثل قوله
لما رايت الحظ حظ الجاهل   ولم ار المغبون غير العاقل
رحلت عنسا من شراب بابل   فبت من عقلي على مراحل

[illegible] هذا الذي ذكره يحمل البيت على شكله ويحتمل ايضا ان يريد بالعاتق العضو ويكون المعنى ان لم تجد من يحمل غمك عنك ويقوم بانقالك ويخفف عنك فتحمل انت ذلك بنفسك واصبر عليه كانه يامر نفسه بالجلادة والصبر عند الباس وهذا البيت له نظاير في الشعر اخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن هرون قال حدثني ابي قال من بارع شعر بشار قوله يصف جارية قال علي وما في الدنيا شيء لقديم ولا محدث من منثور ولا منظوم في صفة الغنا واستحسانه مثل هذه الابيات

وراية للعين فيها مخيلة   اذا برقت لم تسق بطن صعيد
حسدت عليها كل شيء يحبها   وما كنت لولا حبها بحسود
واصفر مثل الزعفران شربته   على صوت صفراء الترائب رود
كان امرءا جالسا في ثيابها   يؤمل رؤياه عيون وفود
من البيض لم تسرح على اهل ثلة   سواما ولم ترفع حداج قعود
تميت به البابنا وقلوبنا   مرارا وتحييهن بعد همود
اذا نطقت صحنا وصاح لنا الصدى   صياح جنود وجهت لجنود
ظللنا بذاك الديدن اليوم كله   كانا من الفردوس تحت خلود
ولا باس الا اننا عند اهلها   شهود وما في البابنا بشهود

[illegible]

لعمرك زوارها الصيدا نهم   الى منظر منها وحسن سماع
تصلي لها اذانها وعيوننا   اذا ما التقينا والقلوب دواع

وصفراء مثل الخيزرانة لم تعش … ببؤس ولم تركب مطية راع
جرى اللؤلؤ المكنون فوق لسانها … لزوارها من مزهر ذي نزاع
اذا قلدت اطرافها العود زلزلت … قلوبا دعاها للوساوس داع
كانهم في جنة قد تلاحقت … محاسنها في روضة وبقاع
يروحون من تغريدها وحديثها … نشاوى وما تسقيهم بصواع
لعوب بالباب الرجال وان دنت … اطيع التقى والغي غير مطاع

قال علي بن حمزة البصري الصواع المكيال يقول اذا غنت شربوا جزافا بلا كيل ولا عدد من حسن ما يسمعون [illegible] رضي الله عنه هذا خطأ منه وانما اراد ان غناها لطربها وشدة اطرابها ينتشيان نشوة سورة وان لم يكن هناك شرب بصواع وهذا يجري مجرى قول الشاعر

ويوم ظللنا عند ام محلم … نشاوى ولم نشرب طلاء ولا خمرا

وما عندي ان احدا يتوهم في هذا البيت ما ظنه هذا الرجل فاما قوله في القطعة الاخرى

وصفر مثل الزعفران شربتها … على صوت صفراء الترائب رود

فيحتمل وجوها ثلاثة احدها ان يكون اراد بصفرة ترائبها الكناية عن كثرة تطيبها وتضمخها وان ترائبها تصفر لذلك كما قال الاعشى بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالعرارة والعرار بهار البر وانما اراد تضمخها عشيا بالعبير المطيب فيصفرها ومثله لذي الرمة

بيضاء في دعج كحلاء في برج … كانها فضة قد مسها ذهب

ومثله بيت قيس بن الخطيم

فرايت مثل الشمس عند طلوعها … في الحسن او كدنوها لغروب

وجهان احدهما انه اراد انها تطيب فتصفر لان الشمس تغيب صفراء والوجه الآخر انه اراد المبالغة في الحسن لان الشمس احسن ما تكون في وقتيها هذين وفي ذلك يقول قيس

صفراء اعجلها الشباب لداتها … ومثله قول الاعشى

اذا جردت يوما حسبت خميصة … عليها وجريال النضير الدلامصا

الخميصة ثوب ناعم اسود يشبه به شعرها والنضير الذهب والجريال كل صبغ احمر فانما يعني لون الطيب عليها والدلامص البراق فهذا وجه والوجه الثاني ان يكون اراد بوصفها بالصفرة رقة لونها فعندهم ان المرأة اذا كانت صافية اللون رقيقة تضرب لونها بالعشي الى الصفرة كما قال المهدي بن علي بن بهرير الاصبهاني

قال

قال لي ابي قال لي الجاحظ زعموا ان المرأة اذا كانت صافية اللون رقيقة يضرب لونها بالغداة الى البياض وبالعشي الى الصفرة واحتج في ذلك بقول الراجز قد علمت بيضاء صفراء الاصل وزعم ان بيت ذي الرمة الذي انشدناه من المعنى وكذلك بيت الاعشى الذي انشدناه والابيات محتملة للوجوه فاما الذي لا يحتمل وجها واحدا فهو قول الشاعر

وقد خنقتها عبرة فدموعها … على خدها حمر وفي نحرها صفر

لانها لا تكون صفراء في نحرها الا لاجل الطيب فاما قوله على خدها حمر فانما اراد انها تنصبغ بلون خدها والوجه الثالث ان يكون المرأة كانت صفراء على الحقيقة فان نساء كثيرا يشبب بامرأة صفراء كقوله

اصفراء لا انسى هواك ولا ودي … ولا ما مضى بيني وبينك من عهد
لقد كان ما بيني زمانا وبينها … كما كان بين المسك والعنبر الورد

وكقوله

اصفراء كان الود منك مباحا … ليالي كان الهجر منك مزاحا
وكن جواري الحي اذ كنت فيهم … قباحا فلما غبت صرن ملاحا

وقد روي ملاحا فلما غبت صرن قباحا وقوله قباحا فلما غبت صرن ملاحا يشبه قول السيد بن محمد الحميري واذا حضرن مع الملاح بمجلس ابصرتهن وما قبحن قباحا فاما قوله من البيض لم تسرح سواما فانه لا يكون مناقضا لقوله صفراء واراد بالصفرة لونها لان البيض ههنا ليس عبارة عن اللون وانما هو عبارة عن نقاء العرض وسلامته من الادناس والعرب لا تكاد تستعمل البياض الا في هذا المعنى دون اللون لان البياض عندهم البرص ويقولون في الابيض الاحمر ومنه قول الشاعر جاءت به بيضا تجل من عند شمس [illegible] ومثله [illegible] فاما قوله لبشار في القطعة الثانية وصفراء مثل الخيزرانة فانه يحتمل ما تقدم من الوجوه وان كان باللون الحقيقي اشبه لقوله كالخيزرانة لان الخيزران يضرب الى الصفرة ويحتمل ايضا ان يريد بصفراء غير اللون الثابت ويكون قوله كالخيزرانة مثلها في التثني والتعطف ولهذا احسن جران العود في قوله في المعنى الذي تقدم

كان سبيكة صفراء صبت … عليها ثم ليثت بالازار
بروق العارضين كان فاها … بعيد النوم مسك مستثار

ان سال سائل عن قوله تعالى الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون فقال كيف اضاف الاستهزاء اليه وهو مما لا يجوز في الحقيقة عليه وكيف خبر انه يمدهم في الطغيان والعمه وذلك بخلاف مذهبكم الجواب قلنا في قوله تعالى الله يستهزئ بهم وجوه اولها

ان يكون الاستهزاء الذي اضافه تعالى الى نفسه تجهيلهم وتخطيتهم اياهم في اقامتهم على
الكفر واصرارهم على الضلالة وسمى الله تعالى ذلك استهزاء مجازاً وتشبيهاً كما يقول القايل ان
فلاناً ليستهزا به منذ اليوم اذا فعل فعلاً عابه الناس به وخطوه به فاقيم عيب الناس على ذلك
وازراهم على فاعله مقام الاستهزاء به وانما اقيم مقامه لتقارب ما بينهما في المعنى لان الاستهزاء
الحقيقي هو ما يقصد به الى عيب المستهزا بهم والازراء عليه واذا تضمنت التخطية والتجهيل والتبكيت
هذا المعنى جاز ان يجري عليه اسم الاستهزاء ويشهد بذلك قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا
ايات الله يكفر بها ويستهزا بها ونحن نعلم ان الايات لا يصح عليها الاستهزاء على الحقيقة ولا السخرية
وانما اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزا بها ويزرا عليها والعرب قد يقيم الشي مقام ما قاربه
في معناه ليجري عليه اسمه قال الشاعر . كم اناس في نعيم عمروا في ذرى ملك تعالى وبسق
سكت الدهر زماناً عنهم ثم ابكاهم دماً حين نطق والسكوت والنطق على الحقيقة لا يجوزان على
الدهر وانما شبه تركه الحال على ما هي عليه بالسكوت وشبه تغييرها بالنطق وانشد الفراء
ان دهراً يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان ومثل ذلك في الاستعارة لتقارب المعنى قول
سالتني بانا س هلكوا شرب الدهر عليهم واكل . وانما اراد بالاكل والشرب
الافساد لهم والتغيير لاحوالهم ومنه قول الاخر يقر بعيني ان اري باب دارها
وان كان باب الدار يحسبني جلداً والجواب الثاني ان يكون معنى الاستهزاء المضاف اليه عز وجل
ان يستدرجهم ويهلكهم من حيث لا يعلمون ولا يشعرون ويروى عن ابن عباس رضي الله عنه
قال في معنى استدراجه اياهم انهم كلما احدثوا خطيئة جدد لهم نعمة وانما سمي هذا الفعل استهزاء
من حيث غيب عنهم من الاستدراج الى الهلاك غير ما اظهر لهم من النعم كما ان المستهزئ منا المخادع
لغيره يظهر امراً ويبطن غيره فان قيل هذا الجواب فالمسئلة قايمة واي وجه لان يستدرجهم بالنعم
الى الهلاك قلنا ليس الهلاك ههنا هو الكفر وما اشبهه من المعاصي التي يستحق بها العقاب وانما يستدرجهم
الى الضرر بالعقاب الذي يستحقونه بما تقدم من كفرهم والله تعالى له ان يعاقب المستحق بما
اي وقت شاء فلما تمموا الكفر وبلغوا غايته وقاربوا رسلهم لم يعجل عليهم في الدنيا انتقاما لتكون
في تعجيله عنهم وابدالهم بها نعما الاخرة منهم اعظم والغضب عليهم اكثر فان قيل فهذا يؤدي
ان يجوز ان [illegible] الله تعالى به الشكر عليهم قلنا ليس
[illegible] فيستحقوا العقاب وانما المنكر ان يكون النعم المبتداة بعد الدفع على [illegible]

هذا الفناء لا ريان الحياة وما جرى مجراها من حفظ التراكيب والصحة لا يعد على اهل النار نعمة وان
كان على اهل الدنيا نعمة من حيث كان الغرض فيها ايصال العقاب اليهم والجواب الثالث ان يكون المعنى
استهزايه عز وجل بهم انه جعل لهم بما اظهروه من موافقة اهل الايمان ظاهر احكامهم من نصرة ومناكحة
وموارثة ومراقبة وغير ذلك من الاحكام وان كان تعالى معداً لهم في الاخرة اليم العقاب لما ابطنوه من
النفاق واستسروا به من الكفر فكانه تعالى قال ان كنتم ايها المنافقون بما تظهرونه للمومنين من المتابعة
والموافقة وتبطنونه من النفاق وتطلعون عليه شياطينكم اذا خلوتم بهم تظنون انكم مستهزون بهم فانه
تعالى هو المستهزئ بكم من حيث جعل لكم احكام المومنين ظاهراً حتى ظننتم ان ما لكم ما لهم ثم ميز بينكم في الاخرة
ودار الجزاء كان اثاب المخلصين الذين يوافق ظواهرهم وعاقب المنافقين وهذا الجواب يقرب معناه
من الجواب الثاني وان كان بينهما اختلاف من بعض الوجوه والجواب الرابع ان يكون معنى ذلك ان
الله تعالى هو الذي يرد استهزاءكم ومكركم عليكم وان ضرر ما فعلتموه لم يتعدكم ولم يحط بسواكم ونظير
ذلك قول القايل ان فلاناً اراد ان يخدعني فخدعته وقصد الى ان يمكر بي فمكرت به والمعنى ان
خداعه ومكره عاد اليه ولم يضرني به والجواب الخامس ان يكون المعنى انه يجازيهم على استهزايهم بهم
فسمى الجزاء على الذنب باسم الذنب والعرب يسمي الجزاء على الفعل باسمه قال الله تعالى وجزاء
سيئة سيئة مثلها وقال عز وجل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال تعالى
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به والمبتدا ليس بعقوبة قال الشاعر

الا لا يجهلن احد علينا ، فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ومن شان العرب ان تسمي الشي باسم ما يقاربه ويصاحبه ويشتد اختصاصه وتعلقه اذا
انكشف المعنى وامن الابهام وربما غلبوا اسم احد الشيين على الاخر لقوة التعلق بينهما وشدة الا
فيهما فمثال الاول قولهم للبعير الذي يحمل المزادة راوية والمزادة التي تحمل على البعير راوية فسموا
البعير باسم ما يحمل عليه قال الشاعر مشي الروايا بالمزاد الاثقل اراد بالروايا الابل ومن ذلك
انهم يقولون صرعته الكاس واسلبت عقله وقال الشاعر وما زالت الكاس تغتالنا
وتذهب بالاول الاول والكاس هي ظرف الشراب والفعل الذي اضافوه اليها انما هو منسوب
الى الشراب الذي في الكاس لان العرب يقول الكاس للاناء بما فيه من الشراب وكان الاناء الفارغ
لا يسمى كاساً وعلى هذا الوجه يكون اضافة اختلاس العقل والتصريع وما جرى مجرى ذلك الى
الكاس على وجه الحقيقة لان الكاس على هذا القول اسم للاناء وما حله من الشراب ومثال الوجه الثاني

الذي ذكرناه عن غيرهم من التغليب تغليبهم اسم القمر على الشمس قال الشاعر

اخذنا بآفاق السماء عليكم   لنا قمراها والنجوم الطوالع

اراد لنا شمسها وقمرها فغلب ومنه قول الآخر

تقول لاهل المكيين تحاشدوا   وسيروا الى آطام يثرب والنخل

اراد بالمكيين مكة والمدينة فغلب وقال الآخر فبصرة الازد منا والعراق لنا والموصلان ومنا مصر والحرم
اراد بالموصلين الموصل والجزيرة وقال الآخر نحن سبينا امكم مقربا يوم صبحنا الحيرتين المنون
اراد بالحيرة والكوفة وقال الآخر اذا اجتمع العمران عمرو بن عامر وبدر بن عمرو خلت ذبيان تبعا
والقوا مقاليد الامور اليهم جميعا فاما كارهين وطوعا اراد بالعمرين رجلين يقال لاحدهما
عمرو وللآخر بدر وقد فسر الشاعر في البيت ومثله جزاني الزهدمان جزاء سوء وكنت المرء يجزى بالكرامة
اراد بالزهدمين رجلين يقال لاحدهما زهدم وللآخر كردم فغلب وكل الذي ذكرناه يقوي هذا
الجواب من جهة تسمية الجزاء على الذنب باسمه وتغليبه عليه للمقاربة والاختصاص التام بين الذنب والجزاء
عليه والجواب السادس وهو ما روي عن ابن عباس قال يفتح لهم وهم في النار باب من الجنة فيقبلون
اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم وفتح لهم باب آخر في موضع آخر فيقبلون من النار اليه
مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم فيضحك المؤمنون منهم اذا راوا الابواب وقد اغلقت دونهم
فذلك قال الله عز وجل فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون فان قيل فاي فائدة في
هذا الفعل وما وجه الحكمة فيه قلنا وجه الحكمة فيه ظاهر لان الذي يستحقونه بافعالهم القبيحة لان
طمعهم في النجاة والخلاص من المكروه واشتد حرصهم على ذلك ثم حيل بينه وبين الفرج وردوا الى
المكروه يكون عذابا اصعب واغلظ من عذاب من لا طريق للطمع عليه فان قيل فعلى هذا الجواب ما الفعل
الذي هو الاستهزاء قلنا في ترداده لهم من باب الى باب على سبيل التعذيب معنى الاستهزاء من حيث
اظهار المراد خلافه وان لم يكن فيه معنى الاستهزاء مما يقتضي قبحه من اللهو واللعب وما جرى مجراه
والجواب السابع ما وقع منه تعالى ليس باستهزاء على الحقيقة لكنه سماه بذلك ليزدوج اللفظ ويخف على
اللسان والعرب تفعل ذلك عادة معروفة في كلامها والشواهد عليه مذكورة مشهورة وهذه الوجوه
التي ذكرناها في الآية يمكن ان تكون مستعملة في قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وفي قوله
ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم فليتامل ذلك فاما قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون
فيحتمل وجهين احدهما ان يريد انه يملي لهم ويطيل اعمارهم ليؤمنوا ويطيعوا وهم مع ذلك متمسكين

متمسكين بطغيانهم وعماهم والوجه الآخر ان يريد بمدهم انه يتركهم من فوائده ومنحه التي يؤتيها
المؤمنين ثوابا لهم ويمنعها الكافرين عقابا لهم كشرحه لصدورهم وتنويره لقلوبهم وكل هذا واضح
بحمد الله [illegible] رضي الله عنه واني لاستحسن لبعض الاعراب قوله

خليلي هل يشفي من الشوق والهوى   بذي ود ذي الاوطان الا تشوقها
فيزداد من قرب اليها صبابة   ويبعد من فرط اشتياق طريقها
وما ينفع الحران ذا اللوح ان يرى   حياض القرى مملوة لا يذوقها

ولآخر في تذكر الاوطان والحنين اليها

الا قل لدار بين كثبة الحمى   وذات الغضا جادت عليك الهواضب
اجدك لا آتيك الا تبادرت   دموع اضاعت ما حفظت سواكب
ديار تناسمت الهوا نحوها   وطاوعني فيها الهوى والحبائب
ليالي لا الهجران محتكم بنا   على وصلنا من ذي هوى ولا الظن كاذب

وانشد ابو نصر صاحب الاصمعي لاعرابي

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة   باكناف نجد وهي خضر متونها
وهل اشربن الدهر من ماء مزنة   بجرة ليلى حيث فاض معينها
بلاد بها كنا نحل فاصبحت   خلاء ويرعاها مع الادم عينها
تغنيت فيها بالشباب وبالصبا   يميل بما اهوى على غصونها

وانشد الاصمعي لصخر بن نافع العقوف

الا ليت شعري هل تحنن ناقتي   بيضاء نجد حيث كان مسيرها
فتلك بلاد حبب الله اهلها   اليك وان لم يعط نصفا اميرها
بلاد بها البيت رحل الصبا   ولانت لنا ايامها وشهورها
ضقنا بها الهم المكدر شربه   ودار علينا بالنعيم سرورها

وانشد ابن محكم لسواد بن المضرب

سقى الله اليمامة من بلاد   نوالحها كارواح الغواني
وجوّا زاهر النبت فيه   نسيم لا يروح الترب واني
بها سقت الشباب الى مشيب   يقبح عندنا حسن الزمان

ولاسحاق الموصلي الا يا حبذا جنبات سلمى ،، وجاد بارضها جون السحاب ،،

،، خلعت بها العذار ولست فيها ،، مناي بطاعة او باغتصاب ،،
،، اسوم بها لطلبات لهوي ،، ويعتبني به عصر الشباب ،،

وكل هؤلاء على ما ترى قد افصحوا بان سبب حنينهم الى اوطانهم ما لبسوه فيها من ثوب الشباب واستطابوه من ظله وانتشوه من رواحه وانه كان بعدهم ونحن قبلهم فعلى اي شي تغلو الناس في قول ابن الرومي وحبب اوطان الرجال اليهم ،، مآرب قضاها الشباب هنالكا
،، اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم ،، عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا ،،

ويزعمون انه سبق الى ما لم يسبق اليه وكشف عن هذا المعنى مستورا ووسم غفلا وقوله وان كان جيد المعنى سليم اللفظ فلم يزد فيه على ما تقدم ولا ابدع بل اتبع ولكن الجيد اذا ورد ممن يعهد منه الردي كثر استحسانه وزاد استطرافه ولقد احسن البحتري في قوله في هذا المعنى

فسقى الغضا والنازليه وان هم ،، شبوه بين جوانح وقلوب ،،
وقصار ايام به سرقت لنا ،، حسناتها من كاشح ورقيب ،،
خضر تساقطها الصبا فكانها ،، ورق يساقطها اهتزاز قضيب ،،
كانت فنون بطالة فتقطعت ،، عن هجر غانية ووصل مشيب ،،

ولحسن في قوله سقى الله اخلاقا من الدهر رطبة ،، سقتنا الجوى اذ ابرق الحزن برق
،، ليالي سرقنا فيها من الدهر بعدما ،، اضاء باصباح من الشيب مفرق ،،
،، تداويت من ليلى بليلى فما اشتفى ،، بماء الربى من بات بالماء يشرق ،،

ولابي تمام في هذا المعنى ما لا يقصر عن احسان وهو ،،

،، سلام ترجف الاحشاء منه ،، على الحسن بن وهب بالعراق ،،
،، على البلد الحبيب الي غورا ،، ونجدا والاخ العذب المذاق ،،
،، ليالي نحن في وسنات عيش ،، كان الدهر عنها في وثاق ،،
،، وايام لنا ولكم لدان ،، عنينا في حواشيها الرقاق ،،
،، كان الدهر عن خفر لدينا ،، واذ كان التلاقي عن تلاق ،،

تاويل آية ان سال سائل عن قوله تعالى قلنا اهبطوا منها بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فقال كيف خاطب تعالى ادم وحوى عليهما السلام

بخطاب

بخطاب الجمع وهما اثنان وكيف نسب اليهما العداوة واي عداوة كانت بينهما الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه اولها ان يكون الخطاب متوجها الى ادم وحوا وذريتهما لان الوالدين على الذرية ويتعلق بهما ويقوي ذلك قوله تعالى حاكيا عن ابراهيم واسمعيل ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وثانيها ان يكون الخطاب لادم وحوى عليهما السلم ولابليس اللعين وان يكون الجميع مشتركين في الامر بالهبوط وليس لاحد ان يستبعد هذا الجواب من حيث لم يتقدم لابليس ذكر في قوله تعالى ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة لانه وان لم يخاطب بذلك فقد جرى ذكره في قوله تعالى فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه فجاز ان يعود الخطاب على الجميع وثالثها ان يكون الخطاب متوجها الى آدم وحوى عليهما السلم والحية التي كانت معهما على ما روي عن كثير من المفسرين وفي هذا الوجه بعد من قبل ان خطاب من لا يفهم الخطاب لا يحسن فلا بد من ان يكون قبيحا اللهم الا ان يقال انه لم يكن هناك قول في الحقيقة ولا خطاب وانما كنى عن اهباطه لهم بالقول كما يقول احدنا قلت فلقيت الامير وقلت فضربت زيدا وانما يخبر عن الفعل دون القول وهذا خلاف الظاهر وان كان مستعملا وفي هذا الوجه بعد من وجه آخر وهو انه لم يتقدم للحية ذكر في نص القرآن والكناية عن غير مذكور لا تحسن الا بحيث لا يقع لبس ولا يسبق وهم الى تعلق الكناية بغيره ممكن عنه حتى يكون ذكره كترك ذكره في البيان عن المعنى المقصود مثل قوله تعالى حتى توارت بالحجاب وكل من عليها فان وقال الشاعر

،، اماوي ما يغني الثراء عن الفتى ،، اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر ،،

فاما حيث لا يكون الحال على هذا فالكناية عن غير مذكور قبيحة ورابعها ان يكون الخطاب يختص ادم وحوا عليهما السلم وخاطب الاثنين بالجمع على عادة العرب في ذلك لان التثنية اول الجمع قال الله تعالى اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين اراد لحكم داود وسليمان عليهما السلم وكان بعض اصحاب رسول الله يتاول قوله تعالى فان كان له اخوة على معنى فان كان له اخوان وقال الراعي

اخليد ان اباك ضاف وساده ،، همان باتا جنبة ودخيلا
،، طرقا فتلك هماهمي اقريهما ،، قلصا لواقح كالقسي وحولا ،،

فعبر بالهماهم وهي جمع عن الهمين وهما اثنان فان قيل فما معنى الهبوط الذي امروا به قلنا اكثر المفسرين على ان الهبوط هو النزول من السماء الى الارض وليس في ظاهر القرآن ما يوجب ذلك لان الهبوط كما يكون النزول من علو الى سفل وقد يراد به الحلول في المكان والنزول به قال الله تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم ويقول القائل من العرب هبطنا بلد كذا وكذا يريد حللنا قال زهير

مازلت ارمقهم حتى اذا اهبطت ،، ايدي الركاب بهم من راكس فلقا

فقد يجوز على هذا ان يريد بالهبوط الخروج من المكان وطلوع غيره ويحتمل ايضا ان يريد بالهبوط معنى غير [illegible] بل الانحطاط من منزلة الى دونها كما يقولون قد هبط فلان عن منزلته ونزل عن مكانه اذا كان على رتبة فانحط الى دونها فان قيل فما معنى بعضكم لبعض عدو قلنا اما عداوة ابليس لادم وذريته فمعروفة مشهورة واما عداوة ادم والمؤمنين من ذريته لابليس فهي واجبة لما يجب على المؤمنين من معاداة الكفار المارقين عن طاعة الله المستحقين لعنته وعداوته وعداوة الحية على الوجه الذي تتضمن اخباره في الخلاف بين بني ادم معروف فهذا تبغضهم منها وتجنبهم فاما على الوجه الذي يتضمن ان الخطاب يخص ادم وحوا دون غيرهما فيجب ان يحمل قوله بعضكم لبعض عدو على ان المراد به الذرية كانه قال اهبطوا فقد علمت من حال ذريتكم ان بعضهم يعادي بعضا وعلق الخطاب بهما للاختصاص بين الذرية وبين اصلها فان قيل ظاهر قوله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو يقتضي الامر بالمعاداة كما انه امر بالهبوط فهذا يوجب ان يكون تعالى امرا بالقبيح على وجه لان معاداة ابليس لادم عليه السلم قبيحة ومعاداة الكفار من ذريته للمؤمنين منهم كذلك قلنا ليس يقتضي الظاهر ما ظننتموه وانما يقتضي انه امرهما بالهبوط في حال العداوة بعضهم بعضا فالامر مختص بالهبوط والعداوة تجري مجرى الحال وهذا له نظائر كثيرة في كلام العرب ويجري مجرى هذه الاية في ان المراد بها الحال قوله تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون وليس معنى ذلك انه اراد كفرهم كما اراد تعذيبهم وازهاق نفوسهم بل اراد ان تزهق انفسهم في حال كفرهم وكذلك الامر في الهبوط وهذا بين [illegible] رضي الله عنه ومن مستحسن مدح السادة الكرام قول الشاعر

ولام قوم غدوا عنكم لطيتهم ، لا يكثرون تحلاة العل والنهل
مد الليل ان قالوا مقانبهم ، عن البطون ولا تلوى على الفضل

قوله ولام من الزجر الحلو الذي لا يقصد به الشتم كقولهم قاتل الله فلانا ما اشجعه وترحا له ما اسمحه وقد قيل في قول جميل

رمى الله في عيني بثينة بالقذى ، وفي الغر من انيابها بالقوادح

انه اراد هذا المعنى بعينه وقيل ايضا انه دعا لها بالهرم وعلو السن لان الكبير يكثر قذى عينه وتهتم اسنانه وقيل انه اراد بعينيها رقيبيها وبغر انيابها سادات قومها ووجوههم والاول اشبه بطريقة القوم وان كان المعنى جميعا محتملا فاما قوله لا يكثرون علاه العل والنهل فانما اراد انهم لسن [illegible] بعجالة يسقون الابل [illegible] ويكفيهم ويرتحلون ويدعون الابل السقاة وقد [illegible] اخر [illegible] ويهون بالسقي قبل [illegible] ولا يكثرون [illegible]

عناه

من الكرم والفضل لا من الضعف وقيل ايضا بل انهم اعزاء ذوو منعة اذا وردت ابلهم لا يزاحم الناس لجلالتهم كما قد عرفت فليس يحتاج اربابها الى الكثرة والتعريف وقد قال قوم في قوله يكثرون انه من قولهم كثرت بين يكثر اذا لم تنبث من الفعل فيقول لم يدوا باهل مهنة فيكثرون بايديهم ويحسنون العمل بل هم عبيد يكفونهم ذلك وقوله شك السرابيل فانما اراد به طول حملهم للسلاح ولبسهم له والمقانب هي الاوعية التي يكون فيها الزاد فكانه يقول اذا سافروا لم يشدوا الاوعية على ما فيها والطعام اهل الرفقة وهذه كناية عن الاطعام وبذل الزاد مليحة وعن البطون من صفات المقانب واراد انها لا تركا وعن البطون فلا تطوى على فضل الزاد ولبعض بني اسد واحسن غاية الاحسان

رات بزمة لابنه عبيد تمنعت ، من الحق لم تورك بحق فالها
فقالت الا تعدوا افضالك هكذا ، فقلت لها ان بنيا نهاوميالها
فلا طيبت الا اللئيم والنيني ، ولا قيلت الا قريبا مقالها
جدابير من كل العيال كانها ، اناضي سفر حل عنها حلالها

تحكي هذا الشاعر عن امراته وحكى عنها انها رات ابلا جربا لم يعط منها في حمالة ولم يعقه في دم يحلب لضيف ولا جار في زمان وقوله لم تورك افالها والافال الصغار فورك من الازل وهو الضيق في العيش والسنة فيقول فصال هولاء سمان لم تلق بوسا لان البان امهاتها موفورة عليها فحكى عن امراته انها تقول له غرنا انت فصالك هكذا فصالها مائتي لك الحقوق وعيالها وهم الجيران والضيفان ثم اخبر انه لم يلتفت الى لومها وان الابل لما حلبت بعد مقالها الامرتين ولا كلا ولا قلت من القائلة لم يقرب البيوت حتى يحرها ويهبها والجدابير الهزال وانما يعني فصالها وهي الجراء من اجل انه لا يسقى الالبان وتعرا مصاقبهم وانا فص جمع نقض فشبه فصاله من هزالها بانقاض رجل سفر وقوله جدابير من كل العيال معنى حسن لانه اراد انها من بين جميع العيال مهازيل وهذا تاكيد لعيبه لان سبب هزالها هو ايثاره بالبانها واختصت بالهزال من بين كل العيال لانهما هم الجيران والضيفان وانما جعلهم عيالا لكرمه وانه جوده قد الزمه مؤونتهم فصاروا كانهم عياله ومن ذلك قول الشاعر تعيرني الحلطان ام محلم ، فقلت لها لم تقذفيني بدائيا

فاني رايت الضامنين متاعهم ، يذم ويفنى فارضخي من وعائيا
فلم تجديني في المعيشة عاجزا ، ولا حصرما حبا شيئا وكابيا

[illegible] المسكون الغدة والحلطان الامساك وام محلم امراته ومعنى قوله تعيرني الحلطان اي الحلطا

ويقول مالك لا تكون مثل هؤلاء الذين يحفظون اموالهم والضامرون اي البخلاء يضنون بما عندهم
وهو يفني ويبقي الذم فارضي مني وعاتبا وهذا مثل اي اعطي الناس ما عندي وهو مفعول له فيرفع
لا بسني والمصرم الممسك تقول العرب صرم قوسك اي شده فرسك وقوله فلم تجديني في المعيشة
عاجزا اي انا صاحب غارات افيد واستفيد واتلف واخلف فلا تخافي الفقر وقال مسكين الدارمي
اصبحت عاذلتي معتلة قرما ام هي وحمى للصخب اصبحت تتفل في شحم الذرى وتظن اللوم درا ينتهب
لا تلمها انها من نسوة ملحها موضوعة فوق الركب يقول انها تكثر لومي فكانها قرمة الى اللوم
كقرم الاسباب الى اللحام هي وحمى تشتهي العذل والوحم شهوة الطعام عند الحمل وشحم الاسنمة وقد ما انفق
فيها انها تعود بالي تزيبها وتعظم قدرها فلا اهينها ولا احرمها اخبر انها اسلمها من الزنج والملح
والشحم وشحم الزنج يكون على اوراكهم واكفالهم . وانشد ابو العباس محمد بن يزيد

ايا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس النهد
اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له اكيلا فاني لست آكله وحدي
قصيا كريما او قريبا فانني اخاف ملامات الاحاديث من بعدي
واني لعبد الضيف ما دام نازلا وما من خلالي غيرها شيمة العبد

قال ابو العباس استثنى الكرم في القصي والبعيد ولم يستثنه في القريب لان اهله جميعا عنده كرام واراد
بقوله عبد الضيف انه يخدم الضيف هو بنفسه لا يرضى ان يخدمه عبيده
رضي الله عنه ويشبه ذلك قول المقنع الكندي

واني لعبد الضيف ما دام ثاويا وما بي سواها خلة تشبه العبدا

وانما اشترط كونه عبدا للضيف في البيت الاول والثاني ثاويا ونزوله ليعلم ان الحرية له مدافعة
معنى لما يوجب الكرم من حق الضيافة للخليل وانه يخرج عن ان يكون مخدوما ويجوز ان يكون خفيفا
ولو قال واني لعبد الضيف ولم يشترط لم يحصل هذا المعنى الجليل

مسألة سائل فقال لم تدفعون من خالفكم في الاستطاعة وزعم ان المكلف يؤمر بما لا يقدر عليه ولا يستطيعه
اذا تعلق بقوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا . فان الظاهر من هذه الآية
يوجب انهم غير مستطيعين للامر الذي هم غير فاعلين له وان القدرة مع الفعل واذا تعلق بقوله تعالى في
قصة موسى والخضر انك لن تستطيع معي صبرا وانه نفى كونه قادرا على الصبر في حال لم يفعله فيها وهذا يوجب ان
القدرة مع الفعل وبقوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون الجواب يقال له اما تعلقهم
اراه

ان المخالف لنا في هذا الباب من الاستطاعة لا يصح له فيه التعلق بالسمع لان مذهبه لا يسلم معه صحة السمع
ولا يتمكن مع المقام عليه من معرفة السمع بادلته وانما قلنا ذلك لان من جوز تكليف الله تعالى الكافر الايمان
وهو لا يقدر عليه لا يمكنه العلم بنفي القبائح عن الله تعالى واذا لم يمكن ذلك فلا بد من ان يلزمه تجويز القبائح
على الله تعالى في افعاله واخباره ولا يأمن من ان يرسل كذابا او ان يخبر هو بالكذب تعالى عن ذلك فالسمع ان كان
كلامه فقدح في حجته تجويز الكذب عليه وان كان كلام رسوله فقدح فيه ما يلزمه من تجويز تصديق الكذاب وانما
طرق ذلك تجويز بعض القبائح عليه وليس لهم ان يقولوا انا امر الله تعالى للكافر بالايمان وان لم يقدر عليه
يحسن من حيث اتى الكافر فيه من قبل نفسه لانه تشاغل بالكفر وترك الايمان وانما كان يبطل تعلقنا بالسمع
لو اضفنا ذلك اليه تعالى على وجه يقبح وذلك لان ما قالوه ان لم يؤثر في كون ما ذكرناه تكليفا لما لا يطاق
ولم يؤثر في نفي ما الزمناه عنهم لانه يلزم على ذلك ان يفعل الكذب وسائر القبائح ويكون حسنه منه
بان يفعلها من جهة لا تقبح منه وليس قولهم انا لم نضفه اليه من وجه يقبح بشيء يعتمد بل يجري مجرى
قول من جوز عليه ان يكذب ويكون الكذب منه حسنا ويدعي مع ذلك صحة معرفة السمع بان يقول اني
لم اضفه اليه قبيحا فلم يمنع فساد طريقة السمع فاما ما ذكرناه لا شبهة له في هذا الكلام لم يكن للمخالف
في الاستطاعة تعلق بشيء منه ونعود الى تأويل الآي اما قوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا
يستطيعون سبيلا الى امر معين فاتى ولم يكن كذلك فلا متعلق فان قيل فقد ذكر تعالى من قبل
ضلالهم فيجب ان يكون المراد بقوله فلا يستطيعون سبيلا الى مفارقة الضلال قلنا ثم انه تعالى
كما ذكر الضلال عقبه بذكر ضرب المثل منهم فيجوز ان يريد انهم لا يستطيعون سبيلا الى تحقيق ما ضربوه
من الامثال وذلك غير مقدور على الحقيقة ولا مستطاع والظاهر بهذا الوجه اولى لانه تعالى حكى عنهم
انهم ضربوا له الامثال ثم جعل ضلالهم وانهم لا يستطيعون السبيل متعلقا بما تقدم ذكره وظاهر ذلك
يوجب رجوع الامرين جميعا اليه وانهم ضلوا بضرب المثل وانهم لا يستطيعون سبيلا الى تحقيق
ما ضربوه من المثل لانه تعالى اخبر بانهم ضلوا وظاهر ذلك الاخبار عن ماضي فعلهم فان كان قوله
فلا يستطيعون سبيلا راجعا اليه فيجب ان يدل على انهم لا يقدرون على ترك الماضي وذلك مما لا خلاف
فيه وليس فيه دلالة على انهم لا يقدرون في المستقبل ولا في الحال على مفارقة الضلال والخروج
عنه وبعد تركه وبعد فاذا لم يكن للآية ظاهر فلم صاروا بان يحملوا نفي الاستطاعة على امر اولى منا
اذا حملنا ذلك على امر لم يكلفوه او على انه اراد الاستثقال والخبر عن عظم المشقة عليهم وقد جرت
عادة اهل اللغة بان يقولوا لمن يستثقل شيئا انه لا يستطيعه ولا يقدر عليه ولا يتمكن منه الا تراهم

يقولون فلان لا يستطيع ان يكلم فلاناً ولا ينظر اليه وما اشبه ذلك وانما غرضهم الاستثقال وشدة الكلفة
والمشقة فان قيل فان كان لا ظاهر للآية تشهد بمذهب المخالف فما المراد بها عندكم قلنا قد ذكر
ابو علي ان المراد انهم لا يستطيعون الى بيان تكذيبه سبيلاً لانهم ضربوا له الامثال ظناً منهم بان ذلك
يبين كذبه فاخبر الله تعالى ان ذلك غير مستطاع لان تكذيب الصادق وابطال الحق مما لا يتعلق به قدرة
ولا يتناوله استطاعة وقد ذكر ابو هاشم ان المراد بالآية انهم لاجل ضلالهم بضرب المثل وكفرهم
لا يستطيعون سبيلاً الى الخير الذي هو النجاة من العقاب والوصول الى الثواب وليس يمكن على هذا
ان يقال كيف لا يستطيعون سبيلاً الى الخير الحقيقي وهم قادرون عندكم على الايمان والتوبة ومتى
فعلوا ذلك استحقوا الثواب لان المراد انهم مع التمسك بالضلال والمقام على الكفر لا سبيل لهم الى خير
وانما يكون لهم سبيلاً الى ذلك بان يفارقوا ما هم عليه وقد يمكن ايضاً في معنى الآية ما تقدم ذكره
من ان المراد بنفي الاستطاعة عنهم انهم مستثقلون للايمان وقد يخبر عمن استثقل شيئاً بانه لا يستطيعه
على ما تقدم ذكره فاما قوله تعالى في قصة موسى عليه السلم انك لن تستطيع معي صبراً فظاهره يقتضي انك لا
تستطيع ذلك في المستقبل ولا يدل على انه غير مستطيع للصبر في ان يفعله في الثاني وقد يجوز ان يخرج
في المستقبل من ان يكون مستطيعاً له وهو في الحال مستطيع له غير ان الآية تقتضي خلاف ذلك لانه قد صبر
على المسئلة اوقات وان لم يصبر عنها في جميع الاحوال المستقبلة على ان المراد بذلك واضح فانه نبه
على استثقاله الصبر عن المسئلة عما لا يعرف ولا يقف عليه ان مثل ذلك يصعب على النفس ولهذا يجد
احدنا اذا وجد بين يديه ما ينكره ويستبعده تنازعه نفسه الى المسئلة عنه والبحث عن حقيقته
ويثقل عليه الكف عن الفحص عن امره فلما احدث من صاحب موسى عليه السلم ما يستنكر ظاهره استثقل
الصبر عن المسئلة عن ذلك ويشهد بهذا الوجه قوله تعالى وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً فبين ان العلة
في قلة صبره ما ذكرناه دون ما غيره ولو كان على ما ظنوه لوجب ان يقول وكيف تصبر وانت غير مطيق
للصبر فاما قوله ما كانوا يستطيعون السمع فلا تعلق لهم بظاهره لان السمع ليس بمعنى فيكون مقدوراً لان من حيث
الادراك على المذهب الصحيح ليس بمعنى ولو ثبت انه معنى على ما يقوله ابو علي لكان غير مقدور للعبد
يختص تعالى بالقدرة عليه هذا اذا اريد بالسمع الادراك وان اريد به نفس الحاسة فهي ايضاً غير
مقدورة للعباد لان الحواس هو ما يختص به الحاس من البنية والمعاني ليصح بها الادراك مما ينفرد
القديم تعالى بالقدرة عليه فالظاهر لا حجة لهم فيه فان قالوا لعل المراد بالسمع كونهم سامعين كانه نفى
عنهم استطاعتهم ان يسمعوا قلنا هذا خلاف الظاهر ولو ثبت ان المراد ذلك لحملنا نفي الاستطاعة ههنا على

على ما تقدم ذكره من الاستثقال وشدة المشقة كما يقول القائل فلان لا يستطيع ان يراني ولا يقدر على
ان يكلمني وما اشبه ذلك وهذا بين على من تامله [illegible] ان سال سائل فقال ما تاويل ما روي
بيارين معاوية بن الحكم قال قلت يا رسول الله كانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل احد فذهب الذئب
بشاة من غنمها وانا رجل من بني ادم اسف كما ياسفون لكني غضبت فصككتها صكة قال فعظم ذلك
على النبي صلى الله عليه قال قلت يا رسول الله افلا اعتقها قال ائتني بها فاتيته بها فقال لها اين الله فقالت
في السماء قال من انا قالت انت رسول الله فقال صلى الله عليه فاعتقها فانها مؤمنة الجواب قوله
انا رجل من بني ادم اسف كما ياسفون معناه اني اغضب كما يغضبون قال محمد بن حبيب الاسف الغضب
وانشد للراعي فما لحقتني العيس حتى وجدتني اسف تلحاديهم المجرد والاسف ايضاً الحزن قال
ابن الاعرابي الاسف الحزن والاسف الغضب قال كعب بن زهير

في كل يوم ارى فيه مبنية ... تكاد تسقط مني منة اسفا

وقوله لكني غضبت فصككتها اراد لطمتها يقال صك جبهته اذا لطمها بيده قال الله تعالى فاقبلت
امراته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم وقال بشر بن ابي خازم يصف حمار وحش و
اتانه فتصك محجره اذا ما ساقها وجيذه بحوافر لم تنكب ساقها اي شمها وقوله في السماء فالسماء
يقال لكل ما ارتفع والعلو ومعنى ذلك انه تعالى عال في قدرته عزيز في سلطانه لا يبلغ ولا يدرك
يقال سما فلان يسمو اذا ارتفع شانه وعلا امره وقال الله تعالى أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض
فاذا هي تمور ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا يعني قدرته فاخبر بقدرته وسلطانه وعلو شانه
ونفاذ امره وقد قيل في قوله تعالى امنتم من في السماء غير هذا وان المراد امنتم من في السماء
امره واراته وقدرته وما جرى مجرى ذلك وقال امية بن ابي الصلت شاهداً لما تقدم

واشهد ان الله لا شيء فوقه ... عليا وامسى ذكره متعاليا

وقال سليمان بن يزيد العدوي

لك الحمد يا ذا الطول والملك والغنى ... تعاليت مجدا كريما وجاريا
علوت على قرب بعز وقدرة ... وكنت قريبا في دنوك عاليا

والسماء ايضاً سقف البيت ومنه قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا فليمدد بسبب الى
السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وقال ابن الاعرابي يقال لاعلى البيت سماه
البيت وسماوته وسراته وصهوته وصهاوته والسماء ايضاً المطر قال الله تعالى وارسلنا السماء

عليهم مدرارا ومنه الحديث الذي رواه ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله مر على صبرة طعام فادخل عليه
السلم يده فيها فنالت اصابعه بللا فقال له ما هذا يا صاحب البر قال اصابته السماء يا رسول
الله فقال صلى الله عليه وآله الا جعلته فوق الطعام يراه الناس من غش فليس منا وقال المثقب العبدي

فلما اتاني والسماء تبله ۞ فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا

ويقال ايضا لظهر الفرس سماء كما يقال لحافره ارض ولبعضهم في فرس

واحمر كالديباج اما سماؤه ۞ فريا واما ارضه فمحول

اراد انه سمين الاعلى وان القوائم ممشوقة وكل معاني السماء التي تتنوع وتتصرف الى معاني الارتفاع
والعلو والسمو وان اختلفت المواضع التي اجريت هذه اللفظة فيها واولى المعاني بالخبر الذي سألنا
عنه ما قدمناه من معنى العزة وعلو الشان والسلطان وما عدا ذلك من المعاني لا يليق به تعالى لان العلو
بالمسافة لا يجوز على القديم تعالى الذي ليس بجوهر ولا جسم ولا حال فيهما وان الخبر والآيات التي تضمنت ايضا
ذكر السماء خرجت مخرج المدحة ولا مدح في العلو بالمسافة وانما تمدح بالعلو في الشان والسلطان ونفاذ
الامر ولهذا لا نجد احدا من العرب مدح غيره في شعر او نثر بمثل هذه اللفظة واراد بها علو المسافة بل
يريدون لا محالة ما ذكرناه من معنى العلو في الشان وانما يظن في هذه المواضع خلاف هذا من لا فطنة عنده
ولا بصيرة له والحمد لله رب العالمين [illegible] ان سأل سائل عن قوله تعالى
حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن امن
وما امن معه الا قليل الجواب قلنا التنور فقد ذكر في معناه وجوه اولها انه تعالى اراد بالتنور وجه
الارض وان الماء نبع وظهر على وجه الارض وفار وهذا قول عكرمة وقال ابن عباس رحمة الله عليهما مثله
قال والعرب تسمي وجه الارض تنور الارض وثانيها ان يكون المعنى ان الماء نبع من اعالي الارض وفار من
الاماكن المرتفعة منها وهذا قول قتادة وروي عنه في قوله تعالى وفار التنور قال ذكر لنا انه ارفع الارض
واشرفها وثالثها ان يكون المراد بفار التنور اي برز النور وظهر الضوء وتكاثفت امارات دخول النهار
وتقضي الليل وهذا القول روي عن امير المؤمنين عليه السلام ورابعها ان يكون المراد التنور الذي يخبز فيه على الحقيقة
وانه تنور [illegible] ادم الى الجنة وقال القوم ان التنور كان في دار نوح عليه السلم بعين وردة من ارض الشام
وقال اخرون بل كان التنور في ناحية الكوفة والذين رووا عنهم ان التنور هو تنور الخبز الحقيقي ابن عباس
رحمة الله عليه والحسن ومجاهد وغيرهم وخامسها ان يكون معنى ذلك واشتد غضب الله تعالى وحلول وقوع
نقمته بهم فذكر تعالى التنور مثلا لحضور العذاب كما تقول العرب قد حمي الوطيس اذا اشتد الحرب وتنور

الحطب والوطيس والتنور وتقول العرب ايضا قد فارت قدر القوم اذا اشتدت حربهم وقال الشاعر

تفور علينا قدرهم فنديمها ۞ ونفثؤها عنا اذا حميها غلا

اراد بقدرهم حربهم ومعنى نديمها نسكنها ومن ذلك الحديث المروي عنه صلى الله عليه وآله انه نهى عن البول في الماء
الدائم يعني الساكن ويقال قد دوم الطائر اذا بسط جناحيه وسكنهما ولم يخفق بهما ونفثؤها معنى
نسكنها يقال فثأت غضبه اي سكنته وفثأت القدر بالماء البارد اذا سكنتها وسادسها ان يكون التنور الباب الذي
يجتمع فيه ماء السفينة فجعل فورانه الماء منه والسفينة على الارض علما على ما انذروا به من هلاك قومه
وهذا القول يروى عن الحسن واولى الاقوال بالصواب قول من حمل الكلام على التنور الحقيقي لانه الحقيقة وما
سواه مجاز وكان الروايات الظاهرة تشهد له واضعفها وابعدها من شهادة الاثر قول من حمل ذلك على
شدة الغضب واحتدام الامر تمثيلا وتشبيها لان حمل الكلام على الحقيقة التي تعضدها الرواية اولى
من حمله على المجاز والتوسع مع فقد الرواية واولى من حمله على المجاز والتوسع مع فقد الرواية واي
المعاني اريد بالتنور فان الله تعالى جعل فوران الماء علما لنبيه صلى الله عليه وآله وانه يدل على نزول الهلاك والعذاب بقومه
لينجو بنفسه وبالمؤمنين فاما قوله تعالى من كل زوجين اثنين فقد قيل المراد به احمل من ذكر وانثى اثنين
وانه يقال لكل واحد من الذكر والانثى زوج وقال اخرون الزوجان ههنا الضربان وقال اخرون الزوج
اللون وان كل ضرب يسمى زوجا واستشهد ببيت الاعشى

وكل زوج من الديباج يلبسه ۞ ابو قدامة محبوا بذاك معا

ومعنى من سبق عليه القول اي من اخبر الله تعالى بعذابه وحلول الهلاك به والله اعلم بمراده ان
سأل سائل عن الخبر الذي يرويه شريك بن عمار الدهني عن ابي صالح الحنفي عن امير المؤمنين عليه السلام قال رأيت
النبي صلى الله عليه وآله في المنام وانا اشكو اليه ما لقيت من الاود واللدد الجواب يقال له اما الاود فهو الميل تقول
العرب لاقيمن ميلك وجنفك واودك ودرأك وضلعك وصعرك وصدعك وطلعك بالطاء وصدغك
وصدغك كل هذا بمعنى واحد وقال ثعلب الاود ان يميل الانسان في كلامه ورأيه فهو عوج ولذلك كان من النبي
المثقب مثل عسا واشبههما هو عوج هذا قول الناس كلهم الا ابا عمرو الشيباني فانه قال العوج
بالكسر الاسم والعوج بالفتح المصدر وقال ثعلب كانه مصدر عوج يعوج عوجا ويقال عصا معوج وعوج
معوج وليس في كلامهم معوج فاما اللدد فمثل هو الخصومات وقال ثعلب يقال رجل الد وقوم لد
اذا كانوا اشداء الخصومة ومنه قوله تعالى وهو الد الخصام وقال الاموي اللدد الاعوجاج والالد
في الخصومة الذي لا يستقيم انما هو عوج الخصومة يميل فلا يقوى عليه الخصم ولا يتمكن منه ومن ذلك

قولهم لدّ الصبي ولهما يلدّ في شق فيه وليس يلد مستقيما فهو يرجع الى معنى الميل وقد فسر لنا الحكم بن ظهير فقال الالدّ الخصام اي اعوج الخصام وانشد ابو السمح بن مقبل

لقد طال عن دهماء لدّي وعذرتي   وكتمانها اكني بام فلان
فعلت لجهال الرجال مخاصة   ولو شئت قربتها ببيان

الالدّ الجدل والخصومة وقال ابو عمرو الالد الذي لا يقبل الحق ويطلب الظلم وقوله مخافة يقول انهم يخوضون في شعري ويطلبون معانيه ولا يقفون عليه وانشد ابو السمح

لا تفتر الكذب القبيح فانه   للمرء معتبة وباب لئام
واصدق بقولك حين تنطق انه   للصدق فضل فوق كل كلام
واذا صدقت على الرجال خصمتهم   والصدق مقطعة على الظلام
واذا رماك عشوم قوم فارمه   بالد مستعر المدى حسام   ويروى غشام
لا تعرضن على العدو وسيلة   واحذر عدوك عند كل مقام
واعلم بانه ليس يوما نافعا   عند اللئيم وسائر الاجرام
ما لم يخفك ولو تبيّنك جانيا   خشنا وتجيد بكاس سمام
واذا حللت بدار قوم فاكرمن   حتى تفرّج حلة الاظلام
واصبر على كرب البلاء فانه   ليس البلاء على الفتى بلزام
واعلم بانك ميت ومحاسب   عما فعلت معاشر الاقوام

معنى قوله مستعر المدى اي بعيد المدى وقوله لا تعرضن على العدو وسيلة اي لا تقاربه ولا تقاصره ولا تكن بينك وبينه الاسرار لعداوة وانشد ايضا شاهدا لما تقدم

يا وهب اشبه بالطلوح حتى   اشبهت اخلاقه واشبه مجري

وحدثني صاحب الخصوم اللدّ [illegible] رضي الله عنه ومن حسن ما وصف به الثغر قول ابن مكي المازني

تبسّم عن نور الثنايا كانه   حصى برد او اقحوان كثيب
اذا ارتقت عن مرقد فكانه   من اليانع الغودي فرع قضيب
قضيب جناة الركب بام عرفوا لها   من شمال البنان خضيب

يعني بانه الرأد ومعنى بانه ان تقطعه منه استخيا ضاوبا البنات ان ابانه وحسنه فقال نشبت له وبياد سعاد ان جنادهم نائم ومعنى بام عرفوا اي بشيء من عرفات وذكر انه خضيب

خضيب بالطيب الذي يبديها لا ديابها استعماله وقال الاخطل يصف ثغرا

شنيتا يروق الضمان منه   اذا الجوزاء احرت الصبابا

فيه وجهان احدهما انه اراد عند سقوط الجوزاء وذلك في شدة البرد وطول الليل اذا احرت الضباب من البرد وتغيرت الافواه لطول ليل الشتاء يقول فهو طيب غير متغير والوجه الثاني انه اراد عند طلوع الجوزاء في شدة الحر والقيظ فالظمآن اشد عطشا واحر غلة فريقها يرويه ويبرد غلته وقال آخر

فويل بها لمن تكون ضجيعه   اذا ما الثريا ذبذبت كل كوكب

قوله فويل بها من الزجر المحمود مثل قوله ويل امه ما اشجعه وكانه يقول نعم الضجيع هي عند السحر اذا النجوم للغيب قال ذو الرمة وابدت الثريا جنحها في المغارب ومثل الاول قول الاخر

نعم شعار الفتى اذا برد الليل سحرا وقفقف الصرد

وانما يعني في ذلك الوقت الذي تتغير فيه الافواه ريح الريق عذوبته وانشد ابو العباس ثعلب لام الهيثم

وعارض كجانب العراق   ابيت برّاقا من البرّاق   بيادا فمثل العسل المذاق

قال ابو العباس في هذا قولان احدهما انه وصف ثغرا وعارضا وجانبا العراق ما يلي به الخرز كعراق القربة فاخبرت انه ليس فيه اعوجاج ولا تراكب ولا تقصر وقولها ابيت براقا من البراق يعني الثغر نفسه اي له بريق من صفائه ورقته وشبهت الريق بالعسل لعذوبته والقول الآخر قال بعضهم العارض هاهنا الغيم وقولها كجانب العراق يعني هذه البلاد اي هو ضخم متكاثف قد سد الافق وقولها ابيت براقا من البراق اي بما تنبت الارض اذا مطرت من النور قال المبرد والقول الاول عندنا اصح لذكرها العسل وانشد احمد بن يحيى لتابط شرا

وشعب كشك الثوب شكس طريقه   مجامع صوحيه نطاف مخاصر
تعسفته بالليل لم يهدني له   دليل ولم يحق له النعت خابر

قال يعني بالشعب فم جارية كشك الثوب يعني كف الثوب اذا خاطه الخياط والشكس الضيق يعني ضيق مجمع الفم وحسنه ودقة الشفتين وصوحاه جانباه وصوح الوادي جانبه والمخاصر الباردة من الانه يخدو ويعني بالنطاف الريق وقوله لم يهدني له دليل اي لم يصل اليه غيري كما قال جرير

الا ربّ يوم قد شربت بمشرب   شفا الغيم لم يشرب به احد قبلي

الغيم العطش وانما يعني ريق جارية قال ابو العباس وقال آخرون لم يعني شعبا من الشعاب مخوفا ضيقا مسلكه قال ابو العباس انما كنى بالشعب عن فم الجارية ثم اخذ في وصف الشعب ليكون الاشد التباسا [illegible] رضي الله عنه والاشبه ان يكون اراد شعبا حقيقيا لان تابط شرا كان لصا وصافا

وصافاً للهواطل التي تمتعنى به ويعايه ليعلقه تصعد وكان كثيراً ما يصف تدليه من الجبال وتخلصه من المضايق
وقطعه المفاوز واشباه ذلك والقطع التي في الأبيات كلها تشهد بان الوصف للشعب لا للفم جاريه لانه
يقول بعد قوله كشك الثوب لدن مطلع الشعر قليل أنيسه كأن الطرائف جانبيه معاجري

به من نجاء الدلو يعزل مرتها ** جبار لقيم الصخر فيه قراقر
وقرن حتى كن للماء منتهى ** وغادرهن السيل فيما تغادر
ترى نطف زرق قليل تلابها ** جلا الماء عن ارجائها فهو جائر

وهذه الأوصاف كلها لا تليق الا بالشعب دون غيره وتأول ذلك على الفم تأول بعيد ولقد احسن كثير في وصف الثغر

ويوم الجبل قد سفرت وكفت ** رداء العصب عن رتل براد
وعن نجلاء تدمع في بياض ** اذا دمعت وتنظر في سواد
وعن متكاوس في العقص جثل ** أثيث النبت ذي غدر جعاد

وقال أبو تمام في هذا المعنى

وعلى العيس خرد يتبسمن ** عن الاشنب الشتيت البراد
كان شوكا اليا الحسنا فاضحى ** دونه للفراق شوك القتاد

وقال البحتري وارتشاف اراح له الوجد ** وتشتيه جنا التفاح
وشتيتا يغض من لؤلؤ النظم ** ونرويه على شتيت الأقاح
فاضاءت تحت الدجنة للشرب ** وكادت تضيء للمصباح

وقال آخر سفرن كما سفر الربيع الطلق ** عن فحم بدرهم النقي
وتبسمت عن لؤلؤ في دعفر ** بردير دحاش المتولي

وقد جمع بين جميع ما وصف به الثغر في قوله كأنما تضحك عن لؤلؤ منتظم او اقاح

تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل فقال ما الكلمة ان يكون ظاهر هذه الآية دالا على انه تعالى جعل الكافر كافرا لانه اخبر بانه جعل منهم من عبد الطاغوت كما جعل القردة والخنازير ولم يجعله كافرا الا بان خلق كفره الجواب يقال له قبل ان نتكلم في تأويل الآية وما يحتمله من المعاني كيف ينفع ان يذهب بان تعالى بانه حكم جعلهم كفارا او خلق كفرهم والكلام خرج مخرج الذم لهم والتقريع لهم والمبالغة في الازراء عليهم ولو كان من خلق الكفر لكان ذلك عذرا لهم في باب

ذمهم واي نسبة بينه وبين ذلك بل لا شيء ابلغ في عذرهم وبراءتهم من ان يكون خالقا لما ذمهم من اجله وهذا يقتضي ان يكون الكلام متناقضا مستحيل المعنى ونحن نعلم ان احدنا اذا اراد ذم غيره وتوبيخه وتهجينه بمثل هذا الضرب من الكلام انما يقول الا اخبركم بشر الناس والحقهم بالذم واللوم من فعل كذا وصنع كذا وكذا وكان على كذا وكذا فيعدد من الافعال والاحوال قبائحها ولا يجوز ان يدخل في جملتها ما ليس بقبيح ولا ما هو من فعل الذام او من جهته حتى يقول في جملة ذلك ومن تشاغل بالصيانة العلانية التي هو سببها اليها وحملها اليها وان عقلا يقبل هذه الشبهة لعقل ضعيف سخيف فان قيل اليس قد ذمهم في الكلام بان جعل منهم القردة والخنازير ولا صنيع لهم في ذلك فكذلك يجوز ان يذمهم بجعله اياهم عابدين للطاغوت وان كان من فعله قلنا انما جعلهم قردة وخنازير عقوبة لهم على افعالهم واستحقاقهم يجري ذلك مجرى افعالهم كما ذمهم بان لعنهم وغضب عليهم من حيث استحقوا ذلك منه تعالى بافعالهم وعبادتهم للطاغوت فان كان من فعلها فلا وجه لذمهم بها لان ذلك مما لا يستحق بفعل متقدم باللعن والمسخ ثم نعود الى تأويل الآية فنقول الظاهر للآية يقتضي ما ظنوه والذي ما تضمنته الاخبار بانه خلق وجعل من يعبد الطاغوت كما جعل منهم القردة والخنازير ولا شبهة في انه تعالى هو خالق الكافر وانه لا خالق له سواه غير ان ذلك لا يوجب خلق كفره وجعله كافرا وليس لهم ان يقولوا كما يستفيد من قوله جعل منهم القردة والخنازير انه جعل ما به كانوا كذلك هكذا يستفيد من قوله وجعل منهم من عبد الطاغوت انه خلق ما به كان عابدا للطاغوت وذلك انا انما استفدنا ما ذكروه من الاول لان الدليل قد دل على ان ما به يكون القرد قردا والخنزير خنزيرا لا يكون الا من فعله تعالى وليس ما به يكون الكافر كافرا مقصورا على فعله تعالى بل قد دل الدليل على انه تعالى لا يفعله وخلقه فافترق الامران وفي الآية وجه آخر وهو ان لا يكون قوله وعبد الطاغوت معطوفا على القردة والخنازير بل معطوفا على من لعنه الله وغضب عليه وتقدير الكلام من لعنه الله ومن غضب عليه ومن عبد الطاغوت ومن جعل منهم القردة والخنازير وهذا هو الواجب لان عبد فعل والفعل لا يعطف على الاسم فلو عطفناه على القردة والخنازير لكنا قد عطفنا فعلا على اسم فالاولى عطفه على ما تقدم من الافعال وقال قوم يجوز ان يكون عبد الطاغوت معطوفا على الهاء والميم في منهم فكأنه جعل تعالى منهم وممن عبد الطاغوت القردة والخنازير وقد تحذف من في الكلام قال الشاعر .. امن يهجو رسول الله منكم ، ويمدحه وينصره سواء .. اراد ومن يمدحه وينصره فان قيل فهبوا هذا التأويل سائغ في قراءة من قرأ وعبد بالفتح اين انتم عمن قرأ وعُبُد بفتح العين وضم الباء

وكسر التاء ومن قرأ عُبُدَ الطاغوت بضم العين والباء ومن قرأ عُبَّدَ بالضم والتشديد ومن قرأ
عُبَّادَ الطاغوت قلنا المختار من هذه القراءات عند اهل العربية كلهم القراءة بالفتح وعليها جميع
القراء السبعة الا حمزة فانه قرأ عَبُدَ بفتح العين وضم الباء وبقية القراءات شاذة غير مأخوذ بها قال
ابو اسحق الزجاج في كتابه في معاني القرآن وعَبَدَ الطاغوت نسق على من لعنه الله قال وقد قرئ وعُبِدَ الطاغوت
الطاغوت وعُبُدَ الطاغوت والذي اختار وعَبَدَ الطاغوت وروي عن ابن مسعود وعبدة الطاغوت
قال فهذا يقوي وعبيد الطاغوت ومن قرأ وعَبُدَ الطاغوت بفتح الباء وخفض الطاغوت عند بعض
اهل العربية ليس بالوجه من جهتين احدهما ان عَبُدًا على فَعُل وليس هذا من امثلة الجمع لانهم فسروه خدم
الطاغوت والثاني ان يكون محمولا على وجعل منهم عبد الطاغوت ثم خرج لمن قرأ عَبُدَ وجها فقال ان
الاسم يبنى على فَعُل تقول رجل حذُر اي مبالغ في الحذر فتأويل عَبُد انه بلغ الغاية في طاعة الشيطان
هذا كلام الزجاج وقال ابو علي الحسن بن عبد الغفار محتجا لقراءة حمزة ليس عَبُد لفظ جمع الا ترى انه ليس
في ابنية الجمع شيء على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة الا ترى ان في الاسماء المفردة المضافة الى
المعارف ما لفظه لفظ الافراد ومعناه الجمع كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وكذلك
قوله تعالى عَبُدَ الطاغوت جاء على فَعُل لان هذا البناء يراد به الكثرة والمبالغة وذلك نحو يقظ وندس
فهذا كان تقديره انه قد ذهب في عبادة الشيطان والتذلل له كل مذهب قال وجاء على هذا لانه
عندهم في الاصل صفة وان كان قد استعمل استعمال الاسماء واستعمالهم اياه استعمالها لا يزيل عنه كونه
صفة الا ترى ان الابرق والابطح وان كانا قد استعملا استعمال الاسماء حتى كسرا هذا التكسير عندهم في
قولهم اباريق واباطح فلم يزل عنه حكم الصفة يدلك على ذلك تركهم صرفه كترك صرف احمر
ولم يجعلوا ذلك كافكل واربع فكذلك عَبُد وان كان قد استعمل استعمال الاسماء فلم يخرجه ذلك عن ان
يكون صفة واذا لم يخرج عن ان يكون صفة لم يمتنع ان يبنى بناء الصفات على فَعُل وهذا كلام معتمد في
الاحتجاج لحمزة واذا صحت قراءة حمزة وعادلت قراءة الباقين المختارة وصح ايضا ما روي من القراءات التي
حكاها الزجاج كان الوجه الاول الذي ذكرناه في الآية يزيل الشبهة فيها ويمكن في الآية وجه آخر
على جميع القراءات المختلفة في عبد الطاغوت وهو ان يكون المراد بجعل منهم عبد الطاغوت اي نسبه
اليهم وشهد به عليهم من خلقهم والجعل والصنع قد يكون بمعنى الخلق والفعل كقوله تعالى وجعل الظلمات
والنور وكقوله تعالى وجعل لكم من الجبال اكنانا وهو ههنا يتعدى الى مفعول واحد وقد يكون ايضا بمعنى
التسمية والشهادة كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وكقول القائل جعلت البصرة

البصرة بغداد وجعلتني كافرا وجعلت حسني قبيحا وما اشبه ذلك فهي ههنا تتعدى الى مفعولين
وجعل وصنع اخوان احتجنا الى ذكرهما لانه تعالى قال ونسب عبد الطاغوت اليه وشهد انه من خلقهم
فان قيل لو كانت جعل بما ذكرتم لوجب ان تكون متعدية الى مفعولين لانها اذا لم تتعد الا الى مفعول واحد
فلا معنى لها الا الخلق قلنا هذا غلط من توهمه لان جعل ههنا متعدية الى مفعولين وقوله تعالى منهم يقوم
مقام المفعول الثاني عند جميع اهل العربية لان كل جملة تقع في خبر المبتدا فيحسن ان تقع في موضع المفعول
الثاني لجعلت وظننت وما اشبههما وقال الشاعر

ابالاراجيز يا ابن اللوم توعدني ... وفي الاراجيز خلت اللوم والخور

وقد فسر ههنا على وجهين احدهما على الغاء خلت من حيث توسطت الكلام فيكون في الاراجيز
على هذا في موضع رفع بانه خبر المبتدا والوجه الثاني اعمال خلت فيكون في موضع نصب من حيث
وقع موقع المفعول الثاني فهذا بين لمن تدبره انشد ثعلب عن ابن الاعرابي

اما وابي للصبر في كل خلة ... اقر لعيني من غنى وهو ذلة
واني لاختار الظما في مواطن ... على بارد عذب واغنى بغلة
واستر ذنب الدهر حتى كانه ... صديق ولا اعتابه عند زلة
ولست كمن كان ابن امي مقترا ... فلما افاد المال عاد ابن علة
فما زلت حتى انقضى الود بيننا ... ولم اتطاول من نداه ببلة
وكنت له عند الممات عدة ... اسد بمالي دونه كل خلة

الاولى في هذه القطعة اطلاقها الخلة الحاجة والخلة ايضا الخصلة والخلة
بالضم ما كان حلوا من المرعى والخلة بالكسر ما يخرج من الاسنان بالخلال والخليل الحبيب من المودة
والمحبة والخليل ايضا الفقير وكلا الوجهين قد ذكر في قوله تعالى واتخذ ابراهيم خليلا ومنه حديث ابن مسعود
تعلموا العلم فانه لا يدري احدكم متى يختل اليه قال ابو العباس ثعلب يكون من شيئين احدهما من الخلة التي
هي الحاجة اي متى يحتاج اليه ويكون من الخلة وهي النبات الحلو ويكون معناه متى يشتهى ما عنده يشبه بالابل
لانها ترعى الخلة فاذا ملتها عدلوا بها الى الحمض فاذا ملت الحمض اشتهت الخلة ومن امثالهم جاءوا مخلين فلاقوا
حمضا اي جاءوا مشتهين لقتالنا فلاقوا ما كرهوا والخلة ايضا بنت المخاض والذكر الخل ويقال الجسم خل اذا
كان مهزولا قال الشاعر فاسقنيها يا سواد بن عمرو ... ان جسمي بعد خالي لخل
ويقال ايضا فصيل مخلول اذا شق لسانه حتى لا يرضع ويقال الخلة صوت تليل ومخلول ومثله الجرية

قال الشاعر ۞ فلو ان قوما انطقتني رماحهم ۞ نطقت ولكن الرماح اجرت ۞ اي لم يبلوا في الحرب شيئا
فكنت افخر بهم وقوله اوليعني من غني وهو ذلة يقول اختيار الصيانة مع الفقر احب الي من الغنى مع الذل
ومثله ۞ اذا كان باب الذل من جانب الغنى ۞ سموت الى العلياء من جانب الفقر ۞
صبرت وكان الصبر مني سجية ۞ وحسبك ان الله اثنى على الصبر ۞

وقوله واستر ما نب الدهر حتى كانه صديق اراد اني لا اشكو ما يصيبني به الدهر من خصاصة بل استر ذلك واظهر التجمل حتى كاني لا اسوء الصديق واسر العدو وهذا المعنى اراد بقوله والاعتاب عند زلة وقوله فلما الفاه المالك نادانه علة فالعرب تقول هم بنو اعيان اذا كان ابوهم واحدا وامهم واحدة فاذا كان ابوهم واحدا وامهاتهم شتى قيل اولاد علات ومنه الحديث الماثور عن النبي صلى الله عليه انه قال الانبياء اولاد علات اي امهاتهم شتى وابوهم واحد وكنى الشاعر بذلك عن التباعد والتقاطع لان الاكثر من بني العلات ما ذكرناه وقوله ودارت براي قاطعته وقوله ولم امتلق من زلة تبلة فالملق يكون بالشفتين واللمظ يكون باللسان وكنى بذلك عن انه لم يصب منهم شيئا ونال نفسه عنه [illegible] ان سأل سائل فقال ما تاويل قوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون وما الذي اثبت لهم العلم به وكيف يطابق وصفهم ههنا بالعلم وصفهم بالجهل في قوله تعالى قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون الجواب قلنا هذه الاية معناها متعلق بما قبلها لانه تعالى امرهم بعبادته والاعتراف بنعمته ثم عدد عليهم صنوف النعم التي ليست الا من جهته ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته فان العبادة تجب لاجل النعم المخصوصة فقال جل من قائل يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا الى اخر الاية ونبه في اخرها على وجوب توحيده والاخلاص له والبراءة من الشرك بقوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ومعنى قوله تعالى جعل لكم الارض فراشا انه مكن من الاستقرار عليها ويفترشونها ويتصرفون فيها وذلك لا يمكن الا بان تكون مبسوطة ساكنة دائمة السكون وقد استدل ابو علي بذلك وبقوله تعالى جعل لكم الارض بساطا على بطلان ما يقوله المنجمون من ان الارض كرية الشكل وهذا الذي ذكره ليس بشيء لان الذين يقولون ذلك لا يمنعون ان تكون فيها بسائط ومواضع مسطوحة يمكن الاستقرار عليها وليس يجب ان تكون جميعها كذلك ومعلوم ضرورة ان جميع الارض ليس مسطوحا مبسوطا وان كان مواضع الاستقرار فيها بهذه الصفة والمنجمون لا يمنعون ان يكون في الارض بسائط وسطوح يتصرف عليها ويستقر عليها وفيها وانما يذهبون الى ان جملتها شكل الكرة وليس له ان يقول قوله تعالى جعل

لكم الارض فراشا يقتضي الاشارة الى جميع الارض وجملتها الى مواضع منها لان ذلك تدفعه الضرورة من حيث انا نعلم بالمشاهدة ان فيها ما ليس ببساط ولا فراش ولا شبهة في ان جعله تعالى السماء على ما هي عليه ولا فراش ولا شبهة في ان جعله تعالى السماء على ما هي عليه من الصفة مما له تعلق بمنافعنا ومصالحنا وكذلك انزاله تعالى منها الماء الذي هو المطر الذي يظهر به الثمرات فننتفع بنيلها والاغتذاء بها فاما قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا فان الند هو المثل والعدل قال حسان بن ثابت

اتهجوه ولست له بند ۞ فشركما لخيركما الفداء ۞

فاما قوله تعالى وانتم تعلمون فيحتمل وجوها اولها ان يريد انكم تعلمون ان الانداد التي هي الاصنام وما جرى مجراها التي تعبدونها من دون الله تعالى لم تنعم عليكم بهذه النعم التي عددها ولا بامثالها وانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع ومعلوم ان المشركين الذين كانوا يعبدون الاصنام ما كانوا يدعون ولا يعتقدون ان الاصنام خلقت السماء والارض من دون الله تعالى ولا معه فالوصف لهم ههنا بالعلم انما هو لتاكيد الحجة عليهم وليصح لزوم الحجة لهم لانهم مع العلم بما ذكرناه يكونون اضيق عذرا والوجه الثاني ان يكون المراد بقوله تعالى وانتم تعلمون اي تعقلون وتميزون وتعلمون ما تقولون وتفعلون وتاتون وتذرون لان من كان بهذه الصفة فقد استوفى شروط التكليف ولزمته الحجة وضاق عذره في التخلف عن النظر واصابة الحق ونظير ذلك قوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب وانما يخشى الله من عباده العلماء والوجه الثالث ما قاله بعض المفسرين كمجاهد وغيره ان المراد بذلك اهل الكتابين التورية والانجيل خاصة ومعنى تعلمون اي انكم تعلمون انه اله واحد في التورية والانجيل فعلى الوجهين الاولين لا تنافي بين هذه الاية وبين قوله تعالى قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون لان علمهم تعلق بشيء وجهلهم بغيره وعلى الوجه الثالث اذا جعلت الاية التي سئلنا عنها تتعلق باهل الكتاب امكن ان تحمل الاية التي وصفوا فيها بالجهل تتناول غيرهم ممن لم يكن ذا كتاب يعرف التوحيد وكل هذا واضح بيانه يقع [illegible] الله عنه ومما يفسر من الشعر تفاسير مختلفة والقول يحتمل للكل قول امرء القيس ۞ وقد اغتدي ومعي القانصان ۞ وكل بمرباة مقتفر ۞
۞ فيدركنا فغم داجن ۞ سميع بصير طلوب نكر ۞
۞ الص الضروس حني الضلوع ۞ تبوع اريب نشيط اشر ۞
۞ فانشب اظفاره في النسا ۞ فقلت هبلت الا تنتصر ۞
فكر اليه بمبراته ۞ كما خل ظهر اللسان المجر ۞ فظل يرنح في غيطل ۞

انه

وانتم

[illegible]

قال ابن السكيت القانصات الصائدات والمرباه الموضع المرتفع يربأ فيه والمقتفر الذي يقتفر
آثار الوحش ويتبعها وقال غيره القانصان البازي والصقر والغضف الكلب الحريص على الصيد
يقال ما اشد غضفه اي ما اشد حرصه قال الاعشى تؤام ديار بني عامر وانت بآل عقيل فجع
اي مولع والداجن الذي يألف الصيد والسميع الذي اذا سمع حسا لم يفته والبصير الذي اذا رأى شيا
من بعيد لم يكذبه بصره والتبوع اذا تبع الصيد ادركه ولم يعجز عن لحوقه والنكر المنكر الحاذق بالصيد
ويروى نكر بالضم وقال ابن السكيت وغيره في قوله فانشب اظفاره في النسا اي فانشب الكلب
اظفاره في نسا الثور والنسا عرق في الفخذ معروف فقلت هبلت اي فقلت للثور الا تنتصر من الكلب
قالوا وهذا تهكم منه بالثور واستهزاء به والاصل في التهكم الوقوع على الشي يقال تهكم البئر اذا وقع
بعضه في بعض ومعنى فكر اليه بمدراته قال ابن السكيت وغيره معناه فكر الثور الى الكلب بمدراته اي
بقرنه ومعنى كما خل ظهر اللسان المجر اي طعنه به كما يخل الرجل لسان الفصيل وهو ان يقطع طرف
لسانه او يشقه حتى لا يقدر على الشرب من خلف امه وذلك اذا كبر واستغنى عن الشرب ومعنى فظل
يرنح في غيطل اي فظل الكلب يرنح ومعنى يرنح اي يميد ويميل كالسكران والغيطل الشجر الملتف ويكون
ايضا الجلبة والصياح وقوله كما يسدر الحمار النغر فالنغر الذي يدخل في راسه ذباب ازرق او اخضر
فيطير براسه ويدور واذا شبه الكلب في اضطرابه ونزوه بالحمار النغر قال ابن مقبل

ترى النعرات الزرق تحت لبانه   احاد ومثنى اصعقتها صواهله

وقال ابو عبيدة القانصان الفرس وصاحبه والجنبان الفرس يتبع وانشد قول عدي بن زيد

تقنصك الخيل وتصطادك الطير ولا تنكع لهو القنيص

اي لا تمنع منه قال وقوله فانشب اظفاره في النسا معناه فانشب الكلب اظفاره في نسا الثور فقلت
صاحب الفرس وناجي الممسك للفرس هبلت الا تدرك الثور فطعنه فقد امسكه عليك الكلب قال
محال ان يكون امرؤ القيس يغري الثور بقتل كلبه لان امرأ القيس يفخر بالصيد ويصف في اكثر شعره بانه مرزوق
منه مظفر فيه كقوله اذا ما خرجنا قال ولدان اهلنا   تعالوا الى ان ياتي الصيد نحطب
وكقوله مطعم للصيد ليس له غيرها كسب على كبره فكيف على هذا انه يغري الثور بقتل الكلب قال وانما
الا تنتصر الا تدنوا من الثور والدليل على ان تنتصر معنى تدنوا قول الراعي

وافرس في وادي بحمد بعيد ما   علا القيد سلمى البقعة المتناصر

بن المداني قال عبد بن بجي   فانك لا تعلي امر تطلبه ولذا كل الشي يا غير ناصر

اي دانيه ومعنى الصل الصلوم اي بعض اسنانه ملتصق ببعض وجمل الضلوع اي مشرف الضلوع
عاليها ويروى منتي الضلوع بالمؤنث اي منخيفا ويقال ان الضلوع اذا تقوست كان اوسع لجوفه واقوى
له ويروى يقضي الضلوع اي ينطوي خفيه ولحا في جنبه ومعنى فظل يرنح اي فظل الثور يرنح في
غيطل المطعنه صاحب الفرس وقد يجوز ايضا ان يكون الثور لقلة الكلب به ولانه انشب اظفاره فيه
وكل ذلك محتمل ومما يحمل ايضا على وجوه مختلفة قول امرئ القيس

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها   لما نسجتها من جنوب وشمال

فالقوم معنا لم يدرس رسمها للنسج هاتين الريحين فقط لانه هبت لتتابع الرياح والامطار والدليل على ذلك قوله في البيت
الاخر فهل عند رسم دارس من معول وقال اخرون معنى لم يعفها اي لم يدرس فالرسم على هذا القول
هو باق غير دارس ومعنى قوله في البيت الاخر فهل عند رسم سيدرس في المستقبل وان كان الساعة موجودا
غير دارس وقال اخرون في معنى قوله لم يعف مثل الوجه الثاني اي لم يدرس اثرها لما نسجتها
هي بواق ثوابت فتحزن لها ونجزع عند رويتها ولو عفت وامحت لاسترحنا وهذا مثل قول ابن
احمر الا ليت المنازل قد بلينا   فلا يرمين عن شزن حزينا ومثل قول الاخر

ليت الديار التي تبقى لتحزننا   كانت تبين اذا ما اهلها بانوا

وليس قوله فهل عند رسم دارس من معول نقضا لهذا انما هو كقولك درس كتابك اي ذهب بعضه
وبقي بعض وقال ابو بكر العبدي معناه لم يعف رسمها من قلبي وهو دارس في الموضع فلم يتناول قوله
لم يعف رسمها ما تناوله قوله فهل عند رسم دارس من جميع وجوهه فيتنافى الكلام وقال اخرون
اراد بقوله لم يعفها اي لم يدرس ثم اكذب نفسه بقوله فهل عند رسم دارس من معول كما قال زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدم   بلى وغيرها الارواح والديم

وكما قال الاخر فلا يبعدن يا خير عمرو بن مالك   بلى ان من زار القبور ليبعدا اراد ليبعدن فابدل
الالف من النون الخفيفة وهذا وجه ضعيف وبيت زهير لا يحتج به فما توهم من المناقضة والتكذيب
لانه يمكن ان يحمل على ما ذكرناه من احد الوجوه المتقدمة من انه اراد انه لم يعف ويبطل جملة وان
كان قد غيرته الديم والارواح بعضه واثرت في بعض فاما البيت الثاني فلا حجة فيه جملة لانه لم
يتضمن اثباتا او نفيا وانما دعا له بالا يبعد ثم رجع الى قوله بلى انه ليبعد من زار القبور وما يدعى عن واجب
ولا ثابت فكيف ما في البيت الثاني ويمكن في البيت وجه اخر وهو ان يكون معنى لم يعف رسمها
اي لم يزد ويكثر فيظهر حتى يعرفه المترسم ويتبينه المتامل بل هو خاف غير لائح ولا ظاهر فقال من بعد

وما عندهم دارس فلهذا قلنا الاول لانه قد اثبت الدروس لهم في كلا الموضعين ولا شبهة في ان عفا من حروف الاضداد التي تستعمل تارة في الدروس وتارة في الزيادة والكثرة قال الله تعالى حتى عفوا اي كثروا ويقال قد عفا الشعر اذا كثر وقال الشاعر ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات اللحم كوم اراد كثيرات اللحم ويقال قد عفا وبر البعير اذا زاد ويقال اعفيت شعره اذا كثرته وزدت فيه فاما القصيدة بان تحمل تشويب ونعت الحي اي يتوقف عن هذا الوجه فيذكر شيئا سواه تم

ان سأل سائل عن قوله تعالى يا اخت هرون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا. وقال هرون الذي نسبت مريم عليها السلام الى انها اخته ومعلوم انها لم تكن اختا لهرون اخي موسى عليهما السلام وما معنى من كان في المهد صبيا ولفظة كان تدل على ما مضى من الزمان وعيسى عليه السلام في حال تكلمهم ذلك كان في المهد صبيا الجواب قلنا اما هرون الذي نسبت اليه مريم عليها السلام فقد قيل فيه اقوال منها ان هرون المذكور في الآية كان رجلا فاسقا مشهورا بالعهر والشر وفساد الطريقة فلما انكروا ما جاءت به من الولد ظنوا بها ما لا يليق بها عليها السلام مرة نسبوها الى هذا الرجل تشبيها وتمثيلا فكان تقدير الكلام يا شبيهة هرون في فسقه وقبح فعله وهذا القول يروى عن سعيد بن جبير ومنها ان هرون هذا كان اخاها لابيها دون امها وقيل انه كان رجلا معروفا بالصلاح وحسن الطريقة والعبادة والتاله وقيل انه لم يكن اخاها على الحقيقة بل كان رجلا صالحا من قومها وانه لما مات شيع جنازته اربعون الفا كلهم يسمون هرون تبركا باسمه فلما انكروا ما ظهر من امرها قالوا لها يا اخت هرون اي يا شبيهته في الصلاح ما كان هذا معروفا منك ولا كان الذي يكون من فعل القبيح وتتطرق عليه الريب. وعلى قول من قال انه كان اخاها يكون معنى قولهم انك من اهل بيت الصلاح والسداد لان اباك لم يكن امرا سوء ولا كانت امك بغيا وانت مع ذلك اخت هرون المعروف بالصلاح والعفة فكيف اتيت بما لا يشبه نسبك ولا يعرف من مثلك ويقوي هذا القول ما رواه المغيرة بن شعبة قال ارسلني رسول الله صلى الله عليه الى اهل نجران فقالوا لي اليس نبيكم يزعم ان هرون اخي موسى وقد علم الله ما بين عيسى وموسى عليهما السلام من السنين فلم ادر ما ارد عليهم حتى رجعت الى النبي صلى الله عليه فذكرت له ذلك فقال الا قلت لهم انهم كانوا يدعون باسماء الصالحين قبلهم ومنها ان يكون معنى يا اخت هرون يا من هي من نسل هرون اخي موسى عليهما السلام كما يقال للرجل يا اخا تميم ويا اخا بني فلان وذكر مقاتل بن سليمان في قوله تعالى يا اخت هرون قال روي عن النبي صلى الله عليه انه قال هرون هذا الذي ذكر هو هرون اخو موسى عليهما السلام قال مقاتل وتاويل يا اخت هرون يا من هي من نسل هرون كما [illegible] والولد

عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا يعني باخيهم انه من نسلهم وجنسهم وكل قول من هذه الا قوله قد لحنا قوم من المفسرين فاما قوله تعالى من كان في المهد صبيا فهو كلام مبني على الشرط والجزاء والمقصود به الابهام والمعنى من يكن في المهد صبيا فكيف نكلمه ووضع ظاهر اللفظ الماضي موضع المستقبل لان الشارط لا يشترط الا فيما يستقبل وفي قول القائل انه يعني من يزرك يريد ان تزرني ازرك قال الله تعالى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك يعني ان يشأ يجعل وقال قطرب معنى كان هاهنا يعني صار فكان المعنى كيف نكلم من صار في المهد صبيا ويشهد بذلك قول زهير

،، اجزت اليه حرة ارحبية ،، وقد كان لون الليل مثل اليرندج ،،

وقال غيره كان هاهنا بمعنى خلق ووجد وقالت العرب كان الحر وكان البرد اي وجدا وحدثا وقال قوم لفظة كان وان اريد بها الماضي فقد يراد بها الحال والاستقبال كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس اي انتم كذلك وقوله جل وعز هل كنت الا بشرا رسولا وقوله تعالى وكان الله عليما حكيما وان كان قد قيل في هذه الآية الاخيرة غير ذلك قيل ان القوم شاهدوا اثار علمه وحكمته فاخبرهم الله تعالى انه لم يزل عليما حكيما اي فلا تظنوا انه استفاد علما وحكمة لم يكن عليهما ومما يقوي مذهب من وضع لفظ الماضي في موضع الحال والاستقبال قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم وقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار وقولهم في الدعاء غفر الله لك واطال بقاءك وما جرى مجرى ذلك ومعنى الكل يفعل الله بك الا انه لما امن اللبس وضع لفظ الماضي في موضع المستقبل وقال الشاعر

،، فادركت من قد كان قبلي ولم ادع ،، لمن كان بعدي في القصائد مصنعا ،،

اراد لمن يكون ومما جعلوا فيه المستقبل في موضع الماضي قول [illegible] العبدي يرثي المغيرة بن المهلب

قل للقوافل والغزاة اذا غزوا ،، والباكرين وللمجد الرائح
،، ان السماحة والشجاعة ضمنا ،، قبرا بمرو على الطريق الواضح ،،
،، فاذا مررت بقبره فاعقر به ،، كوم المطي وكل طرف سابح
،، وانضح جوانب قبره بدمائها ،، فلقد يكون اخا دم وذبائح ،،

معناه فلقد كان

ان سال سائل فقال كيف يطابق ما روي عن النبي صلى الله عليه انه قال لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وانه قيل له عليه السلام ان النقبة تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الابل فقال فما اعدى الاول لما روي عنه من قوله لا يورد ذو عاهة على مصح وقوله عليه السلام فر من المجذوم فرارك من الاسد وان رجلا مجذوما اتاه عليه السلام ليبايعه بيعة الاسلام فارسل اليه بالبيعة وامره بالانصراف

ولم يأذن له عليه السلم وروي عنه عليه السلم انه قال الشُّوُم في المراة والدابة وظواهر هذه الاخبار متنافية
متناقضة فبينوا وجه الجمع بينها الجواب قلنا ان ابن قتيبة قد سال نفسه عن اختلاف هذه الاخبار
واجاب عن ذلك بما نذكره على وجهه ونذكر ما عندنا فيه فانه قال [illegible] قال ان لكل معنى
من الاخبار وقتا وموضعا فاذا وضع موضعه زال الاختلاف قال والعدوى جنسان احدهما عدوى
الجذام فان المجذوم تشتد رائحته حتى يسقم [illegible] مجالسيه ومواكليه وكذلك المراة تكون تحت المجذوم
فتضاجعه في شعار واحد فيوصل اليها الاذى وربما جذمت وكذلك ولده ينزعون في الكبر اليه وكذلك
من كان به سل ودق والاطباء تامر بان لا يجالس المسلول والمجذوم ولا يريدون بذلك معنى العدوى
وانما يريدون تغير الرائحة وانها قد تسقم في الحال اشتمامها والاطباء ابعد الناس من الايمان بيمن او
شوم وكذلك النقبة تكون بالبعير وهي جرب رطب فاذا خالط الابل وحاككها واوصل اليها الماء الذي
يسيل منه نحو ما به فهذا هو المعنى الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه لا يوردن ذو عاهة على مصح
قال وقد ذهب قوم الى انه اراد عليه السلم بذلك ان لا يظن الذي نال ابله من ذوات العاهة فياثم قال وليس
لهذا عندي وجه لانا نجد الذي خبرتك به عيانا قال واما الجنس الاخر من العدوى فهو الطاعون ينزل
ببلد فيخرج منه خوفا من الطاعون وحكى عن الاصمعي عن بعض البصريين انه هرب من الطاعون فركب حمارا
ومضى باهله نحو سفوان فسمع حاديا يحدو خلفه وهو يقول: لن يُسبَقَ الله على حمار ..
ولا على ذي منعة طيار .. او ياتي الحتف على مقدار .. قد يصبح الله امام الساري

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان بالبلد الذي انتم فيه فلا تخرجوا منه وقال عليه السلم
اذا كان ببلد فلا تدخلوه يريد بقوله عليه السلم لا تخرجوا من البلد اذا كان فيه كانكم تظنون
ان الفرار من قدر الله ينجيكم ويريد بقوله عليه السلم اذا كان ببلد فلا تدخلوه ان مقامكم بالموضع الذي
لا طاعون فيه اسكن لانفسكم واطيب لعيشكم قال ومن ذلك المراة تعرف بالشوم والدار فينال
ما وجد وجايحة فيقول اعدتني بشومها قال فهذا هو الذي قال فيه النبي عم لا عدوى فاما الحديث
الذي رواه ابو هريرة عن النبي عم انه قال الشوم في المراة والدار والدابة فان هذا يتوهم فيه الغلط
على ابي هريرة وانه سمع فيه شيئا من النبي عم فلم يعه وروى ابن قتيبة خبرا رفعه الى ابي حسان الاعرج ان رجلين
دخلا على عائشة فقالا ان ابا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه السلم انه قال انما الطيرة في المراة والدار
والدابة فطارت شققا ثم قالت كذب والذي انزل القرآن على ابي القاسم من حدث بهذا الحديث عن
رسول الله وانما قال رسول الله صلى الله عليه كان اهل الجاهلية يقولون ان الطيرة في المراة والدار

والدابة ثم قرات ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها وروي
خبر عن انس بن مالك قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه فقال يا رسول الله انا نزلنا دارا
فكثر فيها عددنا وكثرت فيها اموالنا ثم تحولنا الى اخرى فقلت اموالنا وقل عددنا فقال رسول
الله صلى الله عليه ذروها وهي ذميمة قال ابن قتيبة هذا ليس ينقض الحديث الاول وانما امرهم
بالتحول منها لانهم كانوا مقيمين فيها على استثقال لظلها واستيحاش لما نالهم فيها فامرهم
عليه السلم بالتحول وقد جعل الله في غرائز الناس وتركيبهم استثقال ما نالهم السوء فيه فان كان
سببهم وان كان لا سبب لهم في ذلك وحب من جرى على يده الخير لهم وان لم يردهم به.

ما وجدنا ابن قتيبة عمل شيئا اكثر من انه لما اخذ تاويل الاخبار التي سال نفسه عنها
والمطابقة بينها وبين قوله عليه السلم لا عدوى ولا طيرة ادعى التخصيص فيما ظاهره العموم وخص العدوى
بشيء دون شيء ودل بما سلك به تاويلا [illegible] نقض قوله صلعم لانه عم لما سئل عن النقبة تقع بمشفر
البعير فيجرب لذلك الابل قال عليه السلم فما اعدى الاول تكذيبا بعدوى هذه النقبة وتاثيرها واطرح
ابن قتيبة ذلك وزعم ان الجرب يعدي ويؤثر في المخالطة والمواكلة وعول في ذلك على قول الاطباء وترك
قول الرسول عليه السلم من طريق ايضا انه قال ان الاطباء ينهون عن مجالسة المسلول والمجذوم
ولا يريدون بذلك معنى العدوى وانما يريدون تغير الرائحة وانها تسقم من ادمن اشتمامها وهذا غلط لا
منه لان الاطباء انما تنهى عن ذلك خوفا من العدوى وسبيل العدوى عندهم هو اشتمام الرائحة وانفصال
اجزاء من السقيم الى الصحيح وليس اذا كان من جهله عدوى عند قوم ما اوجب الا يكون هذا ايضا ولما كان
عن جزء تاويله صحيحا في قوله عليه السلم لا يوردن ذو عاهة على مصح ادعى ان العيان يدفعه وانه يبان انه
ونحن نجد من يخالط الجرب فلا يجرب ونجد الصحاح تخالط ذوات العاهات فلا يصيبها شيء
من ادوائها فكانه انما يدعي العيان لدفع قول النبي صلى الله عليه فمن اعدى الاول والوجه عندنا
في قوله عليه السلم لا يوردن ذو عاهة على مصح انما نهى عن ذلك وان لم يكن مؤثرا على الحقيقة
لان من علم كالمدخل العاهة على غيره لان من اعتقد ان ذلك يعدي ويؤثر فاورد على ابله فلابد
ان يلحقه لما تقدم من اعتقاده ضرر وغم ولا يبعد ان يتهم من عامله بذلك وكانه عليه السلم نهى
اذى الناس والتعرض لذمهم وقد يجوز ايضا فيما حكاه ابن قتيبة عن غيره ما لم يرتضه من انهم
متى ظنوا ذلك اثموا فنهى عليه السلم عن التعرض لما يؤثم ولو نقل ابن قتيبة ما قاله عليه السلم في الطاعون
اذا كان ببلد فلا تدخلوه وامره لمن شكا اليه ما لحقه في الدار بالتحول عنها الى غيرها لكان قد اصاب

به حمل ذلك على أن يجتنب البلد الذي يسكن النفس وكذلك الدار وهذا يمكن في قوله عليه السلم لا يوردن ذو عاهة على مصح بعينه فأما قوله عليه السلم فر من المجذوم فرارك من الأسد فليس فيه أن ذلك لأجل العدوى وقد يمكن أن يكون لأجل نتن ريحه واستقذاره وتقزز النفس منه وأن ذلك ربما أدى إلى تعييره والازراء عليه امتناعه عليه السلم من ادخال المجذوم ليبايعه يجوز أن يكون الغرض فيه العدوى ويمكن أن يكون بل بعض الأسباب المانعة التي ذكرنا بعضها وأما حديث الطاعون فالقول فيه على ما قاله وقد كان سبيله ما قيل في عدوى الجذام والجرب على قول الأطباء أن يرجع أيضا إلى قولهم في الطاعون لأنهم أن الطاعون الذي يعرض من تغير الأهوية وما جرى مجراها يعدي كعدوى الجرب والجذام والعيان الذي ادعاه ليس هو أكثر من وجوده من يجرب أو يجذم لمخالطة من كان بهذه الصفة وهذا العيان موجود في الطاعون فإنا نرى عمومه لمن يسكن بالبلد الذي يكون فيه وموطنه البلد فأما الخبر الذي يتضمن أن الشؤم في المرأة والدار والدابة فالذي ذكره من الرواية في معناه يزيل الشبهة به على أنه لو لم يكن ههنا رواية في تأويله جاز أن يحمل على أن الذي يتطير به المتطيرون ويدعون الشؤم فيه هو المرأة والدار والدابة ولا يكون ذلك إثباتا للطيرة والشؤم في هذه الأشياء بل على طريق الإخبار بأن الطيرة الثابتة إنما هي فيها للقوم أمر ما عند أصحاب الطيرة وما ذكره بعد ذلك في الدار وأمرهم عليه السلم بالانتقال عنه تأويل قريب وقد كان يجب أن يهتدي إليه فيما تقدم وما التوفيق إلا من عند الله تعالى

[illegible] إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم أو ليس ظاهر هذا الكلام يقتضي جواز الحجاب عليه تعالى وأنتم تمنعون من ذلك الجواب قلنا ليس في الآية أكثر من ذكر الحجاب وليس فيها أنه حجاب له تعالى أو لكلامه أو لمن يكلمه وإذا لم يكن في ظاهرها شيء من ذلك جاز صرف الحجاب إلى غيره جل وعز مما يجوز أن يكون محجوبا وقد يجوز أن يريد تعالى بقوله أو من وراء حجاب أنه يفعل كلاما في جسم محتجب عن المتكلم غير معلوم له على سبيل التفصيل فيسمع المخاطب الكلام ولا يعرف محله على طريق التفصيل فقال إنه مما هو مكلم من وراء حجاب وروي عن مجاهد في قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا قال هو داود عليه السلم أوحي في صدره فزبر الزبور أو من وراء حجاب موسى عليه السلم أو يرسل رسولا جبرئيل عليه السلم أرسل إلى محمد صلى الله عليه وسلم فأما أبو علي الجبائي فإنه ذكر أن المراد بالآية ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا مثل ما يكلم به عباده من الأمر بطاعته والنهي لهم عن معاصيه وتنبيهه إياهم على ذلك من جهة الخاطر أو المنام أو ما أشبه ذلك على سبيل الوحي قال وإنما سمى الله تعالى ذلك وحيا لأنه خاطر وتنبيه وليس هو كلاما لهم على سبيل الإفصا

للإفصاح كما يفصح الواحد منا لصاحبه إذا خاطبه والوحي في اللغة إنما هو ما جرى مجرى الإيماء والتنبيه على شيء من غير أن يفصح به فهذا هو معنى ما ذكره الله تعالى في الآية قال وعنى بقوله تعالى أو من وراء حجاب أن يحجب ذلك الكلام من جميع خلقه إلا من يريد أن يكلمه به نحو كلامه لموسى عليه السلم لأنه حجب ذلك عن جميع الخلق إلا موسى وحده عليه السلم في كلامه إياه أولا وأما كلامه إياه في المرة الثانية فإنه إنما أسمع ذلك موسى ع والسبعين الذين كانوا معه وحجب عنه جميع الخلق سواهم فهذا هو معنى قوله جل وعز أو من وراء حجاب لأن الكلام هو الذي كان محجوبا عن الناس وقد يقال إنه تعالى حجب عنهم موضع الكلام الذي أقام الكلام فيه فلم يكونوا يدرون من أين يسمعونه لأن الكلام عرض لا يقوم إلا في جسم ولا يجوز أن يكون أراد تعالى بقوله أو من وراء حجاب أن الله تعالى كان من وراء حجاب يكلم به عباده لأن الحجاب لا يجوز إلا على الأشياء المحدودة قال وعنى بقوله تعالى أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إرساله الملائكة عليهم السلم بكتبه وبكلامه إلى أنبيائه عليهم السلم فهذا أيضا ضرب من الكلام الذي يكلم الله تعالى به عباده ويأمرهم فيه بطاعته وينهاهم عن معاصيه من غير أن يكلمهم على سبيل ما كلم موسى عليه السلم وهذا الكلام هو خلاف الوحي الذي ذكره تعالى في أول الآية لأنه قد أفصح تعالى لهم في هذا الكلام بما أمرهم به ونهاهم عنه والوحي الذي ذكره تعالى في أول هذه الآية هو تنبيه وخاطر وليس فيه إفصاح وهذا الذي ذكره أبو علي أيضا سديد والكلام محتمل لما ذكره ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالحجاب البعد والخفاء ونفي الظهور وقد تستعمل العرب لفظة الحجاب فيما ذكرناه فيقول أحدهم لغيره إذا استبعد فهمه واستبطأ فطنته بيني وبينك حجاب ويقول في الأمر الذي يستبعده ويستصعب طريقه بيني وبين هذا الأمر حجب وموانع وسواتر وما جرى مجرى ذلك فيكون معنى الآية أنه تعالى لا يكلم البشر إلا وحيا بأن يخطر في قلوبهم أو بأن ينصب لهم أدلة تدلهم على ما يريده أو يكرهه منهم فيكون من حيث نصبها للدلالة على ذلك والإرشاد إليه مخاطبا ومكلما للعباد بما يدل عليه ويجعل تعالى هذا الخطاب من وراء حجاب من حيث لم يكن مسموعا كما يسمع الخطاب وقول الرسول ولا ظاهرا متعلقا بالكلام المراد لهم كما تؤدي الرسل المؤدون عنه تعالى من الملائكة عليهم السلم بهذه الصفة فصار الحجاب ههنا كناية عن الخفاء وسائغا لما تدل عليه الأدلة وليس لأحد أن يقول إن الأدلة تدل على الأحكام وهي من صفاته تعالى وما يريده ومراده ولا يقال إنه تعالى مكلم لذاته وذلك أنه غير ممتنع على سبيل التجوز أن يقال فيما يدل عليه الأدلة التي نصبها تعالى ليدل على مراده ويرشد إليه إنه مكلم لنا ومخاطب بها ولهذا لا يمتنع المسلمون من أن يقولوا إنه تعالى خاطبنا بما دلت عليه الأدلة العقلية وأمرنا بعبادته ونهانا عما كرهه منا وفعله الإرادة وهكذا يقولون فيمن فعل فعلا يدل على أمر من الأمور قد خاطبنا فلان بما

فعل كذا أكذا أو لذا وقال أنا وأمرا دهرنا وما أشبه ذلك من الأفعال التي تجوز بها في الكلام
للتحقيق وهذا الاستعمال أكثر وأظهر من أن يؤتى لها باستشهاد ونظائر [illegible] ومن مستحسن
ما قيل في الذئب قول أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري ولقد ألم بنا المغير بادي الشقاء محارف الكسب
يدعو الغنى أن نال علقته من مطعم غبًّا إلى غبّ ولوى ثميلته وألحقها بالصلب بعد لدونة الصلب
يا ضلّ سعيك ما صنعت بما جمعت من شبّ إلى دبّ لو كنت ذا لبّ تعيش به لفعلت فعل المرء ذي اللبّ
وجعلت صالح ما اخترفت وما جمعت من نهب إلى نهب وأظنه شغبًا يلمّ به فلقد هبطت بغاية الشغب
ورأيت حقًّا أن أضيّفه إذ رام سلمي واتّقى حربي إذ كان من أصل يعيش بها متوجّة وركائب الركب
فأعمد إلى أهل الوقير فما يخشاك غيرهم مع الزّرب احسبتنا من لطيفه فأخبرتنا الأنس للنسب
وبغير معرفة ولا سبب إني وشعبك ليس من شعبي لما رأى أن ليس نافعه جدٌّ تهاون صادقًا الإرب
فلح لحاجة الحاجة شكوى الضرر ومزجر الكلب بادي التكلح تشكّى سغبًا وأنا ابن قاتل شدة السغب
فرأيت أن قد نلته بأذى من عذر مظلمة ومن سبّ فوقفت معتامًا أزاولها بمهنّد ذي رونق عضب
فعرضته في ساق أسمنها فاختار بين الحاذ والكعب فتركتها لعيالهم جزرًا عمدًا وعلّق رحلها صحبي
ذكرتها طارق ليلة وقوله محارف الكسب مثل ضربها لا يبقى لبنت الأتي بكسبه ويقي له
يدعو الغنى أن نال علقته أي وجد ما يتعلق به من مطعم غبًّا أي يومًا بعد يوم فذلك عنده الغنى والعلقة
ما يبقى في البطن من الطعام أو غيره ومعنى طوى ثميلته ذهب بها وأراد أنه لم يبق في بطنه ما يمسكه
اللدونة اللين فأراد أنه ألحق بقية طعامه بصلبه بعد أن لان فأصلب مضمارًا ثم أقبل على الذئب
ثم قال له يا سغبت بما جمعت من شبّ إلى دبّ وهذان اسمان للشباب والهرم لا يفردان ولا
يلفظ بهما إلا معًا احترفت اكتسبت ومعنى من نهب إلى نهب أي من الأحد والمعنى فيما هو فيه كنت
شابًا حتى دببت على العصى ثم قال لو كنت ذا لبّ لجمعت ما تصيده ومعنى اخترفت اكتسبت ومعنى
من نهب إلى نهب أي من عدو يكر على الغنم إلى عدو أخرى ثم قال إن كان يعرضك لنا شغبًا
فقد هبطت بغاية الشغب إلى ما قدر ونقاتل وليس ههنا ما يغير عليه وإنما معنا مناصل
مشحوذة ورماح ثابتة التي يمنعها فأعداؤك أهل الوقير والوقير القطيع من الغنم ولا يسمى وقيرًا
إذا كان فيه حمار يعول عليه وصاحب الغنم فإنما يخشاك الراعي والمهضوم الذي يحتمل القوم وأهله
المكان الضيق وحسب من مخافة يجدها الراعي في الرحل من الحمل للشاة الأبية الصغيرة حتى إذا برلت
كان يبقى بها في البيوت ومعنى شعبك ليس من شعبي ليست من قبيلتي ولا نسلي والدرب الذي يعنيه
عند

عند الحاجة وشكوى الضيم أي أنه قد مسه الضر ومزجر الكلب أي منا قريب المكان يقدر مزجر الكلب
لدى خبائه والسغب الجوع وأراد بقوله وأنا ابن قاتل شدة السغب أي أنا ابن من كان يقري ويطعم
ثم رجع إلى كربه فقال ثم بعد إساءته وعرضته بالأذى والعزم أن أضيفه وأقريه لأنه ضيف وإن
كان ذئبًا فوقفت أنظر في ركائبي وإبلنا لأسمنها والأعتيام الاختيار وأراد لها الأسمن لها الحاذ
حذاء الفخذين اللذان يليان الذنب وخبر أنه حل المطية التي عقرها علقه بعض أصحابه على منية الرحل
وقال البحتري يذكر ذئبًا، وماء كلون الغسل قد عاد آجنًا، قليل به الأصوات في بلد محل

وجدت عليه الذئب يعوي كأنه ، خليع خلا من كل مال ومن أهل
فقلت له يا ذئب هل لك في أخ .. يواسي بلا منّ عليك ولا بخل
فقال هداك الله للرشد إنما .. دعوت لما لم يأته سبع قبلي
فلست بآتيه ولا أستطيعه .. ولاك اسقني إن كان ماؤك ذا فضل
فقلت عليك الحوض إني تركته . وفي صفوه فضل القلوص من السجل
فطرّب يستعوي ذئابًا كثيرة .. وعدّيت كلّ من هواه على شغل

وروي أن الفرزدق بالغريين فحضره على ناره ذئب وتاب فأبصره متعبًا يصيح ومع الفرزدق
مسلوخة فرمى إليه بيد فأكلها فرمى إليه بما بقي فأكله فلما شبع ولى عنه فقال

وليلة بتنا بالغريين ضافنا .. على الزاد ممشوق الذراعين أطلس
تلمّسنا حتى أتانا ولم يزل .. لدن فطمته أمه يتلمّس
فلو أنه إذ جاءنا كان دانيًا .. لألبسته لو أنه كان يلبس
ولكن تنحّى جنبه بعد ما دنا .. فكان كقاب القوس أو هو أنفس
فقاسمته نصفين بيني وبينه .. بقية زادي والركائب نعّس
وكان ابن ليلى إذ قرى الذئب زاده .. على طارق الظلماء لا يتعبّس

[illegible] الفزاري واسمه قيس بن [illegible] بالنجم الأبيات المشهورة في الذئب وهي

وأعوج من أهل الغريف كأنه .. بنيّات ليث سيد آبه الليل جائع
يعكّ به أطراف ليل كأنه .. وليس به ظلع من الخمص ظالع
فلما أتاه الرزق من كل وجهة .. جنوب الملا وأيأسته المطامع
طوى نفسه طيّ الجرير كأنه .. حوى حيّة في ربوة فهو هاجع

فلما اصابت متنه الشمس حكه ؞ باعصل في انيابه السم ناقع
وفكك لحييه فلما تعاديا ؞ صأى ثم اقعى والبلاد بلاقع
وهم بامر ثم ازمع غيره ؞ وان ضاق قد ذرعا فهو واسع
وعارض اطراف الصبا وكانه ؞ رجاع غدير هزه الريح رائع
فقلت تعلم ان غير نائم ؞ الى مستقل بالخيانة انيبا
بعيد المطاف لا يغيب على الغنى ؞ ولا يأتلي ما استطاع ان يكسبا

معنى انيب اغلظ الناب لا انام اليه اي لا اثق به منه ذلك استنمت الى فلان اذا اطمانت اليه
لا يغيب على الغنى اي لا يلتمس مطعما وهو شبعان [illegible]

فظل يراعي الجيش حتى تغيبت ؞ حياش وحالت دونهن الاجارع
اذا ما غدا يوما رايت غيابة ؞ من الطير ينظرن الذي هو صانع
حفيف المعى الا مصيرا يبله ؞ دم الجوف او سؤر من الحوض ناقع
هو البعل الداني من الناس كالذي ؞ له صحبة وهو العدو المنازع
ينام باحدى مقلتيه ويتقي ؞ باخرى المنايا فهو يقظان هاجع

وصف ذئبا يتبع الجيش طمعا في ان يخلف رجل يثب عليه لانه من بين السباع لا يرغب في القتلى ولا يكاد ياكل الا ما افترسه وحياش اسم هضبة وقال بعضهم والذي يعرف انه حياش اسم من اسماء الشمس والاجارع الرمل [illegible] ما يتلو والمعي المعا والبعل المتحبب الى الجليس

ان سال سائل عن قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين فقال ما تنكرون ان يكون في هذه الاية دلالة على جواز الرؤية عليه تعالى من جهتين احداهما انه لو لم تجز لما سالها موسى عليه السلم كما لا يجوز ان يسال الصفات المنفية والولد ولو كانت ايضا الرؤية مستحيلة لم يعلقها بامر يجوز ان يقع وهو مستقر الجبل واذا علمنا ان الجبل يجوز ان يكون مستقرا فيجب ان تجوز الرؤية ايضا لانها في حكم ما تعلقت به وقوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل يقتضي جواز الحجاب عليه تعالى لان التجلي والظهور لا يكونان الا بعد الاحتجاب والاستتار الجواب قلنا اول ما نقوله ان الله [illegible] مسالة الرؤية [illegible] ولا يجوز لان السائل قد [illegible] العلم [illegible] دلالة في [illegible] الرؤية [illegible]

ولاصحابنا

ولاصحابنا عن هذه المسئلة اجوبة احدها وهو الاولى والاقوى ان يكون موسى عليه السلم لم يسال الرؤية لنفسه وانما سالها لقومه فقد روي انهم طلبوا ذلك منه والتمسوه فاجابهم بانها لا تجوز عليه تعالى فلم يقنعوا بجوابه وآثروا ان يرد الجواب من قبل ربه تعالى فوعدهم بذلك وغلب في ظنه ان الجواب اذا ورد من جهته جل وعز كان احسم للشبهة وابلغ في دفعها عنهم فاختار السبعين الذين حضروا الميقات ليكون سؤاله بحضرتهم فيعرفوا ما يرد من الجواب فسال فاجيب بما يدل على ان الرؤية لا تجوز عليه تعالى ويقوي هذا الجواب اشياء منها قوله تعالى يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ومنها قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ومنها قوله تعالى ولما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا لان اضافة ذلك الى السفهاء يدل على انه كان بسببهم ومن اجلهم لانهم سالوا ما لا يجوز عليه ومنها ذكر الجهرة في الرؤية وهي لا تليق الا برؤية البصر دون العلم وهذا يقوي ان الطلب لم يكن للعلم الضروري على ما سنذكره في الجواب الثاني ومنها قوله تعالى انظر اليك لانا اذا حملنا الاية على طلب الرؤية لقومه امكن ان يحمل قوله تعالى انظر اليك على حقيقته واذا حملنا الاية على الطلب لعلم الضروري احتجنا الى حذف في الكلام وتقديره ارني انظر الى الايات التي عندها اعرفك ضرورة ويكون في هذا الوجه الاخير خاصة انه يقال اذا كان المذهب الصحيح عندكم ان النظر على الحقيقة غير الرؤية فكيف يكون قوله انظر اليك على حقيقته في جواب من حمل الاية على طلب الرؤية لقومه فان قلتم لا يمتنع ان يكون المسؤول الرؤية التي يكون معها النظر والتحديق بالجهة فسال عليه السلم على حسب ما طلبوا قيل لهم هذا ينتقض فرقكم في هذا الجواب بين سؤال الرؤية وبين سؤال جميع ما يستحيل عليه من الصاحبة والولد وما يقتضي الجسمية بان تقولوا الشك في الرؤية لا يمنع من معرفة السمع ولا شك في ان جميع ما ذكرتم يمنع من ذلك لان الشك الذي لا يمنع من معرفة السمع انما يحمل ذكر النظر فيه على ان المراد به نفس الرؤية على سبيل المجاز لان من عادة العرب ان يسموا الشيء باسم الطريق اليه وما قاربه وداناه قلنا فهو نعم عدلتم من مجاز الى مجاز فلا قوة في هذا الوجه والوجه الذي ذكرناه في تقوية هذا الجواب المتقدم اولى والسؤال عليه ان يقال لو كان عليه السلم انما سال الرؤية لقومه لم يضف السؤال الى نفسه فيقول رب ارني انظر اليك ولا كان الجواب مختصا به وهو قوله تعالى لن تراني فذلك انه غير ممتنع وقوع الاضافة على هذا الوجه مع ان المسالة كانت من اجل الغير اذا كانت هناك دلالة تؤمن من اللبس

الشبهة ولهذا يقول احدنا اذا استشفع في حاجة غيره للمشفوع اليه اسالك ان تفعل بي كذا وتجيبني الى
كذا ويحسن ان يقول له المشفوع اليه قد اجبتك وشفعتك وما جرى مجرى ذلك وانما حسن هذا لان
للسائل في المسألة غرضا وان رجعت الى الغير فتحققه وتعلقه كتكفل اذا الخصته ولم تعده فان
قيل كيف يجوز منه عليه السلم مع علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى ان يسأله فيها لقومه ولئن جاز ذلك
ليجوزن ان يسأل لقومه سائر ما يستحيل عليه تعالى من كونه جسما وما اشبهه مما شكوا فيه قلنا انما صح
ما ذكرناه في الرؤية ولم يصح فيما سألت عنه لان مع الشك في جواز الرؤية التي لا تقتضي كونه جسما
يمكن معرفة السمع وانه تعالى حكيم صادق في اخباره فيصح ان يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى
ما شكوا في صحته وجوازه ومع الشك في كونه جسما لا تصح معرفة السمع فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم وقد قال
بعض من تكلم في هذه الآية قد كان يجوز ان يسأل موسى عليه السلم لقومه ما يعلم استحالته وان كانت دلالة
السمع لا تثبت قبل معرفته متى كان المعلوم ان في ذلك صلاحا للمكلفين في الدين وان ورود الجواب يكون لطفا
لهم في النظر في الادلة واصابة الحق منها غير ان من اجاب بذلك شرط ان يبين النبي صلى الله عليه وسلم في مسألته
علمه باستحالة ما سأل عنه وان غرضه في السؤال ورود الجواب ليكون لطفا والجواب الثاني في الاية
ان يكون موسى عليه السلم انما سأل ربه ان يعلمه نفسه ضرورة باظهار بعض اعلام الاخرة التي تضطر الى المعرفة
فتزول عنه الدواعي والشكوك والشبهات ويستغني عن الاستدلال فتخف المحنة عليه بذلك كما سأل ابراهيم
عليه السلم ربه تعالى ان يريه كيف تحيى الموتى طلبا لتخفيف المحنة عليه بذلك وان كان قد عرف ذلك قبل ان يراه
والسؤال وان وقع بلفظ الرؤية فان الرؤية تفيد العلم كما تفيد الادراك بالبصر وذلك اظهر من ان يدل
عليه ونستشهد له فقال له عز وجل لن تراني اي لن تعلمني على هذا الوجه الذي التمسته ثم اكد تعالى ذلك بان
اظهر في الجبل من اياته وعجائبه ما دل به على ان اظهار ما تقتضي المعرفة الضرورية في الدنيا مع التكليف
يمتنع منه والوجه الاول اولى لما ذكرناه من الوجوه لانه لا يخلو موسى عليه السلم من ان يكون شاكا في المعرفة
الضرورية لا يجوز حصولها في الدنيا او عالما بذلك فان كان شاكا فهذا مما لا يجوز على النبي عليه السلم لان الشك
فيما يرجع الى اصول الديانات وقواعد التكليف لا يجوز عليهم سلام الله عليهم سيما وقد يجوز ان يعلم ذلك
على حقيقته بعض امتهم فيزيد عليهم في المعرفة وهذا ابلغ في التنفير عنهم من كل شيء يمنع منه فيهم
وان كان عالما فلا وجه لسؤاله الا ان يقال انه سال لقومه فيعود الى معنى الجواب الاول والجواب الثالث
في الاية ما حكي عن بعضهم ممن تكلم في هذه الاية من اهل العدل وهو ان قال يجوز ان يكون موسى عليه السلم في وقت
مسألته ذلك كان شاكا في جواز الرؤية على الله تعالى فسال عن ذلك ليعلم هل يجوز عليه ام لا قال وليس شكه في

١٢٨

ذلك بمانع ان يعرف الله تعالى بصفاته بل يجري مجرى شكه في جواز الرؤية على بعض ما لا يرى من الاعراض
في انه غير مخل بما يحتاج اليه في معرفته تعالى قال ولا يمتنع ان يكون غلطه في ذلك ذنبا صغيرا وتكون التوبة
الواقعة منه لاجل ذلك وهذا الجواب يبعد من قبل ان الشك في جواز الرؤية التي لا تقتضي تشبيها وان كان
لا يمنع من معرفته تعالى بصفاته فان الشك في ذلك لا يجوز على الانبياء عليهم السلم من حيث يجوز من بعض
من بعثوا اليه ان يعرف ذلك على حقيقته فيكون النبي عليه السلم شاكا فيه وغيره عارفا به مع رجوعه الى المعرفة
بالله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز اليه وهذا اقوى في التنفير وان يفسر كلما وجب تجنيب الانبياء عليهم
السلم فان قيل فعلى اي شيء كانت توبة موسى عليه السلم على الجوابين المتقدمين قلنا اما من ذهب الى ان المسالة
كانت لقومه فانه يقول انما تاب لانه اقدم على ان يسأل على لسان قومه ما لم يؤذن له فيه وليس للانبياء
عليهم السلم ذلك لانه لا يؤمن ان يكون الصلاح المنع منه فيكون ترك اجابتهم اليه منفرا عنهم ومن ذهب
الى انه سال المعرفة الضرورية يقول انه تاب من حيث سال معرفة لا يقتضيها التكليف جميع الاحوال
التوبة من ذنب صغير لا يستحق عليه العقاب ولا الذم والاولى ان يقال في توبته عليه السلم انه ليس في الاية ما
يقتضي ان تكون التوبة وقعت من المسألة او من امر يرجع اليها وقد يجوز ان يكون ذلك منه اما لذنب صغير تقدم
تلك الحال او تقدم النبوة فلا يرجع الى المسألة وقد يجوز ايضا ان يكون ما اظهره من التوبة على سبيل الرجوع
الى الله تعالى واظهار الانقطاع اليه والتقرب منه وان لم يكن هناك ذنب معروف وقد يجوز ايضا ان
يكون الغرض في ذلك مضافا الى ما قلناه تعليمنا وتوقيفنا على ما نستعمله وندعو به عند الشدائد
ونزول الاهوال وتنبيه القوم المخاطبين خاصة على التوبة مما التمسوه من الرؤية المستحيلة عليه تعالى فان
الانبياء عليهم السلم وان لم يقع منهم القبيح عندنا فقد يقع من غيرهم ويحتاج في دفع ذلك عنه الى
منه والاستقالة واما قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا فان التجلي ههنا هو التعريف والاعلام و
الاظهار لما يقتضي المعرفة كقولهم هذا كلام جلي اي واضح ظاهر وكقول الشاعر

تجلى لنا بالمشرفية والقنا   وقد كان عن وقع الاسنة نائيا

اراد ان تدبيره دل عليه حتى علم انه المدبر له وان كان نائيا عن وقع الاسنة فاقام ما ظهر من دلالة
فعله عليه مقام مشاهدته وعبر بانه تجلى منه وفي قوله تعالى للجبل وجهان احدهما ان يكون المراد لاهل
الجبل ومن كان عند الجبل فحذف كما قال تعالى واسئل القرية وما بكت عليهم السماء والارض وقد علمنا
انه بما اظهره من الايات انما دل من كان عند الجبل على ان رؤيته تعالى غير جائزة والوجه الاخر ان
يكون بمعنى الجبل اي بالجبل فاقام اللام مقام الباء كما قال امنتم له قبل ان اذن لكم اي به وكما يقولون

بجرمك وبحرمك ولما بان للآية الدالة على منع ما سيل فيه انما جليت للجبل وظهرت فيه جاز ان يضاف التجلي اليه وقد استدل بهذه الآية كثير من علماء الموحدين على انه تعالى لا يرى بالابصار من حيث نفى الرؤية نفياً عاماً بقوله تعـ لن تراني ثم اكد ذلك بان علق الرؤية باستقرار الجبل الذي علمت انه لم يستقر وهذه طريقة معروفة في تبعيد الشيء لانهم يعلقونه بما يعلم انه لا يكون كقولهم لا كلمتك ما اضاء الفجر وطلعت الشمس وكقول الشاعر

اذا شاب الغراب اتيت اهلي ∴ وصار القار كاللبن الحليب

ومما يجري هذا المجرى قوله تعـ ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط [illegible] قوله اذا علق الرؤية باستقرار الجبل وكان ذلك في مقدوره تعـ فيجب ان تكون الرؤية المعلقة به ايضا في مقدوره قلنا لو كان الغرض بذلك التبعيد لعلقه بامر مستحيل كما علق دخولهم الجنة بامر مستحيل من ولوج الجمل في سم الخياط وذلك ان تشبيه الشيء بغيره لا يجب ان يكون من جميع الوجوه وانما علق وقوع الرؤية باستقرار الجبل فاذا علم انه لا يستقر علم نفي الرؤية وما عدا ذلك من كون الرؤية مستحيلة وغير مستحيلة واستقرار الجبل كذلك فيما خارج عما هو الغرض في التشبيه على انه انما علق تعـ جواز الرؤية باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعله فيها دكاً وذلك محال لما فيه من اجتماع الضدين فجرى مجرى جواز الرؤية في الاستحالة وليس يجب فيما علق بغيره ان يجري مجراه في سائر وجوهه حتى اذا كان احدهما مع انتفائه مستحيلاً كان الاخر بمثابته كان تعلق دخول الكفار الجنة بولوج الجمل في سم الخياط لم يكن مستحيلاً بل معلوم ان الاول في المعلق انه كان لا يحسن والثاني ليس في المقدور وهذه جملة كافية في تاويل هذه الآية وبيان ما ولله الحمد [illegible] ابن الاعرابي لابي العيص بن حزام بن عبد الله بن قتادة المازني

وكم من صاحب قد بان عني ∴ رميت بفقده وهو الحبيب ∴
فلم ابد الذي تحنو ضلوعي ∴ عليه واني لانا الكئيب ∴
مخافة ان يراني مستكينا ∴ عدو او يساء به قريب ∴
ويشمت كاشح ويظن اني ∴ جزوع عند نائبة تنوب ∴
فبعدك شدت الاعداء طرفا ∴ اليّ ورابني دهر يريب ∴

معنى شد الاعداء طرفا [illegible] الى نظر اشدا وطمع العدو في عيونها

وانكرت الزمان وهل [illegible] ∴ وهيج لغيبتك الكئيب

قال [illegible] بحل يده نبيذ ويمنع من الاقارب [illegible] وانه عن المخفي مجيب
ولست تقلني الاسباب [illegible] وان وعرت من الغيظ القلوب فلم ار مثل يومك كان يوما

[illegible]

وليل

وليل كأني ما انام بطوله ∴ كأني للنجوم به رقيب ∴
وما يك جائيا لا بد منه ∴ اليك فسوف تجلبه الجلوب ∴ تم المجلس

[illegible] ان سأل سائل عن قوله تعـ واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون فقال كيف ذكر تعـ هنا بعد ذكر البقرة والامر بذبحها وقد كان ينبغي ان يتقدمه لانه انما امر تعالى بذبح البقرة لينكشف امر القاتل وكيف اخر تعـ ذكر السبب عن المسبب وبناء الكلام بناء يقتضي انه كان بعد وقد قال تعالى واذ قتلتم نفسا والرواية وردت بان القاتل كان واحدا فكيف يجوز ان يخاطب الجماعة بالقتل والقاتل من بينها واحد والى اي شيء وقعت الاشارة بقوله تعـ كذلك يحيي الله الموتى الجواب قيل له اما قوله تعـ واذ قتلتم نفسا ففيه وجهان اولهما ان تكون هذه الآية وان تاخرت فهي مقدمة في المعنى على الآية التي ذكرت فيها البقرة ويكون التاويل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فسألتم موسى فقال لكم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة فاخر المقدم وقدم المؤخر ومثل هذا في القرآن وكلام العرب كثير ومثله الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما وقال الشاعر

ان الفرزدق صخرة عادية ∴ طالت فليس تنالها الاوعالا ∴

اراد طالت الاوعال فليس تنالها ومثله

طاف الخيال واين منك لماما ∴ فارجع لزورك بالسلام سلاما ∴

اراد طاف الخيال منك لماما واين منك والوجه الثاني ان يكون وجه تاخير قوله تعـ واذ قتلتم نفسا انه تعلق بما هو متاخر في الحقيقة وواقع بعد ذبح البقرة وهو قوله تعـ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الموتى لان الامر بضرب المقتول ببعض البقرة انما هو بعد الذبح فكانه تعـ قال فذبحوها وما كادوا يفعلون ولانكم قتلتم نفسا فادارأتم فيها امرناكم ان تضربوه ببعضها لينكشف امره فاما اخراج الخطاب مخرج ما يتوجه الى الجميع مع ان القاتل واحد فعلى عادة العرب في خطاب الابناء بخطاب الآباء والاجداد وخطاب العشيرة بما يكون من احدها فيقول احدهم فعلت بنو تميم كذا وقتلوا بنو فلان فلانا وان كان الفاعل والقاتل واحدا من الجماعة ومنه قراءة من قرأ يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون بتقديم المفعولين على الفاعلين وهو اختيار الكسائي وابي العباس ثعلب والمعنى فيقتل بعضهم ويقتلون وهو ابلغ في وصفهم وامدح لهم لانهم اذا قاتلوا وقتلوا بعد ان يقتل بعضهم كان ذلك ادل على شجاعتهم وقلة جزعهم وحسن صبرهم وقد قيل انه كان القاتلان اثنين وقتلا ابن عم لهما وان الخطاب جرى عليهما بلفظ الجمع كما قال تعـ وكنا لحكمهم شاهدين يريد داود وسليمان عليهما السلام والوجه الاول اقوى لشهادة الاستعمال الظاهر له وكان

ولان اكثر اهل العلم على ان الهاء الكناية واحدا ومعنى فادارأتم فتدارأتم اي تدافعتم والقى بعضهم على بعض يقال دارأت فلانا اذا دافعته وداريته اذا لاينته ودهيته اذا ختلته ويقال ادارأ القوم اذا تدافعوا والهاء في قوله تعالى فادارأتم فيها تعود على النفس وقيل تعود على القتلة اي اختلفتم في القتلة لان قتلتم يدل على المصدر والقتلة من المصادر التي تدل على النوع والاول ارجح لان الحمل على النفس اولى واشبه بالظاهر فاما قوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى فالاشارة وقعت به الى قيام المقتول عند ضربه ببعض اعضاء البقرة لانه روي انه قام حيا واوداجه تشخب دما فقال قتلني فلان ونبه الله تعالى بهذا الكلام وبذكر هذه القصة على جواز ما انكره مشركو قريش واستبعدوه من البعث وقيام الاموات لانهم قالوا اذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا فاخبرهم الله تعالى بان الذي انكروه واستبعدوه هين عليه غير متعذر في اتساع قدرته وكانه مما ضرب تعالى لهم من الامثال ونبههم عليه من الادلة ذكر المقتول الذي ضرب ببعض البقرة فقام حيا فاراد الله تعالى اني اذا كنت قد احييت هذا المقتول بعد خروجه عن الحياة ويأس قومه من عوده وانطواء خبر كيفية قتله عنهم ورددته حيا ناطقا باسم قاتله فكذلك اعلموا ان احياء جميع الاموات عند البعث لا يعوزني ولا يتعذر علي وهذا بين لمن تأمله [illegible] ومن الشعر المشهور بالجودة في ذم الدنيا والتذكير بمصائبها ونوائبها قول نهشل بن حري يرثي اخاه مالكا

ذكرت اخي المعول بعد يأس فهاج علي ذكراه اشتياقي
فلا انسى اخي ما دمت حيا ولخواني باقرنة العناق
جرت فيه الفسال الى المذاكي بروض الحزن من كنفي اباق
ويعلون السيار اذا التقوا بغبر الخيل والمشول اللحاق
اذا اتصلوا وقالوا يال عوف وراحوا في المحبرة الدقاق
احاول ما اروم شمرت رخي البال منطلق الخناق
كانك لا الف الدنيا دخلتها لحي ولا يموت الى مساق
اري الدنيا ومن يغشى بها مولية تهيا لانطلاق
احاذر لو بقيت بقار قيس وما حي على الدنيا بباق
كان الشيب والآجال تجري الى نفس الفتى فرسا سباق
فاما الشيب يدركه واما يلاقي حتفه فيما يلاقي

اقرنة العناق موضع

عوف قبيلتهم

فان

فان تك لمتي بالشيب امست شميط اللون واختلف المشاق
فقدما اغدو والدجية اراني بها المتطلعات من الرواقي

المشاق المتفرق

الدجية اللمة السوداء ويعني اراني من المراءاة

الي كانهن ظباء قفر يرعن او بنا عجبي فتاقي
يواصلن الحبائل بغير وصل وليس حبال وصلي بالرواقي
وحبل الغانيات كمدقين وبت عند الجعائل مستناقي

القين الحداد والجعائل جمع جعالة وهي الخرقة والمراد ان القين اذا علم الجعالة رحل ولم يستقر في مكان

كجلب السو يعجب من رآه ولا يشفي الحوائم من لماق

الجلب الغيم الذي لا مطر معه والحوائم العطاش ولماق شيء

فلا يبعد مصابي في الملح واشرافي العلاية وانتفاقي
وغبراء القتام جلوت عني بعلي الطرف سالمة المآقي
وقد طوفت في الآفاق حتى سئمت النص بالقلص العتاق
وكم قاسيت من سنة جماد تعض اللحم ما دون العراق
اذا افنيتها بليت اخرى اعد شهورها عدد الاواقي
وافنتني الشهور وليس تفنى وتعداد الاهلة والمحاق
وما سبق الحوادث ليث غاب يجر لعرسه جزر الرفاق
ولا بطل لنيل منه ولا بطل تعادي الخيل منه فرار الطير من برد بعاق

[illegible] يا كعب ما راح من قوم ولا ابتكروا
الا وللموت في آثارهم حادي يا كعب ما طلعت شمس وما غربت الا تقرب آجالا لميعاد

ولابي العتاهية في هذا المعنى

اذا انقطعت عني من العيش مدتي فان بكاء الباكيات قليل
سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي ويحدث بعدي للخليل خليل
اجلك قوم حين صرت الى الغنى وكل غني في العيون جليل
وليس الغنى الا غنى زين الفتى عشية يقري او غداة ينيل
ولم يفتقر يوما وان كان معدما جواد ولم يستغن قط بخيل

ويروى عنا الباكيات

اذا مالت الدنيا الى المرء رغبت ∴ اليه ومال الناس حيث يميل
ارى حلل الدنيا على كثيرة ∴ وما جاهها الا الممات قليل
واني وان اصبحت بالموت موقناً ∴ فلي امل دون اليقين طويل

وقد احسن البحتري في قوله في المعنى

اخي متى خاصمت نفسك فاحتشد ∴ لها ومتى حدثت نفسك فاصدق
ارى علل الاشياء شتى ولا ارى ∴ التجمع الا علة للتفرق
ارى العيش ظلاً توشك الشمس نقله ∴ فكن في ابتغاء كسبك او تقِ
ارى الدهر غولاً للنفوس وانما ∴ يقي الله في بعض المواطن من يقي
فلا تتبع الماضي سؤالك لم مضى ∴ وعرج على الباقي فسائله لم بقي
ولم ار كالدنيا الخليل صاحب ∴ محب متى تحسن بعينيه تطلق
تراها عياناً وهي صنعة واحد ∴ فتحسبها صنعي لطيف واخرق

رضي الله عنه وقد قيل ان السبب في خروج البحتري عن بغداد في آخر ايامه كان هذه
كان بعض اعدائه شنع عليه بانه ثنوي من حيث قال فتحسبها صنعي لطيف واخرق وكانت العامة
حينئذ البرية في النيل فخاف على نفسه فقال لابنه ابي الغوث قم بنا نخرج فقد ناهض النار
نلم بها بلداً ونعود فخرج ولم يعد [illegible] في قوله

اعيا الخطوب فما حين هاربتي ∴ فيما اسير واحكمن تاديبي
ان تلتمس تمر اختلاف الخطوب وان ∴ تلبث مع الدهر تسمع بالاعاجيب

وفي قوله

متى ترد صفواً من العيش تعترض ∴ سبيلك من شغل الخطوب ركاب
تسل بنا الدنيا بايمن سعيها ∴ وتولى الافاعي بد من لعابها
يسر بعمران الديار مضلل ∴ وعمرانها مستانف من خرابها
فلم ارتض الدنيا اوان مجيئها ∴ فكيف ارتضائيها اوان ذهابها
اقول لمكذوب عن الدهر زاغ عن ∴ تجارب آراء الحجا وانتحابها
سيرديك او يرديك انك مخلس ∴ الى سقية تبليك بعد آبابها
وهل انت في مرموسة طال اخذها ∴ من الارض الا حفنة من ترابها

ووجدت الاصل يروى هذا البيت الذي بعده وتفسيره كما نال المعنى انك متوقف الى ان تسير

الهنا من قولك احبست فرساً في سبيل الله واحبست داراً اي وقفتها والرواية المشهورة انك حلس
بالزم والمعنى انك ملازم للرحل ومتخذ حلساً والحلس هو الكساء يوضع تحت الرحل وهذا اشبه بالمعنى
الذي قصده البحتري واولى بان يحتاج مع رقة طبعه وسلامة الفاظه [illegible]
ان سال سائل عن قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما
تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين
فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون فقال اليس ظاهر هذه الآية يقتضي
جواز الشرك على الانبياء عليهم السلم لانه لم يتقدم الا ذكر آدم وحوا عليهما السلم فيجب ان يكون
قوله تعالى جعلا له شركا فيما آتاهما يرجع اليهما الجواب قلنا كما ان ذكر آدم وحوا عليهما السلم قد
تقدم ذكره فقد تقدم ايضاً ذكر غيرهما في قوله تعالى هو الذي خلقكم ومعلوم ان المراد بذلك جميع ولد
ادم عليه السلم في قوله تعالى فلما آتاهما صالحاً والمعنى فلما آتاهما ولداً صالحاً والمراد هذا الجنس دون
الواحد وان كان اللفظ لفظ واحد والمعنى فلما آتاهما جنساً من الاولاد صالحين واذا كان الامر على
ما ذكرناه جاز ان يرجع قوله تعالى جعلا له شركاء الى ولدهما وقد تقدم ذكرهم فان قيل فما وجه ردّه
الى ادم وحوا عليهما السلم اجل التثنية في الكلام ولم يتقدم ذكر اثنين الا ذكرهما عليهما السلم قلنا ان
هذا لا يجب في رجوعه اليهما جاز لانه ان يجعل قوله تعالى في آخر الآية فتعالى الله عما يشركون ومنها
مفرداً لرجوع الكلام الى جملة الاولاد ويجوز ان يكون اشير في التثنية الى الذكور والاناث من ولد ادم عليه
السلم والى جنسين منهم فحسنت التثنية لذلك على انه اذا تقدم في الكلام امران ثم ... من الاحكام وعلم بالدليل
استحالة تعلقه باحد الامرين وجب رده على الآخر واذا علمنا ان آدم عليه السلم لا يجوز عليه الشرك لم يجز عود
الكلام اليه فوجب عوده الى المذكور من ولد ادم عليه السلم وذكر ابو علي الجبائي في هذا مثل نحو
على وجهه قال انما عنى بهذا ان الله تعالى خلق بني ادم من نفس واحدة لان الاضمار في قوله تعالى خلقكم انما
هو بني ادم والنفس الواحدة التي خلقهم منها هي ادم لانه خلق حوا من ادم ويقال انه خلقها من ضلع
من اضلاعه فرجع جميعاً الى انهم خلقوا من ادم وبين ذلك بقوله تعالى وخلق منها زوجها لانه عني به
انه خلق من هذه النفس زوجها وزوجها هو حوا عليها السلم وعني بقوله تعالى فلما تغشاها حملت حملاً
خفيفاً وحملها هو حبلها منه في ابتداء الحمل لانه في ذلك الوقت خفيف عليها ومعنى قوله تعالى فمرت به
انه مرورها بهذا الحمل وتصرفها به كان عليها سهلاً خفيفاً فلما كبر الولد في بطنها ثقل ذلك عليها فمعنى
قوله تعالى اثقلت وثقل عليها عند ذلك المشي والحركة وعني بقوله تعالى دعوا الله ربهما انهما دعوا عند كبره

الولد في بطنها فقالا لئن آتيتنا يا رب نسلا صالحا لنكونن من الشاكرين لنعمك علينا لانهما ارادا ان يكون لهما
اولاد يونسونهما في الموضع الذي كانا فيه لانهما كانا فردين مستوحشين اذا غاب احدهما بقي الآخر
مستوحشا بلا مونس فلما آتاهما نسلا صالحا معافا وهو الاولاد الذين كانوا يولدون لهما لان حوا عليها السلم
كانت تلد في كل بطن ذكرا وانثى فيقال انها ولدت خمسماية بطن الف ولد ويعني بقوله عز وجل تعالى فلما
آتاهما صالحا جعلا له شركا فيما آتاهما ان هذا النسل الذي هم ذكور واناث جعلا له شركا فيما آتاهما من
نعمه واضافوا بعض تلك النعم الى الذين اتخذوهم آلهة مع الله تعالى من الاصنام والاوثان ولم يعن بقوله
تعالى جعلا ادم وحوا عليهما السلم لان ادم عليه السلم لا يجوز عليه الشرك بالله تعالى لانه نبي من انبيايه عليهم السلم
ولو جاز الشرك والكفر على الانبيا لما جاز ان يثق احدنا بما يوديه النبي عليه السلم اليه عن الله تعالى لان
من جاز عليه الكفر جاز عليه الكذب ولا يوخذ باخباره فصح بهذا ان الاخبار في قوله تعالى جعلا له انما يعني به النسل
وانما ذكر ذلك على سبيل التثنية لانهم كانوا ذكورا واناثا فلما كانوا صنفين جاز ان يجعل تعالى الخبر عنهما
كالاخبار عن الاثنين اذ كانا صنفين وقد دل على صحة تاويلنا هذا قوله تعالى في اخر الآية فتعالى الله
عما يشركون فبين ان الذين جعلوا لله شركا هم جماعة فلهذا جعل الخبر عنهم اخبارا عن الجماعة فقال
عما يشركون هذا معنى كلام ابي علي وقد قيل في قوله تعالى فلما آتاهما صالحا منصرف الى الولد المتقدم الذكر
هو انه اراد بالصلاح الاستوا في الخلقة والاعتدال في الاعضا وجه آخر وهو انه لو اراد الصلاح
في الدين لكان الكلام ايضا مستقيما لان الصالح في الدين قد يجوز ان يكفر بعد صلاحه فيكون في حال صالحا
وفي اخرى مشركا وهذا لا يتنافى وقد استشهد في جواز الانتقال من خطاب الغير ومن كناية عن مذكور
الى مذكور سواه ليعضد ما قلناه من الانتقال عن الكناية عن ادم وحوا عليهما السلم الى ولدهما بقوله تعالى
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتومنوا بالله ورسوله فانه خرج من مخاطبة الرسول الى مخاطبة نسخه
المرسل اليهم ثم قال وتعزروه وتوقروه يعني الرسول عليه السلم ثم قال تعالى وتسبحوه وهو يعني مرسل
الرسول فالكلام واحد متصل بعضه ببعض والخطاب منتقل من واحد الى غيره وبقول الهذلي

يالهف نفسي كان جدة خالد   وبياض وجهك في التراب الاعفر

ولم يقل وجهه وقال كثير

اسيئي بنا او احسني لا ملومة   لدينا ولا مقلية ان تقلت

فخاطب ثم ترك الخطاب وقال آخر

فدى لك ناقتي وجميع اهلي   ومالي انه منه اتاني

ولم يقل منك اتاني ووجدت ابا مسلم بن بحر يحمل هذه الآية على ان الخطاب في جميعها غير متعلق بادم
وحوا عليهما السلم ويجعل الهاء في تغشاها والكناية في دعوا الله ربهما ولئن آتيتنا صالحا راجعتين

الى من اشرك ولم يتعلق بادم وحوا عليهما السلم من الخطاب الا قوله تعالى خلقكم من نفس واحدة ولحق الى الخاص
وكذلك في قوله تعالى وجعل منها زوجها ثم خص منها بعضهم كما قال الله تعالى هو الذي يسيركم في البر
والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة فخاطب الجماعة في التسيير في البر والبحر ثم خص
راكب البحر بقوله تعالى وجرين بهم بريح طيبة كذلك هذه الآية اخبرت عن جملة امر البشر وانهم مخلوقون
من نفس واحدة وزوجها وهما ادم وحوا عليهما السلم ثم عاد الذكر الى الذي سال الله تعالى ما سال
فلما اعطاه اياه ادعى له الشركا في عطيته قال وجائز ان يكون عنى بقوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة
المشركين خصوصا اذ كان كل بني ادم مخلوقا من نفس واحدة وزوجها ويجوز ان يكون المعنى في قوله
تعالى خلقكم من نفس واحدة خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وهذا قد يجي كثيرا في القران وفي كلام
العرب قال الله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا فاجلدوهم ثمانين جلدة
وقال عز وجل ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها فلكل نفس زوج هو منها اي من
جنسها فلما تغشاها اي فلما تغشى كل نفس زوجها حملت حملا خفيفا وهو ما الفحل فمرت
به اي مارت والمور التردد والمراد تردد هذا الما في رحم هذه الحامل فلما اثقلت اي ثقل
حملها وصار ذلك الما لحما ودما وعظما دعوا الله اي الرجل والمراة لما استبان حمل المراة فقالا
لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما اي اعطاهما ما سالا من الولد الصالح نسبا ذلك
الى شركا معه فتعالى الله عما يشركون وقال قوم معنى جعلا له شركا اي طلبا من الله امثالا
للولد الصالح فاشركا بين الطلبتين ويكون الهاء في قوله له راجعة الى الصالح لا الى الله تعالى ويجري
مجرى قول القائل طلبت مني درهما فلما اعطيتك شركته باخر اي طلبت اخر مضافا اليه وعلى هذا
[illegible] لا يمتنع ان يكون قوله تعالى جعلا والخطاب كله متوجه الى ادم وحوا عليهما السلم
[illegible] ان سال سائل عن قوله تعالى قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما
تعملون فقال الملبس ظاهر هذا القول يقتضي انه خالق لاعمال العباد لان ما ههنا بمعنى الذي وكانه
تعالى قال خلقكم وخلق اعمالكم الجواب قلنا قد حمل اهل الحق هذه الآية على ان المراد بقوله تعالى وما
تعملون اي وما تعملون فيه من الحجارة والخشب وغيرهما مما كانوا يتخذونه اصناما ويعبدونها
وقالوا غير منكر ان يريد بقوله تعالى وما تعملون ذلك كما انه قد اراد ما ذكرناه بقوله تعالى اتعبدون
ما تنحتون وانه لم يرد تعالى انكم تعبدون نحتكم الذي هو فعلكم بل اراد ما تفعلون فيه النحت وكما
قال تعالى في عصى موسى عليه السلم تلقف ما يافكون وتلقف ما صنعوا انما اراد تعالى ان العصا تلقف

الجبال التي اظهروا سحرهم فيها وهي التي حلتها صنعتهم وافكهم فقال تعـ ما صنعوا وما يافكون واراد
تعالى ما صنعوا فيه وما يافكون فيه ومثله قوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وانما
اراد تعالى المعمول فيه دون العمل وهذا في الاستعمال ايضا سائغ شائع لانهم يقولون هذا الباب
عمل النجار وفي الخاتم هذا عمل الصائغ وان كانت الاجسام التي اشير اليها ليست اعمالا لهم وانما عملوا
فيها افعالا اجرت هذه العبارة فان قيل كل الذي ذكرتموه وان استعمل فعلى وجه المجاز والاتساع لان
الحقيقة لا يجري الا على فعل الفاعل دون ما يفعل فيه وان استعير في بعض المواضع قلنا ليس نسلم
لكم ان الاستعمال الذي ذكرناه مثله سبيل المجاز بل نقول هو المفهوم الذي لا يستفاد سواه لان القائل
اذا قال هذا الثوب عمل فلان لم يفهم منه الا انه عمل فيه وما رأينا احدا قط يقول في النجار
بل من قوله تعالى هذا من عمل فلان فانه اولى بان يكون حقيقة وليس ننكر ان يكون الاصل في
الحقيقة ما ذكروه ثم انتقل بعرف الاستعمال الى ما ذكرناه وصار اخص به وما لا يستفاد من الكلام
سواه كما انتقلت الفاظ   الحروف لا اعتبار في المفهوم من الالفاظ الا بما استقر عليها استعمالها
دون ما كانت عليه في الاصل فوجب ان نقول المفهوم والظاهر من الآية ما ذكرناه على انا لو سلمنا
ان ذلك مجاز وجب المصير اليه من وجوه منها ما يشهد به ظاهر الآية ويقتضيه والسوغ سواه ومنها
ما يقتضيه الادلة القاطعة الخارجة عن الآية فمن ذلك انه تعالى اخرج الكلام مخرج التهجين لهم والتوبيخ
لافعالهم والازراء على مذاهبهم فقال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ومتى لم
يكن قوله تعالى وما تعملون المراد به ما تعملون فيه ليصير تقدير الكلام اتعبدون الاصنام التي
تنحتونها والله خلقكم وخلق هذه الاصنام التي تعملون فيها التخطيط والتصوير ولم يكن للكلام معنى
ولا مدخل في باب التوبيخ ويصير على ما يذكره المخالف كانه تعـ قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم
وخلق عبادتكم فاي وجه للتقريع وهذا يليه ان يكون عذرا اقرب من ان يكون لوما وتوبيخا لانه اذا خلق
عبادتهم للاصنام فاي ذنب لهم عليها وتقريعهم بها ان قوله تعالى خلقكم وما تعملون بعد قوله
اتعبدون ما تنحتون انما خرج مخرج التعليل للمنع من عبادة غيره فلا بد من ان يكون متعلقا بما تقدم
من قوله اتعبدون ما تنحتون ومؤثرا في المنع من عبادة غيره فلو افاد قوله تعـ ما تعملون نفس
العمل الذي هو النحت دون المعمول فيه لما كان فائدة في الكلام لان القوم لم يكونوا يعبدون النحت وانما
كانوا يعبدون محل النحت وانه كان لا حظ في الكلام للمنع من عبادة الاصنام فلذلك اذا حمل قوله تعـ
ما تعملون على اعمال اخر ليست نحتهم ولكنها ما تعملون فيه لكان ادخل في باب اللوم والعيب وادعى

عن التعليل بما تقدم فلم يبق الا انه اراد تعالى بقوله خلقكم وما تعملون فيه النحت فكيف تعبدون
مخلوقا مثلكم. فان قيل الم زعمتم انه لو كان الامر على ما ذكرناه لم يكن للقول الثاني تاثير في باب المنع
من عبادة الاصنام وما تنكرون ان يكون لما ذكرناه وجه في المنع من ذلك وان كان ما ذكرتموه
ايضا له تعلق لانه وجه وهو ان من خلقنا وخلق الافعال فينا لا يكون الا الاله القديم الذي يستحق
العبادة وغير القديم تعالى كما يستحيل ان يخلقنا يستحيل ان يخلق فينا الافعال على الوجه الذي
يخلقها القديم عليه فصار لما ذكرناه تاثير قلنا معلوم ان الثاني اذا كان كالتعليل للاول
والموثر في المنع من العبادة فلا بد من ان يتضمن انكم مخلوقون وما تعبدونه اولى من ان يسند الى ما
ذكرتموه مما لا يقتضي اكثر من خلقهم دون خلق ما عبدوه وانه لا شيء ادل على المنع من عبادة الاصنام
من كونها مخلوقة كما ان عابدها مخلوق ويشهد بما ذكرناه قوله تعـ في موضع اخر ايشركون ما لا
يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فاحتج تعـ عليهم في
المنع من عبادة الاصنام دونه بانها مخلوقة لا تخلق شيئا ولا تدفع عن نفسها ضررا ولا عنهم وهذا
واضح على انه لو ساوى ما ذكرناه في التعلق بالاول لم يسغ حمله على ما ادعوه لان فيه عذرا في الحكم
الفعل الذي عنفوا به ووبخوا من اجله وقبح بان يوبخهم بما يعذرهم ويذمهم بما يبرئهم على ما
تقدم على انا لا نسلم ان من يفعل افعال الحياء وخلقها يستحق العبادة لان من جملة افعالهم القبائح
ومن فعل القبائح لا يكون الها ولا تحق له العبادة فخرج ما ذكروه من ان يكون موثرا بانفراده
في العبادة على ان اضافة العمل اليهم بقوله تعـ تعملون يبطل تاويلهم هذه الآية لانه لو كان تعـ
خالقا لها لم يكن عملا لهم لان العمل انما يكون عملا لمن يحدثه ويوجده فكيف يكون عملا لهم والله خالقه
وهذه مناقضة وقد ثبت بهذا ان الظاهر شاهد لنا وبين على ان قوله تعالى وما تعملون يقتضي
الاستقبال وكل فعل لم يوجد فهو معدوم ومحال ان يقول تعالى اني خالق للمعدوم فان قالوا
اللفظ وان كان للاستقبال فالمراد به الماضي فكانه تعـ قال والله خلقكم وما عملتم فلما قالوا
قلنا هذا عدول منكم عن الظاهر الذي زعمتم انكم متمسكون به وليس انتم بان تعدلوا عنه باولى منا
بل نحن اولى لانا نعدل عنه لدلالة وانتم تعدلون لغير حجة فان قالوا فانتم ايضا تعدلون عن ظاهرنا
بعينه على تاويلكم وتحملون لفظ الاستقبال على لفظ الماضي قلنا لا نحتاج نحن في تاويلنا الى
ذلك لانا اذا حملنا قوله تعـ وما تعملون على الاصنام المعمول فيها ومعلوم ان الاصنام موجودة
قبل عملهم فيها فجاز ان يقول تعـ اني خلقتها ولا يجوز ان يقول اني خلقت ما سيقع من العمل

في المستقبل على انه لو اراد تعالى بذلك ما عملوا الا ما عملوا فيه على ما ادعوه لم تكن في الاية حجة على ما يريدون
لان الخلق هو التقدير والتدبير وليس يمتنع في اللغة ان يكون الخالق خالقا لفعل غيره اذا قدره
ودبره الا ترى انهم يقولون خلقت الاديم وان لم يكن الاديم فعلا لمن يقال ذلك فيه ويكون معنى
خلقه لافعال العباد انه مقدر لها ومعرف لنا مقاديرها ومراتبها وما نستحق عليها من الجزاء وليس يمتنع
ان يقال انه خالق للاعمال على هذا المعنى اذا ارتفع الايهام وفهم المراد فهذا كله تقتضيه الاية ولو لم
يكن في الاية شيء مما ذكرناه ومما يوجب العدول عن حمل قوله تعالى وما تعملون على خلق نفس الاعمال
لوجب ان يعدل بها عن ذلك ويحملها على ما ذكرناه للادلة العقلية الدالة على انه تعالى لا يجوز ان يكون خالقا
لاعمالنا وان تصرفنا محدث بنا ولا فاعل له سوانا وكل بين واضح والمنة لله [illegible]

[illegible] وانا استحسن لبعض نساء بني اسد قولها

الم ترنا غبنا ماءنا * زمانا فظلنا نكد البيارا * فلما عدا الماء اوطانه * وجف الثماد فصارت حرارا
ونحت الى ربها في السماء * رؤوس العضاه تناجي السرارا
وفتحت الارض افواهها * عجيج الجمال وردن الجفارا
لبسنا الدجى حين طال البلاء * على الناس آباءنا والخمارا
وقلنا اعيروا الندى حقه * وضيموا الغضارة موتوا حرارا
فان الندى لعيسى مرة * يرد الى اهله ما استعارا
فبتنا نوطن احشاءنا * امناء لنا عارض فاستطارا
واقبل يزحف زحف الكسير * سياق الرعاء البطاء العشارا
تبسم ويضحك حافاته * خلال الغمام ويبكي مرارا
كانا تعلل لنا حرة * تشد ازارا وتلقي ازارا
فلما خشينا بان لا نجاء * والا يكون قرارا قرارا
اشار له آمر فوقه * هلم الى امر ما اشارا

[illegible] لو ادرة المهيد لو اتقاه الله مقعد مغفر * لا يبلغ الثقلان مقامه
باتوا وللجاهلية سادة وفي الاسلام جاد منصبا وامانين اذاهم
نزلاهم بذل لدى الاقدام قد لبحلية السود دينه ولبنوا بنجابة الاخوال والاعمام
قوم اذا سلبوا حاجبهم عنهم فاحرس دونك لجم [illegible] ابا الحق

ايا اخوي الملزمي ملامة * اعيذكما بالله من مثل ما بيا
سالتكما بالله الا جعلتما * مكان الاذى واللوم ان تاويا ليا
ايا استحب للملالي قاتلي * شطون النوى يختل عرضا يمانيا
اشم كغصن البان جعد مرجل * شغفت به لو كان شيئا مدانيا
فان لم اوسد ساعدي بعد هجعة * غلاما هلاليا فشلت بنانيا
ثكلت ابي ان كنت ذقت كريقه * لشيء ولا ماء الغمامة غاديا
[illegible] المركبة ثم شمرت * به جلة يطلبن رقا يمانيا
الا ليتنا والنفس تسكن للمنى * بما نون انا مسي حبيبا يمانيا
واني لاهوي القصد ثم يردني * عن القصد ميلات الهوى فاميل
وما وجد مسجون بصنعاء موثق * بساقيه من حبس الامير كبول
وما ليل مولى مسلم بجريرة * له بعد ما نام العيون طويل
باكثر مني لوعة يوم راعني * فراق حبيب ما اليه سبيل

[illegible] بنت العجلان اخت عمرو بن ذي الكلب بن العجلان الكاهلي ترثي اخاها عمروا وكان في بعض
غزاته نائما فوثب عليه نمران فاكلاه فوجدت فهم سلاحه فادعت قتله

سالت بعمرو اخي صحبه * فافظعني حين ردوا السؤالا
وقالوا اتيح له نائما * اعز السباع عليه احالا
اتيح له نمرا اجبل * فنالا لعمرك منه منالا
فاقسمت يا عمرو لو نبهاك * اذا نبها منك امرا عضالا ويروى عضالا
اذا نبها ليث عريسة * مفيتا مفيدا نفوسا ومالا
هزبرا فروسا لاعدائه * هصورا اذا لقي القرن صالا
هما مع تصرف ريب المنون * من الارض ركنا ثبيتا امالا
هما يوم حم له يومه * وقال اخو فهم بطلا وفالا
وقالوا قتلناه في غارة * باية ان قد ورثنا النبالا
فهلا ومن قبل ريب المنون * فقد كان رجلا وكنتم رجالا
وقد علمت فهم يوم اللقاء * بانهم لك كانوا نفالا

معنى قال الخطابة لا رجل فابن الراى فكانها تقول لهم وتكذبهم بعلامة ان ورثتم البلاد يقال رجل
ورجل والنقال الخنايم كانهم لم يحسوا به فخلوا له الماء والمجالا

ولم ينزلوا بمحول السنين   به فيكونوا عليه عيالا
وقد علم الضيف والمجتدون   اذا اغبر افق وهبت شمالا
وخلت عن اولادها المرضعات   ولم تر عين لمزن بلالا
بانك كنت الربيع المغيث   لمن يعتريك وكنت الثمالا
وخرق تجاوزت مجهوله   بوجناء حرف تشكى الكلالا
فكنت النهار به شمسه   وكنت دجى الليل فيه الهلالا
وخيل سمت لك فرسانها   فولوا ولم يستقلوا قبالا
وكل قبيل وان لم تكن   اردتهم منك باتوا وجالا

تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون فقال اليس ظاهر هذه الآية يقتضي ان نصح النبي عليه السلام لا ينفع الكفار الذين اراد الله تعالى بهم الكفر والغواية وهذا خلاف مذهبكم. الجواب قلنا ليس في ظاهر هذه الآية ما يقتضي خلاف مذهبنا لانه تعالى لم يقل انه فعل الغواية واراده وانما اخبر ان نصح النبي لا ينفع ان كان الله يريد غوايتهم ووقوع الارادة لذلك او جواز وقوعها لا دلالة عليه في الظاهر على ان الغواية ههنا الخيبة وحرمان الثواب ويشهد بصحة ما ذكرناه في هذه اللفظة قول الشاعر

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره   ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

وكانه تعالى قال ان كان الله يريد ان يعاقبكم بسوء اعمالكم وكفركم ويحرمكم ثوابه فليس ينفعكم نصحي ما دمتم مقيمين على ما انتم عليه الا ان تقلعوا وتتوبوا وقد سمى الله تعالى العقاب غيا فقال تعالى فسوف يلقون غيا وما قبل هذه الآية يشهد لما ذكرناه وان القوم استعجلوا عقاب الله تعالى فقالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما ياتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي فاخبر ان نصحه لا ينفع من يريد الله ان ينزل به العذاب ولا يغني عنه شيئا وقال جعفر بن حرب ان الآية متعلقة باخبار قوم نوح عليه السلام طايفة تقول بالجبر فنبههم الله تعالى بهذا القول على فساد مذهبهم وقال لهم على طريق الانكار عليهم والتعجب من قولهم ان كان القول كما تقولون من ان الله تعالى يفعل فيكم الكفر والفساد فما ينفعكم نصحي فلا تطلبوا مني نصحا وانتم في قولكم لا تنتفعون به وهذا جيد وروي عن الحسن البصري في هذه الآية وجه صالح وهو انه قال المعنى فيها ان الله تعالى كان يريد ان يعذبكم فليس ينفعكم نصحي عند نزول العذاب وان قبلتموه وآمنتم به لان من حكم الله تعالى لا يقبل عند نزول العذاب الايمان وهذا بين واضح في زوال الشبهة بالآية [illegible] رضي الله عنه من مستحسن ما قيل في المصلوب قول ابي تمام الطائي في قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر قتل الافشين وصلبه واحراقه

ما زال سر الكفر بين ضلوعه   حتى اصطلى سر الزناد الواري
نارا يساور جسمه من حرها   لهب كما عصفرت شق ازار
طارت لها شعل يهدم لفحها   اركانه هدما بغير غبار
ففصلن منه كل مجمع مفصل   وفعلن فاقرة بكل فقار
مشبوبة رفعت لاعظم مشرك   ما كان يرفع ضوءها للساري
صلى لها حيا وكان وقودها   ميتا ويدخلها مع الكفار
وكذاك اهل النار في الدنيا هم   يوم القيامة جل اهل النار
يا مشهدا صدرت بفرحته الى   امصارها القصوى بنو الامصار
رمقوا اعالي جذعه فكانما   رمقوا الهلال عشية الافطار
واستنشقوا منه قتارا نشره   من عنبر ذفر ومسك داري
وتحدثوا عن هلكه كحديث من   بالبدو عن متتابع الامطار
قد كان بواه الخليفة جانبا   من قلبه حرما على الاقدار
فسقاه ماء الخفض غير مصرد   وانامه في الامن غير غرار
ولقد شفى الاحشاء من برحائها   ان صار بابك جار مازيار
ثانيه في كبد السماء ولم يكن   لاثنين ثان اذ هما في الغار
وكانما انتبذا لكيما يطويا   عن ناطس خبرا من الاخبار
سود اللباس كانما نسجت لهم   ايدي السموم مدارعا من قار
بكروا واسروا في متون ضوامر   قيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم   ابدا على سفر من الاسفار
كادوا النبوة والهدى فتقطعت   اعناقهم في ذلك المضمار
لما قضى رمضان منه قضاءه   شالت به الاقدام في شوال

مازال مغلول العزيمة سادرا   حتى غدا في القيد والاغلال
مستبسلا للباس طوقا من دم   لما استبان فظاظة الخلخال
اهدى لمتن الجذع متنيه كذا   من عاف متن الاسمر العسال
لا كعب اسفل موضعا من كعبه   مع انه عن كل كعب عال
سام كان العز يجذب ضبعه   وسموه من ذلة وسفال
متفرغ ابدا وليس بفارغ   من لا سبيل له الى الاشغال

[illegible] الله عنه ومن عجيب الامور ان ابا العباس احمد بن عبيد الله بن عمار ينشد
هذه الابيات المفرطة الحسن في جملة معايب ابي تمام ومآخذه ويزعم من سقطه وغلطه ويقول في
عقبها لم يسمع بشعر وصف فيه مصلوب باغث من هذا الوصف وان كان من مثل قول ابراهيم
بن المهدي يصف مصلوبا في قصيدة يمدح بها المعتصم

مازال يعنف بالنعمى فغمطها   عند القعود ووافته الاراصيد
حتى علا حيث لا يخطا مجتمعا   كما علا ابدا ما اورق العود
يا بعد همته فيها علاوته   وعقد ذوق تاعضاه المليد
بوركت ارضا واوطانا مباركة   ما عنك في الارض للمقدسين تعريد
لو تقدر الارض حبتك الا دفلا   يبقى على الارض الا حبتك الجلاميد
لم يبك بالليل الا حين بعده   في زنيه وهو فوق النيل مسنود
كناقة النحر تنزهي تحت ذنبها   وحد شفرتها للنحر مجدود
ما كان احسن قول الناس تهنية   ايوم بابك هذا ام هو العيد
صيرت جثته حينا لباسقة   جرداء والراس منه فالمجيد
فانه لعب هوج العاصفات   على الطريق صليبا طرفه عود
كانه شلو كبش والهواء له   تنور شاوية والجذع سفود

وهكذا ينبغي ان يطعن على ابي تمام من يستجيد هذه الابيات ويفرط في مدحها
ولست احمل شيئا على من الحق فيه والكلام عليه فكان ذلك اولى به وابيات ابي تمام في نهاية
الجودة وحدة المعاني في الالفاظ وسلاسة السبك واطراد المنبع وابيات ابن المهدي متطرفة
الالفاظ مختلفة النسج متفاوتة الكلام وما فيها شيء يجوز ان توضع اليد عليه الا قوله حتى علا

ابيات

حتى علا حيث لا يخطا مجتمعا   كما علا ابدا ما اورق العود   وبعد البيت الاخير وان
كان بارد الالفاظ وقد احسن مسلم بن الوليد في قوله

مازال يعنف بالنعمى ويغمطها   حتى استقل به عود على عود
نفسته حيث ترتاب الظنون به   وتحسب الطير به اضبع البيد

وللبحتري في هذا المعنى من قصيدة يمدح فيها ابا سعيد اوّلها

لا دمنة بلوى خبت ولا طلل   يرد قولا على ذي لوعة يسل
ان عزد معك في اي الرسوم فلم   يغضب عليها فغنيك مع ذاك
هل انت يوما معيري نظرة فترى   في رهط يبرين عيرا سيرها رتل
حثوا النوى يحداة ما لها ولنا   عن النوى وجمال بالجا عقل
تحمله الردى من اوتى النغو الى   ادنى العراق فاغار بشماخل
يسر من راء مصلوبا تجاذبه   ايدي الشمال الصنوع كلها فتل
امسى يرد حريق الشمس جانبه   عن بابك وهي للساقين تشتعل
تفاوتوا بين مرفوع ومنخفض   على مراتب ما قالوا وما فعلوا
ردا الهجير لحاهم بعد شغلها   سودا فعادت شبابا بعدما اكتهلوا
سماله خاتل الاساد في لمة   من المنايا فامسا وهو محتبل
خالي الله عينه الساس لو شلقت   له المنى لتمنى انها غفل
من تحت مطبقة بالشام في نفر   اسرى يودون ودا انهم قتلوا
غابوا عن الارض لا بناي غيبة وهم   فيه فلا وصل الا الكتب والرسل
ما زلت تقرع بابا بابك بالقنا   وتزوره في غارة شعواء
حتى اخذت بنصل سيفك عنوة   منه الذي اعيا على الامراء
اخليت منه البذ وهو قراره   ونصبته علما بسامراء
لم يبق فيه خوف باسك مطمعا   للطير في عود ولا ابداء
فراه مطردا على اعواده   مثل اطراد كواكب الجوزاء
مستشرفا للشمس منتصبا لها   في اخريات الجذع كالحرباء

عيوب [illegible] انه سال سايل عن قوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران هدى

للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه فقال كيف اخبر تعالى بانه انزل فيه
وقد انزل في غيره من الشهور على ما جاءت به الرواية والظاهر يقتضي انه انزل الجميع فيه وما المعنى
في قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه وهل اراد الاقامة والحضور اللذين هما ضد الغيبة او اراد
المشاهدة والادراك الجواب قلنا اما قوله تعالى انزل فيه القرآن جملة واحدة الى السماء الدنيا في شهر
رمضان ثم فرق انزاله على نبيه عليه السلام بحسب ما تدعو الحاجة اليه وقال آخرون المراد بقوله تعالى
انزل فيه القرآن اي انزل في فرضه وايجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه بمعنى في فرضه
كما يقول القائل انزل الله في الزكاة كذا وكذا يريد في فرضها وانزل الله في الخمر كذا يريد في تحريمها
وهذا الجواب انما هرب من شيء وظن انه قد اعتصم بجوابه وهو بعد ثابت على ما كان عليه لان قوله تعالى
القرآن اذا كان يقتضي ظاهره جميع انزال القرآن فيجيء على هذا الجواب ان يكون قد انزل في فرض الصيام
جميع القرآن ونحن نعلم ان قليلا من القرآن يختص بايجاب شهر رمضان وان اكثره خال من ذلك وان قيل
المراد بذلك انه انزل في فرضه شيئا من القرآن وبعضا منه قيل فالا اقتصر على هذا وحمل الكلام على انه
انه تعالى انزل شيئا من القرآن في شهر رمضان ولم يحتج الى ان يجعل لفظة فيه بمعنى في فرضه وايجاب
صومه والجواب الصحيح ان قوله تعالى القرآن في هذا الموضع لا يفيد العموم والاستغراق وانما يفيد الجنس
من غير معنى الاستغراق فكانه تعالى قال شهر رمضان الذي انزل فيه هذا الجنس من الكلام فاي شيء نزل منه
في الشهر فقد طابق الظاهر وليس لاحد ان يقول ان الالف واللام هاهنا لا تكونان الا للعموم والاستغراق
لانا لو سلمنا ان الالف واللام صيغة العموم والصورة المقتضية لاستغراق الجنس لم يجب ان تكون هاهنا
بهذه الصفة لان هذه اللفظة قد تستعمل في مواضع كثيرة من الكلام ولا يراد بها اكثر من الاشارة الى
الجنس والطبقة من غير استغراق وعموم حتى يكون حمل كلام المتكلم بها على خصوص او عموم كالمناقض لغرضه
والمنافي لمراده الا ترى ان القائل اذا قال فلان يأكل اللحم ويشرب الخمر وضرب الامير اليوم اللصوص
وخاطب الجند لم يفهم من كلامه الا محض الجنس والطبقة من غير خصوص ولا عموم حتى لو قيل له فلان يأكل
جميع اللحم ويشرب جميع الخمر او بعضهما لكان جوابه لم ارد عموما ولا خصوصا وانما اردت انه يأكل هذا
الجنس من الطعام ويشرب هذا الجنس من الطعام الشراب فمن فهم من كلامه العموم والخصوص فهو بعيد
من فهم مراده وان كثيرا من الناس يغلطون في هذا الموضع فيظنون ان الاشارة الى الجنس من غير
ارادة العموم والاستغراق ليست مفهومة حتى يحملوا كل لفظ وردت للجنس في كل موضع على العموم
وهذا ابعد من ظنه لانه كما ان العموم والخصوص مفهومان في بعض المواضع بهذه الالفاظ فكذلك

فكذلك الاشارة الى الجنس والطبقة من غير ارادة عموم ولا خصوص مفهومة متميزة وقد ذكرنا
امثال ذلك فاما قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فاكثر المفسرين حملوه على ان المراد بمن شهد الشهر من كان
مقيما في بلده غير مسافر وابو علي حمله على ان المراد به فمن ادرك الشهر وشاهده وبلغ اليه وهو متكامل الشروط
فليصمه ذهب في معنى شهد الى معنى الادراك والمشاهدة وقد طعن قوم على تاويل ابي علي وقالوا
ليس يحتمل الكلام الا الوجه الاول وليس الامر على ما ظنوه لان الكلام يحتمل الوجهين معا وان كان
للقول الاول من ترجيح ومزية على الثاني من حيث يحتاج في الثاني الى اضمار اكثر مما يحتاج اليه في
الاول لان على القول الاول لا يحتاج الى اضمار الاقامة وارتفاع السفر لان قوله تعالى شهد يقتضي الاقامة
وانما يحتاج الى اضمار باقي الشروط من الامكان والبلوغ وغير ذلك وفي القول الثاني يحتاج مع كل ما اضمرنا
في القول الاول الى اضمار الاقامة ويكون التقدير فمن شاهد الشهر وهو مقيم مطلق بالغ الى سائر الشروط
فمن هذا الوجه كان الاول اقوى وليس لاحد ان يقول شهد بنفسه من غير محذوف لا يدل على الاقامة وذلك
ان الظاهر من قولهم في اللغة فلان شاهد اذا اطلق ولم يضف افاد الاقامة في البلد وهو عندهم
ضد الغائب والمسافر وان كان ربما اضافوا فقالوا فلان شاهد لكذا وشهد فلان كذا وكذا ويريدون بهذا
المعنى وفي اطلاق شهد دلالة على الاقامة من غير تقدير محذوف وهذه جملة كافية بحمد الله
ومنه وجدت ابا العباس بن عمار يعيب على ابي تمام قوله

لما استحر الوداع المحض وانصرمت ... اواخر الصبر الا كاظما وجما
رأيت احسن مرئي واقبحه ... مستجمعين لي التوديع والعنقا

قال ابو العباس وهذا قد ذم مثله على شاعر متقدم وهو ان جمع بين كلمتين احداهما لا تناسب الاخرى
وهو قول الكميت

وقد رأينا بها حورا منعمة ... بيضا تكامل فيها الدل والشنب

فقيل له اخطأت وباعدت بقولك الدل والشنب الا قلت كقول ذي الرمة

بيضا في شفتيها حوة لعس ... وفي اللثات وفي انيابها شنب

قال فقال الطائي مستجمعين لي التوديع والعنقا فجعل النظر القبيح للتوديع والتوديع لا يستقبح
وانما يستقبح عاقبته وهي الفراق وجعل المنظر الحسن للخطاب وشبهه بالعنق ولم يذكر الانامل المخضبة
قال وانما سمع المجنون ويبدي الحصا منها اذا قذفت به ... من البرد اطراف البنان المخضب
قال وهذا الاصل استعارة الناس بعد قول الشاعر النشر مسك والوجوه دنانير واطراف الاكف عنم
قال واعرب ابو نواس في قوله تبكي فتذري الدر من نرجس ... وتلطم الورد بعناب

قال فلم يعن هذا العلج ان يسعره شيئا من محاسن القايلين [illegible] وهذا
غلط من ابن عمار وتعسف على ابي تمام لان الكميت جمع بين شيئين متباعدين وهما الدل وهو الشكل والحلاوة
وحسن الهيئة والشنب وهو برد الاسنان فيظن ان يلحقه بذلك بعض العيب وابو تمام جمع بين المتشبهين
غير متفرقين لان التوديع انما اشار به الى ما اشارت اليه باصبعها من وداعه عند الفراق وشبه مع ذلك
اصابعها بالعنم والعنم نبت اغصانه غضة دقاق تشبه الاصابع وقيل ان العنم واحدته عنمة وهي العضاة
الصغيرة وقيل ان العنم نبت له نور احمر يشبه به الاصابع المخضوبة فوجه حسن قوله التوديع والعنم
كانه بالاصبع التي تشبه العنم فجمع بينهما لذلك ولا حاجة به الى ذكر الانامل المخضبة على ما ظن ابن
القباس بل ذكر المشبه به افصح واحسن من ان تقول التوديع والانامل التي تشبه العنم فاما قوله ان
التوديع لا يستقبح وانما يستقبح عاقبته فخطاء ومطالبة الشاعر بما لا يطالب بمثله الشعراء لان التوديع
اذا كان مؤذنا بالفراق وبعد الدار وغيبة المحبوب فلا محالة انه مكروه مستقبح وقوله يستقبح عاقبته
صحيح لان ما يعقبه ويتم له كان عند حصوله متيقنا مكروها فالاستكراه والاستقباح اليه وحسن
علم ان الناس يكرهون ويستقبحون تناول الاشيا الملذة من الاغذية وغيرها اذا علموا ان في تناولها
من المكروه فان من قدم اليه طعام مسموم وعلم بذلك يكرهه ويستقبح تناوله لما يتوقع من عاقبته
وان كان ملذا في الحال ولم تزل الشعرا تذكر كراهيتها للوداع وهربها منه لما يتعقبه من الم الفرقة
وغصص الوحشة وهذا مشهور معروف وقد قال ابو تمام الفة النحيب كم افتراق اظل فكان داعية اجتماع
وهذا صحيح فاما قول جرير اتنسى اذ تودعنا سليمى بفرع بشامة سقي البشام فانما قوله بفرع
بشامة لا يقتضي انها ودعته عند البشام وانما المعنى انها اشارت اليه بسواك في يدها من فرع بشامة
وانه دعا للبشام وهو من القضبان لانها ودعته فسر بتوديعها وقول الشاعر

من كان يكره الفراق فانني ◦ استهيه لموضع التسليم
ان فيه اعتناقة لوداع ◦ وانتظار اعتناقة لقدوم

فمن شان الشعرا ان يتصرفوا في المعاني بحسب اغراضهم ومقاصدهم فاذا اراد احدهم مدح شي وقصد
الى حسن معناه او وصفه فذكرها واشاد بها حتى كانه لا وصف له غير ذلك او يصف الحسن واذا اراد ذمه
قصد الى قبائحه فذكرها حتى كانه لا شي فيه غير ذلك وكل مصيب بحسب قصده ولهذا ترى انهم يقصد
الى مدح الشيب فيذكر ما فيه من وقار وخشوع وانه علامة الحلم وما ذلك ويقصد الى ذمه فيذكر
ما فيه من الدنو الى الاجل وانه اخو الالم وانه مبغض الى النسا وما اشبه ذلك ومن حسن سلم

كل شي وسعة ولمدحهم موضع ولذمهم موضع فمن ذم الوداع لما فيه من الانذار بالفراق وبعد
الدار فذهب مذهبا صحيحا كما ان من مدحه لما فيه من القرب من المحبوب والسرور بالنظر اليه وان كان
يسيرا فقد ذهب ايضا مذهبا. ومن غلط ابن عمار القبيح قوله بعد ان انشد شعر المجنون وهذا هو الذي
ثم استعان الناس من بعد فقال الشاعر النشر مسك والوجوه دنانير واطراف الاكف عنم
وهذا البيت للمرقش الاكبر وهو والمرقش الاصغر جميعا كانا على عهد مهلهل بن ربيعة وشهدا
حرب بكر بن وايل فكيف يكون قول المرقش الاكبر بعد قول المجنون لولا الغفلة [illegible]
[illegible] ان سال سايل فقال ما تاويل قوله تعالى واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم
تهتدون فقال وكيف يكون ذلك والفرقان هو القران ولم يؤت موسى عليه السلم القران وانما اختص
به محمد صلى الله عليه وآله الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه اولها ان يكون الفرقان بمعنى الكتاب
المتقدم ذكره وهو التورية ولا يكون ههنا اسما للقرآن المنزل على محمد عليه السلم وحسن نسقه على
الكتاب لمخالفته اللفظ كما قال تعالى الكتاب والحكمة وان كان مما يتضمنها الكتاب والحكمة كتب
الله تعالى كلها فرقان تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام ويستشهد على هذا الوجه بقول
طرفة ◦ فما لي اراني وابن عمي مالكا ◦ متى ادن منه ينا ويبعد ◦
فنسق يبعد على ينا وهو هو بعينه وحسن ذلك لاختلاف اللفظين وقال عدي بن زيد

وقددت الاديم لراهشيه ◦ والفى قولها كذبا ومينا ◦

والمين الكذب وثانيها ان يراد بالفرقان الفرق بين الحلال والحرام والفرق بين موسى عليه السلم
واصحابه المؤمنين وبين فرعون واصحابه الكافرين لان الله تعالى قد فرق بينهم في امور كثيرة منها
انه نجى هولاء وغرق هولاء وثالثها ان يكون الكتاب عبارة عن التورية والفرقان انفراق البحر الذي
اوتيه موسى عليه السلم ورابعها ان يكون الفرقان المراد به القرآن المنزل على نبينا عليه السلم وفي
المعنى في ذلك واتينا موسى التورية والتصديق والايمان بالفرقان الذي هو القرآن لان موسى عليه السلم
كان مؤمنا بمحمد عليه السلم وبما جاء به ومبشرا ببعثته وساغ حذف القبول او الايمان والتصديق
وما جرى مجراه واقامة الفرقان مقامه كما ساغ في قوله تعالى واسال القرية وهو يريد اهل القرية وخامسها
ان يكون المراد بالفرقان القرآن ويكون تقدير الكلام واذ اتينا موسى الكتاب الذي هو التورية
واتينا محمدا الفرقان فحذف ما حذف مما يقتضيه الكلام وكما حذف الشاعر في قوله
تراه كان الله يجدع انفه ◦ وعينيه ان مولاه كان له وفر اراد وتفقا عينيه لان الجدع لا يكون بالعين فاكتفا

يجدع من يشقا وقال آخر تسمع للاحشاء منه لغطا ولليدين جساة وبددا

اي وترى لليدين لان الجساة والبدد لا يسمعان وانما يريان وقال الآخر علفتها تبنا وماء باردا

حتى شتت همالة عيناها اراد وسقيتها ماء باردا فدل علفت على سقيت وقال آخر

يا ليت بعلك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا قال المرتضى رضي الله عنه ووجدت ابا بكر بن الانباري

يقول ان الاستشهاد بهذه الابيات على هذا الوجه لا يجوز لان الابيات اكتفي فيها بذكر فعل عن ذكر

فعل غيره والآية اكتفي فيها بذكر اسم من اسم والامر وان كان على ما قاله في الاسم والفعل فان موضع

الاستشهاد صحيح لان الاكتفاء في الابيات بفعل عن فعل انما حسن من حيث دل الكلام على الحذف

والمقصود واقتضاه فخفف تعويلا على ان المراد معلوم غير ملتبس ولا مشتبه وهذا المعنى قايم في الآية

وان كان المحذوف اسما لان اللبس قد زال والشبهة قد امنت في المراد بل فضل الحذف لان الفرقان

اذا كان اسما للآيات وكان من المعلوم ان القرآن انما انزل على نبينا صلى الله عليه لان موسي عليه السلام

استغنى عن ان يقال وآتينا محمدا القرآن كما استغنى الشاعران بقوله وتفقا عينيه وترى لليدين

جساة وبددا وما شاكل ذلك الا انه يمكن ان يقال فيما استشهد به من جميع الابيات ما لا يمكن ان يقال

مثله في الآية وهو ان يقال انه لا محذوف فيها ولا تقدير لفعل مضمر بل الكلام في كل بيت منها

محمول على المعنى ومعطوف عليه لانه لما قال تراه كان الله يجدع انفه وكان معنى الجدع هو الافساد

للعضو والتشويه به عطف على المعنى فقال وعينيه فكانه قال تراه كان الله يفسد انفه ويشوهه

وعينيه وكذلك لما كان السامع اللغط من الاحشاء عالما به عطف على المعنى فقال ولليدين جساة

وبددا اي انه يعلم هذا وذاك معا وكذلك لما كان في قوله علفتها تبنا وغذيت عطف عليه الماء لانه

مما يغتذى به وكذلك لما كان المتقلد للسيف حاملا له جاز ان يعطف عليه الرمح المحمول وهذا اولى

في الطعن على الاستشهاد بهذه الابيات مما ذكره ابن الانباري اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب

قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال اخبرنا يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال اخبرنا احمد بن يحيى بن جابر البلاذري

عن الهيثم بن عدي قال لما دخل خالد بن صفوان الاهتمي على هشام بن عبد الملك وذلك بعد عزله

خالد بن عبد الله القسري قال فالفيته جالسا في بركة ماء دونها الى الكعبين فدعا لي

بكرسي فجلست عليه فقال يا خالد ربما خالد الذي جلس مجلسك كان انور بقلبي واحب الي منك فقلت يا

امير المومنين ان حلمك لا ينبو عنه ولو سمعت عن جرمه فقال يا خالد ان خالدا ادل فامل و

اوجف فاعجف ولم يدع لراجع مرجعا ولا للعودة موضعا ثم قال الا اخبرك عنه يا ابن صفوان قلت

قلت نعم قال انه ما بداني بسوال منذ قدم العراق حتى اكون انا الذي ابداوه بها قال خالد فقلت

فذاك احرى ان ترجع له فقال متمثلا اذا انصرفت نفسي عن الشي لم تكد

اليه بوجه آخر الدهر تقبل ثم قال لي حاجتك يا ابن صفوان قلت تزيد في عطائي عشرة

دنانير فاطرق ثم قال ولم وفيم العبادة احدثتها فنعينك عليها ام لبلاء حسن ابليته امير

المومنين ام لماذا يا ابن صفوان اذا يكثر السوال ولا يحتمل ذلك بيت المال قال فقلت يا امير

المومنين وفقك الله وسددك انت والله كما قال اخو خزاعة اذا المال لم توجب عليك عطاءه

قرابة قربى او صديق توافقه منعت وبعض المنع حزم وقوة ولم يفتلتك المال الا حقائقه

فلما قدم خالد البصرة قيل له ما الذي حملك على تزيين الامساك له قال احببت ان يمنع غيري فيكثر

من يلومه قال المرتضى رضي الله عنه وكان خالد مشهورا بالبلاغة وحسن العبارة وبالاسناد

المتقدم عن المدايني قال قال حفص بن معوية بن عمرو الغلابي قلت لخالد يا ابا صفوان اني لاكره ان

تموت وانت من ايسر اهل البصرة فلا يبكيك الا الاماء قال فابغني امراة قلت صفها لي قال اطلبها

بكرا كثيب او ثيبا كبكر لا ضرعة صغيرة ولا مسنة كبيرة لم تقرا فتحن ولم تفت

فتمجن قد نشات في نعمة وادركتها خصاصة فادبها الغنى واذلها الفقر حسبي من جمالها ان تكون

فخمة من بعيد مليحة من قريب وحسبي من حسبها ان تكون واسطة في قومها ترضى مني بالسنة

ان عشت اكرمتها وان مت ورثتها لا ترفع راسها الى السماء بطرا ولا تضعه الى الارض

سقوطا فقلت يا ابا صفوان ان الناس في طلب هذه منذ زمان طويل فما يقدرون عليها وكان

يقول ان المروة لو خف محملها وقلت مؤونتها ما ترك اللئام فيها للكرام بيتة ليلة ولكن ثقل محملها

وعظمت مؤونتها فاجتنبها الكرام وحاد عنها اللئام وكان خالد من اشح الناس وابخلهم

كان اذا اخذ جايزة او غيرها قال للدرهم اما والله لطالما غربت في البلاد وانجدت والله

لاطيلن ضجعتك ولاديمن صرعتك قال وساله رجل من بني تميم فاعطاه دانقا فقال يا سبحان

الله ايعطي مثلي دانقا فقال لو اعطاك كل رجل من بني تميم مثلها لرجعت ذا مال

عظيم وساله رجل فاعطاه درهما فاستقله فقال له يا احمق اما علمت ان الدرهم عشر العشرة

والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف عشر دية المسلم وكان يقول والله ما تطيب

نفسي بانفاق درهم الا درهم قرعت به باب الجنة او درهم اشتريت به موزا وقال لين

لان يكون لي ابن يحب الخمر احب الي من ان يحب اللحم وحده والخمر يفقد احيانا وكان يقول من كان

دون
ماله كفافا فليس بغني ولا فقير لان النابتة اذا نزلت به اجحفت بكفافه ومن كان ماله فوق الكفاف
فهو فقير ومن كان ماله فوق الكفاف فهو غني وكان يقول لئن يكون لاحدكم جار خاف
ان ينقب عليه بيته خير من ان يكون له جار من التجار لا يشاء ان يعطيه دانقا ويكتب عليه متكا

فصل ان سال سايل عن قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون
فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون فقال كيف نفى عنهم بانهم لا يكذبون
نبيه عليه السلام ومعلوم منهم اظهار التكذيب والعدول عن الاستجابة والتصديق وكيف نفى
عنهم التكذيب ثم يقول انهم بايات الله يجحدون وهل الجحد بايات الله الا تكذيب نبيه عليه السلام
الجواب قلنا قد ذكر في هذه الاية وجوه اولها ان يكون انما نفى تكذيبهم بقلوبهم تدينا واعتقادا
وان كانوا يظهرون بافواههم التكذيب لانا نعلم انه كان في المخالفين له عليه السلام من يعلم صدقه
ولا ينكر بقلبه حقه وهو مع ذلك يعاند فيظهر خلاف ما يبطن وقد قال الله تعالى وان فريقا منهم
ليكتمون الحق وهم يعلمون ومما يشهد لهذا الوجه من طريق الرواية ما رواه سلام بن مسكين عن ابي
زيد المدني ان رسول الله صلى الله عليه لقي ابا جهل فصافحه ابو جهل فقيل له اتصافح هذا الصبي
فقال والله اني لاعلم انه نبي ولكن متى كنا تبعا لبني عبد مناف فانزل الله تعالى الاية وفي خبر اخر ان
الاخنس بن شريق خلا بابي جهل فقال له يا ابا الحكم اخبرني عن محمد صادق هو ام كاذب وليس
هاهنا من قريش احد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال له ابو جهل ويحك والله ان محمدا لصادق وما
كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والندوة والنبوة فماذا يكون
لساير قريش والوجه الثاني ان يكون معنى فانهم لا يكذبونك اي لا يفعلون ذلك بحجة ولا يتمكنون
من ابطال ما جيت به ببرهان وانما يقتصرون على الدعوى الباطلة وهذا في الاستعمال معروف
لان القايل يقول فلان لا يستطيع ان يكذبني ولا يدفع قولي وانما يريد انه لا يتمكن من اقامة دليل
على كذبه وحجة في دفع قوله وان كان يتمكن من التكذيب بلسانه وقلبه فيصير ما يقع من التكذيب من غير حجة
ولا برهان غير معتد به وروي عن امير المومنين عليه السلام انه كان يقرا هذه الاية بالتخفيف فانهم لا يكذبونك
ويقول ان المراد بها انهم لا ياتون بحق هو احق من حقك وقال محمد بن كعب القرظي معناه ما يبطلون
ما في يديك ويدل على ذلك على هذا الوجه وسنبين ان معنى هذه اللفظة مشددة يرجع الى معناها مخففة
والوجه الثالث ان يكون معنى الاية انهم لا ينسبونك ولا يلفونك مكذبا كما يقولون قاتلته فما اجبنته
اي لم اجده جبانا واحمدته وما اكذبته اي لم اجده كاذبا وقال الاعشى ٭ اثوى

وقصر

وقصر ليلة ليزودا فمضى واخلف من قتيلة موعدا ٭
اراد انه صادف منها خلفا للوعد ومثله اصممت القوم اذا صادفتهم صما واخليت الموضع
اذا صادفته خاليا قال اتيت مع الحداث ليلى فلم ابن فاخليت فاستعجمت عند خلاء بيا اي
اصبته خاليا ومثله لهميان بن ابي قحافة ٭ يسن انيابا له لو امتحا اوسعن من اشداقه
المضارجا ٭ يعني اوسعن اصبن منابت واسعة فبتين فيها وقال عمرو بن براقة
٭ يحالف اقوام على السمن او جروا على الحرب اذا نا سالم ٭
يقول اسمن بنو فلان ٭ اذا دعتنا بهم قصار فوافيها سمنا قال ابو النجم ٭ يقول الرايد
اعشبت انزل اي اصبته مكانا معشبا وقال ذو الرمة ٭
٭ تريك بياض لبتها ووجها كقرن الشمس افتق ثم زالا ٭ اي وجد فتقا
من السحاب وليس لاحد ان يجعل هذا الوجه مختصا بالقراءة بالتخفيف دون التشديد لان في الوجهين
معا يمكن هذا الجواب لان افعلت وفعلت يجوزان في هذا الموضع وافعلت بالتخفيف هو
الاصل في الفعل ثم شدد تاكيدا وافادة لمعنى التكرار وهو مثل اكرمت وكرمت واعظمت
وعظمت واوصيت ووصيت وابلغت وبلغت وهو كثير وقال الله تعالى فمهل الكافرين امهلهم
رويدا الا ان التخفيف اشبه بهذا الوجه لان استعمال هذه اللفظة مخففة في هذا المعنى اكثر
والوجه الرابع ما حكي الكسائي من قوله ان المراد انهم لا ينسبونك الى الكذب فيما اتيت به لانه
كان عندهم امينا صادقا لم يجربوا عليه كذبا وانما كانوا يدفعون ما اتى به ويدعون انه
في نفسه كذب وفي الناس من يقوي هذا الوجه وان القوم كانوا يكذبون ما اتى به وان كانوا
يصدقونه في نفسه بقوله ولكن الظالمين بايات الله يجحدون وبقوله وكذب به قومك
وهو الحق ولم يقل وكذبك قومك وكان الكسائي يقرا فانهم لا يكذبونك بالتخفيف ونافع
من ساير السبعة والباقون على التشديد وزعم ان بين كذبته واكذبته فرقا وان معنى اكذبته
الرجل اذا جا بالكذب ومعنى كذبته انه كذاب في كل حديثه وهذا غلط وليس بين فعلت
وافعلت في هذه الكلمة فرق من طريق المعنى اكثر مما ذكرناه من ان التشديد يقتضي التكرار
والتاكيد ومع هذا لا يجوز ان يصدقوه في نفسه ويكذبوا بما اتى به لانه من المعلوم
انه صلى الله عليه كان يشهد بصحة ما اتى به وصدقه وانه الدين القيم والحق الذي
لا يجوز العدول عنه فكيف يجوز ان يكون صادقا في خبره وان كان الذي اتى به فاسدا

بل ان كان صادقا فالنفي الذي به حق صحيح وان كان الذي نفى به فاسدا فلا بد من ان يكون نفي شيء
من ذلك كاذبا وهذا تاويل من لا يحقق المعاني والوجه الخامس ان يكون المعنى في قوله
فانهم لا يكذبونك ان تكذيبك راجع الي وعايد علي ولست المختص به لانه رسول فمن كذبه
فهو في الحقيقة مكذب لله تعالى وراد عليه وهذا كما يقول احدنا لرسوله امض
في كذا فمن كذبك فقد كذبني ومن دفعك فقد دفعني وذلك من الله تعالى على سبيل
التسلية لنبيه عليه السلام والتعظيم لتكذيبه والتغليظ والوجه السادس ان يريد فانهم
لا يكذبونك في الامر الذي يوافق فيه كتبهم وان كذبوك في غيره ويمكن ان يكون
وجه سابع وهو ان يريد ان جميعهم لا يكذبونك فان كذبك بعضهم وهم الظالمون
الذين ذكروا في اخر الاية انهم يجحدون بايات الله لان الله تعالى انما سلى
نبيه بهذا القول وعزاه فلا ينكر ان يكون عليه السلام لما استوحش
من تكذيبهم له وتلقيهم اياه بالرد وظن انه لا متبع له منهم ولا ناصر لدينه
منهم اخبر الله تعالى بان البعض وان كذبك فان فيهم من يصدقك ويتبعك
وينتفع بارشادك وهدايتك وكل هذا واضح بحمد الله تعالى ۝ قال رحمه الله
ومن جيد الشعر قول مطرود بن كعب الخزاعي ۝ يا ايها الرجل المحول رحله هلا
نزلت حالت بال عبد مناف ۝ هبلتك امك لو نزلت عليهم ضمنوك من جوع ومن اقراف ۝
الاخذون العهد من افاقها والراحلون لرحلة الايلاف ۝ والمطعمون اذا الرياح تناوحت
ورجال مكة مسنتون عجاف ۝ والمفضلون اذا المحول ترادفت والقايلون هلم للاضياف ۝
والخالطون غنيهم بفقيرهم حتى يكون فقيرهم كالكافي ۝ كانت قريش بيضة فتفلقت فالمح خالصة لعبد مناف
قوله والراحلون لرحلة الايلاف فكان هاشم صاحب ايلاف قريش الرحلتين واول من سنهما فقالوا الرحلتين
في الشتا الى اليمن والحبشة والعراق وفي الصيف الى الشام ففي ذلك يقول ابن الزبعرى

۝ عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف ۝
۝ وهو الذي سن الرحيل لقومه رحل الشتا ورحلة الاصياف ۝

قوله المسنتون فالذين اصابتهم السنة الجدبة الشديدة وقوله والخالطون غنيهم من احسن الكلام واخصره
وانما اراد انهم يتفضلون على الفقير حتى يعود غنيا ذا ثروة ولاحمد بن يوسف ابيات على هذا الوزن
والروي يهجو بها ولد سعيد بن سلم الباهلي وكان لهم صديقا ۝ ابني سعيد انكم
من معشر لا يعرفون كرامة الاضياف ۝ قوم لباهلة بن اعصر انهم نسبوا اخسبتهم لعبد

مناف

مناف ۝ قرنوا العلا الى العشا وقربوا ۝ ذا المروة انك ليس بكاف ۝
۝ وكاني لما حططت اليهم ۝ رحلي نزلت بابرق العزاف ۝
۝ بيننا كذلك اذا اتى كبراؤهم ۝ يلحون في السدن والالحاف ۝
اراد بقوله قرنوا العلا الى العشا بخلهم ۝ واقتضاءهم واقتصارهم في المطعم ويقال ان هذا
الشعر حفظ ومارس اكثر ما يسبون فيه ويسب قومهم ولرب مزح جر حينا وعرّ الشعر
للانتقال والتعريس بحسب جودته ولقد احسن دعبل علي في قوله
۝ نعوني فلما ينعني غير شامت ۝ وغير عدو قد اصيبت مقاتله ۝
۝ يقولون ان ذاق الردى مات شعره ۝ وهيهات عمر الشعر طالت طوايله
۝ ساقضي ببيت يحمد الناس امره ۝ ويكثر من اهل الرواية حامله ۝
۝ يموت ردي الشعر من قبل اهله ۝ وجيده يبقى وان مات قايله ۝
ولاخر في هذا المعنى لا تعرضن بمزح لامرئ فطن ما راضه قلبه اجراه في الكتب
۝ فرب قافية بالمزح جارية ۝ مسمومة لم يرد انمارها نمت ۝
۝ اني اذا قلت بيتا مات قايله ومن يقال له والبيت لم يمت ۝
تاويل ۝ ان سال سايل عن قوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا
والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم
ما كانوا يفترون وعن قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد
ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المومنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فقال كيف يقع من اهل الاخرة نفي الشرك عن انفسهم
والقسم بالله تعالى عليه وهم كاذبون ومع ذلك فهم عندكم في تلك الحال لا يقع منهم شيء من القبيح
لمعرفتهم بالله ضرورة ولانهم ملجاون هناك الى ترك جميع القبايح وكيف قال تعالى من بعد ولو
ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فشهد عليهم بالكذب ثم علقهم علقه بالايح فيه
معنى الكذب وهو التمني لانهم تمنوا ولم يخبروا الجواب قلنا اول ما نقوله انه ليس في ظاهر الاية
ما يقتضي ان قولهم ما كنا مشركين انما وقع في الاخرة دون الدنيا واذا لم يكن ذلك في الظاهر جاز
ان يكون الاخبار عنا ولا حال الدنيا وسقطت المسلة وكل ان يتعلق لانا لا في وقوع ذلك في الاخرة نقول لعله
قبل الاية ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاوكم وانه عقب ذلك

بقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم فيجب ان يكون الجميع مختصاً بحال الآخرة لانه لا يمتنع ان تكون الآية تتناول
ما يجري في الآخرة ثم تتلوها آية اخرى تتناول ما يجري في الدنيا لان مطابقة كل آية لما قبلها في مثل
هذا غير واجبة وقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم لا يدل ايضاً على ان ذلك يكون واقعاً بعد ما اخبر الله
تعالى في الآية الاولى فكانه تعالى قال على هذا الوجه انا نحشرهم في الآخرة ونقول اين شركاؤكم
الذين كنتم تزعمون وما كان فتنتهم وسبب ضلالهم في الدنيا الا قولهم والله ربنا ما كنا مشركين
وقد قيل في الآية على تسليم ان هذا القول يقع منهم في الآخرة ان المراد به انا ما كنا مشركين عند نفوسنا
وفي اعتقادنا مشركين بل كنا نعتقد انا على الحق والهدى وقوله تعالى من بعد انظر كيف كذبوا على
انفسهم في دار الدنيا باخبارهم انهم مصيبون محقون غير مشركين وليس في الظاهر الا انهم
كذبوا على انفسهم من غير تخصيص بوقت فلم يحمل على آخرة دون دنيا ولو كان للآية ظاهر يقتضي
وقوع ذلك في الآخرة لحملناه على الدنيا بدلالة ان اهل الآخرة لا يجوز ان يكذبوا لانهم ملجاون
الى ترك القبيح فاما قوله تعالى حاكياً عنهم يا ليتنا نرد وقوله تعالى وانهم لكاذبون فمن الناس من
حمل الكلام كله على وجه التمني وصرف قوله تعالى وانهم لكاذبون الى غير الامر الذي تمنوه لان التمني لا
يصح فيه معنى الصدق والكذب وانما يدخلان في الاخبار المحضة لان قول القائل ليت الله رزقني
ولدا وليت فلاناً اعطاني مالا فافعل به كذا وكذا لا يكون كذباً ولا صدقاً وقع ما تمناه او لم يقع فيجوز
على هذا ان يكون قوله تعالى وانهم لكاذبون مصروفاً الى حال الدنيا كانه قال تعالى وهم كاذبون فيما
يخبرون به عن انفسهم في الدنيا من الاصابة واعتقاد الحق او يريد انهم كاذبون ان اخبروا عن نفوسهم
بانهم متى ردوا آمنوا ولم يكذبوا وان كان ما كان ما حكي عنهم من التمني ليس بخبر وقد يجوز ايضاً
ان يحمل قوله تعالى وانهم لكاذبون على غير الكذب الحقيقي بل يكون المراد والمعنى انهم تمنوا ما لا
سبيل اليه فكذب املهم وتمنيهم وهذا مشهور في الكلام لانهم يقولون لمن يتمنى ما لا يدرك كذب
املك والذي رجاوك وما جرى مجرى ذلك وقال الشاعر

كذبتم وبيت الله لا تاخذونها   مراغمة ما دام للسيف قائم
كذبتم وبيت الله لا تنكحونها   بني شاب قرناها تصر وتحلب

ولم يرد الكذب في الاقوال بل التمني والامل وليس لاحد ان يقول كيف يجوز من اهل الآخرة مع
ان معارفهم ضرورة وانهم عالمون بان الرجوع الى الدنيا لا سبيل اليه ان يتمنوه وذلك
انه غير ممتنع ان يتمنى المتمني ما يعلم انه لا يحصل ولا يقع ولهذا يتعلق التمني للشيء بان لا يكون

ما قد كان

ما قد كان ولقوة اختصاص التمني لا يعلم انه لا يكون غلط قوم فجعلوا ارادة ما علم المريد انه
لا يكون تمنيا فهذا الذي ذكرناه وجه في تاويل الآية وفي الناس من يجعل بعض الكلام
تمنيا وبعضه اخبارا وعلق تكذيبهم بالخبر دون ليتنا لكان تقدير الآية يا ليتنا
نرد هذا هو التمني ثم قال مبتدئا فانا لا نكذب بآيات الله ونكون من المؤمنين فاخبروا
بما علم الله تعالى انهم فيه كاذبون وان لم يعلموا من انفسهم مثل ذلك فلهذا
اكذبهم وكل هذا واضح قال رحمه الله اخبرنا المرزباني قال حدثنا احمد بن
عبد الله وعبد الله بن يحيى العسكري قالا حدثنا الحسن بن عليل العنزي
قال حدثنا ابو بكر محمد بن عبد الله العبدي قال حدثنا ابو مشعر رجل منا من
بني غنم بن عبد القيس قال ورد منصور بن سلمة النمري على البرامكة وهو شيخ
كبير وكان مروان بن ابي حفصة صديقا لي على انني كنت ابغضه وامقته في الله
فشكا الي فقال لي دخل اليوم علينا رجل اظنه شاميا وقد تقدمته البرامكة
في الذكر عند الرشيد واذن له فدخل فسلم فاجاد فاذن له الرشيد
فجلس قال فاوجست منه خوفا فقلت يا نفس انا حجازي نجدي شافهت
العرب وشافهتني وهذا شامي فتراه اشعر مني قال فجعلت ارفق نفسي
الى اذ استنشده هرون فاذا والله افصح الناس فدخلني له حسد قال
فانشده قصيدة تمنيت انها لي وان علي غرمها فقلت له ما هي فقال احفظ منها ابياتا وهي
امير المؤمنين اليك خضنا غمار الموت من بلد شطير بخوص كالاهلة خافقات تلين على السرى وعلى الهجير
حملن اليك احمالا ثقالا ومثل الصخر والدر النثير فقد وقف المديح بمنتهاه وغايته وصار الى المصير
الى من لا تشير الى سواه اذا ذكر الندى كف المشير قال مروان فوددت انه اخذ جائزتي وسكت
وعجبت من تخلصه الى تلك القوافي ثم ذكر ولد امير المؤمنين فاحسن التخلص ورايت
هرون يعجب بذلك فقال   يدلك في رقاب بني علي ومن ليس بالمن اليسير
فان شكروا فقد انعمت فيهم والا فالندامة للكفور سبيت على بن عبد الله يحيى وكان من الحتوف على شفير
وقد سخطت بسخطك المنايا عليه فهي حائمة النسور ولو كافات ما اجترحت يداه دلفت له بقاصمة الظهور
وكان قد حل حكمك فاجتباه على المنوا عفو من قدير فعاد كانه لم يجن ذنبا وقد كان اجتنى حسد الصدور
وفي رواية اخرى بعد قوله بذلك وانك حين تبلغهم اذاة وان ظلموا لمحترق الضمير

وان الرشيد قال لما سمع هذا البيت هذا والله معنى كان في نفسي وادخله بيت
المال وكلمه فيه قال مروان وكان هرون يتبسم ويكاد يضحك للطف ما سمع ثم
اومأ الي ان انشده فانشدته قصيدتي التي اقول فيها ٭ خلوا الطريق لمعشر
عاداتهم حطم المناكب كل يوم زحام ٭ حتى اتيت على اخرها فوالله ما عاج ذلك
الرجل يعني النمري بشعري ولا احفل به وانشده منصور يومئذ ٭

٭ ان لهرون امام الهدى كنزين من اجر ومن بر ٭
٭ يريش ما تبري الليالي ولا تريش ايديهن ما يبري ٭
٭ كانما البدر على رحله ترميك منه مقلتا صقر ٭ وانشده ايضا
٭ ولمن اضاع لقد وجدتك حافظا لوصية العباس بالاخوال

قال مروان واخلق بدا ان يقلبني وان يعلو علي عنده فاني ما رايت احسن
من تخلصه اذا ذكر الطالبيين اخبرنا المرزباني قال حدثنا ابو عبد الله
الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثني ابو عثمن الجاحظ قال
كان منصور النمري ينافق الرشيد ويذكر هرون في شعره ويريه انه
من وجوه شيعته ومراده بذلك امير المؤمنين علي بن ابي طالب يقول
النبي عليه السلام انت مني بمنزلة هرون من موسى الى ان وشى به
عنده بعض اعدائه وهو العتابي فقال يا امير المؤمنين هو والله الذي
يقول ٭ متى يشفيك دمعك من همول ويبرد ما بقلبك من غليل ٭ وانشد ايضا
٭ شاء من الناس راتع هامل يعللون النفوس بالباطل ٭
ومنصور يصرح في هذه القصيدة بالعجايب ووجه الرشيد برجل من قرارة وامره ان يضرب
عنق منصور حيث يقع عينه عليه فقدم الرجل راس عين بعد موت منصور بايام قلائل قال
المرزباني وتصديق قول الجاحظ ان النمري كان يذكر هرون في شعره ويعني به عليا عليه السلام
ما انشدناه ابن دريد للنمري ٭ آل الرسول خيار الناس كلهم وخير آل رسول الله هرون ٭
٭ رضيت حكمك لا ابغي به بدلا لان حكمك بالتوفيق مقرون ٭
ويروى ان ابا عصمة الشيعي لما اوقع باهل ديار ربيعه اوفدت ربيعه وفدا الى الرشيد فيهم
منصور النمري فلما صاروا بباب الرشيد امرهم باختيار من يدخل عليه فاختاروا واحدا بعد

عد الي ان اختاروا رجلين النمري احدهما ليدخلا ولينا الاخر حوايجهما وكان النمري مودبا لم
يسمع منه شعر قط قبل ذلك ولا عرف به فلما مثل هو وصاحبه بين يدي الرشيد قال [illegible]
ما تريدان فاندفع النمري فانشد ٭ ما تنقضي حسرة مني ولا جزع ٭ قال الرشيد قل حاجتك ودع
عن هذا فقال اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع وانشد القصيدة حتى اتى الى قوله

٭ قوم من النمر هاذوا وابن عمهم ٭ من هاشم اذلك الازلم الجذع ٭
٭ منوا اليك بقربى منك تعرفها ٭ لهم بها في سنام المجد مطلع ٭
٭ ان المكارم والمعروف اودية ٭ احلك الله منها حيث تجتمع ٭
٭ اذا رفعت امرا فالله رافعه ٭ ومن وضعت من الاقوام متضع ٭
٭ نفسي فداوك والابطال معلمة ٭ يوم الوغا والمنايا بينهم قرع ٭

حتى اتى على اخرها فقال ويحك ما حاجتك فقال يا امير المؤمنين اخربت الديار واخذت الاموال
وهتكت الحرم فقال اكتبوا له بكلما يريد وامر له بثلثين الف درهم واحتبسه عنده وشخص اصحابه
بالكتب ولم يزل عنده يقول الشعر فيه حتى استاذنه في الانصراف فاذن له ثم اتصل بالرشيد
قوله ٭ شاء من الناس راتع هامل ٭ يعللون النفوس بالباطل ٭
٭ تقتل ذرية النبي ويرجون خلود الجنان للقاتل ٭
٭ ما الشك عندي في كفر قاتله لكنني قد اشك في الخاذل ٭
فاستعظم الرشيد وانفذ من يقتله فوجده في بعض الروايات ميتا وفي اخرى عليلا لما به فسأل
الرسول الايام فيه وان ينتظر موته ففعل ولم يبرح حتى توفي وعاد بخبر موته وللنمري

٭ لو كنت اخشى معادي حق خشيته ٭ لم تسم عيني الى الدنيا ولم تنم ٭
٭ لكنني عن طلاب الدين محتبل ٭ والعلم مثل الغنى والجهل كالعدم ٭
٭ يحاولون دخولي في سوادهم ٭ لقد اطافوا بصدع غير ملتئم ٭
٭ ما يغلبون النصارى واليهود على ٭ حب القلوب ولا العباد للصنم ٭

[illegible] ان سال سائل عن قوله تعالى واذا الموودة سئلت باي ذنب
قتلت فقال كيف يصح ان يسال من لا ذنب له ولا عقل واي فايدة في سوالها وما وجه الحكمة
فيه وما الموودة ومن اي شي اشتقاق هذه اللفظة الجواب قلنا اما معنى سئلت ففيه وجهان
احدهما ان يكون المراد فان قاتلها طولب بالحجة في قتلها وسئل عن قتله لها وباي ذنب كان على

سبيل التوبيخ والتعنيف واقامة الحجة فالقتلة ههنا هم المسؤولون على الحقيقة لا المقتولة وانما
المقتولة مسؤول عنها ويجري هذا مجرى قولهم سالت حقي اي طالبت به ومثله قوله تع واوفوا
بالعهد ان العهد كان مسؤولا اي مطالبا به مسؤولا عنه والوجه الاخر ان يكون السؤال توجه اليها
على الحقيقة على سبيل التوبيخ لقاتلها والتقريع له والتنبيه على انه لا حجة له في قتلها ويجري
هذا مجرى قوله تعم لعيسى عليه السلم أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله على طريق
التوبيخ لقومه واقامة الحجة عليهم فان قيل على هذا الوجه كيف يخاطب ويسال من لا عقل له ولا فهم
قلنا ان في الناس من زعم ان الغرض بهذا القول اذا كان تبكيت الفاعل وتهجينه وادخال الالم
عليه في ذلك الموقف على سبيل العقاب لم يمتنع ان يقع وان لم يكن من الموءودة فهم له لان الخطاب
وان كان متوجها اليها فالغرض في الحقيقة به غيرها قالوا وهذا يجري مجرى من ضرب ظالما طفلا
لمن ولده فاقبل عليه ولم يقول له لم ضربت وما ذنبك وباي شيء استحل هذا منك وغرضه
تبكيت الظالم لا خطاب الطفل والاولى بان يقال في هذا ان الاطفال وان كان من جهة العقول لا
يجب في وصولهم الى الاعواض المستحقة ان يكونوا كاملي العقول كما يجب مثل ذلك في الوصول الى الثواب
فان الخبر متظاهر والامة متفقة على انهم في الاخرة عند دخولهم الجنان يكونون على اكمل الهيئات
وافضل الاحوال وان عقولهم تكون كاملة فعلى هذا يحسن توجه الخطاب الى الموءودة لانها تكون
في تلك الحال ممن يفهم الخطاب ويعقله وان كان الغرض وان كان الغرض فيه التبكيت للقاتل واقامة
الحجة عليه وقد روي عن امير المؤمنين عليه السلم وابن عباس رحمة الله عليه ويحيى بن يعمر ومجاهد ومسلم
بن صبيح وابي الضحى وابي صالح وجابر بن زيد انهم قرأوا سالت بفتح السين والهمزة واسكان
التاء باي ذنب قتلت باسكان اللام وضم التاء الثانية على ان الموءودة موصوفة بالسؤال و
القول باي ذنب قتلت وروي القطعي عن مسلم والاعمش عن حفص عن عاصم قتلت بضم التاء
الثانية وفي سئلت مثل قراءة الجمهور بضم السين وروي عن ابي جعفر المدني قتلت بالتشديد و
اسكان التاء الثانية وروي عن بعضهم واذا المودة بفتح الميم والواو فاما من قرا سالت
بفتح السين فيمكن فيه الوجهان اللذان ذكرناهما من ان الله تع اكملها في تلك الحال واقدرها على
النطق والوجه الاخر ان يكون معنى سالت اي سيل لها وطولب بحقها والنصف لها ممن ظلمها
فكانها هي السائلة تجوزا واتساعا ومن قرا مع فتح السين ضم التاء والثانية من قتلت فانها هي المخاطبة
بذلك ومن قرا في هذا الوجه ايضا قتلت باسكان التاء الاخيرة كقراءة الجماعة لانه

اخبار

اخبار عنها كما يقال سل زيدا باي ذنب ضرب وباي ذنب ضربت قال ويقوي هذه القراة
في سالت ما روي عن النبي من قوله يجيء المقتول ظلما يوم القيمة واوداجه تشخب دما اللون لون
الدم والريح ريح المسك متعلقا بقاتله يقول يا رب سل هذا فيم قتلني فاما القراة المأثورة
عن حفص عن عاصم في ضم التاء الاخيرة من قتلت مع ضم السين من سيلت فمعناها واذا الموءودة
سئلت ما تبغي فقالت باي ذنب قتلت فاضمر ما سئلت عنه واضمر قولها وقد تضمر العرب
مثل هذه لدلالة الخطاب عليه وارتفاع الاشكال عنه مثل قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم
القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا اي ويقولان ذلك ونظايره في القران كثيرة
جدا فاما قراءة من قرا قتّلت فالمراد تكرار الفعل والموءودة ههنا وان كان لفظها لفظ واحد
فالمراد بها الجنس وارادة التكرار جايزة فاما من قرا المودة بفتح الميم والواو فعلى ان يكون
المراد الرحم القرابة وانه يسئل قاطعها عن سبب قطعها وتضييعها قال تعالى فهل عسيتم
ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم فاما الموءودة فهي المقتولة صغيرة
وكانت العرب في الجاهلية تئد البنات بان يدفنوهن احياء وهو قوله تعالى ايمسكه
على هون ام يدسه في التراب وقوله قتلوا اولادهم سفها بغير علم ويقال انهم كانوا يفعلون
ذلك لامرين احدهما انهم كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فالحقوا البنات بالله فهو احق
بالبنات والامر الاخر انهم كانوا يقتلونهن خشية الاملاق قال الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق قال رحمه الله وجدت الجبائي وغيره يقول انما قيل لها موءودة لانها ثقلت
بالتراب الذي طرح عليها حتى ماتت وفي هذا بعض النظر لانهم يقولون من الموءودة واد
يئد وادا والفاعل وايد والفاعلة وايدة ومن الثقل يقولون آدني الشيء يؤودني اودا
اي اثقلني وروي عن النبي صلى الله عليه انه سيل عن العزل فقال ذلك الواد الخفي
وقد روي عن جماعة من الصحابة الكراهية لذلك وقال قوم في الخبر الذي ذكرناه انه منسوخ
بما روي عنه انه قيل له ان اليهود يقولون في العزل هو الموءودة الصغرى فقال صلى الله عليه واله
كذبت اليهود لو اراد الله تعالى ان يخلقه لم يستطع احد ان يصرفه وقد يجوز ان يكون قوله عليه السلام
ذاك الواد الخفي على طريق تاكيد الترغيب في طلب النسل وكراهية العزل لا على انه محرم وصعصعة
بن ناجية بن عقال جد الفرزدق بن غالب ممن فدى الموءودات في الجاهلية ونهى عن قتلهن
ويقال انه احيا الف موءودة ودون ذلك وقد افتخر الفرزدق بهذا في قوله

٭ ومنا الذي منع الوايدات واحيا الوئيد فلم يوأد ٭ وقوله
٭ ومنا الذي احيا الوئيد وغالب وعمرو ومنا حاجب والاقارع
وايضا يقول في ذلك ٭ انا ابن عقال وابن ليلى وغالب وفكاك اغلال الاسير المكفر ٭
يلي ام غالب وعقال وهو محمد بن سفيان بن مجاشع وفكاك الاغلال ناجية بن عقال
والمكفر الذي قد كفر وكبل بالحديد ٭ وكان لنا شيخان ذو القبر عنهما وشيخ اجار الناس من كل مقبر ٭
ذو القبر غالب وكان يستجار بقبره وهو الذي اجار الناس من القبر واحيا الوئيد صعصعة
٭ على حين لم يحيي البنات واذ هم عكوف على الاصنام حول المدود ٭
٭ انا ابن الذي رد المنية فضله وما حسب دافعت عنه بمعود ٭
٭ اخي احد الغيثين صعصعة الذي متى تخلف الجوزاء والنجم يمطر ٭
٭ اجار بنات الوائدين ومن يجر على القبر يعلم انه غير مخفر ٭
٭ وفارق ليل من نساء اتت ابي يعالج ريحا ليلها غير مقمر ٭
فارق يعني امراة ماخضا شبهها بالفارق من الابل وهي الناقة التي يضربها المخاض فتفارق
الابل وتمضي على وجهها حتى تضع ٭ فقالت اجرني ما ولدت فانني اتيتك من هزلى الحمولة مقتر ٭
راى الارض منه راحة فرمى به الى خدد منها وفي شر محفر ٭ فقال لها نامي فاني بذمتي لبنتك جار من ابيها القنور ٭
المرزباني قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي
عن العباس بن بكار الضبي قال الصولي وحدثنا القسم بن اسمعيل عن ابي عثمان
المازني عن ابي عبيده بطرق منه قال وفد صعصعة بن ناجيه جد الفرزدق
على رسول الله صلى الله عليه وآله في وفد بني تميم وكان صعصعة منع الوئيد
في الجاهلية فلم يدع تميما يئد وهو يقدر على ذلك فجا الاسلام وقد فدى في بعض
الروايات اربع مائة جاريه وفي الرواية الاخرى ثلثمائة فقال للنبي صلى الله عليه وآله بابي انت
وامي اوصني فقال اوصيك بامك وابيك واختك واخيك وادانيك ادانيك قال زدني قال صلى الله عليه وآله
احفظ ما بين لحييك ورجليك ثم قال صلى الله عليه وآله ما شي بلغني عنك فعلته فقال يا رسول الله
رايت الناس يموجون على غير وجه ولم ادر اين الصواب غير اني علمت انهم ليسوا عليه فرايتهم يئدون
بناتهم فعلمت ان ربهم لم يامرهم بذلك فلم اتركهم يئدون وفديت ما قدرت وفي رواية اخرى
ان صعصعة لما وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله فسمع من يعمل مثقال ذرة خيرا قال حسبي

ما بالي

ما بالي لا اسمع من القران غير هذا ويقال انه اجتمع جرير والفرزدق يوما عند سليمان بن عبد الملك
فافتخرا فقال الفرزدق انا ابن محيي الموتى فقال سليمان انت ابن محيي الموتى فقال ان جدي
احيا الموؤدة وقد قال الله تعالى ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا وقد احيا جدي اثنين وتسعين
موؤدة فتبسم سليمان وقال انك مع شعرك لفقيه [illegible] ان سال سائل عن معنى الخبر الذي يروى
عن النبي صلى الله عليه وآله انه نهى عن يصلي الرجل وهو زناء الجواب الزناء هو الحاقن الذي قد ضاق ذرعا
ببوله يقال ازنى الرجل ببوله فهو يزني ازناء وزنا ببوله يزني زناء قال الاخطل
٭ فاذا دفعت الى زناء قعرها غبراء مظلمة من الاحفار ٭
يعني ضيق القبر ويقال للاماث فلانا فان منزله زناء فهو زان يكون ضيقا صعبا ومن ذلك قول
ابي زبيد يصف اسدا
٭ اين عريسة عنانها اشب ٭ ودون غابته مستورد شرع ٭
٭ شاس الهبوط زناء الحامين متى ٭ تبع موارده يحدث لها فزع ٭
يعني بزناء الحامين انه ضيق جانبي الوادي وقوله متى تبع موارده اي يضيق بجانبيه ممن يرده فانما
يحدث لها فزع من الاسد والشاس الغليظ يقال مكان شاس اذا كان غليظا ومن ذلك
قولهم زنا فلان في الجبل اذا كان الصعود فيه وهو يزنا في الجبل وروى ابو زيد ان قيس بن
عاصم المنقري اخذ صبيا له يرقصه وام ذلك الصبي منفوسة وهي بنت زيد الفوارس بن ضرار
الضبي فجعل قيس يقول له ٭ اشبه ابا امك او اشبه عمل ٭ ولا تكونن كهلوف وكل ٭
يريد عملي والوكل الجبان والهلوف الهرم المسن وهو ايضا الكبير اللحية وانما اراد به هاهنا الجبان
وارق الى الخيرات زنا في الجبل ٭ فاخذته امه فجعلت ترقصه وتقول
٭ اشبه اخي واشبهن ابا كا ٭ اما ابي فلن تنال ذاكا ٭ تقصر عن مناله يداكا ٭
[illegible] ان سال سائل عن قوله تعالى وهديناه النجدين فلا
اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او
مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة
والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشامة عليهم نار مؤصدة فقال ما تاويل هذه الايات وما
معنى ما تضمنته الجواب اما ابتداء الاية فتذكير بنعم الله التي يتوصلون بها الى منافعهم ويدفعون
بها المضار عنهم لان الحاجة ماسة الى كثير المنافع الدينية والدنياوية لا العين للرؤية

واللسان آلة للنطق والشفتين لحبس الطعام والشراب مسكهما في الفم وللنطق ايضا فاما النجد في
لغة العرب هو الموضع المرتفع من الارض نجد والغور الهابط منها وانما سمي الموضع المرتفع من الارض
نجدا لارتفاعه واختلف اهل التاويل في المراد بالنجدين فذهب قوم الى ان المراد بهما طريقا الخير
والشر لارتفاعهما وهذا الوجه روي عن امير المومنين عليه السلم وابن مسعود وعن الحسن ومجاهد من
المفسرين وروي انه قيل لامير المومنين عليه السلم ان ناسا يقولون في قوله تعالى وهديناه النجدين
انهما الثديان فقال عليه السلم لا انهما الخير والشر وروي عن الحسن انه قال بلغني ان رسول الله صلى الله
عليه قال يا ايها الناس هما نجدان نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر احب اليكم من نجد الخير وروي
عن قوم اخرين ان المراد بالنجدين ثديا الام فان قيل كيف يكون طريق الشر مرتفعا كطريق الخير و
معلوم انه لا شرف ولا رفعة في الشر قلنا يجوز ان يكون انما سماه نجدا لظهوره وبروزه لمن كلف
باجتنابه ومعلوم ان الطريقين جميعا باديان ظاهران للمكلفين ويجوز ايضا ان يكون سمى طريق الشر
نجدا من حيث يحصل في اجتناب سلوكه والعدول عنه الشرف والرفعة كما يحصل مثل ذلك في
سلوك طريق الخير لان الثواب الحاصل في اجتناب طريق الشر كالثواب في سلوك طريق الخير وقال قوم
انما اراد بالنجدين انا بصرناه وعرفناه ما له وما عليه وهديناه الى طريق استحقاق الثواب وبنى
النجدين على عادة العرب في تثنية الامرين اذا اتفقا في بعض الوجوه واجراء لفظ احدهما
على الاخر كما قيل في الشمس والقمر القمران وقال الفرزدق لنا قمراها والنجوم الطوالع
ولذلك نظاير كثيرة فاما قوله تعالى فلا اقتحم العقبة ففيه وجهان احدهما ان يكون فلا اقتحم
بمعنى الجحد وبمنزلة اي فلم يقتحم العقبة واكثر ما يستعمل هذا الوجه بتكرير لفظ لا كما قال سبحانه فلا صدق
ولا صلى اي لم يصدق ولم يصل وكما قال الحطيئة

وان كانت النعما فيهم جزوا بها * وان انعموا لا كدروها ولا كدوا

وقل ما يستعمل هذا المعنى من غير تكرير لفظ لا لانهم يقولون لا جئتني ولا زرتني يريدون
ما جئتني فان قالوا لا جئتني ولا زرتني صح الا ان في الاية ما ينوب مناب التكرار ويغني عنه
وهو قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا فكانه قال فلا اقتحم العقبة ولا امن فمعنى التكرار حاصل
والوجه الاخر ان يكون لا جارية مجرى الدعا كقولك لا نجا ولا سلم ونحو ذلك وقال قوم فلا اقتحم
العقبة اي فهلا اقتحم العقبة او افلا اقتحم العقبة قالوا ويدل على ذلك قوله تعالى ثم كان
من الذين امنوا ولو كان اراد النفي لم يتصل الكلام وهذا الوجه ضعيف جدا

جاز لان قوله تعالى فلا خال من لفظ الاستفهام في لفظ هذا الموضع وقد عيب على عمر بن ابي
ربيعة قوله ثم قالوا تحبها قلت بهرا * عدد القطر والحصا والتراب
فاما الترجيح فان الكلام لو اريد به النفي لم يتصل فقد بينا انه متصل مع ان المراد به النفي لان
قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا معطوف على قوله فلا اقتحم العقبة اي فلا اقتحم العقبة
ثم كان من الذين امنوا فالمعنى انه اقتحم والاصل على ما بينت فاما المراد بالعقبة
فاختلف فيه فقال قوم هي عقبة ملسا في جهنم واقتحامها فك رقبة وروي عن النبي صلى الله
عليه انه قال ان امامكم عقبة كؤودا لا يجوزها المثقلون وانا اريد ان تخففوا لتلك العقبة وروي
عن ابن عباس انه قال هي عقبة كؤود في جهنم وروي ايضا انه قال العقبة هي النار
نفسها فعلى هذا الوجه يكون التفسير للعقبة بقوله فك رقبة على معنى ما يودي الى اقتحام هذه
العقبة ويكون سببا لجوازها والنجاة منها لان فك رقبة وما اتى بعد ذلك ليس هو النار
نفسها ولا موضعا منها وقال اخرون بل العقبة ما ورد مفسرا لها من فك الرقبة والاطعام
في يوم المسغبة وانما سمي ذلك عقبة لصعوبته على النفوس ومشقته عليها وليس يليق هذا
الوجه بالجواب الذي ذكرناه في معنى قوله فلا اقتحم العقبة وانه على وجه الدعا لان الدعا
لا يحسن ولا يجوز الا بالمستحق لانه لا يجوز ان يدعا على احد بان لا يقع منه فهذا الوجه مطابق
لان تكون العقبة هي النار نفسها او عقبة فيها وقد اختلف الناس في قراءة فك رقبة فقرا
امير المومنين عليه السلم ومجاهد واهل مكة والحسن وابو رجا العطاردي وابو عمرو بن العلا
والكسائي فك رقبة بفتح الكاف ونصب الرقبة وقراوا او اطعم على الفعل دون الاسم وقرا
اهل المدينة والشام وعاصم وحمزة ويحيى بن وثاب ويعقوب الحضرمي فك بضم الكاف وخفض
رقبة او اطعام على المصدر وتنوين الميم وضمها من قرا على الاسم ذهب الى ان جواب الاسم
بالاسم اكثر في كلام العرب واحسن من جوابه بالفعل الا ترى ان المعنى ادراك اقتحام العقبة هو
فك رقبة او اطعام فذلك احسن من ان يقال هو فك رقبة او اطعم وقال الفراء في القراءة
بلفظ الفعل ورجحها بقوله تعالى ثم كان من الذين امنوا لانه فعل فالاولى ان يتبع فعلا ليتسق
ان يفسر اقتحام العقبة وان كان اسما بفعل يدل على الاسم مثل قول القايل ما ادراك ما زيد
ثم يقول مقرا يصنع [illegible] المعروف وما اشبه ذلك فياتي بالافعال والمسغبة
الجوع وانما اراد انه يطعم في يوم ذي مجاعة لان الاطعام فيه افضل واكرم فاما مقربة فمعناه ذا قربى
من قرابة النسب والرحم وهذا يحض على تقديم ذي القربى من قرابة النسب والرحم

وهذا حث على تقديم ذوي القربى المحتاجين على الاجانب في الافضال والمسكين الفقير الشديد الفقر
والمتربة مفعلة من التراب اي هو اللاصق بالارض من ضره وحاجته ويجري هذا مجرى
في الفقير مدقع وهو مأخوذ من الدقعاء وهي الارض التي لا شيء فيها وقال قوم ذا متربة اي ذا عيال
والمرحمة مفعلة من الرحمة وقيل انه من الرحم وقد يمكن في مقربة ان يكون غير مأخوذ من القرابة والقربى
بل من القرب الذي هو الخاصرة فكان المعنى انه يطعم من انطوت خاصرته ولصقت من الجهد شدة
للجوع والضر وهذا اعم من المعنى الاول واشبه بقوله تعالى ذا متربة لان كل ذلك مبالغة في وصفه
بالضر وليس من المبالغة في الوصف فالقرابة يكون قرينة للنسب والله تعالى اعلم بمراده

قال المرتضى رضي الله عنه ومن ظريف المدح ومليحه قول الشاعر

وكانه من وفده عند القرى * لولا مقام المادح المتكلم
وكانما اخذ الذي يعطيهم * لولا مقالة طالب للمعدم

ويقارب ذلك في المعنى قول محمد بن خارجة

سهل الفناء اذا حللت ببابه * طلق اليدين مؤدب الخدام
واذا رأيت صديقه وشقيقه * لم تدر ايهما اخو الارحام

ومثله لابي الهندي

نزلت على آل المهلب شاتيا * غريبا عن الاوطان في زمن محل
ولا زال بي انعامهم حتى حسبتهم اهلي

وقال ابن القعقاع يمدح عقبة بن [illegible]

شكرت ابا سعيد نعماه وقد كفر الموالي * ولم اكفر عطاياه اللوالي
مطرن علي واهية العزالي * فمن يك كافرا نعماه يوما * فاني شاكر اخرى الليالي
فتى لم يطلع الشعرى بافق * ولم تعرض يمينا وشمال
على يد له ان عد مجد * ومكرمة واتلاف لمال
واصبح للحوادث ان المت * واسعى للمحامد والمعالي
فتى عم البرية بالعطايا * فعم صادرا والداني لهال

ولقوة اختصاص التمني بما يعلم انه لا يكون غلط قوم فجعلوا ما علم المريد انه لا يكون متمنيا في بعضه
اخبارا وعلق تكذيبهم بالخبر دون التمني فكان تقدير الآية يا ليتنا نرد وهذا هو التمني ثم قال من بعد
فانا لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين فاخبروا بما علم الله تعالى انهم فيه كاذبون وانه لم يعلم
من انفسهم مثل ذلك فلهذا كذبهم تعالى وكل هذا واضح بحمد الله ومنه قال المرتضى رضي الله عنه
اخبرنا المرزباني قال حدثني احمد بن عبد الله وعبد الله بن يحيى العسكريان قالا اخبرنا الحسن بن عليل العنزي
قال اخبرنا ابو بكر محمد بن عبد الله العبدي قال اخبرني ابو مسعر رجل منا من بني غنم بن عبد القيس
قال ورد منصور بن سلمة النميري على البرامكة وهو شيخ كبير وكان مروان بن ابي حفصة صديقا
لي الا اني كنت ابغضه وامقته في الله فشكا الي قال دخل علينا اليوم رجل اظنه شاميا وقد تقدمته
البرامكة في الذكر عند الرشيد فاذن له الرشيد فدخل فسلم فاجاد فاذن له في الجلوس فجلس وجست
منه خوفا فقلت يا نفس انا حجازي نجدي شافهت العرب وشافهتني وهذا شامي افتراه اشعر مني
قال فجعلت ارفأ نفسي الى ان استنشده هرون قال فاذا هو والله افصح الناس فدخلني له
حسد قال فانشد قصيدة تمنيت انها لي وان علي غرما فقلت لمن هي قال احفظ منها ابياتا وهي

امير المؤمنين اليك خضنا * غمار الموت من بلد شطير
بخوص كالاهلة خافقات * تلين على السرى وعلى الهجير
حملن اليك املا عظاما * ومثل الصخر والدر النثير
فقد وقف المديح بمنتهاه * وغايته وصار الى المصير
الى من لا تشير الى سواه * اذا ذكر الندى كف المشير

قال مروان فوددت انه اخذ جائزتي وسكت وعجبت من تخلصه الى ذلك القول ثم ذكر ولد
امير المؤمنين علي صلوات الله عليه وسلامه فاحسن التخلص ورأيت هرون يعجب بذلك

بذلك في رقاب بني علي * ومن ليس بالمن اليسير
فان شكروا فقد انعمت فيهم * والا فالندامة للكفور
مننت على ابن عبد الله يحيى * وكان من الحتوف على شفير
وقد سخطت بسخطك المنايا * عليه فهي حائمة النسور
[illegible] حت بك * ذلفت له بقاصمة الظهور

وعاد كانما لم يجز بنا ... وقد كان اجتنا حسك الصدور
وانك حين تبلغهم اذاه ... وان ظلموا لمحترق الضمير

وان الرشيد لما سمع هذا البيت قال والله معنى كان في نفسي وادخلت بيت المال وحكم فيه عدنا الى الخبر قال مروان وكان الرشيد هرون يتبسم ويكاد يضحك للطف ما سمع ثم اومى الي ان انشد فانشدته قصيدتي التي اقول فيها

خلوا الطريق لمعشر عاداتهم ... حطم المناكب كل يوم زحام

حتى بلغت على اخرها فوالله ما عاج ذلك الرجل يعني النمري لشعري ولا حفل به ثم انشد منصور يومئذ

ان لهرون امام الهدى ... كنزين من اجر ومن بر
يريش ما تبري الليالي لا ... تريش ايديهن ما يبري
كانما البدر على رحله ... ترميك منه مقلتا صقر

قال وانشد ايضا ... ولمن اضاع لقد عهدتك حافظا ... لوصية العباس بالاخوال

قال مروان واخلق به ان يغلبني وان يعلو علي لاني ما رايت احسن من تخلصه الى ذكر الطالبين ولخبرنا المرزباني قال حدثني ابو عبد الله الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثني ابو عثمان الجاحظ قال كان منصور النمري ينافق الرشيد ويذكر هرون في شعره ويريه انه من وجوه شيعته وباطنه مراده بذلك علي بن ابي طالب عليه السلام لقول النبي صلى الله عليه فانت مني بمنزلة هرون من موسى الى ان وشى به عنده بعض اعدايه وهو العتابي فقال يا امير المومنين هو والله الذي يقول

متى يشفيك دمعك من همول ... ويبرد ما بقلبك من غليل

وانشد ايضا ... شاء من الناس راتع هامل ... يعللون النفوس بالباطل ... ومنصور بعد ذلك يصرح في هذه القصيدة بالعجايب فوجه الرشيد برجل من فزارة وامره ان يضرب عنق منصور حيث يقع عليه فقدم الرجل راس عين بعد موت منصور بايام قلايل ... قال المرزباني وبعد قول الجاحظ ان النمري كان يعني بذكر هرون في شعره امير المومنين عليا عليه السلام ما انشدناه محمد بن الحسن بن دريد للنمري

آل الرسول خيار الناس كلهم ... وخير آل رسول الله هرون
رضيت حكمك لا ابغي به بدلا ... لان حكمك بالتوفيق مقرون

وروي ان ابا عصمة الشيعي لما اوقع باهل ديار ربيعة اوفدت ربيعة وفدا الى الرشيد فهم
نصبه الذي فلما صاروا بباب الرشيد ابو هم بالخ

يقال ايضا سيل زيد باي ذنب ضرب وباي ذنب ضربت ويقوي هذه القراءة في سالت ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله يجي المقتول يوم القيمة واوداجه تشخب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك متعلقا بقاتله ويقول يا رب سل هذا فيم قتلني فاما القراءة المروية عن حفص عن عاصم فبضم التاء الاخيرة من قتلت وبضم السين من سيلت فمعناها واذا الموءودة سيلت ما تبغي فقالت باي ذنب قتلت فاضمر قولها وقد تضمر العرب مثل هذا لدلالة الخطاب عليه وارتفاع الاشكال عنه مثل قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا اي ويقولان ذلك ونظاير في القران كثيرة جدا فاما قراءة من قرا بالتشديد فالمراد تكرار الفعل فالموءودة سيلت ههنا وان كان لفظها لفظ واحدة فالمراد به الجنس وارادة التكرار جايز فاما من قرا المودة بفتح الميم والواو فعلى المراد الرحم والقرابة وانه يسيل قاطعها عن سبب قطعها وتضييعها قال الله تعالى فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم فاما الموءودة فهي المقتولة صغيرة وكانت العرب في الجاهلية تيد البنات بان يدفنوهم احياء وهو قوله تعالى ايمسكه على هون ام يدسه في التراب وقوله تعالى قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم ويقال انهم كانوا يفعلون ذلك لامرين احدهما انهم كانوا يقولون ان الملايكة بنات الله فالحقوا البنات بالله فانه احق بها منا والامر الاخر انهم كانوا يقتلونهم خشية الاملاق فقال الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم قال المرتضى رضي الله عنه ووجدت ابا علي الجبائي وغيره يقول انما قيل لها موءودة لانها ثقلت بالتراب الذي طرح عليها حتى ماتت وفي هذا بعض النظر لانهم يقولون من الموءودة وادت اءد وادا والفاعل وايد والفاعلة وايدة ومن الثقل يقولون آدني الشي يؤدني اذا اثقلني اودا ... وروي عن النبي عليه السلام انه سيل عن العزل فقال ذلك الواد الخفي وقد روي عن جماعة من الصحابة كراهية ذلك وقال قوم في الخبر الذي ذكرناه انه منسوخ بما روي عنه عليه السلام انه قال قيل له ان اليهود يقولون في العزل هو الموءودة الصغرى فقال كذبت يهود لو اراد الله ان يخلقه لم يستطع ان يصرفه وقد يجوز ان يكون قوله عليه السلام ذاك الواد الخفي على طريق تاكيد الترغيب في طلب النسل وكراهة العزل لا على انه محظور محرم ... وصعصعة بن ناجية بن عقال جد الفرزدق بن غالب ممن فدى الموءودة في الجاهلية ونهى عن قتلهن ويقال انه احيا الف موءودة وقيل دون ذلك وقد افتخر الفرزدق بهذا في قوله ...

ومنا الذي احيا الوئيد وغالب ۞ وعمرو ومنا حاجب والاقارع

وفي ذلك يقول ايضا ۞ انا ابن عقال وابن ليلى وغالب ۞ وفكاك اغلال الاسير المكفر

ليلى ام غالب وعقال هو محمد بن سفين بن مجاشع وفكاك الاغلال ناجية بن عقال والمكفر المكبل بالحديد

وكان لنا شيخان ذو القبر منهما ۞ وشيخ اجار الناس من كل مقبر

ذو القبر غالب كان يستجار بقبره والذي اجار الناس من المقبر صعصعة واحيا للوئيد على حين يظهر

على حين لم يحيا البنات واذ هم ۞ عكوف على الاصنام حول المدور

انا ابن الذي رد المنية فضله ۞ وما حسب دافعت عنه بمعور

ابي احد الغيثين صعصعة الذي ۞ متى تخلف الجوزا والنجم يمطر

اجار بنات الوائدين ومن يجر ۞ على القبر يعلم انه غير مخفر

وطارق ليل من نساء اتت ابي ۞ تعالج ريحا ليلها غير مقمر

فارق يعني امراة ماخضا شبهها بالفارق من الابل وهي الناقة يضربها الفحل فتفارق الابل وتمضي على وجهها حتى تضع

فقالت اجر لي ما ولدت فانني ۞ اتيتك من هزلى الحمولة مقتر

راى الارض منها راحة فرمى بها ۞ الى جدث منها وفي شر محفر

فقالت لها بابي لي بنتي ۞ لبنتك جار من ابيها القنور

القنور السيء الخلق ۞ قال واخبرنا المرزباني قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال اخبرنا محمد بن زكريا الغلابي عن العباس بن بكار الضبي قال الصولي وحدثني القسم بن اسمعيل عن ابي عثمان المازني عن ابي عبيدة بطرف منه قال وفد صعصعة بن ناجية جد الفرزدق على رسول الله صلى الله عليه في وفد بني تميم وكان صعصعة منع الوئيد في الجاهلية فلم يدع تميما تئد وهو يقدر على ذلك فجاء الاسلام وقد فدى في بعض الروايات اربعمائة موودة وفي رواية اخرى ثلثمائة فقال للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي اوصني فقال اوصيك بامك وابيك واختك واخيك وادانيك ادانيك فقال زدني فقال عليه السلم احفظ ما بين لحييك ورجليك ثم قال عليه السلم ما شيء بلغني عنك فعلته فقال يا رسول الله رايت الناس يموجون على غير وجه ولم ادر اين الصواب غير اني علمت انهم ليسوا عليه فرايتهم يئدون بناتهم فعرفت ان [illegible] جل لم يامرهم بذلك فلم اتركهم يئدون ففديت ما قدرت وفي [illegible]

الضعيف النسب في المودة كالقوي النسب وانما اراد انه يرعى غيب الرفيق البعيد الغائب وحقه ما يرعاه من حق الشاهد الحاضر وانه يستوي عنده لكرمه وحسن حفاظه من بعدت داره وقربت معا بخلاف ما عليه اكثر الناس من مراعاة امر الحاضر القريب واهمال البعيد هذا اخر مجلس املاه الشريف الاجل المرتضى علم الهدى رضوان الله عليه ثم حالت تشاغل با موالح والحمد لله رب العالمين كثيرا وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم تسليما كثيرا كتبت من نسخة كتبت استكتبت من نسخة اخرى بخط المصطفى والحمد لله رب العالمين اولا واخرا وظاهرا

۞ وباطنا ۞

۞ وفرغ من كتابة كتاب درر الفوايد وغرر القلايد لابي ۞
۞ القسم المرتضى رحمه الله عبد العبد الفقير الذليل ۞
۞ المحتاج الى عفو ربه القدير كثير الخطايا ۞
۞ والنسيان الذي اذا غاب لم يفتقد واذا ۞
۞ حضر كانه لم يوجد حسن بن جعفر بن علي ۞
۞ العطاف النجفي ثم الزيدي اصلا النجفي ۞
۞ مسكنا رحم الله من عفا الله عنه وعن ۞
۞ والديه وغفر له ولجميع المؤمنين ۞
والمؤمنات والمسلمين والمسلمات
ورحم من نظر فيه ورضي
۞ او راهم ودعا له ۞
والرضوان للابد
مضت عشر
المحرم الحرام
شهور
سنة